رسائل إخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الجزء الثاني

عني بتصحيحه
خير الدين الزركلي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر
لصاحبها: مصطفى محمد

المطبعة العربية بمصر
١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م

القسم الثاني

في الجسمانيات الطبيعيات

« الرسالة الاولى »

في بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان ومافيها
من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض
وهى الرسالة الخامسة عشرة من رسائل اخوان الصفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ ، أيدك الله وإيانا بروح منه، انا قد فرغنا من الرسائل الرياضية بجملتها حسب ماوعدنا في صدر الكتاب ، واستوفينا الكلام في ذلك حسب مايليق بنا ،فعلينا أن نشتغل بذكر القسم الثاني وهو في «الجسمانيات الطبيعيات» فلنبدأ بالرسالة الاولى منها فى « الهيولى والصورة »فنقول :

لما كان النظر في علم الطبيعيات جزءاً من اجزاء صناعة اخواننا أيدهم الله والاصل في هذا العلم هو معرفة خمسة أشياء وهى الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان ، ومافيها من المعانى اذا أضيف بعضها الى بعض ، احتجنا أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من معاني الهيولى والصورة شبه المدخل والمقدمات ليكون أقرب من فهم المبتدئين عند النظر في الطبيعيات وأسهل على تعليمهم فنقول:

اعلم وفقك الله ان معنى قول الحكماء «الهيولى» انما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر

واعلم ان اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولى ، وذلك انا نجد أشياء كثيرة جوهرها واحد وصورها مختلفة مثال ذلك السكين والسيف والفأس والمنشار وكل مايعمل من الحديد من الآلات والادوات والاواني، فان اختلاف اسمائها من اجل اختلاف صورها لامن أجل اختلاف جواهرها لأن كلها بالحديد واحد ، وكذلك الباب والكرسي والسرير والسفينة وكل ما يعمل من الخشب فان اختلاف اسمائها انما هو بحسب اختلاف صورها ، فأما هيولاها التى هى الخشب فواحدة ، وعلى هذا المثال يعتبر حال الهيولى والصورة في المصنوعات كلها لان كل مصنوع لا بد له من هيولى وصورة يركب منهما

واعلم أن الهيولى على أربعة أنواع منها هيولى الصناعة ، وهيولى الطبيعة ، وهيولى الكل ، والهيولى الاولى . فهيولى الصناعة هى كل جسم يعمل منه وفيه الصانع صنعته كالخشب للنجارين والحديد للحدادين والتراب والماء للبنائين والغزل للحاكة والدقيق للخبازين ، وعلى هذا القياس كل صانع لا بد له من جسم يعمل صنعته منه وفيه فذلك الجسم هو هيولى الصناعة ، أما الاشكال والنقوش التى يعملها فيها فهى الصورة ، فهذا هو معنى الهيولى والصورة في الصنائع . وأما الهيولى الطبيعية فهي الاركان الاربعة وذلك ان كل ما تحت فلك القمر من الكائنات أعنى النبات والحيوان والمعادن فمنها تتكون واليها تستحيل عند الفساد ، أما الطبيعة الفاعلة لهذا فهي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية ، وقد بينا كيفية فعلها في هذه الهيولى في رسالة أخرى . وأما هيولى الكل فهي الجسم المطلق الذي منه جملة العالم ، وأعنى الافلاك والكواكب والاركان والكائنات أجمع لانها كلها أجسام وانما اختلافها من أجل صورها المختلفة . وأما الهيولى الاولى فهى جوهر بسيط معقول لايدركه الحس ، وذلك أنه صورة الوجود حسب ، وهو الهوية . ولما قبلت الهوية الكمية صارت بذلك

جسما مطلقاً مشاراً اليه أنه ذو ثلاثة أبعاد التى هي الطول والعرض والعمق ، ولما قبل الجسم الكيفية وهى الشكل كالتدوير والتثليث والتربيع وغيرها من الاشكال صار بذلك جسما مخصوصاً مشاراً اليه أي شكل هو ، فالكيفية هي كالثلاثة والكمية كالاثنين والهوية كالواحد ، وكما أن الثلاثة متأخرة الوجود عن الاثنين كذلك الكيفية متأخرة الوجود عن الكمية ، وكما أن الاثنين متأخرة الوجود عن الواحد كذلك الكمية متأخرة الوجود عن الهوية ، والهوية هي متقدمة الوجود على الكمية والكيفية وغيرهما كتقدم الواحد على الاثنين والثلاثة وجميع العدد

ثم اعلم ان الهوية والكمية والكيفية كلها صور بسيطة معقولة غير محسوسة فاذا تركت بعضها على بعض صار بعضها كالهيولى وبعضها كالصورة ، فالكيفية هي صورة في الكمية والكمية هيولى لها ، والكمية هي صورة في الهوية والهوية هيولى لها ، والمثال في ذلك من المحسوسات أن القميص صورة في الثوب والثوب هيولى له والثوب صورة في الغزل والغزل هيولى له والغزل صورة في القطن والقطن هيولى له والقطن صورة في النبات والنبات هيولى له والنبات صورة في الاركان وهي هيولى له والاركان صورة في الجسم والجسم هيولى لها والجسم صورة في الجوهر والجوهر هيولى له ، وكذلك الخبز صورة في العجين والعجين هيولى له والعجين صورة فى الدقيق والدقيق هيولى له والدقيق صورة في الحب والحب هيولى له والحب صورة في النبات والنبات هيولى له والنبات صورة في الاركان وهي هيولى له وهي صورة في الجسم والجسم هيولى لها والجسم صورة فى الجوهر والجوهر هيولى له

وعلى هذا المثال يعتبر حال الصورة عند الهيولى وحال الهيولى عند الصورة الى أن تنتهي الاشياء كلها الى الهيولى الاولى التى هي صورة الوجود حسب ، لا كيفية فيها ولا كمية ، وهي جوهر بسيط لا تركيب فيه بوجه من الوجوه ، قابل للصور كلها ولكن على الترتيب كما بينا لا أي صورة كانت تأخرت أو

تقدمت ، بل الاول فالأول ، مثال ذلك أن القطن لا يقبل صورة الثوب الا بعد قبوله صورة الغزل والغزل لا يقبل صورة القميص الا بعد قبوله صورة الثوب وكذلك الحب لا يقبل صورة العجين الا بعدقبولهصورة الدقيق والدقيق لا يقبل صورة الخبز الا بعد قبوله صورة العجين وعلى هذا المثال يكون قبول الهيولى للصور واحدة بعد أخرى

ثم اعلم ان الاجسام كلها جنس واحد من جوهر واحد وهيولى واحدة ، وانما اختلافها بحسب اختلاف صورها ومن أجلها صار بعضها أصفى من بعض وأشرف ، وذلك أن عالم الافلاك اصفى واشرف من عالم الاركان ، وعالم الاركان بعضها أشرف من بعض ، وذلك أن النار أصفى من الهواءوأشرف منه ، والهواء أصفى من الماء والطف منه ، والماء اصفى من التراب واشرف منه ، وكلها اجسام طبيعية يستحيل بعضها الى بعض ، وذلك أن النار اذا أطفئت صارت هواء والهواء اذا غلظ صار ماء والماء اذا غلظ وجمد صار أرضاً وليس للنار أن تلطف او للارض ان تغلظ فتصير شيئاً آخر بل اذا تكونت أجزاؤها يكون منها المولدات أعني المعادن والنبات والحيوان لكن يكون بعضها أشرف تركيباً من بعض ، وذلك ان الياقوت اصفى من البلور واشرف منه وان البلور أصفى من الزجاج وأشرف منه والزجاج أصفى من الخزف وأشرف منه ، وكذلك الذهب أشرف من الفضة وأصفى منها والفضة أصفى من النحاس وأشرف منه والنحاس أصفى من الحديد وأشرف منه والحديد أشرف من الاسرب ، وكلها أحجار معدنية أصلها كلها الزئبق والكبريت ، والزئبق والكبريت أصلهما التراب والماء والهواء والنار ، فهيولاها واحد وصورها مختلفة وصفاؤها وشرفها بحسب تركيبها واختلاف صورها ، وكذلك حكم الحيوان والنبات فانها بالهيولى واحد وان اختلافها وشرف بعضها على بعض بحسب اختلاف صورها

﴿ فصل في الاجسام الجزئية ﴾

اعلم أن الاجسام الجزئية منها ما يقبل صورة الكلى اذا صور فيه فيصير بقبوله تلك الصورة أفضل وأشرف من سائر الاجسام الجزئية الساذجة ، والمثال في ذلك قطعة من النحاس اذا صور فيها الفلك مثل الاصطرلاب وذات الحلق والكرة المصورة فانها عند ذلك تكون أشرف وأفضل وأحسن من أن تكون ساذجة ، وكذلك كل جسم قبل صورة ما فانه عند ذلك يكون أفضل وأشرف وأحسن من كونه ساذجاً ، فهكذا الحكم في جواهر النفوس ، وذلك أنها كلها جنس واحد وجوهر واحد وان اختلافها بحسب معارفها وأخلاقها وآرائها وأعمالها لأن هذه الحالات هي صور في جواهرها وهي كالهيولى ، وكذلك النفس الجزئية اذا قبلت علماً من العلوم تكون أفضل وأشرف من سائر النفوس التى هي أبناء جنسها

ثم اعلم أن العلوم فى النفس ليست بشيء سوى صور المعلومات انتزعتها النفس وصورتها في فكرها فيكون عند ذلك جوهر النفس لصور تلك المعلومات كالهيولى ، وهي فيها كالصورة

واعلم أن من الانفس الجزئية ما يتصور بصورة النفس الكلية ومنها ما يقاربها وذلك بحسب قبولها ما يفيض عليها من العلوم والمعارف والاخلاق الجميلة ، وكلما كانت أكثر قبولا كانت أفضل وأشرف من سائر أبناء جنسها ، مثل نفوس الانبياء عليهم السلام فانها لما قبلت بصفاء جوهرها الفيض من النفس الكلية أتت بالكتب الالهية التى فيها عجائب العلوم الخفية والمعانى اللطيفة والاسرار المكنونة التى لا يمسها الا المطهرون من أدناس الطبيعة ، وما وضعت من الشرائع العامية النافعة للكل والسنن العادلة الزكية ، فاستنقذوا بها نفوسا كثيرة غريقة في بحر الهيولى ، وأسر الطبيعة ومثل نفوس المحققين من الحكماء التى استنبطت علوماً كثيرة حقيقية واستخرجت صنائع بديعة وبنت هيا كل حكيمة

ونصبت طلسمات عجيبة ، ومثل نفوس الكهنة المخبرة بالكائنات قبل كونها بدلائل فلكية وعلامات زجرية ، والى مثل هذه النفوس أشاروا بقولهم الفلسفة هى التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية ، واليها أشاروا بقولهم من خاصية العقل المنفعل أن يقبل الجزء منه صورة الكل ، واليها أشار القائل بقوله :

كل الهيا كل صورة مذمومة الا التى في صورة الافلاك
واتمها بين الذوات لانها قبلت تماماً صورة الادراك
كم بين نفس شامخ في ذروة أو ما يكون حجارة الحكاك

واليها أشار القائل بقوله :

وما كان الا كوكبا كان بيننا فودعنا جادت معاهده رهم
وأصبح روحاً لم يقيده منزل وأضحى بسيطا ليس يدركه وهم
رأى المسكن العلوي اولى بمثله ففاز وأضحى بين أشكاله نجم

واعلم يا أخي ان فضائل النفس الكلية فائضة على الانفس الجزئية دفعة واحدة مبذولة لها دائم الأوقات ، لكن الانفس الجزئية لا تطيق قبولها الا شيئاً بعد شيء في ممر الزمان ، والمثال فى ذلك فيض الانفس الجزئية بعضها على بعض ، وذلك ان الاب الشفيق والمعلم الحريص على تعليم تلميذه يود أن يعلم كل ما يحسنه ويعلمه لتلميذه دفعة واحدة ولكن نفس المتعلم لا تقبل الا شيئاً بعد الشيء على التدريج

ثم ان المانع للانفس الجزئية قبول فيض النفس الكلية دفعة واحدة هو لأجل استغراقها فى بحر الهيولى وتراكم ظلمات الاجسام على بصرها لشدة ميلها الى الشهوات الجسمانية وغرورها باللذات الجرمانية ، فمتى انتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وصحت من سكرة عمايتها وأفاقت من غمرة غشيتها وأخذت ترتقي في العلوم والمعارف ودامت على تلك الحال لحقت بالنفس الكلية وشاهدت تلك الانوار العقلية والاضواء البهية ونالت تلك الملاذ الروحانية والسرورات الديمومية الأبدية التى كلها أشرف وأعلى منزلة مما كان فوق ما

تقدم قبله ودون ما يأتي بعده ، ومتى هي أعرضت عما وصفنا وأقبلت على طلب الشهوات الجسمانية والزينة الطبيعية بعدت من هناك وانحطت الى أسفل السافلين وغرقت في بحر الهيولى وغشيتها أمواجها وتراكمت على بصرها ظلماتها ، والى هاتين الحالتين اشار عز اسمه بقوله تعالى « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري » الآية ، ثم قال تعالى « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » الآية

﴿ فصل في أقاويل الحكماء في ماهية المكان ﴾

اما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه المتمكن ، فيقال ان الماء مكانه الكوز الذي هو فيه وان الخل مكانه الزق الذي هو فيه ، وعلى هذا القياس مكان كل شيء هو الوعاء الذي هو فيه ، وكما يقال ان مكان السمك هو الماء ومكان الطير هو الهواء ، وبالجملة مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به وقيل أيضا أن المكان هو سطح الجسم الحاوي الذي يلي المحوي ، وقيل لا بل المكان هو سطح الجسم المحوى الذي يلي الحاوي ، وعلى كلا الرأيين والقولين يجب أن يكون المكان جوهراً ، وقيل أن المكان هو الفصل المشترك بين سطح الجسم الحاوى وسطح المحوى وعلى هذا الرأي يجب أن يكون المكان عرضا ، وقيل أيضا إن المكان هوالفضاء الذي يكون فيه الجسم ذاهبا طولا وعرضا وعمقا وإن كان كل جسم مثله سواء فان كان الجسم مدور الشكل اومربعا او مثلثا اوغيرها من الأشكال فان مكانه مثله سواء لاأصغر ولا أكبر حتى قيل في المثل ان المكان مكيال الجسم وعلى هذا الرأي يجب أن يكون المكان جوهرا

واعلم أن الذين قالوا إن المكان هو الفضاء إنما نظروا الى صورة الجسم ثم انتزعوها من الهيولى بالقوة الفكرية وصوروها في نفوسهم وسموها الفضاء وإذا نظروا اليها وهي في الهيولى سموها المكان وهذا يدل على قلة معرفتهم أيضاً بجوهر النفس وكيفية معارفها ومعانيها

واعلم أن من شرف جوهر النفس وعجائب قواها وظرائف معارفها أنها تنزع صورة المحسوسات من هيولاها وتصورها في ذاتها وتنظر اليها خلواً من الهيولى وتفرق بين الهيولى والصورة وانظر إلى كل واحد منهما تارة مفردة وتارة مركبة وان من شدة قوتها الوهمية أنها تارة تنظر إلى العالم وكأنها خارجة منه وتارة تنظر اليه وكأنها داخلة فيه وربما ترفع العالم من الوجود أصلا وربما تقدمت الزمان الماضي ونظرت الى بدء كون العالم وبحثت عن علة كونه بعد ان لم يكن شيئاً وربما سبقت الزمان المستقبل ونظرت إلى فناء العالم قبل حينه وتصور كيف يكون ذلك ، وان من شدة قوتها أيضاً أنها تضاعف العدد الى مالانهاية له وتجرى المقادير الى مالانهاية لها وتتوهم أيضاً أن خارج العالم فضاء الى مالانهاية له وما يشاكل هذا من أفعالها العجيبة ومايتصور بقوتها الوهمية فمن ظن أن الفضاء هو جوهر قائم بنفسه وان خارج العالم فضاء لانهاية له وأن المدة جوهر اسبق من نشوء العالم وأن الجزء من الهيولى يتجز أبداً وماشا كل هذه المسائل ، فكل هذه الاقاويل قالوها لقلة معرفتهم بجوهر النفس وعجائب قواها وكيفية تصرفها في المعارف والعلوم

﴿ فصل فى أقاويل الحكماء في ماهية الحركة ﴾

الحركة يقال على ستة أوجه الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقلة فالكون هو خروج الشيء من العدم إلى الوجود أو من القوة إلى الفعل والفساد عكس ذلك والزيادة هي تباعد نهايات الجسم عن مركزه والنقصان عكس ذلك والتغيير هو تبدل الصفات على الموصوف من الألوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات وأما الحركة التى تسمى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان إلى مكان آخر وقد يقال أن النقلة هي الكون فى محاذاة ناحية أخرى في زمان ثان وكلا القولين يصح فى الحركة التى هي على سبيل الاستقامة ، فاما التى على الاستدارة فلايصح لأن المتحرك على الاستدارة ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير في محاذاة أخرى فى زمان ثان، فان قيل أن المتحرك على الاستدارة

اجزاؤه كلها تتبدل أماكنها وتصير في محاذاة أخرى في زمان ثان الا الجزء الذي هو ساكن في المركز فانه ساكن فيه لا يتحرك ، فليعلم من يقول هذا القول ويظن هذا الظن أو يقدر أن هذا الرأي صحيح أن المركز انما نقطة هو متوهمة وهي رأس الخط ورأس الخط لا يكون مكان الجزء من الجسم ، وليعلم أيضاً أن المتحرك على الاستدارة بجميع أجزائه متحرك . وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير محاذيا بالشيء آخر في زمان ثان ، فأما الحركة على الاستقامة فلا يمكن أن تكون الا بالانتقال من مكان الى مكان والمرور بمحاذيات في زمان ثان ، فاذا قيل أنه يمكن ذلك فان الانسان مثلا قد يحرك يده أو بعض أجزائه وهو لا ينتقل من مكان الى مكان فاذا ترى كيف يكون حال اليد هل يجوز أن تتحرك ولا تخرج من مكان الى مكان وكذلك حكم الأصبع هل يجوز أن يتحرك ولا ينتقل من مكان الى مكان ولا يمر بمحاذاة أخرى في زمان ثان ؛

واعلم أنه متى تحركت الأجزاء من جسم فقد تحركت تلك الجملة ومتى تحركت تلك الجملة فقد تحركت تلك الأجزاء لأن تلك الأجزاء ليست غير تلك الجملة . وذلك أنه اذا تحرك الانسان فقد تحركت جملة أعضائه. واذا تحركت أعضاؤه فقد تحرك هو ، وان تحركت يده وحدها فقد تحركت أجزاء اليد كلها لان اليد ليست شيئاً غير تلك الاجزاء وكذلك ان تحرك أصبع واحد فقد تحركت أجزاء الأصبع كلها لأن الاصبع ليست غير تلك الاجزاء، فمن ظن أنه يجوز ان تتحرك الاجزاء ولا تتحرك الجملة أو تتحرك الجملة ولا تتحرك بعض الاجزاء فقد أخطأ

وأعلم انه قد ظن كثير من أهل العلم أن المتحرك على الاستقامة يتحرك حركات كثيرة لانه يمر في حركته بمحاذيات كثيرة في حال حركته ولا ينبغي أن تعتبر كثرة الحركات لكثرة المحاذيات فان السهم في مروره الى ان يقع حركة واحدة يمر بمحاذيات كثيرة ، وكذلك المتحرك على الاستدارة فحركته واحدة الى ان يقف وان كان يدور ادواراً كثيرة

ثم اعلم انه لاتنفصل حركة عن حركة الا بسكون بينهما ، وهذا يعرفه ولايشك فيه أهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تأليف النغم والنغم لايكون الا بالاصوات والاصوات لاتحدث الا من تصادم الاجسام وتصادم الاجسام لايكون الا بالحركات والحركات لاتنفصل بعضها عن بعض الا بسكونات تكون بينها فمن أجل هذا قال الذين نظروا فى تأليف النغم إن بين زمان كل نقرتين زمان سكون وقد بينا طرفا من هذا العلم فى رسالتنا فى تأليف اللحون ماهي وكم هى وكيف هي فاعرفها من هناك

واعلم انه ينبغي لمن ينظر فى حقائق الاشياء ويبحث عن ماهياتها أن يبتدىء أولا وينظر ويبحث هل الشيء جوهر أو عرض أو هيولى أو صورة جسمانية أو روحانية ، فان كان جوهراً فاي جوهر هو ، وان كان عرضاً فأي عرض هو ، وان كان هيولى فأي هيولى هو وان كان صورة فاي صورة هى وكيف هي

واعلم ان الحركة فى بعض الاجسام جوهرية كحركة النار فانها متى سكنت حركتها طفئت وبطلت وبطل وجودها ، وفى بعض الاجسام عرضية لها حركة كحركة الماء والهواء والارض ، لانها ان سكنت حركتها لايبطل وجدانها

واعلم ان الحركة هي صورة جعلتها النفس فى الجسم بعد الشكل وان السكون هو عدم تلك الصورة ، والسكون بالجسم أولى من الحركة لان الجسم ذو جهات لايمكنه أن يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة وليست حركته الى جهة أولى به من جهة فالسكون به اذاً أولى من الحركة

واعلم ان الحركة وان كانت صورة فهي صورة روحانية متممة تسرى فى جميع اجزاء الجسم وتنسل عنه بلا زمان كما يسري الضوء فى جميع اجزاء الجسم الشفاف وينسل عنه بلا زمان ، فانك ترى السراج اذا دخل البيت اضاء البيت من أوله الى آخره دفعة واحدة واذا خرج أظلم الهواء في البيت دفعة واحدة بلا زمان ، وكذلك الشمس اذا طلعت بالمشرق أضاء الهواء من المشرق الى المغرب دفعة واحدة فاذا غابت بالمغرب أظلم الهواء دفعة واحدة ، فالحرارة

اذا بدت تدب أولا فاولا يحمى الجو بزمان ، وكذلك اذا طلعت الشمس يحمى الجو أولا فأولا بزمان ، وكذلك اذا غابت الشمس برد الهواء أولا فاولا بزمان

واعلم ان الحركة حكمها كحكم الضوء ، وذلك لو ان خشبة طولها من المشرق الى المغرب نصبت ثم جذبت الى المشرق أو الى المغرب عقداً واحداً لتحركت جميع اجزائها دفعة واحدة

واعلم أن بعض افعال النفس فى الجسم بزمان ، وبعض افعالها بلا زمان ، دلالة على ان جوهرها فوق الزمان ، لان الزمان مقرون بحركة الجسم والجسم مفعول النفس وان النفس لما جعلت الجسم الكلي كري الشكل الذي هو أفضل الاشكال جعلت حركته أيضاً الحركة المستديرة التى هي أفضل الحركات

﴿ فصل فى ماهية الزمان من أقاويل العلماء ﴾

أما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين والشهور والايام والساعات ، وقد قيل ان عدد حركات الفلك بالتكرر ، وقد قيل انه مدة يعدها حركات الفلك وقد يظن كثير من الناس أن الزمان ليس بموجود اصلا اذا اعتبر بهذا الوجه وذلك ان اطول اجزاء الزمان السنون والسنون منها ماقد مضى ومنها مالم يجيء بعد وليس الموجود منها الا سنة واحدة وهذه السنة أيضاً شهور منها ماقد مضى ومنها مالم يجيء بعد وليس الموجود منها الا شهراً واحداً وهذا الشهر منه ايام قد مضت وايام لم تجيء بعد وليس الموجود منها الا يوماً واحداً وهذا اليوم ساعات منها ما قد مضت ومنها مالم تجيء بعد وليس الموجود منها الا ساعة واحدة وهذه الساعة اجزاء منها ما قد مضى وآخر ماجاء بعد ، فبهذا الاعتبار ليس للزمان وجود أصلا

فاما الوجه الآخر اذا اعتبر فالزمان موجود أبداً وذلك ان الزمان كله يوم وليلة اربع وعشرون ساعة وهي موجودة فى اربع وعشرين بقعة من استدارة

الارض تكون حولها دائما . بيان ذلك انه اذا كان نصف النهار فى يوم الاحد مثلا فى البلد الذي طوله تسعون درجة فان الساعة الاولى من هذا اليوم موجودة فى البلدان التى طولها من درجة الى خمس عشرة درجة والساعة الثانية موجودة فى البلدان التى طولها من ست عشرة درجة الى ثلاثين درجة والساعة الثالثة موجودة فى البلد الذي طوله من إحدى وثلاثين درجة الى خمس واربعين درجة والساعة الرابعة موجودة في البلدان التى طولها من ست واربعين درجة الى ستين درجة والساعة الخامسة موجودة فى البلدان التى طولها من إحدى وستين درجة الى خمس وسبعين درجة والساعة السادسة موجودة فى البلدان التى طولها من ست وسبعين درجة الى سبعين درجة ، والساعة السابعة موجودة فى البلدان التى طولها من احدى وتسعين درجة الى مئة وخمس درجات ،والساعة الثامنة موجودة فى البلدان التى طولها مئة وست درجات تمام مائة وعشرين درجة ، والساعة التاسعة موجودة فى البلدان التى طولها مائة وخمس وثلاثون درجة ، والساعة العاشرة موجودة فى البلدان التى طولها الى تمام مائة وخمسين درجة ، والساعة الحادية عشرة موجودة فى البلدان التى طولها الى تمام مائة وخمس وستين درجة والساعة الثانية عشرة موجودة فى البلدان التى طولها الى تمام مائة وثمانين درجة

وفى مقابلة كل بقعة من هذه البقاع من استدارة الارض ساعات الليل موجودة كل واحدة كنظيرتها ، ولكل موضع من الارض أقدار مختلفة من الليل والنهار والشمس تضيء في نصف الارض أبداً حيث كانت ويستر قطر الارض عن نصفها الآخر الذي كان أشرق على نصفها الذي يلي الشمس فيكون ما طلعت عليه الشمس نهاراً وما سترت بقطرها عن نصفها من ضوء الشمس ليلا، وكلما دار النهار دار الليل معه كل واحد منهما ضد صاحبه ، وكلما زال أحدهما زال الآخر معه فالليل والنهار يبتديان الاقبال من مشرق الارض ثم يسيران على مسير الشمس فيسبق طلوع الشمس على أول الارض طلوعها على آخرها باثنتى عشرة ساعة ، وكذلك الليل . فان شككت فيما قلنا فاسأل أهل الصناعة الناظرين فى

علم المجسطي يخبروك بصحة ماقلناه ، فانه قد قيل استعينوا على كل صناعة باهلها

ثم اعلم ان من كرور الليل والنهار حول الارض دائماً يحصل في نفس من يتأملها صورة الزمان كلها ، يحصل فيها صورة العدد من تكرار الواحد : وذلك أن العدد كله أفراده وازواجه صحيحه وكسوره آحاده وعشراته ومئاته وألوفه ليست بشيء غير جملة الآحاد تحصل في نفس من يتأملها كما بينا في رسالة العدد وهكذا الزمان ليس هو بشيء سوى جملة السنين والشهور والايام والساعات تحصل صورتها في نفس من يتأمل تكرار كرور الليل والنهار حول الارض دائماً فهذه الخمسة الاشياء التي أتينا على شرحها وهي الهيولي والصورة والمكان والزمان والحركة محتوية على كل جسم ، فمن لم يكن مرتاضاً بالنظر في هذه الاشياء فلا يسعه النظر في أمور الطبيعة لانه لا يمكن له أن يعرفها كنه معرفتها البتة ، ولو لم يكن مرتاضا في الامور الطبيعية فلا يسعه الكلام في الامور الالهية لانه لا يمكنه أن يعرفها كنه معرفتها

فتفكر فيما ذكرنا يا أخي في هذه الرسالة من أقاويل العلماء افهم ماقالوه ، وتصور ماوضعوه من معاني هذه الاشياء فان كان عندك زيادة عليها أفدناها وان أنكرت شيئاً مما قالوه فبينه لنا وان اشتبه عليك شيء مما حكيناه فلا تتهمنا بانا قصرنا في البيان أو قلنا ماليس بالحق

ثم اعلم ان لكل صناعة أهلا ولكل أهل علم وصناعة أصولا ثم فيها متفقون وفي فروعها يتكلمون وعلى تلك الاصول يقيسون فيما يختلفون

واعلم بان النظر في الامور الطبيعية جزء من صناعة اخواننا الكرام ، أيدهم الله تعالى والامور الطبيعية هي الاجسام وما يعرض لها من الاعراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا في هذه العلوم سبع رسائل أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولى والصورة والحركة والمكان والزمان إذ كانت هذه الاشياء الخمسة محتوية على كل جسم ، وقد ذكرنا في رسالة الحاس والمحسوس الاشياء العارضة للاجسام بقول وجيز ثم يتلو هذه الرسالة التي ذكرنا فيها السماء والعالم

ووصفنا فيها تركيب الافلاك وكميتها وسعة أقطارها وسرعة دورانها وعظم الكواكب وفنون حركاتها وأوصاف البروج وتخصيصها ثم يتلوها الرسالة التى ذكرنا فيها الكون والفساد وماهية الاركان الاربعة التى تحت فلك القمر وهى النار والهواء والماء والارض وصفنا فيها كيفية استحالة بعضها الى بعض وحدوث الكائنات منها ، ثم يتلوها الرسالة الرابعة التى فيها حوادث الجو والتغييرات التى تحدث في الهواء ، ثم يتلوها الرسالة الخامسة التى ذكرنا فيها جواهر المعادن ووصفنا كيفية تكونها في باطن الارض وجوف الجبال وقعر البحار ، ثم يتلوها الرسالة السادسة التى ذكرنا فيها أمر النبات ووصفنا أجناسه وأنواعه وخواصه ومنافعه ومضاره ، ثم يتلوها الرسالة السابعة التى ذكرنا فيها اجناس الحيوانات وانواعها واختلاف طباعها بقول وجيز .

وقد عملنا خمس رسائل أخر قبل هذه الرسالة في الرياضيات ، أولها رسالة العدد وخواصه وكيفية نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين ، ثم يتلوها الرسالة الثانية التى ذكرنا فيها أصول الهندسة وأنواع المقادير وكيفية نشوئها من النقطة التى هي في صناعة الهندسة كالواحد في العدد ، ثم يتلوها الرسالة الثالثة التى ذكرنا فيها النجوم ووصفنا الافلاك والكواكب وبينا ان نسبتها الى الشمس كنسبة العدد من الواحد ومنشأ مقادير الهندسة من النقطة ، ثم يتلوها الرسالة التى ذكرنا فيها النسبة العددية والهندسية والتاليفية وان منشأها كلها من نسبة المساواة كمنشأ العدد من الواحد وكمنشأ مقادير الهندسة من النقطة ، ثم يتلوها الرسالة التى ذكرنا فيها المنطق ووصفنا فيها المقولات العشرة التى كل واحد منها جنس الاجناس وبينا كمية أنواعها وخواصها وان الواحد منها هو الجوهر والتسعة الباقية هى الاعراض وتعلقها في وجودها بالجوهر كتعلق العدد بالواحد الذي قبل الاثنين . وقد تكلم في هذه الاشياء من قبلنا من الحكماء الاولين ودونوها في الكتب وهي موجودة في أيدي الناس ولكن من أجل انهم طولوا فيها الخطب ونقلوها من لغة الى لغة اغلق على الناظرين فى تلك الكتب فهم معانيها

وضاعت في الباحثين معرفة حقائقها ، من أجل هذا عملنا هذه الرسائل وأوجزنا القول فيها شبه المدخل والمقدمات لكيما يقرب على المتعلمين فهمها ويسهل على المبتدئين النظر فيها

فصل

واعلم ان كنت محباً لأهل العلم والحكمة أنك تحتاج أن تسلك طريق أهلها وهو أن تقتصر من أمور الدنيا على مالابد منه وتترك الفضول وتجعل أكثر همتك وعنايتك في طلب العلوم ولقاء أهلها ومجالستهم بالمذاكرة والبحث وأن تروض نفسك بالسيرة العادلة التى وصفت فى كتب الانبياء عليهم السلام وبالنظر في هذه العلوم التى تقدم ذكرها وهي التى كانوا يروضون أولاد الحكماء بها ويخرجون بها تلامذتهم ليقوى فهمهم على النظر في الأمور الالهية التى هي الغرض الاقصى فى المعارف .

ثم اعلم ان الامور الالهية هي الصور المجردة من الهيولى وهي جواهر باقية خالدة لايعرض لها الفساد والآفات كما يعرض للأمور الجسمانية ، واعلم ان نفسك هي احدى تلك الصور ، فاجتهد فى معرفتها لعلك تخلصها من بحر الهيولى وهاوية الاجسام وأسر الطبيعة التى وقعنا فيها بجناية كانت من أبينا آدم عليه السلام حين عصى ربه فأخرج هو وذريته من الجنة التى هي عالم الارواح وقيل لهم « اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين. فيها تموتون ومنها تخرجون » فقد قيل في المثل ان أول اناس اذا نفخ في الصور وشق عليهم القبور يوم البعث والنشور وقيل انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب هو عالم الاجسام ذو الطول والعرض والعمق . فاجتهد يا أخي فى معرفة هذه المرامي والرموز التى ظهرت فى كتب الانبياء عليهم السلام لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح المعارف الربانية وتعيش بحياة العلوم الالهية وتسلم من الآفات الطبيعية

واعلم ان النفس بمجردها لا تلحقها الآلام والامراض والاسقام والجوع والعطش والحر والبرد والغموم والهموم والاحزان ونوائب الحدثان ، لان هذه كلها تعرض لها من أجل مقارنتها للجسد لأن الجسد جسم قابل للآفات والفساد والاستحالة والتغير ، فأما النفس فانها جوهرة روحانية فليس لها من هذه الآفات شيء .

واعلم انه قد ذهب على أكثر أهل العلم معرفة أنفسهم لتركهم النظر في علم النفس والبحث عن معرفة جواهرها والسؤال من العلماء العارفين بعلمها ، ولقلة اهتمامهم بأمر أنفسهم وطلب خلاصها من بحر الهيولى وهاوية الأجسام والنجاة من أسر الطبيعة والخروج من ظلمة الاجسام لشدة ميلهم في الخلود الى الدنيا واستغراقهم في الشهوات الجسمانية والغرور باللذات الحيوانية والانس بالمحسوسات الطبيعية ولغفلتهم عما وصف في الكتب الالهية والنواميس الشرعية النبوية من نعيم الجنان ومافي عالم الارواح من الروح والريحان والنعيم والسرور واللذة والكرامة وبقاء الابد التي وعد المتقون « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات والنخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون »

والعاقلة رغبتهم فيها لقلة تصديقهم بما أخبرت به الانبياء عليهم السلام وما أشارت اليه الفلاسفة والحكماء مما يقصر الوصف عنه من لطيف المعانى ودقائق الاسرار ، فانصرفت همم نفوسهم كلها الى أمر هذا الجسد المستحيل ، وجعلوا سعيهم كله لصلاح معيشة الدنيا من جمع الاموال والمآكل والمشارب والملابس والمناكح والمراكب ، وصيروا نفوسهم عبيداً لأجسادهم وأجسادهم مالكة لنفوسهم ، وسلطوا الناسوت على اللاهوت والظلمة والشياطين على النور والملائكة ، وصاروا من حزب إبليس وأعداء الرحمن

فهل لك يا أخي بأن تنظر لنفسك وتسعى في صلاحها وتطلب نجاتها وتفك أسرها وتخلصها من الغرق في بحر الهيولى وأسر الطبيعة وظلمة الأجسام وتخفف عنها أوزارها وهي الاسباب المانعة لها عن الترقي الى ملكوت السماء والدخول في زمر الملائكة والسيحان في فسحة عالم الافلاك والارتقاع في درجات الجنان والتشمم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن ، وأن ترغب في صحبة أصدقاء لك نصحاء ، واخوان لك فضلاء ، وادين لك كرماء ، حريصين معاونين لك على صلاحك ونجاتك مع أنفسهم ، قد خلعوا أنفسهم من خدمة أبناء الدنيا وجعلوا عنايتهم وكدهم في طلب نعيم الآخرة ، بأن تسلك مسلكهم وتقصد مقصدهم وتخلص سرك معهم وتتخلق بأخلاقهم وتسمع أقاويلهم لتعرف اعتقادهم وتنظر في علومهم لتفهم أسرارهم وما يخبرونك به من العلوم النفسية والمعارف الحقيقية والمعقولات الروحانية والمحسوسات النفسانية اذا دخلت مدينتنا الروحانية وسرت بسيرتنا الملكية وعملت بسنتنا الزكية وتفقهت في شريعتنا العقلية فاملك تؤيد بروح الحياة لتنظر الى الملأ الأعلى وتعيش عيش السعداء مخلداً مسروراً أبداً بنفسك الباقية الشريفة الشفافة الفاضلة لا بجسدك المظلم الثقيل المتغير المستحيل الفاسد الفاني . وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا للسداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا للرشاد حيث كانوا في البلاد انه رؤوف رحيم بالعباد

تمت رسالة الهيولى والصورة وتتلوها رسالة السماء والعالم

الرسالة الثانية

من الجسمانيات الطبيعيات

الموسومة بالسماء والعالم في اصلاح النفس وتهذيب الأخلاق

﴿ وهي الرسالة السادسة عشرة من رسائل اخوان الصفاء ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أنه لما فرغنا من ذكر الجسم المطلق وما يخصه من الصفات المقومة لذاته من الهيولى والصورة ومايتبعها من سائر الصفات اللازمة مثل الحركة والسكون وماشا كلهما أردنا أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالسماء والعالم الأجسام الكليات البسيطات التي هي الأفلاك والكواكب والاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض اذكان الجسم المطلق أول ماينقسم اليهاثم من بعدها الاجسام الجزئيات المولدات التي هي الحيوان والمعادن والنبات

﴿ فصل في بيان معرفة قول الحكماء ان العالم انسان كبير ﴾

اعلم أيها الاخ أن معنى قول الحكماء العالم انما يعنون به السماوات السبع والارضين ومابينهما من الخلائق أجمعين، وسموه أيضاً إنساناً كبيراً لانهم يرون أنه جسم واحد بجميع أفلاكه وأطباق سماواته وأركان أمهاته ومولداتها ويرون أيضاً أن له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزاء جسمها كسريان نفس الانسان

الواحد في جميع أجزاء جسده ، فنريد أن نذكر في هذه الرسالة صورة العالم ونصف كيفية تركيب جسمه كما وصف في كتاب التشريح تركيب جسد الانسان ، ثم نصف في رسالة أخرى ماهية نفس العالم وكيفية سريان قواها في الاجسام التي في العالم من أعلى الفلك المحيط إلى منتهى مركز الارض ، ثم نبين فنون حركاتها واظهار افعالها في اجسام العالم بعضها في بعض ، فنرجع الآن الى وصف جسم العالم فنقول

الجسم هو أحد الموجودات بطريق الحواس بتوسط أعراضه كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس ، والموجودات كلها جواهر وأعراض وصور وهيوليات مركب منها كما بينا في رسالة الهيولى والصورة ، والصورة نوعان مقومة ومتممة كما بينا في رسالة العقل والمعقول ، والصورة المقومة لذات الجسم هي الطول والعرض والعمق إذا وجدت في الهيولى التي هي جوهر بسيط قابل للصورة ، والصورة المتممة للجسم المبلغة له الى أفضل حالاته كثيرة لا يحصى عددها الا الله عز وجل ، ولكن نذكر منها طرفاً لتفهم معانيها : فمن الصورة المتممة للجسم الشكل ، والاشكال كثيرة كالتثليث والتربيع والتخميس والتدوير وماشا كلها ، ومن الصورة المتممة أيضاً الحركة ، والحركات ستة أنواع أحدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ، ومن الصور المتممة أيضاً النور وهي نوعان ذاتي وعرضي ، ومن الصور المتممة للجسم الصفاء ، وأفضل الاشكال الشكل الكرى كما بينا في رسالة الهندسة ، وأتم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات ، وأبهى الأنوار الذاتية وأصفى النعوت الشفاف كما بينا في رسالة الصفات والموصوفات . فجسم العالم بأسره كري الشكل وحركات أفلاكه كلها دورية ، ونور الكواكب السماوية كلها ذاتي الا القمر ، وأجرام الكرة كلها شفافة الا الارض فقد بينا ما العلة في أمر الارض والقمر في رسالة العلل والمعلولات

فصل فى ان السماوات هي الأفلاك

واعلم يا أخي ان السماوات هي الافلاك وانما سميت السماء سماء لسموها والفلك لاستدارته . واعلم بأن الافلاك تسعة سبعة منها هي السماوات السبع وأدناها وأقربها الينا فلك القمر وهي السماء الأولى ثم من ورائه فلك عطارد وهي السماء الثانية ، ومن ورائه فلك الزهرة وهي السماء الثالثة ، ثم من ورائه فلك الشمس وهي السماء الرابعة ، ومن ورائه فلك المريخ وهي السماء الخامسة ومن ورائه فلك المشتري وهي السماء السادسة ، ثم من ورائه فلك زحل وهي السماء السابعة ، وزحل النجم الثاقب ، وانما سمي الثاقب لأن نوره يثقب سمك سبع سماوات حتى يبلغ أبصارنا ، هكذا روي في الخبر عن عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ، وأما الفلك الثامن وهو فلك الكواكب الثابتة الواسع المحيط بهذه الافلاك السبعة فهو الكرسي الذي وسع السماوات والارض ، وأما الفلك التاسع المحيط بهذه الافلاك الثمانية فهو العرش العظيم الذي يحمله فوقهم يومئذ ثمانية كما قال الله عز وجل

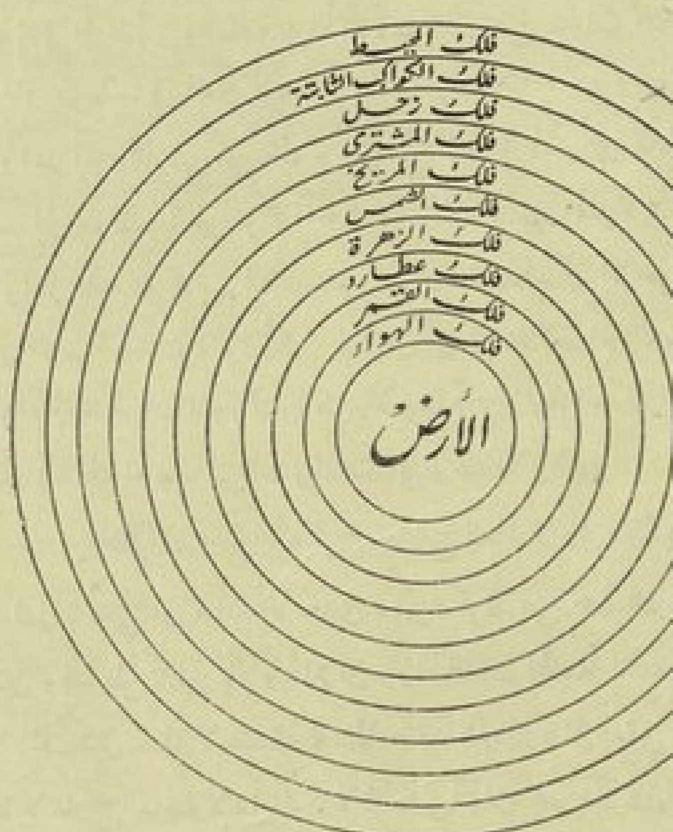
واعلم يا أخي ان كل واحد من هذه السبعة المقدم ذكرها سماء لما تحته وأرض لما فوقه ، ففلك القمر سماء الارض التى نحن عليها وأرض لفلك عطارد ، وكذلك فلك عطارد سماء لفلك القمر وأرض لفلك الزهرة ، وعلى هذا القياس حكم سائر الافلاك كل واحد منها سماء لما تحته وأرض لما فوقه الى فلك زحل الذى هو السماء السابعة .

فصل في تركيب الافلاك وأطباق السماوات

اعلم يا أخي ان الأرض التى نحن عليها هي كرة واحدة بجميع ماعليهـا من الجبال والبحار والبراري والأنهار والعمران والخراب ، وهي واقفة في مركز العالم في وسط الهواء بجميع ماعليها باذن الله عز وجل ، والهواء محيط بها من جميع جهاته كاحاطة بياض البيضة بمحها ، وفلك القمر محيط بالهواء من جميع جهاته

كاحاطة القشرة ببياض البيضة ، وفلك عطارد محيط بفلك القمر على مثل ذلك . وعلى هذا القياس سائر الافلاك الى أن تنتهي الى الفلك المحيط بالكل كما ذكره الله جل ثناؤه « وكل فى فلك يسبحون »

وهذا مثال تركيب الافلاك وصورة سموك السماوات ومن فوقها فلك البروج ومن فوقه الفلك المحيط :



فقد بان بهذا المثال ان جملة العالم احدى عشرة كرة اثنتان في جوف فلك القمر وهما الأرض والهواء، لان الأرض والماء كرة واحدة والهواء والأثير كرة واحدة ، وتسع من ورائه محيطات بعضها ببعض .

فصل في انه ليس للعالم فراغ

اعلم يا أخي ان هذه الاكر محيطات بعضها ببعض كاحاطة طبقات البصل ،

مماس سطح الحاوي بسطح المحوي ، وليس بينهما فراغ ولاخلاء إلا فصل مشترك وهمي . وقد ظن قوم من أهل العلم ان بين فضاء الأفلاك وأطباق السماوات وأجزاء الأمهات مواضع فارغة وليس الامر كما ظنوا ، لأن معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذى لامتمكن فيه والمكان صفة من صفات الأجسام لايقوم إلا بالجسم ولايوجد الا معه

واعلم ان النور والظلمة هما أيضاً صفتان من صفات الأجسام ولايمكن أن يعقل ان موضعاً في العالم لامظلماً ولامضيئاً البتة فأين وجود الخلاء إذن

واعلم انه انما ظن من قال بوجود الخلاء انه لما رأى بعض الاجسام تنتقل من موضع الى موضع آخر توهم انه لولا الخلاء لكان الملء يمنعه من الحركة والنقلة

واعلم بأنه لو كانت الاجسام كلها صلبة متماسكة الاجزاء كالحجر والحديد لكان الامر كما ظنوا ولكن لما كان بعض الاجسام رخواً لطيفاً سيالا كالماء والهواء لم يمتنع ان تتحرك بعض الاجسام بين أجزائه كما يتحرك السمك في الماء والطير في الهواء وسائر الحيوانات على وجه الارض

فصل في انه ليس خارج العالم لاخلاء ولاملاء

اعلم يا أخي ان هذه الاحدى عشرة كرة هي جملة العالم ومساكن الخلائق أجمعين وقد ظن كثير بالاوهام ان وراء الفلك المحيط جسم آخر وخلاء بلانهاية، وكلا الحكمين خطأ لاحقيقة له، لانه قد قام بالبرهان العقلي ان الخلاء غير موجود اصلا لاخارج العالم ولاداخله ، لان معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذي لامتمكن فيه كما وصفنا والمكان صفة من صفات الاجسام وهو عرض ولايقوم الا بالجسم ولايوجد إلا معه ، فمن ادعى ان خارج العالم جسم آخر من أجل الوهم الذي يتخيله فهو المطالب بالدليل على دعواه

واعلم ان الوهم قوة من قوى النفس وهي تتخيل مالاحقيقة له وماله حقيقة فليس ينبغي أن يحكم على متخيلاتها انهـا حق وباطل دون أن تشهد لها احدى القوى الحساسة ويقوم عليها برهان ضروري أو يقضى لها العقل

واعلم ان حكم العقل هو الذي يتساوى فيه العقلاء وكلهم لم يتفقوا على أن خارج العالم جسم آخر لان الحس لم يدركه والعقل لم يقض به والبرهان لم يقم عليه فأي قضية تحكم ان هناك جسما آخر غير تخيل الاوهام الكاذبة ، فان كان هناك جسم آخر كما ادعى المدعي فلا يمكن أن يكون من ورائه شيء آخر لان الجسم ذو نهاية والخلاء ليس بموجود ببراهين قد قامت كما ذكرنا . فأما الدليل على ان كل جسم ذو نهاية فقد اتفقت عليه الآراء النبوية والفلسفية جميعاً . وذلك ان من الرأي النبوي ان كل جسم مخلوق وكل مخلوق ذو نهاية في أولية العقل ومن الرأي الفلسفي ان كل جسم مركب من هيولى وصورة وكل مركب ذو نهاية في أولية العقل

فصل في ان موضع الشمس وسط العالم

اعلم ان الشمس لما كانت في الفلك كالملك فى الارض والكواكب لها كالجنود والاعوان والرعية للملك والافلاك كالاقاليم والبروج كالبلدان والدرجات والدقائق كالقرى صار مركزها بواجب الحكمة الالهية وسط العالم كما ان دار الملك وسط المدينة ومدينته وسط البلدان من مملكته ، وذلك ان مركز الشمس وسط فلكها وفلكها فى وسط الافلاك لانه لما كانت جملة العالم احدى عشرة كرة كما بينا قبل وكان خمس منها من وراء فلكها محيطات بعضها ببعض ، وهي كرة المريخ وكرة المشترى وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط وخمس دونها وهي في جوف كرتها محيطات بعضها ببعض أولها فلك الزهرة ودونها كرة عطارد ودونها كرة القمر ودونها كرة الهواء ودونها كرة الارض ، فصار موضعها في وسط العالم بهذا الاعتبار كما ان موضع الارض في مركز العالم

فصل فى ماهية البروج

اعلم يا أخي ان البروج هى اثنى عشر قسمة وهمية في سطح فلك المحيط

يفصلها اثناعشر خطاً وهمياً ، وهي تبتدىء من نقطة وتنتهي الى نقطة أخرى في مقابلتها فيقسم سطح كرة باثنى عشرة قسمة كل واحدة منها كأنها جزء البطيخة تسمى البرج ، والنقطتان تسميان قطبى الكرة ، وان الشمس ترسم على سطح كرتها بحركتها في كل ثلثمائة وخمسة وستين يوماً دائرة وهمية كما سنبين بعد ، والدائرة تقسم الكرة بنصفين ، وكل برج بقسمين متساويين ، حصة كل برج من تلك الدائرة قطعة قوس قدرها ثلاثون جزءاً من ثلثمائة وستين ، وبهذه الدائرة ودرجتها يقاس دوران سائر الافلاك والكواكب ، وبحركات الشمس تعتبر سائر حركات الكواكب في الزيجات ، وبأحوال الشمس تعتبر أحوال الكواكب فى المواليد

فصل في أقطار الافلاك وسموك السماوات

واعلم يا أخي ان لكل كرة من هذه الاكر قطراً وسمكا ، وسمك كل واحد منها أقل من قطرها الا الارض فان سمكها مثل قطرها لانها كرة غير مجوفة ، وأما سائر الاكر فانها لما كانت مجوفة صارت سموكها أقل من أقطارها فقطر الارض الفان ومائة وسبعة وستين فرسخاً وأعظم دائرة على بسيطها ستة آلاف وثمانمائة فرسخ . وأما سمك كرة الهواء فانه سبع عشرة مرة ونصف مثل قطر الارض ، فيكون ذلك سبعة وثلاثين الف وتسعمائة واثنين وعشرين فرسخاً ونصف فرسخ وقطر هذه الكرة مثل سمكها مرتان وزيادة قطر الارض عليه مرة واحدة . وأما سمك كرة القمر فمثل سمك كرة الهواء سواء وقطره مثل سمكه مرتان ، وزيادة قطر الهواء عليها مرة واحدة . وأما سمك كرة عطارد فانه مثل قطر الارض مائة مرة وخمس قطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك القمر عليها مرة واحدة . وأما سمك الزهرة فمثل قطر الارض تسع مائة وخمس عشرة مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك عطارد عليه مرة واحدة . وأما سمك كرة الشمس فمئة مرة مثل قطر الارض وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك الزهرة عليه مرة واحدة

وأما سمك كرة المريخ فمثل قطر الارض سبع آلاف مرة وستمائة وست وخمسين مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر الشمس عليه مرة واحدة . وأما سمك فلك المشتري فمثل قطر الارض خمس آلاف مرة وخمس مائة وسبع وعشرين مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك المريخ عليه مرة واحدة . وأما سمك فلك زحل فمثل قطر الارض سبع آلاف وستمئة وخمس مرات وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك المشتري عليه مرة واحدة . وأما سمك كرة فلك الكواكب الثابتة فانه مثل قطر الارض اثنى عشرة الف مرة بالتقريب وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر زحل عليه مرة واحدة

فصل في كمية عدد الكواكب الثابتة والسيارة

وهى الف وتسعة وعشرين كوكباً ، الذي أدرك بالرصد منها السبعة السيارة وهي : زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، لكل واحد منها فلك يختص به وهي محيطات بعضها ببعض كما بينا من قبل. وأما سائر الكواكب وهي الف واثنان وعشرين كوكباً فكلها في فلك واحد وهو الفلك الثامن المحيط بفلك الكواكب اى زحل وسائر الافلاك هي في جوفه

فصل فى مقادير أقطارها في رأي العين

وقطر جرم الشمس في رأي العين مساو لاحدى وثلاثين دقيقة من درجة على أن الدرجة ستون دقيقة وقطر جرم القمر اذا كان فى أبعد أبعاده مساو لقطر الشمس ، وقطر جرم عطارد إذا كان في بعده الاوسط جزء من خمسة وعشرين جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم الزهرة جزء من اثنى عشر جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم المريخ جزء من عشرين جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم المشترى جزء من اثنى عشر جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم زحل جزء من ثمانية وعشرين جزءاً من قطر الشمس

﴿ فصل في نسبة أقطارها من قطر الارض ﴾

فقطر جرم عطارد جزء من ثمانية عشر جزءاً من قطر الارض وقطر جرم الزهرة جزء وربع من ثلاثة أجزاء من قطر الارض وقطر جرم القمر جزآن وخمس من ثلاثة أجزاء من قطر الارض وقطر جرم الشمس مثل قطر الارض خمس مرات ونصف وقطر جرم المريخ مثل قطر الارض مرة وسدس وقطر جرم المشتري أربع مرات ونصف وثمن مثل قطر الارض وقطر زحل أربع مرات ونصف مثل قطر الارض

﴿ فصل في مقادير أجرام هذه الكواكب من جرم الارض ﴾

القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءاً من الارض وعطارد جزء من اثنين وعشرين جزءاً من الارض والزهرة جزء من سبعة واربعين جزءاً من الارض والشمس مثل الارض مائة وستين مرة وكسر والمريخ مثل الارض مرة ونصف وثمن ، والمشترى مثل الارض خمس وتسعين مرة وزحل مثل الارض احدى وتسعين مرة

﴿ فصل في مقادير الكواكب الثابتة ﴾

وهي الف واثنان وعشرين كوكباً خمسة عشر منها كل واحد مثل الارض مائة مرة وثمان مرات وقطر كل واحد منها مثل قطر الارض اربع مرات ونصف وربع وفي رأي العين جزء من عشرين جزءاً من قطر جرم الشمس ومنها خمسة واربعين كوكباً كل واحد منها مثل الارض تسعين مرة ومنها مائتا كوكب وثمانية كواكب كل واحد مثل الارض اثنين وسبعين مرة ومنها اربعمائة وأربعة وسبعين كوكبا كل واحد منها مثل الارض اربع وخمسون مرة ومنها مايتان وسبعة وعشرين كوكبا كل واحد منها مثل الارض ستة وثلاثون مرة ومنها ثلاثة وثلاثون كوكباً كل واحد منها مثل الارض ثمان عشرة مرة

﴿ فصل في اختلاف دوران الافلاك حول الارض ﴾

واعلم يا أخي ان الفلك المحيط الذي هو المحرك الاول عن الحركة الاولى التي هي النفس الكلية يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة ، ولما كان الكوكب في جوفه مماساً له من داخله صار يديره معه نحو الجهة التي يدور اليها ولكن تقصر حركته عن سرعة حركة محركه بشيء يسير فيختلف عن موازاة أجزائه في كل مائة سنة درجة واحدة . ولما كان أيضاً فلك زحل في جوف هذا الفلك مماساً له في داخله صار يديره معه نحو الجهة التي يدور اليها ويتبعه فلك زحل ولكن يقصر أيضاً حركته عن سرعة محركه بشيء يسير فيختلف في كل يوم عن موازاة أجزاء الفلك المحيط دقيقتين وهكذا يجرى حكم فلك المشترى في جوف فلك زحل كل يوم خمس دقائق يتأخر عن موازاة أجزاء الفلك المحيط وكذلك حكم فلك المريخ في جوف فلك المشترى يتأخر عن موازاة أجزاء الفلك المحيط في دورة في كل يوم احدى وثلاثين دقيقة وهكذا حكم الشمس في جوف فلك المريخ وفلك الزهرة في جوف فلك الشمس وفلك عطارد في جوف فلك الزهرة يتأخر كل واحد منها عن موازاة أجزاء الفلك المحيط في كل يوم تسع وخمسين دقيقة . وأما فلك القمر فيتأخر كل يوم عن موازاة الدرجة التي كان موازياً لها ثلاث عشرة درجة وكسراً . فقد بان بهذا الشرح أن كل واحدة من هذه الاكر متحركة بما فوقها ومحركة لما تحتها الى أن تنتهي الى فلك القمر وان كل واحدة تنقص حركتها عن سرعة حركة محركها وان فلك القمر أبطأها حركة من أجل بعده من الحركة الاولى التي هي فلك المحيط لكثرة المتوسطات بينهما فلهذا السبب صار دوران هذه الاكر حول الارض مختلف الازمان

﴿ فصل ﴾

وأما تفاوت أزمان أدوارها فذلك أن الفلك المحيط يدور حول الارض فى كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة وفلك الكواكب فى أكثر من هذه المدة بشيء يسير وفلك زحل في أكثر من ذلك بما يكون مقداره جزءاً من أربعمائة وخمسين جزءاً من ساعة وهكذا فلك المشترى يدور حول الارض في كل أربع عشرين ساعة وجزءاً من مائة وثمانين جزءاً من ساعة دورة واحدة وأما فلك المريخ فيدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وسدساً وخمس ساعة من ساعة دورة واحدة وأما فلك الشمس والزهرة وعطارد فان كل واحد منها يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وخمس وثلث ساعة من ساعة دورة واحدة . وأما القمر فانه لما كان أبطأها حركة صار يدور حول الارض فى كل أربع وعشرين ساعة وزيادة ست أسباع ساعة دورة واحدة

﴿ فصل فيما يعرض للكواكب من الدوران فى فلك البروج ﴾

فلهذا السبب عرض للكواكب دورانها فى فلك البروج فى أزمان مختلفة بيان ذلك أنه اذا سامتت الشمس بقعة من الارض مع أول درجة من الحمل فان تلك تعود الى سمت تلك البقعة بعد اربع وعشرين ساعة وهكذا دأبها دائما ، أما الشمس فانها تعود الى سمت تلك البقعة مع الدرجة الثانية منه وهكذا دأبها دائما . وأما القمر فانه يعود الى سمت تلك البقعة مع الدرجة الثالثة عشرة من برج الحمل بعد أربع وعشرين ساعة بزيادة ست أسباع ساعة بالتقريب وفى اليوم الثالث يعود في الدرجة السادسة والعشرين من برج الحمل بعد ساعة وخمس أسباع ساعة وفي اليوم الرابع يعود مع الدرجة التاسعة من برج الثور بعد ساعتين وأربع أسباع ساعة وعلى هذا القياس تتأخر مسامتته في كل يوم لتلك البقعة مع درجة أخرى الى أن يحصل من هذا التأخر عن فلك البروج في

كل سبعة وعشرين يوما وتسع ساعات وخمس وسدس ساعة دورة واحدة ويحصل له أيضاً في هذه المدة حول الأرض سبع وعشرين دورة وكسر ويحصل أيضاً لتلك الدرجة في هذه المدة حول الارض ثمانية وعشرين دورة وكسر وأما الشمس فهكذا حكمها وذلك بأنها اذا سامتت بقعة من الارض مع أول دقيقة من برج الحمل فانها تعود الى مسامتة تلك البقعة مع الدقيقة التاسعة والخمسين من تلك الدرجة بعد أربع وعشرين ساعة وخمس دقيقة من ساعة وفي اليوم الثانى تعود مع آخر الدرجة الثانية من الحمل وهكذا تتأخر مسامتتها في كل يوم مع درجة أخرى الى أن يحصل لها في فلك البروج ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وست ساعات دورة واحدة ويحصل أيضاً حول الأرض في هذه المدة ثلثمائة وخمسة وستين دورة وكسراً ويحصل لتلك الدقيقة في هذه المدة حول الارض ثلثمائة وست وستين دورة وكسر وكذلك يجرى حكم عطارد والزهرة وأما المريخ فانه اذا سامت بقعة من الارض مع دقيقة من درجة فانه يعود فى اليوم الثانى مع الدقيقة الحادية والثلاثين من تلك الدرجة . وفى اليوم الثالث مع الدقيقة من الدرجة التى تتلوها الى أن يحصل له في فلك البروج سنة فارسية وعشرة أشهر واثنان وعشرين يوماً دورة واحدة وفى هذه المدة أيضا يحصل له حول الارض سبع وثمانين وستمائة دورة ولتلك الدقيقة ٦٨٨ وهي زيادة دورة واحدة

وأما المشترى اذا سامت بقعة مع دقيقة من درجة فانه يعود الى سمت تلك البقعة مع الدقيقة الخامسة من تلك الدرجة وفي اليوم الثانى مع الدقيقة العاشرة وهكذا دأبه الى ان يحصل فى فلك البروج في كل احدى عشر سنة وعشرة أشهر وستة وعشرين يوما دورة واحدة ويحصل له فى هذه المدة حول الارض ٤٤٣٥ دورة ولتلك الدقيقة ٤٣٣٦ دورة

وأما زحل فانه اذا سامت بقعة فانه يعود فى اليوم الثانى مع أول دقيقة ثالثة وفي اليوم الثالث مع الدقيقة الخامسة وحصة كل يوم دقيقتان الى ان يحصل له في فلك البروج فى كل تسعة وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة ايام دورة واحدة

ويحصل له حول الارض في هذه المدة ٩١١١ دورة ولتلك الدورة ٩١١٢دورة.

وأما الكواكب الثابتة فانه اذا سامت واحد منها بقعة من الارض فانه يعود الى تلك البقعة مسامتا لها مع ثالثة من ثانية من دقيقة من درجة فيحصل له في فلك البروج في ست وثلاثين الف سنة دورة واحدة ويحصل له حول الارض دورات كثيرة

ولما بان لاصحاب الرصد دوران الفلك المحيط من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض ودوران باقي الافلاك تابعة له بكواكبها ووجدوها مقصرة عنه عن سرعة حركته متأخرة عنه في كل يوم بقدر ما لكل دور دون الاخر كما بينا عملوا لها حسابا ودونوه في الزيجات ليعرفوا أي وقت أرادوا مواضعها وموازاتها من فلك البروج معرفة حقيقته

ولما تبين أصحاب الزيجات أيضاً مايعرض للكواكب من الدوران في فلك البروج بسبب ابطاء حركة أكرها عن سرعة حركة فلك المحيط سموا مايعرض لها في فلك البروج من الدوران حركة من المغرب الي المشرق ليكون فرق بالتسمية بين دورانها حول الارض ودورانها في فلك البروج

﴿ فصل في بطلان ﴾

قول من يقول انها تتحرك من المغرب الى المشرق

وقد ظن كثير من الناظرين في علم النجوم ممن ليس له رياضة بالنظر في علم الهندسة والطبيعيات ان هذه الكواكب السيارة تتحرك من المشرق الى المغرب مخالفة لدوران الفلك المحيط وليس الامر كما ظنوا وتوهموا لانه لو كان كما ظنوا لكان سبيلها ان تطلع من المغرب وتغيب بالمشرق كما ان الفلك المحيط تطلع درجاته من المشرق وتغيب في المغرب وقد شهدوا دورانها في فلك البروج مخالفا لدوران الفلك فسموها حركة من المشرق الى المغرب وشبهوها بحركات

عجلات تتحرك على وجه الرحى مستقلة بحركتها معاندة مخالفة لها في حركاتها والرحى بسرعة حركتها ترد تلك النملات الى دورانها فلو كان كما قالوا حقيقة لكانت حركتها سبعة فقط لانها سبعة كواكب والامر بخلاف ذلك لان اصحاب سيارة الرصد ذكروا انها خمس واربعون حركة كما سنبين بعد وقالوا ان القمر اسرع الكواكب حركة فلو كان كما ذكروا لدار حول الارض في أقل من اربع وعشرين ساعة وقد بينا انه يدور في اكثر من ذلك ولو كانت حركاتها بالقصد معاندة لحركات الفلك المحيط لوجب أن تكون طباعها مخالفة لطباع الفلك مضادة لها وكان يجب أن يكون لها خمس واربعون طبيعة لانها خمس واربعون حركة وليس الامر كما ظنوا وتوهموا بل طبيعة الافلاك والكواكب كلها طبيعة واحدة فى الحركة الدورية وقصدها قصد واحد وانما اختلفت حركاتها في السرعة والابطاء من اجل انها في الافلاك محركات ومتحركات كما بينا قبل ومن أجل اختلاف حركاتها في السرعة والابطاء اختلفت ازمان ادوارها حول الارض ومن أجل اختلافها حول الارض اختلفت ادوارها في فلك البروج كما بينا وأما مثل اختلاف دورانها حول الارض كدوران الطائفين حول البيت الحرام .

﴿ فصل في ان مثال دورانها ﴾
حول الارض كدوران الطائفين حول البيت الحرام

وذلك ان مثل البيت وسط المسجد الحرام والمسجد وسط الحرم والحرم وسط الحجاز والحجاز وسط بلدان الاسلام كمثل الارض وسط كرة الهواء وكرة الهواء فى وسط كرة القمر وفلك القمر في وسط الافلاك وكمثل المصلين من الآفاق المتوجهين نحو البيت كمثل الكواكب فى الافلاك ومطارح شعاعاتها نحو مركز الارض ومثل دوران الافلاك بكواكبها حول الارض كمثل دوران الطائفين حول البيت ومثل اختلاف ادوارها حول الارض كمثل اختلاف اشواط الطائفين حول البيت وذلك انا نرى الطائفين حول البيت منهم من يمشي الهوينا

ومنهم من يستعجل ومنهم من يهرول ومنهم من يسعى فتختلف بحسب ذلك اشواطهم وكلهم متوجهون في طوافهم نحوا واحداً وقصدا واحدا ولكن اذا بلغ الماشي الركن العراقي فقد بلغ المستعجل الركن الشامي والمهرول الركن اليماني والساعي الحجر الاسود فبهذا السبب اذا طاف الماشي شوطا واحداً فقد طاف الساعي اشواطاً فهؤلاء الطائفون وان اختلفت اشواطهم من أجل سرعة حركاتهم وابطائها فليس قصدهم الا قصد واحدالى جهة واحدة فهكذا حكم الافلاك وكواكبها في دورانها حول الارض وكما ان الطائفين حول البيت يبتدؤن من عند باب البيت ويجتمعون عنده سبعة اشواط يدورنها حول البيت فهكذا يقال ان الكواكب كلها ابتدأت بحركاتها من موازاة أول دقيقة من برج الحمل الذي كأنه باب الفلك ثم دارت حول الارض ثم اختلفت موازاتها بعد ذلك في درجات البروج بحسب سرعتها وابطائها كما قيل ، واذا اجتمعت هذه كلها بعد دورات كثيرة في موازاة تلك الدقيقة التي ابتدأت منها قامت القومة الكبرى واستأنفت الدور

﴿ فصل في مثال أدوارها ﴾

واعلم يا أخي ان حكماء الهند ضربوا مثلا لدوران هذه الكواكب حول الارض ليقرب على المتعلمين فهمه ويسهل على المتأملين تصوره : ذكروا ان ملكا من الملوك بنى مدينة دورها ستون فرسخاً وأرسل سبعة نفر يدورون حولها بسير مختلف: أحدهم كل يوم فرسخاً والآخر كل يوم فرسخين والثالث كل يوم ثلاثة فراسخ والرابع كل يوم أربعة فراسخ والخامس كل يوم خمسة فراسخ والسادس كل يوم ستة فراسخ والسابع كل يوم سبعة فراسخ ، فقال دوروا حول هذه المدينة وليكن ابتداؤكم من عندالباب فاذا اجتمعتم عندالباب بعدد دوراتكم فتعالوا فعرفوني كم دار كل واحد منكم

فمن فهم حساب دوران هؤلاء النفر حول تلك المدينة وتصوره يمكنه أن

يفهم دوران هذه الكواكب حول الارض بعد كم دورة يجتمعون فى أول برج الحمل كما كان ابتداؤهم . فأما حساب أولئك النفر فانهم بعد ستين يوماً يجتمع ستة نفر عند باب المدينة وقد دار واحد منهم دورة والآخر دورتين والثالث ثلاث دورات والرابع أربع دورات والخامس خمس دورات والسادس ست دورات ، فأما الذي يدور كل يوم سبع فقد دار ثمانية أدوار وزاد أربعة اسباع فرسخ دور ، فيحتاج هؤلاء النفر أن يستأنفوا الدور فبعد مائة وعشرين يوماً يجتمعون مرة أخرى عند الباب وقد دار كل واحد حسابه الاول مرة أخرى ولكن السابع قد دار سبع عشرة مرة وزاد فرسخاً واحداً ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد مئة وثمانين يوماً يجتمع الستة مرة ثانية وقد دار كل واحد حسابه الاول مرة ثالثة ولكن صاحب السابع قد دار خمساً وعشرين دورة وزاد خمسة أسباع فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد مئتين وأربعين يوماً يجتمعون مرة رابعة وقد دار كل واحد منهم حسابه الاول ولكن صاحب السبعة قد دار أربعاً وثلاثين دورة وزاد سبعين ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد ثلاثمائة يوم يجتمعون مرة خامسة وقد دار كل واحد منهم حسابه الاول مرة خامسة ولكن صاحب السبعة قد دار اثنتين وأربعين دورة وزاد ستة أسباع فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد ثلثمائة وستين يوماً يجتمعون مرة سادسة وقد دار كل واحد منهم لحسابه الاول مرة سادسة ولكن صاحب السبعة دار احدى وخمسين دورة وزاد ثلاثة فراسخ ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد أربع مئة وعشرين يوماً يجتمعون كلهم عند باب المدينة وقد دار الاول سبعة أدوار والثاني أربع عشرة دورة والثالث احدى وعشرين دورة والرابع ثمانياً وعشرين دورة والخامس خمساً وثلاثين دورة والسادس اثنتين وأربعين دورة والسابع قد دار ستين دورة

فهذا مثل ضربه حكماء الهند لدوران الافلاك والكواكب حول الارض وذلك ان مثل الارض كمثل تلك المدينة المبنية التى دورها ستون فرسخاً ، ومثل

الكواكب السبعة السيارة ودوراتها حول الارض كمثل أولئك النفر السبعة ، واختلاف حركاتهم في السرعة والابطاء كاختلاف سير أولئك النفر ، والملك هو الله البارىء المصور تبارك الله رب العالمين

﴿ فصل فيما يرى لها من الرجوع والاستقامة والوقوف ﴾

اعلم يا أخي ان الذي يوصف من هذه الكواكب السبعة السيارة خمسة منها وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، تارة بالرجوع وتارة بالوقوف وليس بالحقيقة ذلك وانما هو عارض في رأي العين ، وذلك ان كل كوكب جرمه على كرة صغيرة تسمى أفلاك التداوير وهي مركبة كل واحدة على فلك من الافلاك الكبار التى تقدم ذكرها وغائصة في ثخن سموكها ويكون جانب منها مما يلي سطوحها العلوى وجانب منها مما يلي سطوحها السفلى، كل واحدة منها أيضاً دائمة الدوران في مواضعها من أفلاكها الحاملة لها ، ويعرض لكل كوكب اذا كان مركباً عليها تارة الصعود الى أعلى سطح فلك فيبعد عن الارض ، وتارة النزول من هناك فيقرب من الارض ، فاذا كان في أعلى ذراها ترى له حركة على توالي البروج من أولها الى آخرها واذا كان في أسفل فلكه ترى له حركة من آخر البروج الى أولها واذا كان صاعداً أو نازلا يرى كأنه واقف وليس بواقف ولاراجع ولكن دأبه الدوران وانما جعل أصحاب الرصد هذه الاسماء ألقاباً له .

﴿ فصل في تفصيل الحركات الخمس والاربعين ﴾

اعلم يا أخي انه يعرض لكل كوكب من هذه السبعة ست جهات مختلفات إحداها من المشرق الى المغرب ، وأخرى من المغرب الى المشرق ، وأخرى من الشمال الى الجنوب ، واخرى من الجنوب الى الشمال ، وأخرى من فوق الى أسفل وأخرى من أسفل الى فوق . فتكون جملتها اثنتين وأربعين حركة ، ويعرض للكواكب الثابتة حركتان وللفلك المحيط حركة واحدة ، فتلك هي خمس وأربعون

حركة . فأما حركتها من المشرق الى المغرب فهى بالقصد الاول الحقيقي ، وأما سائرها فبالعرض لا بالقصد ، وأما الذى يعرض من المغرب الى المشرق فقد بينا معناه فيما تقدم ، وأما الذي يعرض من فوق الى أسفل ومن أسفل الى فوق فهو من جهة أفلاك التداوير ومن جهة الافلاك الخارجة عن المراكز ، وأما التى تعرض من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال فمن جهة ميل فلك البروج عن فلك معدل النهار وشرحها يطول ، فمن أراد هذا العلم مستقصى فلينظره فى كتاب المجسطي أو بعض المختصرات في تركيب الافلاك

﴿ فصل في بيان الظلمتين الموجودتين في العالم ﴾

اعلم يا أخي ان العالم كله بأسره مضيء بنور الشمس والكواكب وليس فيه الا ظلمتان احداهما ظل الارض والاخرى ظل القمر ، وانما صار لهذين الجسمين الظل من أجل انهما غير نيرين ولا مشفين ، وأما النور الذي يرى على وجه القمر فان ذلك من اشراق الشمس على سطح جرمه ولانعكاس شعاعاتها كما يرى مثل ذلك في وجه المرآة اذا قابلت الشمس ، وأما سائر الاجسام التى في العالم فبعضها نير ونورها ذاتي لها وهي الشمس والكواكب والنار التى عندنا ، وأما باقي الاجسام فكلها مشفات وهي الافلاك والهواء والماء وبعض الاجسام الارضية كالزجاج والبلور وماشا كلها ، والاجسام النيرة هي التى نورها ذاتي والاجسام المشفة هي التى ليس لها نور ذاتي ولا لون طبيعي ولكن اذا قابلها جسم نير سرى نوره في جميع أجزائها مرة واحدة لان النور صورة روحانية ، ومن خاصية الصور الروحانية أن تسري في الاجسام دفعة واحدة وتنسل منها دفعة واحدة بلا زمان ، فاذا حال بين الاجسام النيرة و بين الاجسام المشفة حائل غير مشف منع نور النير ان يسري في الجسم المشف ، والنور في جرم الشمس والكواكب والنار ذاتى لها ، وأما في أجرام الافلاك والهواء والماء فعرضى ، وأما جرم الارض والقمر فلما كانا غير نيرين ولا مشفين صار لهما الظل لان النور لا يسري فيهما كما يسري في

الاجسام المشفة غير ان جرم القمر صقيل يرد النور كما يرد وجه المرآة ، وسطح جرم الارض غير صقيل فهذا هو الفرق بينهما

﴿ فصل في علة الكسوفين ﴾

واعلم يا أخي انه لما كان جرم الارض وجرم القمر كل واحد منهما أصغر من جرم الشمس صار شكل ظليهما مخروطاً وشكل المخروط هو الذي أوله غليظ وآخره دقيق حتى ينقطع من دقته . فظل الارض يبتدىء من سطحها ويمتد في الهواء منخرطاً حتى يبلغ الى فلك القمر ويمتد في سمكه حتى يبلغ الى فلك عطارد ويمتد في سمكه أيضاً الى أن ينقطع هناك ، فطوله من سطح الارض الى حيث ينقطع في فلك عطارد مثل قطر الارض مئة مرة وثلاثون مرة ، فيكون في سمك الهواء منه ستة عشر جزءاً ونصفاً وفي سمك فلك القمر مثل ذلك وسبعة وستين جزءاً منه في سمك فلك عطارد الى حيث ينقطع ويكون قطر هذا الظل حيث يمر القمر في وقت مقابلة الشمس مثل قطر جرم القمر مرتين وثلاثة أخماس فاذا اتفق أن تكون الشمس عند احدى العقدتين اللتين تسميان الرأس والذنب فيكون مرور القمر في سمك الظل كله ممنوعاً عنه نور الشمس فينكسف ثم يخرج من الجانب الآخر وينجلي

وأما ظل جرم القمر فيبتدىء من سطح جرمه ويمتد منخرطاً في سمك بعضه والباقي في سمك الهواء ويقطعه حتى يصل الى وجه الارض فيكون قطر استدارته على وجه الارض هناك مقدار مئة وخمسين فرسخاً يزيد وينقص بقدر بعد القمر عن الارض وقربه منها وهذا في وقت اجتماعه مع الشمس . فان اتفق اجتماعهما عند احدى العقدتين نرى القمر محاذياً لابصارنا ولجرم الشمس فيمنع عنا نورها فنراها منكسفة . واذا كان القمر في غير هذين الموضعين أعني الاجتماع والاستقبال يكون الى أحد الموضعين أقرب فان كان قربه الى الاجتماع أكثر كان رأس مخروط ظله في سمك الهواء وان كان الى الاستقبال أقرب كان

رأس مخروط ظله في سمك فلكه أو في سمك فلك عطارد. وأما رأس مخروط ظل الارض فالى الدرجة المقابلة لدرجة الشمس في أي برج كانت ويدور أبداً في مقابلة الشمس اذا كانت من فوق الارض فظل الارض تحتها وان كانت تحت الارض فظل الارض فوقها وان كانت بالمشرق فظل الارض الى ناحية المغرب واذا صارت بالمغرب صار الظل الى ناحية المشرق وهذا دأبهما دائماً يكونان حول الارض وهما الليل والنهار

﴿ فصل في أن الفلك طبيعة خامسة ﴾

واعلم يا أخي ان معنى قول الحكماء ان الفلك طبيعة خامسة انما يعنون ان الاجسام الفلكية لاتقبل الكون والفساد والتغيير والاستحالة والزيادة والنقصان كما تقبلها الاجسام التي تحت فلك القمر وان حركاتها كلها دورية

واعلم ان للاجسام صفات كثيرة فمنها ماتشترك الاجسام كلها فيها ومنها مايختص ببعضها دون بعض فالصفات التي تشترك فيها الاجسام كلها الطول والعرض والعمق فحسب

واعلم ان الصفات أنما هي صور تحصل في الهيولى فيكون الهيولى بها موصوفا فمن هذه الصورة التي تسمى الصفات مهايا ذاتية للجسم مقومة لوجدانه كالطول والعرض والعمق لانها متى بطلت عن الجسم بطل وجدان الجسم ومن الصورة ماهي متممة للجسم مبلغة الى أفضل حالاته وهذه الصورة تختص ببعض الاجسام دون بعض وربما يشترك فيها عدة اجسام فمن الصور المتممة مايشترك فيها الاجسام الفلكية والطبيعية وهي الشكل والحركة والنور والشفافة واليبس الذي هو تماسك الاجزاء ومما يختص بالاجسام الطبيعية الحرارة والبرودة والثقل والتغيير والخفة والاستحالة والحركة على الاستقامة وما شاكلها. والذي يختص بالاجسام الفلكية سلب هذه الصفات كلها فمن أجل هذا قيل انها طبيعة خامسة لانها ليست حارة ولا باردة ولارطبة ولاثقيلة ولا خفيفة ولا يستحيل بعضها

الى بعض فيكون منها شيء آخر ولا يزيد في مقاديرها ولا ينقص لان الباري جل ثناؤه أبدعها كلها واخترعها تامة كاملة فهي باقية بحالاتها الى وقت مايريد باريها عز وجل أن يفنيها كيف شاء كما أبدعها وصورها واخترعها وركبها وحركها ودبرها فتبارك الله أحسن الخالقين

فصل في ابطال قول المتوهمين غير الحق

واعلم يا أخي أن كثيراً من أهل العلم ظنوا أن معنى قول الحكماء أن الفلك طبيعة خامسة انه مخالف لهذه الاجسام الطبيعية في كل الصفات وليس الامر كما ظنوا لان العيان يكذبهم وذلك ان القمر أحد الاجسام الفلكية وقد يرى فيه اختلاف قبول النور والظلمة كما يرى فى الاجسام الارضية وله ظل كظلالها وهو غير مشف مثل الارض والافلاك كلها تشارك الهواء والماء والبلور والزجاج في الاشفاف والشمس والكواكب تشارك النار في النور وكلها يشارك الارض فى اليبس فقد بان بهذا انهم لم يريدوا بقولهم طبيعة خامسة الا الحركة الدورية وانها لاتقبل الكون والفساد والزيادة والنقصان كما تقبله الاجسام الطبيعية •

فصل في انها ليست ثقيلة ولا خفيفة

واعلم يا أخي انما قيل ان الاجسام الفلكية ليست خفيفة ولا ثقيلة لانها ملازمة لاماكنها الخاصة بها وذلك ان الباري عز وجل لما خلق الجسم المطلق وفصل ابعاضه بالصور المتممة ورتبها محيطات بعضها ببعض كما بينا أولا جعل لكل واحد منها مكانا هو اليق الاماكن به وكل جسم في مكانه الخاص ليس بثقيل ولا خفيف لان الثقل والخفة يعرضان لبعض الاجسام بسبب خروجها من أماكنها الخاصة بها الى مكان غريب

واعلم يا أخي ان الارض في مكانها وهو مركز العالم ليست بثقيلة ولا الماء فوقها

بثقيل ولا الهواء أيضاً ثقيل فوق الماء ولا النار فوق الهواء أيضاً بثقيلة لانها في أماكنها الخاصة بها وانما يعرض الثقل والخفة لاجزائها اذا صارت في أماكن غريبة وذلك ان اجزاء الارض في جوف الماء والهواء غريبة تريد اللحاق بمركزها وجنسها فاذا منعها مانع وقع التنازع والتدافع فيسمى ذلك ثقلا وهكذا حكم الماء واجزائه في جوف الهواء وحكم اجزاء الهواء في الماء واجزاء النار في جوف الهواء وكل واحد يريد اللحاق بعالمه ومركزه وابناء جنسه ولكن ما كان متوجها نحو مركز العالم يسمى ثقيلا وما كان متوجها نحو المحيط يسمى خفيفاً والدليل على ان كل جسم في موضعه ومكانه الخاص به لاخفيف ولاثقيل هو كون اجزائه في جوف كليته لاثقيلة ولا خفيفة وبيان ذلك بالتجربة والاعتبار وطريق تجربته ان تملأ قربتين احدهما من الماء والاخرى من الريح الذي هو الهواء ثم تطرحهما في بركة ماء فانك ترى القربة التي هي مملوءة من الماء تغوص في جوف الماء والتي فيها الريح تطفو فوق الماء فاذا شيلت القربة التي هي مملوءة من الماء لايوجد لها ثقل مادامت في الماء لان الماء في الماء ليس بثقيل واذا صارت الى فوق الماء أحس بثقلها. وأما القربة التي هي مملوءة من الهواء فانها اذا غوصت في الماء وجد لها تمانع شديد لان الهواء في جوف الماء خفيف فاذا شيلت الى الهواء لايوجد ذلك التمانع لان الهواء في الهواء ليس بخفيف

واعلم انه اذا أخذ من بركة ملأت ماء قدر من الماء ثم رد اليها وقف ذلك الماء المردود حيث رد كما ان التراب اذا أخذ من الارض ثم رد اليها وقف حيث رد وكذلك اذا استنشق الحيوان من الهواء مايروح الحرارة الغريزية ثم رده بالتنفس وقف ذلك الهواء المردود حيث رد ان لم يعرض له دافع

﴿ فصل في ان الاجسام الفلكية ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة ﴾

واعلم يا أخي بأنه انما قيل انها ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة من أجل ان الحرارة انما تعرض للاجسام السيالة المتحللة عند الحركة لان اجزاءها تفارق مجاوراتها بعضها بعضاً وتتبدل بالغليان الذي هو الحرارة ولما كانت الاجسام الفلكية متماسكة الاجزاء من شدة اليبس لم تفارق مجاورة اجزائها بعضها بعضا فلا يعرض لها الغليان الذي هو الحرارة وأما البرودة فانها تعرض للاجسام عند سكونها والاجسام الفلكية دائمة الحركات والدوران فلا تسكن فتبرد ، وأما الرطوبة فانها تعرض للاجسام اذا تحرك بعض اجزاءها وسكن البعض وليس للاجسام الفلكية سكون

واعلم انه انما صارت الاجسام الفلكية شديدة التماسك من شدة اليبس وشدة اليبس من شدة الحركة والدوران لان الحركة تولد الحرارة والحرارة تولد اليبوسة واليبوسة اذا تناهت انطفئت الحرارة

واعلم يا أخي ان الاجسام الفلكية محفوظة نظامها وباقية أشخاصها مادامت ثابتة على دورانها فاذا وقفت عن دورانها وسكنت حركاتها ولد السكون البرودة وولدت الرطوبة التفشي والتبدد والتفشي والتبدد يفسدان النظام ومن فساد النظام يكون البوار والبطلان

﴿ فصل فى معنى القيامة ﴾

انما يدوم دوران الفلك مادامت النفس الكلية مربوطة معه فاذا فارقته قامت القيامة الكبرى لان معنى القيامة مشتق من القيام فاذا فارقت النفس قامت قيامتها قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « من مات فقد قامت قيامته » وانما أراد قيام النفس لا الجسد لان الجسد لايقوم عند الموت بل يقع وقوعاً لايقوم بعده الى أن ترد النفس اليه ثانية . فانتبه يا أخي من نوم الغفلة

ورقدة الجهالة وتزود للرحلة واستعد للقيامة قبل أن تقوم قيامتك بأن يؤخذ منك هذا الهيكل المبنى مملوءاً من آثار الحكمة قهراً وأنت كاره فتبقى نفسك بلا سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق ولا لمس فارغة خاوية تهوى فى هاوية البرزخ الى يوم القيامة الى يوم يبعثون فبادر وشمر واجتهد بأن تكتسب بتوسط هذا الهيكل الجسماني هيكلا روحانياً وبتوسط هذه الحواس الجسدانية حواساً عقلية ليكون بعد حين فترجع نفسك من عالم الاجسام الى عالم الارواح بربح لا بخسران

واعلم بأن النفس اذا فارقت هذا الهيكل فلا يبقى معها ولا يصحبها من آثار هذا الجسد الا ما استفادت من المعارف الربانية والاخلاق الجميلة الملكية والآراء الصحيحة المنجية والاعمال الصالحة الزكية المرضية المربحة وذلك أن تبقي هذه الاشياء فى النفس مصورة فى ذاتها اذا كانت معتادة لها صورة روحانية نيرة بهية كلما لاحظت النفس ذاتها ورأت تلك الصورة فرحت بها وامتلأت سروراً في ذاتها وفرحاً ولذة وذلك ثوابها ونعيمها بما أسلفت فى الايام الخالية واما اذا كانت اخلاقها رديئة سيئة بشعة وآراؤها فاسدة واعمالها موبقة وجهالاتها متراكمة بقيت عمياء عن رؤية الحقائق وتبقى هذه الاشياء في ذاتها مصورة صورة قبيحة سمجة فكلما لاحظت ذاتها ونظرت الى جوهرها رأت مايسوؤها وتريد الفرار منه وأين المفر لها من ذاتها

فاعتبر يا أخي ماذكرت لك ولا تغتر بما أنت فيه من رغد العيش وصحة البدن وعشرة اخوان لك جسدانيين وأصدقاء جسمانيين يريدونك لمعاونتهم على اصلاح أحوال اجسامهم فان قصرت عن معاونتهم أبغضوك وان تجلدت عليهم جحدوك وان علوتهم حسدوك وان قصر حالك شمتوا بك ولا يريدونك الا لصلاح ونجاح أمورهم وحوائجهم فهلم يا أخي الى صحبة اخوان لك نفسانيين وأقران لك روحانيين يريدونك ولا يأخذون منك ويخلصونك مما وقعت فيه بأن تدخل في صحبتهم وتسمع أقاويلهم لتفهم مذاهبهم وتنظر في

كتبهم وتعرف طريقتهم وعلومهم وتعمل بسنتهم وتسير بسيرتهم لعلك تنجو بصحبتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون

	فراسخ		فراسخ
قطر الارض	٢١٦٧	سمك الشمس	٢١٦٨٠٠
دائرة على بسيط الارض	٦٨٠٠	قطر الشمس	٤٩٩٠٠٣٧
سمك كرة الهواء	٦٨٠٢٢	سمك المريخ	٦٥٩٠٥٥٢
قطر الهواء	٧٨٢١٢	قطر المريخ	٣٨٠٨٤١
سمك القمر	٣٨٠٢٧	سمك المشترى	١١٩٨٧٠٠٩
قطر القمر	١٥٤٢٥٧	قطر المشترى	٦٢١٢٥١٥٩
سمك عطارد	١٢١٥٣٥	سمك زحل	١٦٤٧٠٠٣٥
قطر عطارد	٦٠٩٣٢٧	قطر زحل	٩٥٠٧٥٢٢٩
سمك الزهرة	١٩٧٣٦٥٥	سمك فلك الكواكب الثابتة	٢٦٠٠٤٠٠
قطر الزهرة	٤٥٥٦٦٣٧	قطر فلك الكواكب الثابتة	١٤٧٠٩٣٢٢٩

﴿ تمت رسالة السماء والعالم ويتلوها رسالة الكون والفساد ﴾

الرسالة الثالثة

من الجسمانيات الطبيعيات

في بيان الكون والفساد

«وهي الرسالة السابعة عشرة من رسائل اخوان الصفا»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

«فصل»

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من ذكر الاجسام الفلكية وبينا كمية اكرها وكيفية نظامها ومقادير أبعادها واختلاف دورانها وسرعة حركاتها وماهية طبائع جواهرها في الرسالة الملقبة بالسماء والعالم نريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالكون والفساد الاجسام الطبيعية التى دون فلك القمر وكمية عددها وكيفية نظامها واختلاف طبائعها وكيفية استحالة بعضها الى بعض بتأثيرات الاجسام الفلكية فيها وكمية الاجناس الكائنات المتولدة منها

واعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه ان الاجسام التى تحت فلك القمر سبعة أجناس أربعة منها هي الامهات الكليات وهي النار والهواء والماء والارض وثلاثة هي المولدات الجزئيات وهي الحيوان والنبات والمعادن فلنبدأ أولا بوصف الامهات الكليات فنقول :

ان الامهات كل واحدة منها مركبة من هيولى وصورة فهيولاها كلها هو الجسم وصورها هي التى بها تنفصل كل واحدة منها عن الاخرى وهي الصورة المقومة لذات كل واحدة منها ولما كانت الصورة نوعين مقومة ومتممة احتجنا أن نصفهما ليعرف الفرق بينهما فنقول ان الصورة المقومة لذات الشيء هي التى اذا فارقت هيولاها بطل وجدان ذلك الشيء . والصورة المتممة هي التى تبلغ الشيء الى أفضل حالاته التى يمكنه البلوغ اليها واذا فارقت هيولاها لم يبطل وجدان الهيولى . مثال ذلك السكون والحركة فانهما اذا فارقا الجسم لايبطل وجدان الجسم وأما الطول والعرض والعمق فاذا فارقت الهيولى يبطل وجدان الجسم .

واعلم يا أخي ان كل صورة مقومة لذات الشيء تتلوها أخرى متممة وكل صورة مقومة فاعلة لاخرى تابعة لها يتلو بعضها بعضاً كما يتلو العدد أزواجه أفراده وأفراده أزواجه بالغاً مابلغ . مثال ذلك الصورة المشاكلة في جرم النار المقومة لذاتها فهي حركة الغليان والصورة المتممة التابعة لها هي الحرارة وتتلوها اليبوسة ويتلوها تماسك الاجزاء فلولا رطوبة الهواء المحيطة بالنيران التى تمنعها أن تفرط في اليبوسة لتماسكت أجزاؤها وجفت كما تجف نار الصاعقة ولكن لو أصابها اليبس والجفاف لقل الانتفاع بها وهو الغرض الاقصى منها

واعلم يا أخي ان الهواء جوهر شريف فيه فضائل كثيرة وخواص عجيبة من ذلك انه يمنع النيران برطوبته أن تيبس وتجف كما يمنع الاصوات بسيلانه أن تثبت زماناً طويلا فيقل الانتفاع بها ويكثر الضرر منها وذلك ان الاصوات ليست تمكث فى الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم تضمحل ولو ثبتت الاصوات في الهواء زماناً طويلا لامتلاء الهواء من الاصوات ولعظم الضرر منها حتى لايمكن أن يسمع مايحتاج اليه من الكلام والاقاويل وهكذا لو يبست النيران وجفت لما سرت فى الاجسام ولم تنضجها وبقيت الاشياء التى يراد نضجها نجة غليظة

فانظر يا أخي وتفكر في حكمة الباري سبحانه اذ جعل ثبات النيران بحسب مراد المستعمل لها فاذا استغنى عنها ردها الى العدم بأسهل السعي فلو بقيت بحالها لعظم الضرر منها وقل الانتفاع بها ومن الصور المتممة لذات النار اللطافة التي تولدها الحرارة وتتلوها سرعة النفوذ في الاجسام. ومن الصور المتممة لذات النار أيضاً النور ويتلوه الاشراق . فقد اجتمعت في جرم النار عدة صور كلها متممة لها وهي الحركة والحرارة واليبوسة واللطافة والنور وهي بكل صورة تفعل فعلا غير ماتفعل بالاخرى وذلك انها بالحركة تغلي الاجساد وبالحرارة تسخن وباليبوسة تنشف وباللطافة تنفذ في الاجسام وبالنور تضيء ماحولها وبالحرارة والحركة تحيل الاجسام الى ذاتها . وأما الصورة المقومة لذات الارض فهي السكون الذي هو ضد الغليان والتالية المتممة لها البرودة والتالية للبرودة اليبوسة والتالية لها تماسك أجزائها ومن الصور المتممة لها أيضاً غلظة جوهرها ومن غلظة جوهرها تماسك أجزائها ومن تماسك أجزائها نشأت الكائنات على ظهورها من الحيوان والنبات والمعادن

واعلم يا أخي بأن اليبوسة نوعان أحداهما تابعة للحرارة وهي فاضلة والاخرى تابعة للبرودة وهي رذلة وذلك ان اليبوسة التابعة للحرارة هضمة نضجة والتي تتبع البرودة فجة غير نضجة ومثال ذلك يبوسة الياقوت والبلور وأشباهها فانها قد نضجتها بالطبخ حرارة المعدن فهي لاتستحيل ولاتتغير وأما التي تابعة للبرودة مثال يبوسة الثلج والجليد والملح وغيرها فانها لما كانت فجة غير نضجة صارت رذلة مستحيلة متغيرة ومن أجل هذا صارت الاجرام الفلكية لاتقبل الكون والفساد والتغيير والاستحالة لان تماسك أجزائها من شدة يبوستها. ويبوستها تولدت من حرارة حركتها ثم غلبت عليها اليبوسة فطفئت حرارتها كما بينا في رسالة السماء والعالم

وأما الاجسام الارضية فلما كان تماسك أجزائها من اليبوسة الرذلة الغير النضجة المتولدة من البرودة والمتولدة من السكون صارت تستحيل وتتغير وتفسد

فصل

واعلم ياأخي بان الصورة المقومة لذات الماء والهواء كليهما الرطوبة المتولدة من امتزاج الاجزاء المتحركة والساكنة جميعاً وذلك ان اليبوسة لما كانت متولدة من شدة حركة أجزاء الهيولى كلها أو من شدة سكونها كلها كما بينا قبل وكانت الرطوبة ضداً لها دلت على انها متولدة من مزاج الاجزاء المتحركه والساكنة

وأما الصورة المتممة لذات الماء فهي كثيرة الاجزاء الساكنة الغليظة وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء كثيرة الاجزاء الساكنة الغليظة وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة صارت مشاكلة للارض في البرودة وصار مركزها مما يلي مركز الارض وأما الصورة المتممة لذات الهواء فهي كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة وقليلة الاجزاء الغليظة الساكنة ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة صارت مشاكلة للنار في الحرارة وصار مركزها مما يلي مركز النار

وأعلم يا أخي بانه لما كانت الصورة المقومة للاجسام الفلكية هي شدة اليبوسة المتولدة من شدة الحرارة المتولدة من شدة سرعة الحركة وكانت الصورة المقومة للاجسام الارضية اليبوسة المتولدة من شدة البرودة المتولدة من شدة السكون الذى هو ضد حركة الغليان صارت الاجسام الارضية مشاكلة للفلكية في اليبوسة ومضادة لها فى الحركة ولما كانت حركتها حول المركز صار سكون هذه في المركز لان المضاد يفر من ضده الى ابعد الاماكن وأبعد الاماكن من المحيط هو المركز

ولما كانت الصورة المقومة للماء والهواء هي الرطوبة المتولدة من امتزاج الاجزاء المتحركة والساكنة وكانت الرطوبة مضادة لليبوسة صار موضعها مابين المحيط والمركز ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء هي كثيرة الاجزاء الغليظة الساكنة فيه صار الماء مشاكلا للارض في البرودة وصار مركزه مما يلي مركزها ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة صارت مشاكلة للنار في الحرارة وصار مركزها مما يلي مركزها. فقد بان يا أخي بهذا الشرح ان الاجسام بعضها مشاكل لبعض فى طبيعة ما ، مضاد في طبيعة أخرى ومن أجل مضادة طباعها تباينت مراكزها ومن أجل مشاكلتها تجاورت مراكزها ولما ترتبت هذه الاجسام مراتبها صار كل واحد فى مركزه الخاص به واقفاً بلا مماسك ولا عمد لا ثقيلا ولا خفيفاً ولا تخرج من مواضعها الا بعارض قاهر لها فاذا خلت رجعت الى موضعها الخاص بها فان منعها مانع وقع التنازع بينهما فان كان النزوع الى ناحية المحيط يسمى خفيفاً وان كان الى ناحية مركز العالم يسمى ثقيلا ولما ترتبت الاركان وقف كل واحد من هذه الاركان فى موضعه الخاص به محيطات بعضها ببعض مستديرات الا الماء فقد منعته العناية الالهية والحكمة الربانية من الاحاطة بالارض من جميع الجهات لانه لو أحاطت كرة الماء بكرة الارض من جميع الجهات لمنع كون الحيوان والنبات على وجه الارض ولكن جعلت للمياه مستنقعات فى الارض وهي البحار والآبار ، وقد ذكرنا فى رسالة جغرافيا صورة الارض وكمية الجبال والبحار والانهار والاقاليم والبلدان ولكن لا بد أن نذكر منها ما يحتاج الى ذكره ها هنا

فصل

اعلم يا أخي بان الارض كرة واحدة بجميع ما عليها من الجبال والبحار والانهار والعمران والخراب وهي واقفة في الهواء في مركز العالم والهواء محيط بها ملتف عليها من جميع جهاتها وان البحر الاعظم موضعه تحت مدار برج الحمل

ممتد من المشرق الى المغرب وأما سائر البحار فشعب وخلجان تأخذ من البحر الاعظم وتمتد الى ناحية الشمال وهي سبعة أبحر فمنها بحر الروم وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند وبحر ياجوج وماجوج وبحر جرجان وبين كل بحر منها وبين الآخر جزائر وبراري وعمران وجبال وآجام وانهار تبتدىء من الجبال وتنتهي الى البحار وان الجبال أصولها راسية في الارض ورؤوسها شامخة في الهواء شاهقة وبين هذه الجبال أودية غائرة وفي جوف الجبال مغارات وأهوية وان الارض باطنها كثير التخلخل وظاهرها مختلف التربة ومنها طينية وسبخة ورملة وحصى وأحجار صلبة وبقاع مختلفة وسبب اختلاف هذه كلها بحسب مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها عليها من الآفاق وممرات درجات الفلك على سمت تلك البقاع ومنها يكون الكون والفساد في هذه الاجسام التي تحت فلك القمر

واعلم يا أخي بأن هذه الاركان الاربعة يستحيل بعضها الى بعض فيصير الماء تارة هواء وتارة أرضاً وهكذا أيضاً حكم الهواء فانه يصير تارة ماء وتارة ناراً وكذلك النار وذلك أن النار اذا انطفأت وخمدت صارت هواء والهواء اذا غلظ صار ماء والماء اذا جمد صار أرضاً وعكس ذلك أن الارض اذا تحللت ولطفت صارت ماء والماء اذا ذاب صار هواء والهواء اذا حمي صار ناراً وليس للنار أن تلطف فتصير شيئاً آخر ولا للأرض ان تغلظ فتصير شيئاً آخر ولكن اذا اختلطت اجزاء هذه الاركان بعضها ببعض كان منها المتولدات الكائنات الفاسدات التي هي المعادن والنبات والحيوان وأصل هذه كلها البخارات والعصارات اذا امتزج بعضها ببعضها فالبخار ما يصعد من لطائف البحار والانهار والآجام في الهواء من اسخان الشمس والكواكب لها بمطارح شعاعاتها على سطوح البحار والانهار والآجام والعصارات مما ينجلب في باطن الارض من مياه الامطار وتخلط بالاجزاء الارضية وتغلظ فتنضجها الحرارة المستبطنة في عمق الارض

واعلم يا أخي بأن أول ما يستحيل هي الاربعة الاركان الى هذين الخليطين أعني البخار والعصارات ويكون هذان الخليطان هيولى ومادة لسائر الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر وذلك أن الشمس والكواكب اذا سخنت المياه باشراقها على سطح الارض والبحار والآجام والانهار قلت المياه ولطفت أجزاء الارض وصارت بخاراً ودخاناً والبخار والدخان يصيران سحابا والسحاب يصير أمطاراً والامطار اذا بلت التراب واختلطت الاجزاء الارضية بالاجزاء المائية تكون منها العصارات والعصارات تكون مادة وهيولى للكائنات التي هي المعادن والنبات والحيوان وقد أفردنا لكل نوع منها رسالة مفردة وبينا فيها كيفية تكونها منها وتركيبها ونشؤها ونمائها وبلوغها الى اقصى مدى غاياتها ثم كيفية فسادها وبلاها واستحالتها وبدئها ورجوعها الى هذه الاركان الاربعة التي تتكون منها

واعلم يا أخي بان الكون والفساد هما ضدان لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد لان الكون هو حصول الصورة في الهيولى والفساد هو انخلاعها منها فاذا فسد شيء منها فلا بد أن يتكون شيء آخر لأن الهيولى اذا انتزعت منها صورة البست أخرى فان كانت التي البست أشرف سمي كونا وان كانت ادون سمي فساداً مثال ذلك ان يصير التراب والماء نباتاً ويصير النبات حباً وثماراً والثمار والحب يصيران غذاء والغذاء يصير دما ولحماً وعظماً فيكون من ذلك حيوان والفساد أن يحترق النبات فيصير رمادا ويموت الحيوان فيصير تراباً

واعلم يا أخي ان جسدك الذي تختص به نفسك أحد الكائنات الفاسدات وما هو بالنسبة الى نفسك الا كدار سكنت أو كلباس ألبس فلا تكونن كل همتك وأكثر عنايتك بتزويق هذه الدار وتطرية هذا اللباس فانك تعلم بأن كل مسكن يخرب وكل لباس لا بد ان يبلى ولكن اجعل بعض أوقاتك للنظر في أمر نفسك وطلب معرفة جوهرها ومبدأها ومعادها فانها جوهرة خالدة أبدية الوجود ولكن تنتقل لها حال بعد حال كما قيل :

اجهد على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

كما روى فى الخبر ان ابن ابي طالب صلوات الله عليه قال في خطبة له انما خلقتم للابد ولكن من دار الى دار تنقلون من الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى البرزخ ومن البرزخ الى الجنة او الى النار

فصل

واعلم يا اخي بأن الجنة انما هي عالم الارواح وكله صورة روحانية لاهيولى جرمانية بل حياة محضة وراحة ولذة وسرور وغبطة لا يعرض لها الكون والفساد ولا التغيير والبلى لأنها هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا كانت الدار هي الحيوان فما ظنك يا اخى بأهل الدار كيف حالهم فانه يقصر الوصف عنهم الا بالاختصار كما ذكر الله تعالى فى كتابه على لسان نبيه محمد ﷺ فقال « فيهاما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون »

واعلم يا اخي ان النار وجهنم هى عالم الاجسام التى تحت فلك القمر الذي هو دائم في الكون والفساد والتغيير والاستحالة والبلى وان اهلها (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) فازهد يا اخي فى غرور هذه الدار كما زهد انبياء الله عز وجل واولياؤه والفلاسفة الحكماء فقد علمت انها ليست بدار المقام فاستعد للرحلة والانتقال باختيار منك لامكرها ولا مجبراً قبل فناء العمر وتقارب الاجل

واعلم انه لا يستوي لك هذا الا بعد ان تعرف فضل الآخرة على الدنيا معرفة صحيحة بلا شك ولا تقليد لان جبلة الانسان ان لا يزهد في الحاضر العاجل ولا يرغب فى الغائب الآجل الا بعد معرفة فضل الآجل الغائب على العاجل الحاضر

واجتهد يا اخي في معرفة طلب ما اشار اليه انبياء الله تعالى في الكتب المنزلة على السنتهم المأخوذة عن الملائكة معانيها في وصف نعيم الجنان وسعادة

اهلها وصفة النيران وشقاوة اهلها وما اشار اليه ايضا الفلاسفة والحكماء في رموزهم من وصف عالم الارواح ومدح اهلها وذمهم عالم الاجسام وسوء ثنائهم على اهلها ولعلك تتصور بعقلك ما تصوروا وتشاهد بصفاء جوهر نفسك ما شاهدوا بصفاء جوهر نفوسهم فتنتبه نفسك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتعيش عيش السعداء العلماء وترتقي في المعارف وتعلو همتك نحو ملكوت السماء وتكون في الآخرة من السعداء وفقك الله ايها الاخ وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد للرشاد انه رؤوف رحيم بالعباد

واذ قد فرغنا من ذكر الاركان الاربعة التي هي دون فلك القمر وهي النار والهواء والماء والارض ووصفنا ما يخص كل واحدة من الصور المقومة المبلغة له الى افضل حالاته وبينا كيفية استحالات بعضها الى بعض واخبرنا ان اول ما يتحلل من البخارات ومن البخارات تنعقد العصارات ومن العصارات تتكون الكائنات التي هي المعادن والنباتات والحيوانات فنختم هذه الرسالة ونبدأ بعدها برسالة أخرى نذكر فيها البخارات الصاعدة في الهواء ونصف كيفية حوادث الجو منها في رسالة أخرى وهي الملقبة برسالة الآثار العلوية وحوادث الجو

تمت رسالة الكون والفساد ويتلوها رسالة الآثار العلوية

الرسالة الرابعة

من الجسمانيات الطبيعيات

في الآثار العلوية

وهي الرسالة الثامنة عشر من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذى اصطفى آلله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الأركان الاربعة أردنا أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالآثار العلوية حوادث الجو وتغييرات الهواء وكيفية حدوثها بتأثيرات الاشخاص الفلكية فيها ولكن من أجل أن كثيراً من الناس العقلاء يظنون أن المطر ينزل من السماء من بحر هناك وأن البرد يقع من جبال ثم يستشهدون على صحة ظنونهم بقوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهوراً وقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد ولا يعرفون معاني قوله سبحانه ولا تفسير آيات كتابه جل ثناؤه احتجنا أن نذكر فيها طرفاً لتزول الشكوك والشبهة

واعلم يا أخي بأن معنى السماء في لغة العرب هو كل ما على الرؤوس وأن المطر انما ينزل من السحاب والسحاب يسمى سماء لارتفاعها في الجو ويسمى أيضاً السحاب

جبالا لتراكمه بعضه فوق بعض كتراكم أركان الجبال وركود أطوادها بعضها فوق بعض كما يرى ذلك فى أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوف متراكم بعضه فوق بعض

﴿ فصل في ماهية الطبيعة ﴾

كان الذين يتكلمون فى الحوادث الكائنات التى دون فلك القمر من الحكماء والفلاسفة ينسبون هذه الآثار والافعال كلها الى الطبيعة وكما أن أقواماً من العلماء ينكرون أفعالها وينكرون الطبيعة أيضاً أصلا احتجنا أن نذكر معنى قولهم الطبيعة ونبين أن الذين أنكروا أفعالها ذهب عليهم معنى الطبيعة ولم يعرفوها فمن ذلك أنكروا أفعالها

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الطبيعة انما هي قوة من قوى النفس الكلية منبثة منها في جميع الأجسام التى دون فلك القمر سارية فى جميع أجزائها كلها تسمى باللفظ الشرعي الملائكة الموكلين بحفظ العالم وتدبير الخليقة بأذن الله وتسمى باللفظ الفلسفي قوى طبيعية وهي فاعلة فى هذه الاجسام بأذن البارى جل ثناؤه والذين أنكروا فعل الطبيعة انما ذهب عليهم معنى هذه التسمية وظنوا أنها متوجهة نحو الجسم والجسم من حيث هو جسم لا فعل له البتة بالاجماع من الفريقين بدلائل قد صحت وبراهين قد قامت

واعلم يا أخي بأن الذين أنكروا فعل الطبيعة يقولون أنه لا يصح الفعل الا من حي قادر وهو قول صحيح ولكن يظنون أن الحي القادر لا يكون الا بجسم اذا كان على هيئة مخصوصة بأعراض تحله بزعمهم مثل الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها ولا يدرون أن مع هذا الجسم جوهراً آخر روحانياً غير مرئي وهي النفس وأن هذه التى وصفوها من الاعراض بأنها حالة في الجسم هي التى تظهرها فيه أعنى النفس بفعلها فى الجسم

واعلم يا أخي اناذهب على الذين أنكروا فعل الطبيعة علم النفس وخفى عليهم معرفتها من أجل أنهم طلبوا إدراكها بالحواس فلم يجدوها فأنكروا وجودها وأما الذين أقروا بالنفس وأدركوا وجودها فانما عرفوا ذلك بالافعال الصادرة عنها في الاجسام وذلك أنهم اعتبروا أحوال الجسم فوجدوه لمجرده لافعل له البتة ولا للاعراض الحالة فيه وانما الافعال كلها للنفس وأما الجسم وأعراضه فانها للنفس بمنزلة أدوات وآلات لصانع يظهر بها ومنها أفعاله كما يرى ذلك من الصناع البشريين فانهم بأدوات جسمانية يظهرون صناعاتهم في الاشياء مثال ذلك النجار فانه يظهر أفعاله في الخشب الذي هو جسم طبيعي بآلات وأدوات جسمانية كالفأس والمنشار والمثقب وما شا كلها وكلها أجسام صناعية وأجسام الصناع هي أيضاً من الاجسام الطبيعية وهي آلات لنفوسهم وأدوات لهـا يظهرون بها صناعتهم وأفعالهم كما بينا في رسالة تركيب الجسد ورسالة الصنائع العملية . وإذ قد بان ما الطبيعة وانها قوة من قوى النفس الكلية الفلكية وانه لافعل الا للنفس وانها تفعل أفعالها بقوتها في الاجسام وان الاجسام كلها آلات وأدوات ومفعولات لها كما أن الفكر والعلم آلات للنفس في ادراك المعلومات والمعقولات واخراجها من القوة الى الفعل - فنرجع الآن الى ذكر الاجسام البسيطة التي دون فلك القمر ونقول أنها الهيولى الموضوع للطبيعة وهي فاعلة فيها الاشكال والصور صانعة منها الحيوان والنبات والمعادن وأن الاشخاص الفلكية لها كالادوات للصانع وذلك أن الفلك يدوم دورانه حول الارض في كل أربعة وعشرين ساعة دورة واحدة وبحركات كواكبه ومطارح شعاعاته في سمك الهواء على سطح الارض والبحار واسخانها لها يحلل المياه فيصيرها بخاراً ويلطف أجزاء التراب فيصيرها دخاناً وتختلطان ويكون منهما المزاجات كما يكون من أصباغ المصورين

ثم ان قوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الاجسام المسماة الطبيعة تنقش وتصور وتصوغ من تلك المزاجات والاخلاط أجناس الكائنات التي هي الحيوان والنبات والمعادن باذن الله عز وجل ولما كان أول اختلاط ومزاج يحدث

فى هيئة هذه الاركان هو تغييرات الهواء وحوادث الجو لسهولة انفعاله وسرعة استحالته احتجنا أن نذكر حال الهواء أولا ثم حال المياه ثم حال بقاع الارض فنقول :

إنا قد بينا في رسالة السماء والعالم أن كرة الهواء محيطة بكرة الارض من جميع جهاتها وان سمكها من ظاهر سطح الارض الى أدنى فلك القمر مثل قطر الارض ست عشرة مرة ونصفها وذلك أن قطر الارض ألفان ومائة وسبعة وستون فرسخاً فيكون سمك الهواء ٣٥٧٥٨ فرسخاً

واعلم يا أخي بأن سمك الهواء ينفصل بثلاث طبائع متباينات إحداها مما يلي سطح الارض والاخرى هي الوسط بينهما وذلك أن الهواء الذى يلي فلك القمر هو نار سموم في غاية الحرارة يسمى الاثير والذى في الوسط بارد في غاية البرودة يسمى الزمهرير والذي يلي سطح الارض معتدل المزاج في موضع دون موضع يسمى النسيم، والعلة في اختلاف هذه الطبائع الثلاث هو أن الهواء المماس لفلك القمر لدوام دورانه معه وسرعة حركته قد حمي حمياً شديداً حتى صار ناراً سموماً ثم أنه لما كان منهبطاً الى أسفل كان أبطأ لحركته وأقل لحرارته وكلما فاتت الحرارة غلبت البرودة فلا يزال كذلك الى أن يصير في غاية البرودة التى تسمى زمهريراً. والذي يلي سطح الارض معتدل المزاج في موضع دون موضع ولا يكون سمك كرة الاثير بالاضافة الى كرة الزمهرير الا شيئاً يسيراً ولولا مطارح شعاعات الشمس والقمر والكواكب على سطح الارض وانعكاسها في الهواء واسخانها له لكان المماس لظاهر سطح الارض أشد برداً مما سواه كما يعرض ذلك تحت قطب الشمال وذلك أنه يصير هناك ستة اشهر ليلا كله فيبرد الهواء برداً شديداً وتجمد المياه ويظلم الجو ويغلظ ويهلك الحيوان والنبات. وأما فى مقابلة هذا الموضع مما يلي قطب الجنوب يكون في هذه الأشهر الستة نهاراً كله فيدوم إشراق الشمس على تلك البقاع ويتصل انعكاس شعاعاتها في الهواء فيحمى ويسخن اسخاناً شديداً حتى يصير ناراً سموماً محرقة للحيوان والنبات وعلة أخرى هى أن الشمس فى وقت مسامتتها

لهذه البقاع تكون قريبة من الأرض لأن حضيضها في آخر القوس وأما اذا كانت في البروج الشمالية فان تحت قطب الشمال يكون أيضاً ستة أشهر نهاراً كله ولكن لا تسخن تلك البقاع كاسخانها البقاع التي تحت قطب الجنوب لأنها تكون بعيدة من الأرض مرتفعة في الفلك لأن أوجها في آخر الجوزاء

ثم اعلم يا أخي بان بين بعدها في الاوج وبين قربها في الحضيض مقدار قطر الأرض مائة مرة وهذا مقداره ٢١٦٧٥٥ فرسخاً ومن أجل هذا صار العامر من الأرض في الربع الشمالي من خط الاستواء إلى نيف وستة وستين درجة وهو بين ممر رأس الحمل على سمت الرأس إلى حيث ممر الكف الخضيب على سمت الرأس وفي هذا الربع الأقاليم السبعة كما بينا في رسالة جغرافيا ووصفنا فيها ما في كل أقليم من المدن والجبال والبحار والأنهار

واعلم يا أخي أن على سمت هذه الأقاليم يخترق من الهواء النسيم أكثر وفي هذه البلدان تعتدل الطبائع . ونريد أن نذكر سمك كرة الغيم والنسيم وأكثر ما ترتفع وذلك تارة يزيد في سمكه وارتفاعه وتارة ينقص من ذلك بحسب زوايا شعاعات الشمس والكواكب المنعكسة في طرفي النهار وأنصافه وأيام الشتاء والصيف وذلك أيضاً بحسب ارتفاعات الشمس والكواكب من الآفاق وممراتها على سمت البقاع

فصل

واعلم يا أخي بأن الزوايا التي تحدث من انعكاس شعاعات الكواكب والشمس من وجه الأرض ثلاث أنواع: حادة وقائمة ومنفرجة وهذه الزوايا كلها مسخنة للمياه والأرض والهواء محركة لها ولكن أشدها اسخاناً الزوايا الحادة ثم القائمة ثم المنفرجة ولما كانت الزوايا المنفرجة بعضها أشد انفراجاً من بعض والحادة بعضها أحد من بعض والزوايا القائمة كلها متساوية احتجنا أن نبين متى تكون الزوايا منفرجة ومتى تكون قائمة ومتى تكون حادة فنقول :

انه اذا ابتدأت الشمس من الأفق أو القمر أو أي كوكب كان وأشرقت على

سطح الارض والبحار فان زوايا شعاعاتها كلها تنعكس منفرجة في غاية الانفراج ثم لا تزال كلما ارتفعت قل انفراجها وتضايقت حتى اذا صار الارتفاع خمساً وأربعين درجة صارت زوايا انعكاس الشعاع كلها قائمة في تلك البقعة حسب . فاذا زاد الارتفاع نقصت الزوايا وضاقت وصارت حادة وكلما ارتفعت وزاد ارتفاعها زادت الزوايا حدة الى أن تسامت الكواكب البقعة فتنطبق الزوايا وتلتقي الاضلاع فاذا زالت الى ناحية المغرب انفصلت الاضلاع وانفتحت الزوايا الحادة في غاية الحدة وكلما انحطت الشمس أو أي كوكب كان ازدادت الزوايا انفراجاً الى ان يصير الارتفاع من جهة المغرب خمساً وأربعين درجة مرة ثانية وتصير الزوايا كلها قائمة مرة أخرى فاذا نقص الارتفاع عن خمس وأربعين درجة صارت الزوايا كلها منفرجة وكلما انحطت الكواكب الى المغرب انفرجت الزوايا الى وقت المغرب فتصير كلها في غاية الانفراج كما كانت غدوة. فمن أجل هذا صارت أنصاف النهار أشد حرارة من طرفيه لان الزوايا بالغدوات والعشيات تكون منفرجة وفي أنصاف النهار حادة وفيما بين الوقتين قائمة ويكون الجو متوسطاً مابين الحر والبرد ولا تكون أنصاف نهار الشتاء شديدة الحر كما تكون أنصاف نهار الصيف لان ارتفاع الشمس في الشتاء لا يبلغ خمساً وأربعين درجة .

وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا الى ذكره فانا نقول : ان أكثر مايكون سمك كرة النسيم ستة عشر الف ذراع ارتفاعاً في الهواء وأقله مايطابق سطح الارض . ومن الدليل على ان أكثر مايكون سمك كرة النسيم هذا المقدار هو ان أعلى جبل يوجد في الارض لا يجاوز ارتفاع رأسه في الهواء هذا المقدار وان أعلى هذه الجبال لا يبلغ ارتفاع الغيوم رؤوسها وانما يمنعها شدة البرد المفرط هناك لان الرافع للغيوم في الهواء هي حرارة الجو من اسخان الكواكب له بمطارح شعاعاتها وانعكاس تلك الشعاعات من سطح الارض والبحار على زوايا حادة كما بينا قبل وانه أحد مايتكون الزوايا على سطح الارض فأما في الهواء

فانه كلما ارتفع فان أضلاع تلك الزوايا تنفرج وتتسع وتقبل التسخين هناك ويضعف فعلها ويضمحل تأثيرها في العلو فيغلب البرد هناك

واعلم يا أخي ان أول مايقبل الهواء من التغييرات والاستحالات هو النور والظلمة والحر والبرد ثم مايحدث فيه من اختلاف الرياح من كثرة البخارات المتصاعدة والدخانات الساطعة المطبقة وتتبعها الزوابع والهالات والضباب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والهزات ثم الامطار والطل والندى والصقيع والثلوج والبرد وقوس قزح والشهب وكواكب الاذناب ومايتبع هذه من هيجان البحار والمد والجزر في البحار والانهار

واعلم يا أخي ان هذه التغييرات التي تكون في الجو لما كان يحدث بعضها في سمك كرة النسيم وبعضها في سمك كرة الزمهرير وبعضها في سمك كرة الاثير وبعضها في السطوح المشتركة بينها نحتاج الى تفصيلها واحدة واحدة ونبدأ أولا بشرح حال السطوح وذلك ان السطوح نوعان: مشتركة ومتداخلة فالمشتركة مثل سطح الماء والهواء والسطح الذي بين الدهن والماء فانه ليس بين الجسمين إلا فاصل مشترك يفصل أحدهما عن الآخر فصلا وهمياً فقط . وأما السطح المتداخل فمثل سطح الماء الواقف في الطين والرمل فان الاجزاء الارضية متداخلة لاجزاء الماء وأجزاء الماء متداخلة لاجزاء التراب فلايكون بينهما فاصل مشترك يفصل بينهما

واعلم يا أخي ان من السطوح مايقارب طبيعة الجسمين المماسين ومنها مالايقارب مثل سطح الهواء من أسفل مما يلي الهواء فان تلك الاجزاء الطف من سائر الاجزاء التي تلي أسفل مما يلي الارض وكذلك سطح الهواء المحيط بالنيران التي عندنا فانه يكون أسخن من سائر أجزائه البعيدة عن النار وكذلك سطح النار مما يلي الهواء المحيط به أقل حرارة من سائر أجزائه الباقية ، وأما سطوح الاجسام الصلبة مثل الحديد والخشب والحجر وماشا كلها اذا تجاورت فلايعرض لها هذا الوصف .

وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا الى ذكره فانا نقول ان سطح كرة الاثير الذى يلى فلك القمر مشترك غير متداخل الاجزاء وكذلك سطوح أكر الافلاك والكواكب كلها وقد ظن كثير من الطبيعيين ان بين كرة الزمهرير والاثير سطح متداخل غير مشترك وليس الامر كما ظنوا بل هو كما نبين بعد. فأما بين سطح كرة النسيم وبين كرة الزمهرير فتبين انه غير مشترك بل متداخل كسطح النار والهواء والارض. وأما سطح كرة النسيم مما يلي الارض فتبين انه متداخل الاجزاء أيضاً الى عمق الارض بحسب تخلخل الاجزاء الارضية الى نهاية ما. ثم يقف ولايدخل الى أكثر من ذلك، ومن الدليل على ذلك مايعرض لحافري المعادن الى أسفل حتى انهم ربما يحتاجون لترويح النسيم هناك بالمنافخ والانابيب ليستنشقوا النسيم ويضيء سرجهم هناك فإن انقطع النسيم لعارض طفئت سرجهم واختنق من كان في المعادن فمات ولايمكن أن يكون في المواضع التى لايخترقها النسيم حيوانات كما بينا في رسالة الحيوان

واعلم يا أخي ان الهواء بحر واقف لطيف الاجزاء خفيف الحركة سريع السيلان سهل القبول للتغييرات والحوادث وقد بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفية قبوله للنور والظلمة والاصوات والروائح وكيفية قبوله البرد والحر في رسالة الكون والفساد ونريد أن نصف في هذا الفصل كيفية حدوث الرياح وكمية أنواعها وجهاتها واختلاف تصاريفها وما العلة المحركة لها في وقت دون وقت وفى بلد دون بلد ونبين أيضاً كيفية سياقة الغيوم من البحار الى البرارى والقفار ورؤس الجبال وكيف تمر السحاب حتى يهطل القطر ولكن نحتاج قبل ذلك أن نذكر حالات القمر ومنازله واتصالاته بالكواكب التى هي الموجبة لاثارة البخارات والدخانات والتسخين الموجبة لكون الرياح فنقول :

ان للقمر في الفلك ثمانية وعشرين منزلا كما ذكر الله تعالى والقمر « قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

واعلم يا أخي أن لهذه المنازل خواص يظهر تاثيرها فى هذه الاركان الاربعة

وفي المكنونات منها عند نزوله يوماً بيوم وليلة بليلة وللشمس والكواكب أيضاً اتصالات بالكواكب بعضها ببعض يقوى فعلها ، وتأثيرها فيها يطول شرحه وهي مذكورة في كتب النجوم ولكن نذكر منها ما لا بد من ذكره في هذا الفصل وذلك أن من تلك المنازل ما يقوى أفعاله في اثارة البخار من البحار والبطائح والآجام ، ومنها ما يقوى أفعاله في اثارة الدخانات من وجه الأرض والبراري ومنها ما يقوى فعله في تبريد الهواء وزيادة الماء ومنها مايقوى فعله في اسخان الهواء ونقصان المياه وخاصة اذا اتفق نزول القمر بمنزل واتصاله بكوكب مشا كل فعله لخاصية المنزل

واعلم أن الريح ليست شيئاً سوى تموج الهواء بحركته الى الجهات الست كما أن أمواج البحر ليست شيئاً سوى حركة الماء وتدافع أجزائه الى الجهات الاربع وذلك أن الماء والهواء بحران واقفان غير أن أجزاء الماء غليظة ثقيلة الحركة وأجزاء الهواء لطيفة خفيفة الحركة

واعلم يا أخي أن أحد أسباب حركة الهواء هو ان صعود البخار من البحار والبراري والقفار أثار من البحار بخاراً رطباً ومن البراري والقفار دخاناً يابساً أصعدتها بحرارتها في الهواء فيدفع الهواء بعضه بعضاً الى الجهات فيتسع المكان للبخارين الصاعدين فان كان الدخان اليابس أكثر كانت منه الرياح لأن تلك الاجزاء اذا صعدت الى أعلى كرة النسيم وبردت ومنعها برد الزمهرير عن الصعود الى فوق عطفت عند ذلك راجعة الى أسفل ودافعت الهواء الى الجهات الاربع فكانت منها الرياح المختلفة

واعلم ان الرياح كثيرة التصاريف في الجهات الست ولكن جملتها أربع عشرة نوعا المعروف منها عند جمهور الناس أربع وهي الصبا والدبور والجنوب والشمال وذلك أن الهواء إذا تموج من المشرق الى المغرب يسمى ذلك التموج ريح الصبا واذا تموج من الجنوب الى الشمال يسمي التيمن واذا تموج من المغرب الى المشرق يسمى دبورا واذا تموج من الشمال الى الجنوب يسمى الجربيا . فأما

ما كان تدافعه الى ما بين هذه الجهات فيسمى النكباء وهذه ثمانية أنواع

وأما التي تهب من أسفل الى فوق فنها تكون الزوابع وهما ريحان تلتقيان وتصعدان كما يلتقي الماء في الكرادات وعند نزوله في البلاليع والثقب

وأما التي تهب من فوق الى أسفل فنها الريح الصرصر التي أهلكت عاداً وذلك أنها تخت عليهم غربي ديارهم من خلل الغيم من كرة الزمهرير التي فوق كرة النسيم ثمانية أيام ولياليها كما ذكر الله تعالى. واذ ذكرنا ماهية الريح وكمية أنواعها وجهات هبوبها، فانا نريد أن نذكر علة تصاريفها في الجهات وما الغرض منها وذلك أن أحد الاغراض من تصاريفها هو أن تسوق الغيم من سواحل البحار الى البلدان البعيدة والبراري المقصودة بها، وايضاً فان أحد الاغراض من الجبال الشامخة الطوال المسطوحة على بسيط الارض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا هو أن تمنع الرياح من سوق السحاب الى غير البلدان والبراري المقصودة بها وذلك أن هذه الجبال الراسيات تقوم لمنع الرياح أن تنصرف الى كل الجهات الا الجهة المقصودة بها مقام المسنات والبريدات للأنهار والسواقي المانعة لها أن تفيض المياه الا الى المزارع والمواضع المقصودة بها وذلك أن كثيراً من البلدان والبراري بعيدة من سواحل البحر ولو لم تكن هذه الجبال الطوال الشامخة المانعة للرياح السائقة للغيوم لما وصلت السحاب والامطار الى تلك البلدان والبراري كما ان الانهار والسواقي اذا لم تكن لها مسنات وبريدات فاضت الى الآجام والغدران والبطائح حيث يقل الانتفاع بها فلا تبلغ الى البلدان البعيدة الا بأنهار تحفر وبريدات تعمل ولهذه الجبال الشامخة غرض آخر، وذلك أن في أجوافها مغارات وأهوية واسعة فاذا هطلت في الشتاء في رؤوسها الامطار والثلوج وذابت غاضت المياه في تلك المغارات والاهوية وصارت فيها كالمخزونة وفي أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تخرج منها المياه المخزونة في تلك المغارات والاهوية وهي العيون وتجرى منها جداول وتجتمع بعضها الى بعض وتسيل منها أودية وأنهار تجرى بين المدن والقرى والسوادات فتسقى وهي راجعة الى

البحار والآجام والغدران في ممرها الزروع والاشجار ومواضع العشب والكلاء وما يفضل منها ينصب الى البحار والآجام والغدران وتلطفها الشمس وتصعدها بخاراً من الرأس وتكون منها الغيوم والسحاب وتسوقها الرياح الى المواضع المقصودة بها كما كان عام أول وذلك دأبها أبداً ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل ﴾

فانظر يا أخي الى هذه العناية الالهية الكلية، والسياسة الربانية الحكمية وتفكر فيها واعتبرها لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتنفتح لها عين البصيرة فتنظر بنور العقل الى هذا الصانع الحكيم المدبر لهذه الامور كما نظرت بعين الجسد الى هذه المصنوعات التي نحن في ذكرها فتكون من الشاهدين الذين مدحهم الله تعالى فقال : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون » وقال : « واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » ثم قال : « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم » واذ قد فرغنا من ذكر الرياح فنذكر الغيوم والامطار والندى والجليد والضباب والطل والسحاب والرعود والبروق والبرد اذ كانت موادها البخارات الصاعدة كما ذكرنا قبل

واعلم يا أخي انه اذا ارتفعت البخارات في الهواء وتدافع الهواء الى الجهات ويكون تدافعه الى جهة أكثر من جهة ويكون من قدام له جبال شامخة مانعة ومن فوق له برد الزمهرير مانع ومن أسفل مادة البخارين متصلة فلا يزال البخاران يكثران ويغلظان في الهواء وتتداخل أجزاء البخارين بعضها في بعض حتى يثخن ويكون منها سحاب مؤلف متراكم وكلما ارتفع السحاب بردت أجزاء البخارين وانضمت أجزاء البخار الرطب بعضها الى بعض وصار ما كان دخانا يابسا ريحا وما كان بخاراً رطباً ماء وأنداء ثم تلتئم تلك الاجزاء المائية بعضها الى بعض

وتصير قطراً برداً وتثقل فتهوى راجعة من العلو الى السفل فتسمى حينئذ مطراً فان كان صعود ذلك البخار الرطب بالليل والهواء شديد البرد منع أن تصعد البخارات في الهواء بل جمدها أولا فاولا وقربها من وجه الارض فيصير من ذلك ندى وصقيع وطل وان ارتفعت تلك البخارات في الهواء قليلا وعرض لها البرد صارت سحابا رقيقاً وان كان البرد مفرطا جمد القطر الصغار في خلل الغيم فكان من ذلك الجليد أو الثلج، ذلك ان البرد يجمد الاجزاء المائية ويختلط بالاجزاء الهوائية فينزل بالرفق فمن أجل ذلك لايكون لها على وجه الارض وقع شديد كما يكون للبرد والمطر فان كان الهواء دفيئاً ارتفع البخار في العلو وتراكم السحاب طبقات بعضها فوق بعض كما يرى في أيام الربيع والخريف كانها جبال من قطن مندوف متراكمة بعضها فوق بعض فاذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصار ماء وانضمت الاجزاء بعضها الى بعض وصارت قطر وعرض لها الثقل أخذت تهوى من أعلى سمك السحاب ثم تتراكم وتلتئم تلك القطر الصغار بعضها الى بعض حتى اذا خرجت من أسفلها صارت مطراً كبيراً فان عرض لها برد مفرط في طريقها جمدت وصارت برداً قبل أن تبلغ الى الارض فما كان منها من اعلى السحاب هو الذي يصير بردا وما كان من أسفل السحاب كان مطرا مختلطاً مع البرد

ومن أحب أن يعلم صدق قولنا ويتصور كيفية وصفنا صعود البخارين وكيفية تأليف السحاب منها ونزول القطر فلينظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحابها مثل تصعيد ماء الورد والخل المصعد وماشا كلها ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقوفها وذلك أن سطح كرة الزمهرير الذي يلي كرة النسيم والجبال الشامخة حوالى البحار تقوم لمنع البخارين الصاعدين الذين يتكون منهما السحاب والامطار أن يتبددا، ويتغشيا حيطان الحمامات وسقوفها لمنع البخار الصاعد فيها أن يتبدد ويتغشى

وأيضاً فانها تقوم مقام القرع والانبيق في تصعيد رطوباتها وتقطيرها وبمثل هذين يدبر اصحاب الصنعة عقاقيرهم في تصعيد رطوباتها وتقطير مياهها

وأما البروق والرعود فانهما يحدثان في وقت واحد ولكن البرق يسبق الى الابصار قبل الصوت الى المسامع لان أحدهما روحاني الصورة وهو الضوء والآخر جسماني وهو الصوت كما بيناه في رسالة الحاس والمحسوس . وأما علة حدوثهما فهي البخاران الصاعدان اذا اختلطا في الهواء والتف البخار الرطب على البخار اليابس الذي هو الدخان واحتوى برد الزمهرير على البخار الرطب وضغطهما فانحصر البخار اليابس في جوف البخار الرطب والتهب في جوف البخار الرطب وطلب الخروج دفعة وانخرق البخار الرطب وتفرقع من حرارة الدخان اليابس كما تتفرقع الاشياء الرطبة اذا احتوت عليها النار دفعة واحدة وحدث من ذلك قرع في الهواء واندفع الى جميع الجهات كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفية الصوت واقتدح من خروج ذلك البخار اليابس الدخاني ضوء يسمى البرق كما يحدث من دخان السراج المطفيء اذا أدنى من سراج مشتعل ثم ينطفيء وربما يذوب ذلك البخار ويصير ريحاً ويدور في جوف السحاب ويطلب الخروج فيسمع له دوي وتقرقر كما تسمع من الجوف المنتفخ ريحاً وربما ينشق السحاب دفعة واحدة بشدة فيكون من ذلك صوت هائل يسمى صوت الصاعقة كما يحدث من الزق المنفرخ اذا وقع عليه حجر ثقيل فيشقه

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أنه لولا العناية الالهية ورحمة الباري جل جلاله بان جعل سمك كرة النسيم عالياً ومركز السحاب مرتفعاً بعيداً عن الارض بمقدار الحاجة اليه وجعل من شأن السحاب اذا انخرق أن يطلب البخار الصعود الى فوق وجعل من شأن قرع الهواء اذا حدث أن تكون حركته الى فوق لكانت أصوات الرعد أضرت بأسماع الحيوانات الضعيفة وقتلتها كما يكون ذلك في بعض الاحايين وذلك

أن السحب اذا تراكمت وتكاثفت يضغط بعضها بعضاً الى أسفل حتى تقرب من الارض وتحدث الرعود ويخرق السحاب من أسفل ويقرع الهواء ويندفع الى وجه الارض فيكون من ذلك صوت هائل هو الصاعقة فانها تقتل كثيراً من الحيوانات القريبة منها ومن الناس أيضاً كما فعل بقوم شعيب وصالح عليهما السلام. وكذلك حكم البروق أيضاً وذلك ان من شأن النار أن تتحرك الى فوق فاذا منعها السحاب المتراكم رجعت منحطة الى الارض فاحرقت ما أتت عليه من الحيوان والنبات ولكن قل ما تحرق الاجسام الرخوة لانها نار لطيفة تنفذ في مسامها . وأما الاجسام الصلبة فلتكاثف اجزائها وتمانعها تتغلب عليها وتذوبها وتحرقها. وأما الهالة التي تكون حول الشمس والقمر فانها تدل على المطر ورطوبة الهواء وذلك انها تحدث في اعلى سطح كرة النسيم وقت ما يرتفع البخار الى هناك ويأخذ يتألف منه الغيم وعلتها ان النيرين اذا اشرقتا على ذلك السطح انعكس شعاعها من هناك الى فوق وحدث من ذلك الانعكاس دائرة كما يحدث من اشراقها على سطح الماء ويشف رسم تلك الدائرة من تحت ذلك الغيم الرقيق كما يشف من وراء البلور والزجاج ويكون مركز تلك الدائرة مسامتا للبقعة التي يمر بها مسقط الحجر الخارج من مركز النيرين الى مركز الارض، فكل من كان من الناظرين ممن يمر ذلك النير على سمت رأسه سواء فانه يرى مركز تلك الدائرة من فوق رأسه ومن كان خارجا من تحته الى أحد الجهات فانه يرى مركزها في الجهة المقابلة لموضعها ويكون قطر هذه الدائرة ابدا مثل سمك كرة البخار مرتين ، قل ذلك السمك أو أكثر وتقديرها أكثر ما يكون اثنين وثلاثين الف ذراع لان سمك كرة النسيم أكثر ما يكون ستة عشر الف ذراع كما بينا قبل

وأما قوس قزح فانه يحدث في سمك كرة النسيم عند ترطيب الهواء مشبعاً ولا يكون وضعه إلا منتصباً قائماً وحدبته الى فوق مما يلي سطح كرة الزمهرير وطرفاه الى أسفل مما يلي وجه الارض ولا يكاد يحدث الا في طرفي النهار في الجهة المقابلة لموضع الشمس مشرقاً أو مغرباً ، ولا يرى منها الا أقل من نصف محيط

الدائرة الا أن تكون الشمس في الافق سواء فانها عند ذلك ترى في نصف محيط الدائرة سواء لان الخط الخارج من مركز جرم الشمس يمر مماسا مما يلي وجه الارض ومركز هذه الدائرة فيرى القوس قائماً منتصباً مستويا واذا كانت الشمس مرتفعة فانها ترى أقل من نصف محيط الدائرة وكلما كان الارتفاع أكثر كان القوس أقل وأصغر لان القوس يكون مائلا منحطاً الى الجهة المقابلة لموضع الشمس

واعلم يا أخي ان بين وتر هذا القوس وبين قطر دائرة الهالة التي تقدم ذكرها نسبة متساوية وأما علة حدوث هذا القوس فهي أيضاً اشراق الشمس على أجزاء ذلك البخار الرطب الواقف في الهواء وانعكاس شعاعها منه الى ناحية الشمس وأما اصباغه التي ترى فهي أربعة مطابقة للكيفيات الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ولخاصية الاربعة الاركان التي هي النار والهواء والماء والارض ولفصول الزمان الاربعة وهي الصيف والخريف والشتاء والربيع ولمشابهة الاخلاط الاربعة وهي الصفراء والسوداء والدم والبلغم واشاكلة ألوان زهر النبات والشجر لان هذه القوس إذا حدثت وكانت أصباغها مشبعة تدل على ترطيب الهواء وكثرة العشب والكلاء وزكاء ثمر الشجر وحب الزرع فيكون ظهورها ورؤيتها كالبشارة قدمتها الطبيعة للحيوان والناس منذرة بريف الزمان وخصبه .

وأما مايقوله العامة وهو ان حمرتها تدل على اهراق الدماء فى تلك السنة وصفرتها تدل على الامراض وزرقتها تدل على الجدب وخضرتها تدل على الخصب وعلى حسب كثرتها وقلتها تكون دلالتها فان هذا يكون دليلا عند الزاجر على أصله وفرعه وقد بينا ذلك فى رسالة الزجر والفراسة .

وأما ترتيب ألوانها فان الحمرة أبداً تكون فوق الصفرة والصفرة دونها والزرقة دون الخضرة فان وجدت قوساً أخرى دونها ترتبت هذه الالوان فى القوس السفلى عكس ذلك وشرح العلة فى ذلك يطول لانه لايفهمه الا المرتاضون بالاشكال الهندسية والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

وقد بينا فيما تقدم ان السحاب لايرتفع من وجه الارض فى الجو أكثر من ستة عشر الف ذراع وان أقربه ما كان مماساً لوجه الارض ولكن ذلك فى الندرة فى وقت من الاوقات وبلد دون بلد لانه لو كان السحاب فى كل وقت وفى كل بلد ماراً مماساً لوجه الارض لاضر ذلك بالحيوان والنبات ولمنع الناس من التصرف كما يرى ذلك يوم الضباب ، وفى البلدان القريبة من سواحل البحار مثل البصرة والانطاكية وطبرستان لقربها من البحار يرى أغفل مايكون الانسان حتى اذا جاء الطل والمطر والضباب مقدار مايضيق الصدر ويأخذ النفس وتبتل الثياب والامتعة، وأيضاً لو كان السحاب كله قريباً من وجه الارض لاضر الرعد والبرق بأبصار الحيوان وأسماعها ولو كان بعيداً شديد الارتفاع فى الهواء بحيث لم يكن يرى لكانت الامطار والثلوج تجيء مفاجأة والناس والحيوان عنها غافلون غير مستعدين للتحرز منها فكان يكون فى ذلك ضرر عظيم عام

فلاتنظر يا أخي الى فعل الطبيعة وتفكر فى هذه الحكمة الالهية والعناية الربانية كيف رفعت هذه الاشياء فى الهواء بمقدار الحاجة اليها فلا بعيد مفرط ولاقريب جداً اذا كان فى كلا الامرين ضرر على الناس والحيوان والنبات

فصل

فأما علة كثرة الامطار فى الشتاء وقلتها فى الصيف فهو لأن صعود البخارين متصل أبداً فى العراق ومايليه من الاقاليم الشمالية فى الصيف أكثر منها فى الشتاء

واعلم يا أخي ان لكل كائن تحت فلك القمر اربع علل لايتكون شيء من الكائنات الا بها كلها : احداها علة هيولانية والاخرى علة صورية والاخرى علة فاعلية والاخرى علة تمامية.

فاما العلة الهيولانية للسحاب والامطار وما يتبعهما فهما البخاران الصاعدان كما وصفنا قبل ، العلة الفاعلية لها هى الشمس والكواكب بمطارح شعاعاتها كما تقدم ذكرها والعلة الصورية عقد البخارين وجودهما والعلة الفاعلية لذلك برد

الجو والعلة التمامية تكون الامطار لكيما تبتل الارض وينبت النبات ويتغذى منه الحيوان .

ولما كانت الشمس تقضى ستة أشهر فى البروج الشمالية وتقرب من سمت رأس هذه البلاد فيسخن جو الهواء اسخاناً شديداً فتتحرك البخارات وتتغشى وتدفعها الرياح الشمالية الى ناحية الجنوب وبما أن الشمس تكون بعيدة من سمت تلك البلاد يبرد الجو ويكون الشتاء هناك والامطار والغيوم وما يتبعهما من حوادث الجو .

فاذا صارت الشمس بعد ستة أشهر الى البروج الجنوبية قريبة من سمت تلك البلاد وبعدت من البلاد الشمالية صار الشتاء هاهنا والصيف هناك وذلك دأبها ودأب الشتاء والصيف والغيوم والامطار وما يتبعها من الحوادث التى تقدم ذكرها وكل هذه الحوادث تكون في سمك كرة النسيم دون كرة الزمهرير

فصل

وأما الحوادث التى فى سمك كرة الزمهرير فهي الشهب وانقضاض الكواكب التى ترى في الليالى فربما كثر ذلك وربما قل .

وأما هيولاها ومادتها فهو الدخان اليابس اللطيف الصاعد من الجبال والبرارى فاذا بلغت تلك المادة في صعودها الى الفصل المشترك بين كرة الزمهرير وبين كرة الاثير استدارت هناك وتشكلت واشتعلت فيها نار الاثير كما يشتعل نار السراج فى دخان السراج المنطفيء وكما تشتعل نار البرق في الدخان اليابس الدهنى الذى فى السحاب وكما تشتعل النار في النفط الابيض ثم تفنيه بسرعة فينطفيء ، ومما يدل على ان مادتها دخان يابس كثرة مايرى منها في سنى الجدب

وأما كيفية تشكل هذه الدخانات اذا صعدت الى هناك واشتعلت فيها النار فانها اذا اعتبرت بالفكر وجدت تارة كانها أعمدة مخروطة قائمة قاعدتها مما يلى كرة النار ومخروطها مما يلى وجه الارض ودليل ذلك انه اذا اشتعلت النار

فيها ترى عظيمة الاشتعال ثم لا تزال تصغر وتنخرط وتقل حتى تنطفيء فيتخيل للناظرين انها نار هوائية تنزل من السماء في حركتها .

واذا اعتبرنا هذا المثال يظن ان بين كرة الزمهرير وكرة الاثير سطح متداخل الاجزاء غير مشترك وتارة ترى حركتها عند انقضاضها كانها كرة صغيرة هو ذي متدحرج على سطح كرة كبيرة وذلك انا نراها احيانا عند انقضاضها واشتعالها تبتديء حركتها من المشرق فتمر على سمت رؤوسنا الى المغرب وتارة من المغرب الى المشرق وتارة تبتديء من الجنوب وتمر على سمت رؤوسنا الى الشمال وتارة من الشمال الى الجنوب وتارة تتنكب هذه الجهات فيتخيل للناظرين كأنها كرة من قطن اشتعل فيها النار ثم رميت في الهواء وكلما أكلتها النار تناثر شررها وصغرت حتى تفنى وتنطفيء ومثالها الكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات بالليل وذلك انهم يتخذون كرة معجونة من سندروس واجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار ويأخذونها فى أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رؤيت النار تخرج من أفواههم ومناخرهم ولا يزال ذلك دأبهم حتى تفنى تلك المادة وتنطفيء تلك النار .

فصل

وقد يظن كثير من الناس أن انقضاض هذه الشهب هى كواكب تسقط ويرمي بها من السماء في الهواء الى الارض ويستدلون على صحة ظنونهم الكاذبة بقوله تعالى : ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين .

وليس فى هذه الآية دلالة على ان الكواكب هي ترمى بانفسها لانك اذا قلت اتخذت هذه القوس لارمي بها العدو والكفار فليس في قولك دلالة على انك ترمي بنفس القوس بل ترمي عنها بالنشاب فهكذا قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين أي يرمون عنها بالشهب لان هذه الشهب لاتحدث في الهواء الا باشراق هذه الكواكب وشعاعاتها في الهواء كما بينا من قبل وقد فسرنا معنى هذه الآية واخواتها في رسائل لنا

واعلم أن أهل صناعة النجوم متفقون على ان هـذه الكواكب الثابتة في الفلك الثامن هي من وراء فلك زحل الذي هو الكرسي الواسع كما بينا في رسالة السماء والعالم وانما ذكر الله تعالى انها زينة السماء الدنيا لان أهل الارض لا يرونها الا دون فلك القمر الذي هو سماء الدنيا.

ومما يدل على ان هذه الشهب تحدث قريبة من الارض بعيدة من فلك القمر سرعة حركتها فانها في لحظة تمر من المشرق الى المغرب أو من المغرب الى المشرق فلو كانت قريبة من فلك القمر لما رأيت حركتها بهذه السرعة .

واعلم يا أخي انها اذا حدث فمرت مقبلة على الناظرين وجازت على سمت رؤوسهم الى الجانب الآخر ذاهبة الى الافق بسيرها على الرؤية يتخيل للناظرين انها وقعت الى الارض وليس الامر كذلك لانها مادة خفيفة تطلب العلو ولا يزيدها اشتعالها الا خفة ، فاما التي تقع منها الى الارض فهي التي تحدث في كرة النسيم فيضغطها السحاب ويردها الى اسفل كنار البرق التي يضغطها السحاب من فوق الى أسفل

وأما علة استدارة تلك المادة فهي ان الاجسام السيالة من شأنها أن تتشكل مالم يمنعها مانع اشكالا كروية كما يستدير القطر في الهواء لان الشكل الكروي أفضل الاشكال كما بينا في رسالة الهندسة .

وأما علة حركتها الى جهة دون جهة فبحسب الدافع لها من جهة المقابل وليست هي الريح لانها أسرع حركة من الريح وقد بينا علة حركتها في رسالة الحركات .

فانظر يا أخي وتفكر في هذه الحكمة الالهية والعناية الربانية كيف جعلت ورتبت كرة الاثير دون فلك القمر ، وجعلتها ناراً بلا ضياء كيما تحترق بحرارتها الدخانات الغليظة الصاعدة في الهواء وتلطف البخارات العفنة الكثيفة ليكون الجو أبداً صافياً شفافاً ولم تجعل تلك النار مضيئة لانها لو كانت مضيئة كالنيران

التي عندنا لمنعت أبصار الحيوان عن رؤية عالم الافلاك والكواكب وخاصة الانسان لانه لما منع السكون هناك لم يمنع الرؤية والنظر اليه ، لكيما تشتاق النفوس الى الصعود نحوها هناك كما قال جل ثناؤه « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعني به روح المؤمنين وقال في منع روح الكافر « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وقد جعلت الحكمة الالهية أيضاً الزمهرير حجاباً بين كرة النسيم وبين كرة الاثير لتمنع ببردها وهج الاثير عن الحيوان والنبات أن يتلفها ولتبرد البخار وتعقده غيوماً ليكون أمطاراً تحيا بها البلاد ، وجعلت كرة النسيم معتدلة المزاج ولما كان سببها انعكاس شعاعات الكواكب كما بينا قبل وأكثرها وأوكدها هي الشمس جعلت تارة تغيب لبرد الجو وتارة تطلع لسخن الهواء ولو دامت بطلوعها لدام الاسخان ولافرط الحر وكان ذلك فساداً كلياً وكذلك لو دام مغيبها لبرد الجو وجمدت المياه والرطوبات وهلك النبات والحيوان من البرد ، وكذلك جعل لها أن تميل الى ناحية الجنوب ليكون الصيف هناك والشتاء في الشمال « ذلك تقدير العزيز العليم » . وهذه من عظيم نعم الله على خلقه وذلك معنى قوله تعالى « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء » الآية « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار » الى قوله ولعلكم تشكرون

وعلى هذا القياس لو دام الشتاء والصيف لكان بواراً وفساداً للنظام ، وكذلك اذا دام مدارها على سمت واحد . قال الله تعالى « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » تارة غاربة وتارة طالعة وتارة مائلة الى الشمال وتارة مائلة الى الجنوب وتارة مرتفعة في الاوج وتارة منحطة الى الحضيض وتارة فوق الارض وتارة تحتها وتارة موازية للبروج النارية وتارة للترابية وتارة للهوائية وتارة

للمائية وتارة للبروج المنقلبة وتارة في الثابتة وتارة في ذوات الاجساد وتارة مجتمعة وتارة متفرقة وتارة ناظرة ينظر بعضها الى بعض وتارة ساقطة وتارة منفصلة وتارة منصرفة وتارة كالواقفة وتارة راجعة وتارة مستقيمة وتارة شرقية وتارة غربية وتارة محترقة بنورها وتارة في بيوتها وتارة في غربة وتارة في الشرف وتارة في الهبوط

هذه كلها من أوصافها وأحوالها لاغراض موصوفة وآجال معدودة لا يعلمها إلا هو « ماخلق الله ذلك إلا بالحق » ولا يحيط أهل صناعة النجوم والخلق أجمع بشيء من علمه الا بما شاء. وسع كرسيه السماوات والارض وقد ذكرنا طرفاً من هذا العلم في رسالة الادوار شبه النموذج والاشارة فانظر فيها وتفكر فيما ذكرنا لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فتحيا حياة العلماء وتعيش عيش السعداء مع الابرار في دار القرار منعمة ملذذة فرحانة مسرورة أبد الآبدين، ولا تكن من الغافلين في أسفل السافلين في عالم الكون والفساد واستعد للرحيل قبل انقطاع المدة وتزود فان خير الزاد التقوى

فصل

وأما الكواكب ذوات الأذناب التي تظهر في بعض الاحايين قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها فانها لاتحدث الا في كرة الاثير قريباً من فلك القمر والدليل على ذلك دورانها مع فلك القمر تارة بالتقدم على توالي البروج كسير الكواكب السيارة وتارة بالتأخر كرجوعها.

وأما مادتها التي تتكون منها فهي دخان وبخار لطيفان يصعدان الى هناك فينعقدان بقوة زحل وعطارد وتكون شفافة كشفيف البلور، اذا أشرقت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر، فلا تزال تدور مع الفلك وتطلع وتغيب الى أن تضمحل وتتلاشى، وكل هذه الحوادث التي ترى في ضوء الهواء اما بشارات من الله تعالى بالرخص والخصب والسلامة للناس والحيوان والصلاح، واما انذارات

وتخويفات من الحدثان والجدب والقحط والغلاء والزلازل والوباء والموت والخسوف والحروب والفتن وذلك ليجعل العباد المكلفين يعتبرون بها ويرتدعون عن معصية الله وينقادون الى طاعة الله ويظهرون الدعاء والتضرع والتوبة والندم والتطوع بالصوم والصلاة والصدقة والقرابين في الهياكل والمساجد والبيع والصلاة ليكون ذلك تلقيناً من الآباء للاولاد ومن العلماء للجهال وتنبيهاً للغافلين عن معرفة الله عز وجل وهداية لهم كما قال الله تعالى « ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون »

فانظر يا أخي وتفكر في ملكوت السماوات والارض وما في الآفاق والانفس من الآيات وقل « ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » واشهد معهم كما ذكر الله تعالى فقال « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط » ولاتكن من الذين يمرون عليها وهم عن آياتها معرضون غافلون ، وهم الذين قال الله فيهم « ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً » وقال تعالى « صم بكم عمي فهم لايعقلون » أعاذك الله وايانا من هذه الجهالة والعمى ووفقنا لما هو أرشد وأهدى برحمته انه قريب مجيب

تمت رسالة الآثار العلوية وهي الرسالة الرابعة في الطبيعيات والسابعة عشر من رسائل اخوان الصفا وتتلوها رسالة تكوين المعادن

الرسالة الخامسة

من الجسمانيات الطبيعيات

في بيان تكوين المعادن

﴿ وهي الرسالة الثامنة عشرة من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه إنا قد بينا في رسالة الآراء والمذاهب بأن العالم محدث مبدع مخترع كائن بعد ان لم يكن وان مبدعه ومخترعه ومحدثه وخالقه ومصوره هو الباري جل جلاله أبدعه كما شاء وكيف شاء بقوله تعالى « كن » فكان كما بينا في رسالة المبادىء العقلية فنريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من الحوادث والكائنات التي تتكون وتفسد تحت فلك القمر بطول الازمان والدهور والادوار. كما بينا أيضاً كيفية فناء العالم وكيفية نشء الآخرة والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران والوصول الى الجنان وكيفية مجاورة الرحمن في رسالة البعث والقيامة إذ قد تبين ببراهين منطقية ودلائل عقلية بأن عالم الافلاك وجواهر أشخاصها لا تمتزج بعضها ببعض ولا تختلط أجزاؤها ولا يتكون منها شيء غيرها بل هي باقية على ما هي عليه الآن بطول الازمان والدهور وانها أيضاً لا تتغير ولا تفسد ولا تستحيل

مادامت لها هذه الحركة الدورية والاشكال الكروية إلا أن يشاء باريها ومبدعها وخالقها أن يبطلها دفعة واحدة أو على التدريج أو يوقفهـا عن الدوران وهو أهون عليه «وله المثل ألاعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم»

واعلم ان وقوف الافلاك عن الدوران هو موت العالم وبطلان حياة الكل ومفارقة النفس الكلية الفلكية عن الاجسام كلها دفعة واحدة وتلك هي القيامة الكبرى والبوار الكلي وبطلان الجملة ، لان موت كل شخص من أشخاص الحيوانات هو مفارقة نفسه جسده وهي قيامته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله « من مات فقد قامت قيامته » وقد بينا فى رسالة لنا ان العالم انسان كبير ذو جسم ونفس وحياة وعلم ، فاعرف حقيقة ماذكرناه من هناك

ثم اعلم يا أخي ان استحالة الكائنات الفاسدات التى تحت فلك القمر هي خمسة أنواع فنها استحالة الاركان الاربعة بعضها الى بعض كما بينا طرفاً من كيفية ذلك في رسالة الكون والفساد ومنها حوادث الجو وتغييرات الهواء كما بينا طرفاً منها في رسالة الآثار العلوية ومنها استحالة الكائنات الفاسدات التى تتكون وتنعقد فى باطن الارض وعمق البحار وجوف الجبال وهي الجواهر المعدنية كما سنبين طرفاً من كيفيتها في هذه الرسالة ، ومنها استحالة النبات والاشجار وهو كل جسم يتغذى وينمو كما بينا طرفاً منها فى رسالة النبات ، ومنها استحالة الحيوان وهو كل جسم متحرك حساس كما بينا طرفاً منها فى رسالة الحيوانات بعد ذكر النبات

واعلم ان هذه الاشياء التى ذكرنا انها تتكون وتحدث وتتغير وتفسد بطول الزمان والدهور وتناوب الليل والنهار وتعاقب الشتاء والصيف على الاركان الاربعة التى هي الارض والماء والهواء والنار انما يكون باختلاف أحوالها بحسب موجبات أحكام النجوم فى القرانات والالوف والادوار ، وبحسب أشكال الفلك ومسيرات الكواكب ومطارح شعاعاتها من الاوتاد والآفاق ونريد أن نبين كيفية تكوين المعادن وأسرار اختلاف جواهرها وأنواعها وخواصها

ومنافعها ومضارها .

وإذ قد فرغنا من ذكر أدوار الافلاك وحركات الكواكب وقرانها في السنين والدهور وكم هي وكيف هي وكيف يكون ذلك فى رسالة لنا ، فاعلم ان لكل كائن وحادث تحت فلك القمر أربع علل : علة فاعلية ، وعلة هيولانية ، وعلة صورية ، وعلة تمامية . فالعلة الفاعلية للجواهر المعدنية باذن باريها جل جلاله هي الطبيعة ، وقد بينا ماهية الطبيعة وكيفية أفعالها فى رسالة لنا ، وأما العلة الهيولانية للجواهر المعدنية فهي الزئبق والكبريت كما سنبين فى هذه الرسالة ، والعلة الصورية هي دوران الافلاك وحركات الكواكب حول الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ، وأما العلة التمامية فهي المنافع التى ينالها الانسان والحيوانات جميعاً من هذه الجواهر المعدنية باذن الله جل جلاله

فصل

اعلم يا أخي ان الجواهر المعدنية مختلفة فى طباعها وطعومها وألوانها وروائحها كل ذلك بحسب اختلاف ترب بقاع معادنها ومياهها وتغييرات أهويتها وذلك ان كرة الارض بجملتها وجميع أجزائها ، عمقها وظاهرها وباطنها طبقات ساف فوق ساف متلبدة منعقدة مختلفة التركيب والخلقة . فمنها صخور وجبال صلبة وأحجار وجلامد صلدة وحصاة ملس ورمال جريشة وطين رخو وتراب لين وسباخ وشورج بعضها مختلط ببعض أو متجاورة كما وصفها الله تعالى بقوله « وفي الارض قطع متجاورات » وهي مختلفة الالوان والطعوم والروائح فمن ترابها وطينها وأحجارها حمر وبيض وسود وخضر وزرق وصفر كما ذكر الله تعالى بقوله « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » ومن ترابها وطينها ماهو عذب مذاقه ومر طعمه أو مالح أو عفص أوحامض أو حلو ومنه ماهو طيب شمه ومنتن رائحته فان الارض بجملتها كثيرة التخلخل والثقب والتجاويف والعروق والجداول والانهار داخلها وخارجها كثيرة الاهوية

والمغارات والكهوف وكل هذه مملوءة من المياه والبخارات وتكون طعوم تلك المياه وروائحها وغلظها ولطافتها وثقلها وخفتها بحسب تربة بقاعها وطين مكانها واجوافه وقرارات مستنقعاتها.

﴿ فصل ﴾

واعلم بأن الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع فمنها مايتكون فى التراب والطين والارض السبخة ويتم نضجه في السنة أو أقل منها كالكبريت والاملاح والشبوب والزاجات وما شاكلها ومنها مايتكون فى قعر البحار وقرار المياه ولا يتم نضجه الا في سنة أو أكثر منها كالدر والمرجان فان أحدهما نباتي وهو المرجان والآخر حيواني وهو الدر ومنها مايتكون في كهوف الجبال وجوف الاحجار وخلل الرمال ولا يتم نضجه الا في سنين كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص وما شاكلها ومنها ما لايتم نضجه الا في عدد سنين كالياقوت والزبرجد والعقيق وماشاكلها . ونريد أن نبين ونصف طرفا من كيفية تكوين كل نوع من هذه ليكون دلالة على سائرها ولكن نحتاج قبل وصفنا هذه الاشياء أن نذكر صورة الارض وكيفية قسمة ارباعها وصفات تلك الارباع كيف تتغير احوالها وكيف تتبدل صفاتها في الدهور والازمان الطوال فنقول :

ان الارض بجميع ماعليها من البحار والجبال والبراري والانهار والعمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم باذن الله جل جلاله كما بينا فى رسالة الجغرافيا فنقول إن الارض بجملتها نصفان نصف شمالي ونصف جنوبي وظاهر كل قسم منها ينقسم الى نصفين فتكون جملته اربعة ارباع كل ربع منها موصوف باربعة أنواع ، فمنها مواضع براري وقفار وفلوات وخراب . ومنها مواضع البحار والانهار والاجام والغدران ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران

واعلم يا أخي أن هذه المواضع تتغير وتتبدل على طول الدهور والازمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدرانا وانهاراً ويصير مواضع البحار جبالا تلالا وسباخاً وآجاماً ورمالا . وتصير مواضع العمران خرابا ، ومواضع الخراب عمراناً ، فوجب أن نذكر طرفا من هذه الاوصاف إذ كان هذا الفن من العلوم الغريبة البعيدة عن أفكار كثير من اهل العلم المرتاضين فضلا عن غيرهم

واعلم بان فى كل ثلاثة الف سنة تنتقل الكواكب الثابتة وأوجات الكواكب السيارة وجو زهراتها فى البروج ودرجاتها ، وفى كل تسعة آلاف سنة تنتقل الى ربع من ارباع الفلك ، وفي كل ست وثلاثين الف سنة تدور فى البروج الاثنى عشرة دورة واحدة فبهذا السبب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض واهوية البلاد وتختلف تعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف عليها ، اما باعتدال واستواء أو بزيادة ونقص وافراط من الحرارات والبرودات واعتدال منهما وتكون هذه اسبابا وعللا لاختلاف أحوال الارباع من الارض وتغييرات أهوية البلاد والبقاع وتبديلها بالصفات من حال الى حال.

ويعرف حقيقة ماقلنا الناظرون فى علم المجسطى وعلوم الطبيعيات ، فتصير بهذه العلل والاسباب مواضع العمران خرابا ومواضع الخراب عمرانا ومواضع البراري بحاراً ومواضع البحار برارى وجبالا . ويعرف حقيقة ماقلناه وصحة ماذكرناه الناظرون في علم الطبيعيات والالهيات ، الباحثون عن علل الكائنات الفاسدات التى تحت مقعد فلك القمر وكيفية تغييراتها ، ولكن نريد أن نصف طرفا من كيفية تكوين الجبال فى البحار وكيف يصير الطين اللين احجاراً وكيف تكسر الاحجار فتصير منها حصا ورملا وكيف تحملها سيول الامطار الى البحار فى جريان الاودية والانهار وكيف ينعقد من ذلك الطين والرمال في قعور البحار حجارة وجبالا

واعلم يا أخي ان البحار هي كالمستنقعات على وجه الارض فان الجبال منها كالمسنات والبريدات لها لتفصل البحار بعضها من بعض ولئلا يكون وجه الارض كله مغطى بالماء وذلك انه لو تكن الجبال على وجه الارض وكان وجهها مستديراً ملساً لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها وتغطيها من جميع جهاتها وتحيط بها كاحاطة كرة الهواء بالارض كلها وكان وجه الارض كله بحراً واحداً ولكن العناية الالهية والحكمة الربانية قد قضت أن يكون وجه الارض بعضه مكشوفا ليكون مسكنا لحيوان البر وبعضه لمنابت العشب والاشجار والزروع إذ كانت هذه غذاء الحيوانات ومادة لاجسادها «ذلك تقدير العزيز العليم»

واعلم يا أخي ان الاودية والانهار كلها تبتدىء من الجبال والتلال وتمر في مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران وأن الجبال من شدة اشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الازمان والدهور ، تنشف رطوباتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتنكسر ، وخاصة عند انقضاض الصواعق وتصير أحجاراً وصخوراً أو حصى ورمالا . ثم ان الامطار والسيول تحط تلك الصخور والرمال الى بطون الاودية والانهار ويحمل ذلك شدة جريانها الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سافاً على ساف بطول الزمان والدهور ويتلبد بعضها فوق بعض وينعقد وينبت في قعور البحار جبالا وتلالا كما تتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمال في البرارى والقفار

واعلم يا أخي انه كلما انطمت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التى ذكرنا انها تنبت فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار ويغطيها الماء فلايزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البرارى بحاراً ومواضع البحار يبساً وقفاراً وهكذا لاتزال الجبال تنكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالا تحطها سيول الامطار، وتحملها الى الاودية والانهار بجريانها حتى البحار، وتنعقد هناك كما وصفنا، وتنخفض الجبال الشامخة وتنقص وتقصر حتى

تستوي مع وجه الارض، وهكذا لا يزال ذلك الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبد وتنبت عنها التلال والروابي والجبال وينصب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتنكشف هذه التلال وتصير جزائر وبراري ويصير ما يبقى من الماء في وهادها وقعورها بحيرات أو آجاماً أو غدراناً وينبت فيها القصب والوحال فلا تزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحول حتى تجف تلك المواضع وتنبت هناك الاشجار والعكرش والعشب وتصير مواضع للسباع والوحوش ثم يقصدها الناس لطلب المنافع والمرافق من الحطب والصيد وغيرها . وتصير مواضع الزروع والغروس والنبات بلداناً وقرى ومدناً يسكنها الناس

واعلم يا أخي ان هذه البحار التي ذكرنا انها كالمستنقعات على وجه الارض وبينها جبال شامخة وهي كالمسنيات لها وهي متصلة بعضها ببعض، اما بخلجان بينها على ظاهر الارض واما بمنافذ لها وعروق في باطن الارض وان في وسط هذه البحار جزائر كثيرة صغاراً وكباراً وأنهاراً ، ومنها عامرة بالناس فيها مزارع وقرى ومدن وممالك ، ومنها براري وقفار فيها جبال وآجام تسكنها سباع ووحوش وأنعام وأنواع من الحيوانات لا يعلم كثرتها الا الله . وفي وسط تلك الجزائر بحيرات صغار وكبار ، وأنهار وغدران وآجام . ومنها مامياهها عذبة ومنها مالحة شديدة الملوحة ومنها دون ذلك مختلفة أحوالها وأوصافها فلنذكر طرفاً من عللها ليعلم حقيقة ماقلنا وصحة ماوصفنا :

أما علة هيجان البحار وارتفاع مياهها وبروزها على سواحلها وشدة تلاطم أمواجها وهبوب الرياح في وقت هيجانها الى الجهات الخمس في أوقات مختلفة من الشتاء والصيف والربيع والخريف ، أوائل الشهور وأواخرها ، وساعات الليل والنهار ، فهي من أجل ان مياهها اذا حميت في قرارها وسخنت لطفت وتحللت وطلبت مكاناً أوسع مما كانت فيه قبل فيتدافع فيه بعض أجزائها الى الجهات الخمس فوقاً وشرقاً وجنوباً وشمالاً وغرباً للاتساع فيكون في الوقت الواحد على سواحلها رياح مختلفة في جهات مختلفة ، وأما علة هيجانها في وقت دون وقت

فهو بحسب شكل الفلك ومطارح شعاعاته على سطوح تلك البحار من الآفاق والاوتاد الاربعة واتصالات القمر بها عندحلوله في منازله الثمانية والعشرين ، كما هو مذكور في كتب أحكام النجوم . وأما علة مدود بعض البحار في وقت طلوعات القمر ومغيبه دون غيرها من البحار فهي من أجل ان تلك البحار في قرارها صخور صلبة ، فاذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته الى تلك الصخور والاحجار التي في قرارها ثم انعكست من هناك راجعة فسخنت تلك المياه وحميت ولطفت وطلبت مكاناً أوسع وارتفعت الى فوق ودفع بعضها بعضاً الى فوق وتموجت الى سواحله وفاضت على سطوحها وأرجعت مياه تلك الانهار التي كانت تنصب اليها الى خلف فلا يزال ذلك دأبها مادام القمر مرتفعاً الى وتد سمائه فاذا انتهى الى هناك وأخذ ينحط سكن عند ذلك غليان تلك المياه وبردت وانضمت تلك الاجزاء وغلظت ورجعت الى قرارها وجرت الانهار على عاداتها فلايزال ذلك دأبها الى أن يبلغ القمر الى أفق تلك البحار الغربي منها ، ثم يبتدىء المد على مثل عادته وهو في الافق الشرقي ولايزال ذلك دأبه حتى يبلغ القمر الى وتد الارض فينتهي المد من الرأس ثم اذا زال القمر من وتد الارض أخذ المد راجعاً الى أن يبلغ القمر الى أفقه الشرقي من الرأس و « ذلك تقدير العزيز العليم » فان قيل : لم لايكون المد والجزر عند طلوع الشمس واشراقها على سطوح هذه البحار . فقد بينا علة ذلك في رسالة العلل والمعلول فاطلبها من هناك ان شاء الله تعالى

وأما علة اختلاف تصاريف الرياح من الجهات الست في أوقات الليل والنهار والشتاء والصيف فقد ذكرناها في رسالة الآثار العلوية .

وأما الجبال التي ذكرناها بأنها كالمسنيات للبحار والبريدات لها فهي راسية في الارض أصولها، شامخة في الجو رؤوسها ، شاهق في الهواء ارتفاعها ممتد على وجه الارض بأطوال مابين مائتي فرسخ الى الف . فمنها ماهو من المشرق الى

المغرب ، ومنها ماهو من الشمال الى الجنوب ، ومنها ماهو نكباوات بين هذه الجهات ، مذكورة في جغرافيا بعض أوصافها

واعلم ان الجبال التى ذكرناها منها ماهو صخور صلدة وحجارة صلبة وصفوان أملس فلاينبت عليه النبات الا شيء يسير ، مثل جبال تهامة . ومنها ما هي صخور رخوة وطين لين وتراب ورمل وحصاة مختلفة متلبدة ساف فوق ساف ، متماسك الاجزاء وهي مع ذلك كثيرة الكهوف والمغارات والاودية والاهوية والعيون والجداول والانهار والاشجار ، كثيرة النباتات والحشائش والاشجار مثل جبال فلسطين ، وجبال لكام ، وطبرستان ، وغيرها وأما الكهوف والمغارات والاهوية التى في جوف الارض والجبال اذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه بقيت تلك المياه هناك محبوسة زمانا واذا حمى باطن الارض وجوف تلك الجبال سخنت تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخارا وارتفعت وطلبت مكانا أوسع ، فان كانت الارض كثيرة التخلخل تحللت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ وان كان ظاهر الارض شديد التكاثف حصيفاً منعها من الخروج وبقيت محتبسة تتموج في تلك الاهوية لطلب الخروج وربما انشقت الارض في موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسف مكانها ويسمع لها دوي وهدة وزلزلة . وان لم تجد لها مخرجاً بقيت هناك محتبسة وتدوم تلك الزلزلة الى أن يبرد جو تلك المغارات والاهوية ويغلظ ومتى تكاثفت تلك البخارات واجتمعت أجزاؤها وصارت ماء خرت راجعة الى قرار تلك الكهوف والمغارات والاهوية ومكثت زماناً ، وكلما طال وقوفها ازدادت صفاء وغلظاً حتى تصير زئبقا رجراجاً وتختلط بتربة تلك المعادن وتتحد بحرارة المعدن دائماً في انضاجها وطبخها ، فتكون منها ضروب من الجواهر المعدنية المختلفة الطبائع كما سنبين ، وأما علة اختلاف مياه العيون والينابيع التى في جوف الارض وكهوف الجبال من العذوبة والملوحة والحموضة والعفوصة الكبريتية منها والنفطية والدهنية وعلة حرارتها في الشتاء وبردها في الصيف ، وما كان على حالة واحدة فى جميع الاوقات ، فهي

يحسب اختلاف ترب بقاعها وتغييرات أهوية مكانها والعوارض التى تعرض لها ونحتاج الى أن نذكر طرفا من عللها ليكون قياساً على البقية الباقية فنقول . أما علة حرارة مياه أكثر العيون في الشتاء وبردها في الصيف فهي من أجل كون الحرارة والبرودة ضدان لا يجتمعان في مكان واحد ، فاذا جاء الشتاء وبرد الجو ، فرت الحرارة فاستجنت باطن الارض فسخنت تلك المياه التى في باطنها وعمقها ، فاذا جاء الصيف وحمى الجو فرت البرودة واستجنت في باطن الارض وبردت تلك المياه التى في باطنها وعمقها . وأما علة حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة واحدة فهي ان فى باطن الارض وكهوف الجبال مواضع ، تربتها كبريتية فتصير تلك الرطوبات التى تنصب هناك دهنية ، وتكون الحرارة فيها راسية دائمة بينها أو فوقها مياه فى جداول وعروق نافذة فتسخن تلك المياه بمرورها هناك وجوازها عليها ، ثم تخرج وتجرى على وجه الارض وهي حارة حامية ، فاذا أصابها نسيم الهواء وبرد الجو بردت ، وربما جمدت ، اذا كانت غليظة وانعقدت وصارت زئبقاً ، أو رصاصاً أو قيراً أو نفطاً أو ملحاً أو كبريتا ، أو بورقاً ، أو شيئا ، أو ما شاكل ذلك بحسب اختلاف ترب البقاع وتغييرات الاهوية . وأما علة ملوحة مياه عامة البحار فهي بعناية من الباري جل ثناؤه وحكمة الهية لما فيه من الصلاح الكلي والنفع العام ، وذلك أن البخارات المتصاعدة منها في الجو اذا اختلطت اجزاؤها مع الهواء وتموجت الى الجهات دبغتها وملحتها ومنعتها من العفن والتغيير والفساد ، فلولا ذلك لهلكت الحيوان المستنشقة للهواء دفعة واحدة وهكذا أيضا تمتنع ملوحة مياه البحار من أن تأسن أو تتغير فيكون ذلك هلاك حيوان البحر جملة واحدة . ولهذه العلة أيضا شدة أمواج البحار فى أكثر الاوقات يختلط اعلاها باسفلها وأسفلها باعلاها لئلا تغلظ بطول الوقوف غلظا شديداً أو تجمد فتكون ارضا كلها . ولهذه العلة أيضا اشراق الشمس والكواكب عليها وتسخينها لها ومنعها من أن تغلظ وتجمد ، وكذلك تفعل بالهواء والجو أيضاً ، وذلك انه لولا مطارح شعاعات الكواكب بالليل لجمد الهواء فى المواضع التى

لايطلع عليها الشمس والقمر زمانا كالتي تحت قطب الشمال والجنوب جميعاً .
وأما عفوصة مياه بعض العيون فلأنها تجرى اليها من مواضع تربها زاجية وهكذا حكم ما كان طعمه كبريتياً أو نفطياً

واعلم ان في بعض المواضع يرى من بعيدعلى رؤوس الجبال وبطون الاودية نيران وضياء بالليل والنهار ودخان معتكر ساطع في الهواء ومرتفع في الجو ، وعلته ان في جوف الجبال كهوفاً ومغارات وأهوية حارة ملتهبة تجري اليها مياه كبريتية أو نفطية دهنية فتكون مادة لهادائمة وهي مثل التي بجزيرة صقلية وبجبل مزمهر من خوزستان ، وفى بعض المواضع جبال تهب عليها رياح لينة دائماً ، وجبال تهب عليها رياح باردة في أوقات مختلفة ، وهي الجبال التي تكون عليها الثلوج عند ذوبانها وذلك انه يتحلل من تلك الرطوبات أجزاء لطيفة تصير بخاراً وترتفع في الهواء فيدفعها الى الجهات الخمس أو الى جهة دون جهة مثل مايهب من جبل الثلج الذي بدمشق والذي ببلادداور من جبال غور وجبل دوماند وماشا كلها من الجبال

فأما الجبال التى تهب منها رياح لينة فى دائم الاوقات ، فمثل التى ببلاد باميان ، وذلك ان هذا الجبل تخرج من اسفله عيون كثيرة وحوله مروج كثيرة وتجري الى تلك المروج أنهار وجداول من غيرأن ترى عليه ثلوج وأمطار بل تهب منها أبداً أرياح لينة فهذا دليل على ان فى جوف هذا الجبل مغارات وكهوف وأهوية باردة مفرطة البرد ، تجمد الهواء فيصيرماء، ثم ينصب الى أسفله وينزل من مسام ضيقة تجري منها تلك العيون والجداول الى تلك المروج والبراري والقرى وبها ينتفع الناس وسائر الحيوان من الوحوش والسباع والانعام والطير الذي هناك إذ كان هذا الجبل بعيداً من البحار ولعل الغيوم قل ماتصل الى هناك لطول المسافة واذا تأملت الذي ذكرناه تبينت عناية الباري جل جلاله بتقدير خلقه وحسن سياسته لهم وشفقته عليهم وكثرة ما أزاح من العلل في مرافقهم وجر المنافع اليهم من كل الوجوه الممكنة من الهيولى المتأتي فيها أفعاله

فصل

واعلم ان الاودية والانهار أكثرها تبتدىء من الجبال والتلال وتمر فى جريانها نحو البحار والآجام والغدران والبطائح والبحيرات فنها ماهو أنهار طوال جريانها من المشرق الى المغرب كنهر مأوند من سجستان فانه يبتدىء من جبال باميان وجبال غور ويمر نحو المغرب الي تربة كرمان ثم الى بحر هرمز . ومنها مايمر فى جريانه نحو المشرق كالارس والكرس وهمانهران ببلاداذربيجان ابتداؤهما من جبال الروم ويمران متوجهين نحوالمشرق الى بحر طبرستان فينصبان فيه . ومنها ماجريانه من الجنوب الى الشمال نحو نيل مصر فانه يبتدىء من جبال القمر من وراء خط الاستواء ويمر فى جريانه متوجهاً نحو الشمال الى أن ينصب فى بحر الروم . ومنها مايكون جريانه من الشمال الى الجنوب مثل دجلة فانها تبتدىء من جبال نصيبين وتمر فى جريانها الى الجنوب ثم تنصب الى بحر فارس بعبادان . ومنها مايكون جريانه متوجهاً فى احدى نكباوات مثل جيحون خراسان والفرات وذلك ان جيحون يبتدىء من جبال صنعانيان ويمر متنكباً للمغرب والشمال وينصب الى بحر جرجان بشمال بلاد خوارزم ، والفرات يبتدىء من جبال الروم ويمر متنكباً للمشرق والجنوب وينصب الى بحر فارس من عبادان . وعلى هذا المثال سائر الانهار فى الجريان

وأما علة مدود أكثر الانهار التى جريانها من الشمال الى الجنوب فى أيام الربيع فهى من أجل ان الثلوج اذا كثرت فى الشتاء على رؤوس الجبال الشمالية ثم حمي الجو بقرب الشمس من سمتها ، ذابت تلك الثلوج وسالت منها الاودية والانهار .

وأما علة مد نيل مصر في أيام الصيف فهو من أجل ان هذا النهر يجري من الجنوب الى الشمال ومبدأ جريانه من وراء خط الاستواء حيث يكون الشتاء عندنا يكون صيفاً هناك وفي الصيف عندنا يكون الشتاء هناك فتكون فى ذلك

الوقت كثرة الامطار هناك . ولهذه الأنهار عطفات وعرافيل يطول شرحها وشرح علتها وهي تسقي في جريانها السوادات والمزارع والمدن والقرى ومايفضل من مياهها ينصب الى البحار والآجام والبطائح والبحيرات ويمتزج بمياهها عذبة كانت أو مالحة . فاذا أشرقت عليها الشمس والكواكب سخنتها وحميت ولطفت وتحللت وصارت بخارا فارتفعت في الهواء وتموجت الى الجهات ويكون منها الرياح والغيوم والضباب والطل والندى والصقيع والانداء والثلوج والبرد على رؤوس الجبال والبراري والعمران والخراب

وأما الامطار التى تكون على رؤس الجبال فانها تغيض في شقوق تلك الجبال وخللها وتنصب الى مغارات وكهوف وأهوية هناك وتمتلىء وتكون كالمخزونة ويكون في أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تمر منها تلك المياه وتجرى وتجتمع وتصير أودية وأنهاراً وتذوب تلك الثلوج على رؤس تلك الجبال وتجري الى تلك الاودية وتمر في جريانها راجعة نحو البحار ثم تكون منها البخارات والرياح والغيوم والامطار كما كان في العام الاول و « ذلك تقدير العزيز العليم »

﴿ فصل ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر صورة الأرض ووصف البحار والبرارى والجبال واختلاف ترب البلاد ومياهها فنريد أن نذكر هاهنا طرفاً من أسرار المعادن فنقول أنه ليس من جبل من الجبال ولا بحر ولا تربة ولا جزيرة ولا نهر ولا بقعة ولا بلد من بقاع الأرض ولا صغيرة ولا كبيرة لاظاهرها ولا باطنها الا ولها خاصية ليست لأخرى أو عدة خواص،فمن خاصية بلد بلد أو بقعة بقعة أنه تكون هناك ضروب من الجواهر المعدنية أو عدة ضروب أو ينبت نوع من النبات أو يتولد جنس من الحيوان لايتكون في بلد آخر ولا ينبت في بقعة أخرى ولا يتولد الا هناك، مثال ذلك أنه لاتتولد الفيلة الا في جزائر البحار الجنوبية

تحت مدار برج الحمل وكذلك الزرافة لاتولد الا فى بلدان الحبشة والسمور والسنجاب وغزال المسك لايتولد الا في البراري الشرقية الشمالية ، وأما الصقور والبزاة والنسور وما شاكلها من أنواع الطيور فانها لاتفرخ الا في رؤوس الجبال الشاهقة ، والقطا والنعام لايفرخ الا في البراري والفلوات ، والبطوط والطيطوى وأمثالها لاتفرخ الا على الشطوط وسواحل البحار والبطايح والآجام ، والعصافير والفواخت والقماري وأمثالها من الطيور لاتفرخ الا بين الاشجار والدغال والقرى والبساتين ، وعلى هذا المثال حكم النبات فان النخل والموز لاينبتان الا في البلاد الحارة والاراضى اللينة ، والجوز واللوز والفستق والبندق وأمثالها لاتنبت الا فى البلاد الباردة والحلبة والدلب وأم غيلان في البراري والقفار ، والقصب والصفصاف على شطوط الأنهار ، وعلى هذا حكم سائر النبات ، وهكذا أيضاً حكم الجواهر المعدنية لكل نوع منها بقعة مخصوصة وتربة معروفة لاتتكون الا هناك كالذهب فانه لاتتكون الا فى البراري الرملية والجبال والاحجار الرخوة ، والفضة والنحاس والحديد وأمثالها لا يتكون الا في جوف الجبال والاحجار المختلطة بالتربة اللينة والكبريت لايتكون الا فى الاراضى الندية والترب اللينة والرطوبات الدهنية والقلقطار والاكلاح لاينعقد الا فى الارض السبخة والبقاع المشروجة ، والجص والاسفيذاج لايتكونان الا في الارض الرملية المختلطة ترابها بالحصى ، والزاجات والشبوب لاتتكون الا فى الترب العفصة القشفة . وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية

فصل

واعلم أن الجواهر المعدنية كثيرة الانواع لايحصى عددها الا الله تعالى ولكن منها مايعرفه الناس ومنها مالايعرفونه ، وقد ذكر بعض الحكماء ممن كانت له عناية بالنظر في هذا العلم والبحث عن هذه الاشياء وانه قد عرف وعد منها نحو تسعمائة نوع كلها مختلفة الطباع والشكل واللون والطعم والرائحة والثقل والخفة

والمضرة والنفع ونريد أن نذكر منها طرفاً ليكون دلالة على الباقية وقياساً عليها فنقول أن من الجواهر المعدنية ماهو حجري صلب لكن يذوب بالنار ويجمد اذا برد مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والاسرب والرصاص والزجاج وما شا كلها ومنها ماهي صلبة حجرية لاتذوب الا بالنار الشديدة ولا تنكسر الا بالماس كالياقوت والعقيق ، ومنها ترابي رخو لا يذوب ولكن ينفرك كالاملاح والزاجات والطلق . ومنها مائية رطبة تفر من النار كالزئبق ، ومنها هوائي دهني تأكله النار كالكباريت والزرانيخ ، ومنها نباتي كالمرجان الابيض والاحمر ، ومنها حيواني كالدر ، ومنها طل منعقد كالعنبر والبازهرات ، وذلك أن العنبر انما هو طل يقع على سطح ماء البحر فينعقد في مواضع مخصوصة في زمان معلوم ، وكذلك البازهرات أيضاً فانه طل يقع على بعض الاحجار ثم يرسخ فى خللها وينعقد هناك فى بقاع مخصوصة في زمان معلوم كما أن الزنجبيل انما هو طل يقع على نوع من الشوك بخراسان وهكذا الك انما هو طل يقع على نبت مخصوص في زمان معلوم وينعقد عليه وكذلك الدر فانه طل يرسخ فى أصداف نوع من الحيوان البحرى ثم يغلظ ويجمد وينعقد فيه وكذلك المومياً طل يرشح في خلل صخور ثم يغلظ هناك ثم يصير ماء ثم يبرز من مسام ضيقة ويجمد وينعقد ، والطل هو رطوبة هوائية تجمد من برد الليل وتقع على النبات والحجر والشجر والصخور ، وعلى هذا القياس حكم جميع الجواهر المعدنية فان مادتها انما هي رطوبات ومياه وأندية وبخارات تنعقد بطول الوقوف ومر الزمان فى البقاع المخصوصة لها ، فقد تبين بما ذكرنا أن الجواهر المعدنية مركبة كلها مع اختلاف أنواعها وطبائعها وألوانها وطعومها وروائحها وثقلها وخفتها وصلابتها ورخاوتها ولينها وخشونتها وخواصها ومنافعها ومضارها مركبة كلها ومؤلفة من اجزاء ترابية صلبة ثقيلة مظلمة مشفة . ومن اجزاء مائية رطبة سيالة صافية بين الثقل والخفة ، ومن أجزاء هوائية خفيفة لينة دهنية صافية نيرة ، ومن حرارة قوية أو ضعيفة منضجة أو مقصرة . ومن تأليف على نسبة فاضلة أو دون ذلك

من النسب التأليفية وهي اثنتى عشرة مرتبة مضروبة في اربع طبائع وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جملتها ثماني واربعين مرتبة . هذا هو الطول مضروبا في نفسه يكون الفين وثلثمائة واربعة هذا هو العرض مضروبا في جذره ١١١٠٧٢ هذا هو المكعب أحاد ونحتاج ان نشرح هذا الباب لانه أصل فى معرفة كيفية تكوين المعادن

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أن تلك الرطوبات المختنقة في باطن الارض والبخارات المحتبسة هناك اذا احتوت عليها حرارة المعدن تحلت ولطفت وخفت وتصاعدت علوا الى سقوف تلك الاهوية والمغارات ومكثت هناك زمانا .

واذا برد باطن الارض في الصيف جمدت وغلظت وتقاطرت راجعة الى اسفل تلك الاهوية والمغارات واختلطت بتربة تلك البقاع وطينها ومكثت هناك زمانا وحرارة المعدن دائماً في نضجها وطبخها وهي تصفو بطول وقوفها وتزداد ثقلا وغلظاً ، وتصير تلك الرطوبات بما يخالطها من الاجزاء الترابية وما يأخذ من ثقلها وغلظها وانضاج الحرارة وطبخها اياه زئبقاً رجراجا ، وتصير تلك الاجزاء الهوائية الدهنية وما يتعلق بها من الاجزاء الترابية بطبخ الحرارة لها بطول الزمان كبريتا محترقا .

فاذا اختلطت اجزاء الكبريت والزئبق مرة ثانية تمازجت واختلطت واتحدت والحرارة دائمة في نضجها وطبخها فتنعقد عند ذلك ضروب الجواهر المعدنية المختلفة وذلك انه اذا كان الزئبق صافياً والكبريت نقياً واختلطت اجزاؤهما وكانت مقاديرهما على النسبة الافضل واتحدت وامتصت الكبريتية رطوبة الزئبق ونشفت نداوته وكانت حرارة المعدن على الاعتدال فى طبخها ونضجها ولم يعرض لها عارض من البرد واليبس قبل انضاجها انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز ، وان عرض لها البرد قبل النضج انعقدت وصارت فضة بيضاء وان عرض

لها اليبس من فرط الحرارة وزيادة الاجزاء الارضية انعقدت فصارت نحاساً أحمر يابسا . وان عرض لها البرد قبل ان تتحد أجزاء الكبريت والزئبق قبل النضج انعقد منها رصاص قلعي وان عرض لها البرد قبل النضج وكانت الاجزاء الترابية أكثر صارت حديداً أسود وان كان الزئبق أكثر والكبريت أقل والحرارة ضعيفة انعقد منها الاسرب ، وان افرطت الحرارة فاحرقته صار كحلا وعلى هذا القياس تختلف الجواهر المعدنية باسباب عارضة خارجة عن الاعتدال وعن النسبة الافضل من زيادة الكبريت والزئبق ونقصانهما وافراط الحرارة أو نقصانها أو برد المعدن قبل نضجها أو خروجها عن الاعتدال ، فعلى هذا القياس حكم الجواهر المعدنية الترابية .

وأما الجواهر الحجرية مثل البلور والياقوت والزبرجد والعقيق وماشا كلها من التي لاتذوب بالنار فانها تنعقد من مياه الامطار والانداء التي ترشح في تلك المغارات والكهوف والاودية التي من الجبال الصلدة والاحجار الصلبة ولا يخالطها شيء من الاجزاء الترابية والطين بل بطول الزمان كلما نال وقوفها هناك ازدادت المياه بقاء وثقلا وغلظا وحرارة المعدن دائما في نضجها وطبخها حتى تنعقد وتصير حجارة صلبة صافية وتكون ألوانها وصفاؤها وزانتها بحسب أنوار تلك الكواكب المتولية لذلك الجنس من الجواهر ومطارح شعاعاتها علي تلك البقاع المختصة كما سنبين في رسالة النبات . وذلك ان لون الياقوت الاصفر والذهب الابريز ولون الزعفران وما شاكلها من النبات منسوبة الى نور الشمس وبريق شعاعاتها ، وكذلك بياض الفضة والملح والبلور والقطن والثلوج وماشا كلها من الوان النبات منسوب الى نور القمر وبريق شعاعه وعلى هذا القياس سائر الالوان كل نوع منسوبة الى كوكب من الكواكب السيارة والثابتة مذكور ذلك في كتب احكام النجوم كما قيل ان السواد لزحل والحمرة للمريخ والخضرة للمشترى والزرقة للزهرة والصفرة للشمس والبياض للقمر والمتلون الالوان لعطارد.

وأما حكم الجواهر الترابية فى كيفية تكوينها فهي ان تلك المياه اذا اختلطت بتربة البقاع وعملت فيها حرارة المعدن تحل أكثر تلك الرطوبات وتصير بخاراً وترتفع في الهواء كما ذكرنا قبل وما بقى منه يكون محبوسا ملازماً للاجزاء الارضية متحداً بها عملت فيها الحرارة ونضجتها وطبختها حتى تغلظ وتنعقد فان تكن تربة تلك البقاع مشورجة سبخة تكونت منها ضروب الاملاح والبوارق والشبوب، وان تكن تربة البقاع عفصة انعقدت منها ضروب الزاجات الخضر والصفر والقلقطار وهو جنس من الزاج وما شا كلها . وان تكن تربة البقاع حصاة وترابا ورمالا مختلطة انعقد منها الجص والاسفيذاج وما شا كلها وان تكن تربة البقاع تربة لينة وطيناً حراً انعقدت منها الكماة ونبتت منها ضروب العشب والحشائش والكلاء والاشجار والزروع

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي ان النار هي كالقاضى بين الجواهر المعدنية المتحكم فيها كلها والمفرق بينها وبين ما كان من غير جنسها فأشرفها هي التى لا تقدر النار على أن تفرق بين أجزائها مثل الذهب والياقوت ، وذلك لشدة اتحاد أجزائها بعضها ببعض فانه ليس بين خلل أجزائها رطوبة ، وأما احتراق بعض الجواهر المعدنية وأ كل النار لها وسرعة اشتعالها فيها كالكبريت والزرنيخ والقير والنفط وما شا كلها من المعدنيات فهي من الاجزاء الهوائية الدهنية المتعلقة بالاجزاء الترابية غير متحدة بها ، والاجزاء المائية قليلة معها وهي غير نضجة أيضاً ولا متحدة بها فاذا أصابتها حرارة النار ذابت بسرعة وتحللت وصارت دخاناً وبخاراً وفارقت الاجزاء الترابية وارتفعت فى الهواء واختلطت به وتفرقت بين أجزاء الهواء. وأما اذا قيل ما العلة فى أن الذهب يذوب ولا يحترق ، والياقوت لا يذوب ولا يحترق فنقول ان علة ذوبان الذهب هي من الرطوبة الدهنية المتحدة بالاجزاء الترابية فاذا أصابتها حرارة النار ذابت ولانت الاجزاء الارضية التى معها وأما لم يحترق فمن

أجل الاجزاء المائية المتحدة بالاجزاء الترابية والهوائية فانها تقابل النار وتدفع عن جسدها الترابي وهج النار ببردها ورطوبتها فاذا خرجت من النار جمدت تلك الاجزاء الهوائية الدهنية وغلظت الاجزاء المائيـة وانعقدت وصارت الاجزاء الارضية كما كانت وعلى هذا القياس سائر الاجسام الترابية . وأما الياقوت فلانه أجزاء مائية غلظت وصفت بطول الوقوف بين الصخور وانضجت بدوام طبخ حرارة المعدن لها واتحدت أجزاؤها ويبست فصارت لا تذوب بالنار لانه ليس فيها رطوبة دهنية . وأما علة صفائه فمن أجل انه ليس فيه أجزاء ترابية مظلمة بل كلها أجزاء مائية قد غلظت وصفت ونضجت وجمدت ويبست فلا تقدر النار على تفريق أجزائها لشدة اتحادها ويبسها. وأما سرعة ذوبان بعض الاجسام واحتراقها مثل الرصاص والاسرب فهو من أجل أن الاجزاء المائية والهوائيـة غير متحدة بالاجزاء الترابية وأما سوادها فمن أجل أنها غير نضجة وثقلها من أجل كثرة الاجزاء الارضية فيها والله أعلم

فصل

واعلم يا أخي ان لهذه الجواهر خواص كثيرة وطباعها مختلفة: فمنها متضادة متنافرة ، ومنها متشاكلة متألفة ، ولها تأثيرات بعضها في بعض أما جذبا أو امساكا أو دفعاً أو نفوراً ولها أيضاً شـعور خفي وحس لطيف كما للنبات والحيوان ، اما شوقاً ومحبة واما بغضا وعداوة لا يعلم كنه عللها الا الله تعالى ، والدليل على صحة ما قلنا وحقيـقة ما وصفنا قول الحكماء فى كتاب الاحجار ونعتهم لها أن طبيعة تألف طبيعة وطبيعة تناسب طبيعة أخرى ، وطبيعة تلصق بطبيعة ، وطبيعة تأنس بطبيعة وطبيعة تنهر طبيعة ، وطبيعة تقوى على طبيعة وطبيعة تضعف عن طبيعة وطبيعة تلهب طبيعة وطبيعة تحب طبيعة وطبيعة تطيب مع طبيعة وطبيعة تفسد مع طبيعة وطبيعة تبيض طبيعة وطبيعة تحمر طبيعة وطبيعة تهرب من طبيعة وطبيعة تبغض طبيعة وطبيعة تمازج طبيعة

فأما الطبيعة التى تألف طبيعة أخرى فمثل الالماس والذهب فانه اذا قرب من الذهب التصق به وأمسكه ويقال ان الالماس لايوجد الا في معدن الذهب وفي واد من ناحية المشرق ومثل طبيعة حجر المغناطيس فى جذب الحديد فان هذين الحجرين يابسين صلبين بين طبيعتهما الفة واشتياق فانه اذا قرب الحديد من هذا الحجر حتى يشم رائحته ذهب اليه والتصق به وجذبه الحجر الى نفسه ومسكه كما يفعل العاشق بالمعشوق، وهكذا يفعل الحجر الجاذب للحم والحجر الجاذب للشعر والحجر الجاذب للظفر والحجر الجاذب للتبن . وعلى هذا القياس مامن حجر من الاحجار المعدنية الا وبين طبيعته وبين طبيعة شيء آخر الفة واشتياق عرف الناس ذلك أم لم يعرفوه

واعلم أن مثل مقابلة افعال هذه الاحجار بعضها في بعض يكون مثل تأثيرات الدواء في العضو العليل وذلك ان من خاصية كل عضو عليل اشتياقا الى طبيعة الدواء المضاد لطبيعة العلة التى به فاذا حصل الدواء بالقرب من العضو العليل أحس به وجذبته القوة الجاذبة الى ذلك العضو وأمسكته الماسكة واستعان بالقوة المدبرة بطبيعة الدواء على دفع طبيعة العلة المؤلمة وقويت عليها وغلبتها ودفعتها عن العضو العليل كما يستعين ويدفع المحارب والمخاصم بقوة من يعينه على خصمه وعدوه في دفعه عن نفسه ، وهذه من اتقان حكمة الله جل جلاله ، وعجيب صنعه ولطيف تدبيره بخلقه من الحيوان وحسن سياسته له إذ جعل لكل داء وعارض دواء شافياً ثم الهمه اياه كما ذكر الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لما قال له فرعون ولأخيه هرون من ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى يعني خلقه وصوره وعرفه منافعه ومضاره وقواه وأعانه وحفظه ورعاه ودبره وساسه كما شاء وكيف شاء فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأما الطبيعية التى تقهر طبيعة أخرى فمثل طبيعة السنباذج التى تأكل الاحجار عند الحك أكلا وتلينها وتجعلها ملساً ، ومثل طبيعة الاسرب الوسخ الذي يفتت الماس القاهر لسائر الاحجار الصلبة وذلك ان الماس لايقهره

شيء من الاحجار وهو قاهر لها كلها ، لو انه ترك على السندان وطرق بالمطرقة لدخل في احدهما ولم ينكسر ، وان جعل بين صفحتين من اسرب وضغط عليها تفتت

ومثل طبيعة الزئبق، التيار الرطب القليل الصبر على حرارة النار اذا طليت به الاحجار المعدنية الصلبة مثل الذهب والنحاس والفضة أوهنها وأرخاها حتى يمكن أن يكسر باسهل سعي ويفتت قطعاً قطعاً ومثل الكبريت المنتن الرائحة المسود للاحجار النيرة البراقة المذهب لالونها وأصباغها يمكن النار منها حتى تحترق في أسرع مدة ، والعلة في ذلك ان في الكبريت رطوبة دهنيـة لزجة جامدة فاذا أصابته حرارة النار ذاب والتصق بأجساد الاحجار ومازجها ، فاذا تمكنت النار فيه احترق وأحرق معه تلك الاجساد ياقوتاً كانت أم ذهباً أم غيرها

وأما الطبيعة التي تزين طبيعة أخرى وتنورها فثل النوشادر الذي يغوص في قعر الاحجار ويغسلها من الوسخ .

وأما الطبيعة التي تعين طبيعة أخرى فثل البوارق الذي يعين النار على سرعة سبك هذه الاحجار المعدنية ، الترابية ، ومثل الزاجات والشبوب التي تجلوها وتنورها وتصبغها ومثل المنيسا والقلى المعينان على سبك الرمل وتصفيته حتى يكون زجاجا شفافا وعلى هذا القياس والمثال حكم سائر الاحجار المعـدنية في تأثيرات بعضها في بعض فاما تأثيراتها في أجسام الحيوان فقد ذكر ذلك في كتب الادوية والطب والعقاقير

﴿ فصل ﴾

واعلم أن لهذه الجواهر المعدنية خواص غريبة وخلقها وتكوينها عجيب جداً فاذا فكر العاقل في لطيف صنع الباري جل جلاله واتقان حكمته فيها يبقى متعجباً باهتاً ويزداد بربه معرفة ويقيناً وخاصة اذا فكر في خلقة الدرة وتكوينها وذلك ان هذه الجوهرة انما هي ماء ورطوبة هوائية عذبة ودهنية جامدة منعقدة بين صدفين كأنهما خزفتان منطبقتان ظاهرهما خشن وسخ وباطنهما أملس نقي

أبيض، في جوفها حيوان كأنه قطعة لحم خلقته خلقة الرحم مسكنه فى قعر البحر المالح وهو قد ضم ذينك الصدفين على نفسه من جانبيه كما يضم الطائر جناحيه عند السكون عن الطيران مخافة أن يدخل فيه ماء البحر المالح حتى اذا أحس بسكون البحر عن الاضطراب فى أمواجه ارتقى من قعره الى أعلى سطحه بالليل في وقت من الزمان معلوم مخصوص عنده وفتح تلك الصدفتين كما تفتح فراخ الطير أفواهها عند زق الطائر لها ، وكما يفتح فم الرحم عند الجماع فيرشح في جوفه من ندى الهواء ورطوبة الجو وتجتمع فيه قطرات من الماء العذب من ذلك والصقيع الذي يقع بالليل على النبت والحشيش فاذا اكتفى ضم تينك الصدفتين على نفسه ضما شديداً مخافة أن يرشح فيه ماء البحر المالح فتفسد تلك الرطوبة العذبة بما يخالطها من ملوحته وينزل برفق الى قرار البحر فيسكن هناك زماناً فاذا طال الزمان على تلك الرطوبة العذبة غلظت وثقلت وصارت فى قوام الزئبق وتدحرجت في جوفه بحركته فيصير حبات مستديرات كما يصير الزئبق اذا تبدد وتدحرج ثم على ممر الزمان تجمد وتنعقد وتصير دراً صغاراً وكباراً ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي اذا تأملت المحسوسات وتصفحت الموجودات وبحثت عن الكائنات التى دون فلك القمر وجدت أصغرها جسداً وأضعفها خلقة أشرفها جوهراً وأجلها قدراً وأعمها نفعا

وانظر الى هذه الثلاثة التى هي الدرة والديباج والعسل وتأملها تجدها عند الناس أجل الأشياء قدراً وأنعمها لبسا وأطيبها ذوقا أعنى هذه الثلاثة فاذا تأملت ما ذكر من خلقة هذا الحيوان تبينت أنه أحقر حيوانات البحر وأضعفها وكما ترى النحل أضعف الطيور بنية وأصغرها جثة وهكذا دود القز تراه أصغر الحيوان جثة

فصل

واعلم ان الله جل ثناؤه خلق هذه الاشياء المعدنية منافع للحيوان وخاصة للناس وجعلهم محتاجين اليها متصرفين فيها متنعمين بها الى حين لكيما يتفكر العقلاء في كونها وخلقها وصنعها فتكون قياسالهم فيعلمون ان العالم أيضاً محدث مصنوع كائن بعد ان لم يكن وان كان كبير الجثة عظيم الخلقة طويل العمر كبير القباء لا يدري العلماء الحكماء على التحقيق انه متى كان ولا متى يفسد ويعلمون أنه له خالقا خلقه وأوجده وصوره وركب أفلاكه وأدارها وأجرى كواكبه وسيرها ومد شعاعها نحو المركز ومزج الاركان وزوج الطبائع وأولد منها الكائنات الفاسدات التى هي الحيوان والنبات والمعادن وسخرها للانسان وملكه عليها يتصرف فيها كيف يشاء ويحكم عليها بما يريد بالانتفاع منها أو دفع المضار بها وانما احتاج العلماء والعقلاء الى الاستدلال بالشاهد على الغائب وقياس الجزء على الكل على أن العالم محدث عند حيرة عقولهم فاذا فكروا في حدثه وكونه بعد ان لم يكن وبحثوا عن تلك العلة الداعية للصانع الى الفعل ان لم يكن فعل وهي العلة التى تسمى العلة التمامية التى من أجلها يفعل الفاعل فعله

ولما فكر كثير من العقلاء في هذه العلة وبحثوا عنها لم يعرفوها . وهكذا أيضاً لما فكروا في أمر الفاعل متى فعل ، وفي أي زمان عمل ، وفي أى مكان لم يعرفوها ولم يتصوروا ذلك ، وأيضاً لما فكروا وطلبوا أنه من أى شيء عمله وكيف صوره وأين كانت رجل البركار لما شكل اكر الافلاك ودور الكواكب وما شاكل هذه المباحث والتفكر في أشياء ليس في طاقة الانسان معرفتها ولا فى قوة نفسه تصورها فعند ذلك دعاهم جهلهم وحيرتهم وشكوكهم الى القول بقدم العالم وأزليته بغير علم ولا بيان الا أوهام كاذبة وتخييلات باطلة وتمويهات مموهة وقد علم الله تعالى قبل أن خلقهم أنه تعرض لهم هذه الشكوك والحيرة

فأزاح عللهم بأن اراهم أشياء لا يشكون فيها ولا في كونها ولا في حقيقتها لتكون مثالا لهم وقياساً على ما لا يشهدونه ويتصورونه فى حدوث العالم وصفته وهي هذه الكائنات الفاسدات من النبات والمعادن والحيوان وجعل أيضاً مركوزاً في جبلة العقول أن الصنعة المتقنة لا تكون الا من صانع قدير وجعل أيضاً أثر الصنعة باقياً في المصنوع يشاهدونها ليلهم ونهارهم من دوران هذه الافلاك حول المركز وسير الكواكب فيها وتعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف على الاركان الاربعة والتغييرات والاستحالة وتكوين الكائنات الفاسدات، كل هذه دلالة للعقول وشواهد للنفوس على حدوث العالم وتكوينه بعد ان لم يكن اذ لم يوجد في جميع هذه الكائنات الجزئية شيء خال من علة فاعلية وعلة هيولانية وعلة صورية وعلة تمامية ونحن قد بينا فى رسالة المبادىء العقلية ما هذه العلل في حدوث العالم وكونه فاعرفها من هناك

واذ قد ذكرنا طرفاً من كيفية تكوين المعادن فنذكر الآن طرفاً من أنواع جوهرها وخواص أنواعها وما ذكره الحكماء فنبدأ بذكر أشرفها الذى هو الذهب والياقوت ثم سائر ما يتلوهما نوعاً فنوعاً، فأما الذهب فهو جوهر معتدل الطبائع صحيح المزاج نفسه متحدة بروحه وروحه متحدة بجسده ونعني بالنفس الاجزاء الهوائية وبالروح الاجزاء المائية وبالجسد الاجزاء الترابية . ولكن لشدة اتحاد أجزائه وممازجتها لا يحترق بالنار لان النار لا تقدر على تفريق أجزائه وهو لا يبلى في التراب ولا يصدى على طول الزمان ولا تغيره الآفات العارضة وهو جسم لين المغمز أصفر اللون حلو الطعم طيب الرائحة ثقيل رزين صفرة لونه ناريته وصفاؤه وبريقه من هوائيته ولينه من دهنيته ورطوبته وثقله ورزانته من ترابيته . لان كبريته كان نقيا وزيبقه كان صافيا ومزاجه كان معتدلا وحرارة المعدن طبخته على طول الزمان برفق واعتدال ، فاذا أصابته حرارة النار ذابت رطوبته ودارت حول جسده ورطوبته تقابل حرارة النار وتدفع عن جسده احراقها واذا خرجت من النار جمدت تلك الرطوبة واذا طرق امتد تحت المطارق حاراً

أو بارداً واتسع في الجهات ورق وامتد ويفتل منه كالخيوط ويقبل جميع الاشكال من الاواني والحلي وهو يخالط الفضة والنحاس في السبك وينفصل عنهما اذا طرح عليه المرقيشا الذهبي لانه جنس من الكبريت يحرق غيره ولا يحترق واذا سحق منه وادخل في أدوية العين نفع واذا كوي به موضع لم ينفط وكان أسرع الى البريء وينفع من المرة السوداء وداء الحية وداء الثعلب وأمراض القلب وهي قسمة الشمس من بين الكواكب فمن أجل هذه الخصال والفضائل تجمعه الملوك وتدخره في الخزائن ومن أجل ذلك يقل وجوده في أيدي الناس ويعز وتكثر أثمانه لا لقلة وجوده ولكن كل من ظفر بشيء كثير منه دفنه في الارض أو صانه وخباه فلا يرى منه ظاهر الا القليل

وأما اليواقيت فأحجار صلبة حارة يابسة شديدة اليبس رزينة صافية شفافة مختلفة الالوان بين أحمر واصفر وأخضر وأزرق وأصلها كلها ماء عذب وقف في معادنها بين الاحجار الصلدة والصخور والصفوان زماناً طويلا فلطف وصفا وثقل وانضجته حرارة المعدن لطول وقوفه فاتحدت أجزاؤه وصارت صلبة لاتذوب في النار البتة لقلة دهنيته ولا تفرغ لغلظ رطوبته بل يزداد حسن لونه، وخاصة الاحمر منه لا تعمل فيه المبارد لشدة صلابته ويبسه الا الماس والسباذج بالحك في الماء ومعدنه في البلاد الجنوبية تحت خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز كثير الثمن لقلة وجوده

ومن منافعه أن من تختم بشيء منه وكان في بلدة قد أصاب أهلها الوباء والطاعون سلم منها باذن الله تعالى ونبل في أعين الناس وسهل عليه قضاء حوائجه وأمور معائشه .

وأما الزمرد والزبرجد فهما حجران يابسان باردان جنسهما واحد موجودان في معادن الذهب وخيرهما وأجودهما أشدها خضرة وصفاء وشفافا ومن أكثر النظر الى الزبرجد ذهب عن بصره الكلال ومن تقلد منه او تختم به سلم من الصرع، والدهنج عدو للزبرجد ويشبهه في النظر واذا وضع معه في موضع

واحد كسره وكدر لونه وذهب بنضارته

وأما الدر فقد تقدم ذكره وهيئة تكوينه . وأما خاصيته فانه ينفع في خفقان القلب من الخوف والجزع الذي يكون من مرة السوداء لأنه يطرى دم القلب ويدخل في أدوية العين ويشد أعصاب العين وان حك وطلى به بياض البرص اذهبه وان سقى ذلك الماء من كان به صرع أسكنه

وأما الفضة فانها أقرب الجواهر الذائبة الى الذهب وهي باردة لينة معتدلة حتى تكاد تكون ذهباً لولا انه غلب عليها البرد في معدنها قبل النضج وهي في قسمة القمر فاذا طرح عليها المس أو الرصاص عند السبك امتزجت بهما واذا خلصت منهما تخلصت ويسودها الكبريت ويكسرها الزئبق ويحسن لونها البورق ويعين على سبكها ويدفع عنها احراق النار واذا سحقت وادخلت في الادوية المشروبة نفعت من الرطوبات اللزجة وهي تحترق بالنار اذا الحت عليها وتبلى في التراب بطول الزمان

وأما النحاس فهو جرم حار يابس مفرط فيه وهو قريب من الفضة ليس بينهما تباين الا في الحمرة واليبس وذلك أن الفضة بيضاء لينة والنحاس أحمر يابس كثير الوسخ لحمرته من شدة حرارة كبريته ويبسه ووسخه لغلظه فمن قدر على تبييضه وتليينه أو تصفير الفضة وتليينها فقد ظفر بحاجته والنحاس اذا أدنى من الحموضات أخرج زنجارا والزنجار سم وان طلى النحاس بالزئبق أرخاه وكسره وان سبك النحاس وطرح عليه زجاج شامي وطرح بحرارته في الماء خرج لونه مثل لون الذهب واذا أدنى من النار اسود لأن النار هي كالقاضي بين الجواهر المعدنية يفصل بينها بالحق ، ومن أدمن الاكل والشرب في أواني النحاس أفسد مزاجه وعرضت له أعراض كثيرة شديدة فاذا أدنيت أواني النحاس من السمك شم لها رائحة منتنة وان كبت آنية النحاس على سمك مشوي أو مطبوخ بحرارتها صار سما قاتلا

وأما الطاليقوني فهو جنس من النحاس طرحت عليه أدوية حتى صار صلباً فان اتخذ منه سكين أو سلاح وجرح به حيوان أضر به مضرة مفرطة وان اتخذ منه شص لصيد السمك وتعلق به لم يمكنه الخلاص وان صغر الشص وعظم الحوت، ومن أصابه وجع اللقوة فدخل بيتا لا يرى فيه الضوء ونظر الى مرآة طاليقون برأ من اللقوة باذن الله تعالى وان احمى الطاليقون وغمس في الماء لم يقرب ذلك الماء ذباب وان عمل منه منقاش ونتف به الشعر من الجسد ودهن الموضع لم ينبت الشعر بعد ذلك وان شرب الشراب من اناء طاليقوني لم يسكر

وأما القلعي فهو قريب من الفضة في لونه ولكن يباينها بثلاث صفات الرائحة والرخاوة والصرير وهذه الآفات دخلت عليه وهو في معدنه كما تدخل الآفات على الجنين وهو في بطن أمه فرخاوته لكثرة هوائيته وصريره لغلظ كبريته وقلة مزاجه بزئبقه وهو ساف فوق ساف فلذلك يصر وتدنّ را تحته لقلة نضجه وان مزج بقضيب الريحانة المسمى آس والمرقيشا والملح والزرانخ على ما ينبغي برىء من هذه الآفات . واذا حرق القلعي وجعل في المراهم برىء الجرح والقروح التي تكون في عيون الناس

وأما الاسرب فهو جنس من الرصاص ولكنه كثير الكبريت غير نضج ومنافعه معروفة بين الناس

وأما الحديد فهو أجناس ، فمنه لين رخو ومنه ما اذا أسقى الماء ازداد صلابة وحدة ولا يستغنى عنه الصانع ، ومنافعه بينة ظاهرة لا يستغنى الناس عنه كما لا يستغنى عن الماء والنار والملح ، ومنه ما اذا طرحت عليه أدوية ازداد قوة وصلابة ، ومن الجواهر المعمولة أيضا الشبه ، وهو نحاس طرحت عليه أدوية فازداد صفرة ولينا

وأما الاسفندري فهو نحاس مزج بالقلعي . والمفرغ نحاس واسرب ، والمرداسج من الاسرب اذا احرق الزنجار مع النحاس، والاسفيذاج من الاسرب

والحموضة، والاسريخ منه ومن الكبريت والزنجفر من الزئبق والكبريت والمرتك من الاسرب. وأما منافعها أعنى هذه الاحجار ومضارها فهي معروفة بين الناس وقد ذكرت فى كتب الطب بشرحها ومن الجواهر المعدنية الزئبق والكبريت

فأما الكبريت فهو حجر دهنى لزج يلصق بالاحجار المعدنية عند ذوبانها ويحترق بالنار ويحرق الاحجار معه لانه دهن كله

وأما الزئبق فهو جسم رطب سيال يطير اذا أصابته حرارة النار لا صبر له على حر النار وهو يخالط الاجسام المعدنية بالتدبير ويرخيها ويكسرها ويوهنها، فاذا أصابت تلك الاجسام حرارة النار طار الزئبق ورجع الى حالته الاولى صلباً كما كانت ومثله مع هذه الاحجار كمثل الماء مع الطين اليابس اذا غلبه الماء استرخى وتفتت فاذا أصابته حرارة النار أو حرارة الشمس جف وعاد كما كان أولا

واعلم أن الكبريت والزئبق أصلان للجواهر المعدنية الذائبة كما أن التراب والماء أصلان للأجسام الصناعية كاللبن والاجر والكيزان والغضاير والقدور وكما يعمل من الطين وقد تقدم ذكر كيفية تكوين الجواهر المعدنية الذائبة وعلل اختلاف طبائعها وصفاتها فى فصل قبل هذا، ومن الجواهر المعدنية أيضاً أنواع الأملاح والشبوب والبوارق والزاجات فمنها عذب كملح الطعام والملح الاندرانى ومنها مر كملح الصاغة ومنها حاد كالنوشادر ومنها قابض كالشبوب والزاجات ومنها دواء كالنفطي والهندى ومنها بوارق الخبز ومنها شوارج تصلح للدباغة ومنها ملح القلى والنورة والرماد والبول يستعمله أصحاب الكيميا وكل هذه رطوبات ومياه تختلط بتراب بقاع الارض تحرقها حرارة الشمس أو النار أو حرارة المعدن فتنعقد وتصير أملاحاً وشبوباً وبوارق وفنون الزاجات، ومن الجواهر المعدنية أنواع الزرانيخ والمرقشيشا والمغنيسا والشادنج والكحل والتوتيا، ومنها الزجاج والبلور والمينا والطلق والشنج والعقيق والفيروزج

والسنبادج والجزع واللازود والعنبر والدهنج ومنها القير والنفط والجص والاسفيذاج وما شا كلها

واعلم ياأخي أن لكل نوع من الجواهر خواص ومنافع ومضار تركنا ذكرها مخافة التطويل إذ قد ذكرها الحكماء في كتبهم وهي موجودة في أيدي الناس ولكن نذكر من خواص بعضها طرفاً ليكون دليلا على الباقي الذي لم نذكره منها ، فأما الدهنج فهو حجر يتكون من معدن النحاس وطبيعته باردة لينة لأنه دخان مرتفع من الكبريت المتولد من معدن النحاس وهو أخضر مثل الزنجار فاذا صار في موضع من جبال المعدن تكاثف وتلبدت أجزاؤه بعضها على بعض وتجسد وتحجر فهو مختلف الألوان أخضر كدر حسن اللون وفيه خاصية سم من سقى من سحالته تقطع (١) أمعاه وأمرضه وألهب معدته وان شرب وهو صحيح أضر وهو يصفو مع الهواء ويتكدر معه ويذهب تكسير الذهب وتشقيقه عند الطرق ومع التناكر يكون أقوى فعلا وان ذوب ذلك وجعل مع الذباب على لسع الذنابير سكنها وان سحق وأذيب بالخل وطلي على القوباء أذهبها وينفع في السعفة التي في الرأس ، ومن الجواهر المعدنية البازهر (٢) وهو جوهر لين أملس مختلف الألوان وأصله كان رطوبة هوائية دهنية جمدت في معدنه بطول الزمان، وهو حجر شريف تظهر منه أفعال كريمة وذلك أنه ينفع من السموم القاتلة حارة كانت أو باردة، حيوانية كانت أو نباتية أو معدنية تلك السموم ، ونحتاج أن نزيد في شرح هذا الباب إذ كانت عقول الناس قد تحيرت في كيفية أفعال السمومات والترياقات والبازهرات (٣) في الاجسام الطبيعية لأنها اجسام

---

(١) وفي نسخة تقطعت امعاؤه

(٢) وفي نسخة الفاذزهر قال صاحب الشفاء في الطب باززهر الموجود في أيدي الناس نوعان معدني ينفع من لدغ العقرب فقط مقتصر الحيوان والحيواني يكون في قلب الايل كما ذكره البيطار ، وقيل في عينه ، نافع للسموم جميعاً وليس في الاحجار مايقوم مقامه واقتصار صاحب اخوان الصفا على نفع دفع السم بالمعدني يخالف تجربة رجال الطب قاطبة اه

(٣) الفاذزهرات (نسخة)

جامدات وقد قام البرهان على أن الجسم لافعل له من حيث هو جسم ولا العرض له فعل أيضاً لأنه أعجز من الجسم بكثير فيجب أن نذكر أولا كيفية الأفعال التي تظهر من هذه الأجسام بعضها من بعض ثم نبين من الفاعل بالحقيقة لها وفيها ومنها وبها . أما السموم فنوعان حارة وباردة فالباردة منها تجمد الدم والرطوبات الروحانية اللطيفة التي في أعضاء الحيوان التي بها صحة المزاج وقوام الحياة . والحارة منها تذوب الدم وتلك الرطوبات وتطييرها فتفنى ويذوب بدن الحيوان مع ذوبانها فيهلك. فأما دبيب السموم الحارة في أبدان الحيوانات فمثل دبيب لون الزعفران اذا وقع في الماء صبغه في لحظة ، وأما الباردة منها فهي مثل فعل الانفحة اذا وقعت في اللبن الحليب جمدته في أقرب مدة، وأما دبيب البازهرات والترياقات المضادة أفعالها لافعال تلك السموم فهو مثل فعل الحموضات اذا وقعت على صبغ الزعفران غسلته من ساعتها ومنعته أن يذوب اذا بودر بها .وأما ما الفاعل المحرك لهذه الاجسام فهو قوة روحانية من قوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الاجسام من لدن فلك القمر الى منتهى مركز الارض وهي المسماة الطبيعة، فهذه الاجسام الجزئيات من الحيوان والنبات والمعادن هي للطبيعة كالآلات والادوات للصانع الفاعل يفعل بها وفيها ومنها أفعالا مختلفة وأعمالا مقننة بعضها ببعض كالنجار الذي يفعل النشر بالمنشار ويعمل النحت بالفأس والثقب بالمثقب والكشاء بالارتدج ويبرد بالمبرد ، والفاعل واحد والافعال مختلفة بحسب الآلات والأدوات والاغراض المقصودة وهذه القوة الفاعلة المتقدم ذكرها هي التي يسميها الاطباء والفلاسفة الطبيعة ويسميها الناموس ملائكة والطبيب هو خادم الطبيعة يناولها ماتحتاج اليه في وقت الحاجة كما يناول التلميذ الاستاذ أدواته وقت حاجته ويخدمه بها

فصل

واعلم يا أخي ان هذه النفوس الجزئية المتجسدة الخادمة للنفس الكلية اذا أحسنت في خدمتها للنفس الكلية وطلبت الاجر والجزاء من الله فلها منزلة جليلة

عند الله وكرامة ومكافأة بعد مفارقتها هيا كلها سواء كانت خدمتها في اصلاح أمر الدين أو الدنيا فانه لايذهب لها عند الله شيء اذا كانت محتسبة لوجه الله تعالى وطالبة لما عنده من الوجه المقصود منه اليه فلايفوتها نصيبها من الدنيا كما ذكر برزويه الطبيب في كتاب كليلة ودمنة ان الزراع لم يزرع طلباً للعشب بل للحب ولابد للعشب أن ينبت ان شاء الزراع أو لم يشأ كذلك طالب الاجر والجزاء من الله تعالى لايفوته نصيبه من الدنيا وماقسم له ماأراده أو لم يرد كره أو رضى زهد أو رغب طاب أو لم يطلب وتصديق هذا الرأي قول الله تعالى: « ماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين »

واعلم يا أخي ان عبادة الله ليست كلها صلاةوصوماً بل عمارة الدين والدنيا جميعاً لانه يريد أن يكونا عامرين فمن يسعى في صلاح أحدهما او كلاهما فأجره على الله لانه مالكهما جميعاً والناس كلهم عبيده وأحب عباده اليه من سعى في صلاح عباده وعمارة عالميه جميعاً، وأبغض عباده من سعى في فسادهما جميعاً أو في فساد أحدهما كما ذكر الله جل جلاله « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أوينفوامن الارض » الآية وقال تعالى « وأن ليس للانسان إلاماسعى »

ومن الجواهر المعدنية الماس وطبيعته البرودة واليبوسة في الدرجة الرابعة وقل ماتجتمع هاتان الطبيعتان في شيء من الاحجار المعدنية فبهذه الخاصية صار لايحتك بجسم من الاحجار المعدنية إلا أثر فيه أو كسره أو هشمه إلا جنساً من الاسرب فانه يؤثر فيه ويكسره ويفتته مع رخاوته ولينه ونتن رائحته

واعلم ان مثل تأثير هذا الحجر الضعيف المهين في هذا الجوهر الشريف القوي كمثل تأثير البقة الضعيفة الصغيرة المهينة في الفيل العظيم الجثة الشديد القوة الذي يقهر الحيوانات بعظيم جثته وشدة قوته وهذايغلبه ويؤذيه ويضربه بصغر جثته وخفة حركتهفان في ذلك عبرة لأولي الابصار ودلالة لأولي الالباب

على ان المسلط للصغير على الكبير هو خالقهما ومصورهما سبحانه .

وأما السباذج فهو قريب من هاتين الطبيعتين من الماس ولكن تأثيره دون تأثيره .

وأما حجر المغناطيس فهو أيضاً عبرة لأولي الابصار والتفكر في الامور الطبيعية وخواص أفعال بعضها في بعض، وذلك ان بين هذا الحجر والحديد مناسبة ومشاكلة في الطبيعة كالمناسبة والمشاكلة التى بين العاشق والمعشوق ، وذلك ان الحديد مع شدة يبسه وصلابة جسمه وقهره للاجسام المعدنية والنباتية والحيوانية يتحرك نحو هذا الحجر ويلتصق به ويلتزمه كالتزام العاشق المحب المعشوق المحبوب المشتاق . فاذا فكر العاقل اللبيب في فعل هذين الحجرين وغيرهما من الاحجار المعدنية والاجسام النباتية علم وتبين له بأن الفاعل المحرك لهما هو غيرهما ، لان الجسم لافعل له من حيث هو جسم ببراهين قد قامت ودلائل قد وضحت ، وان هذه الاجسام كلها مع اختلافها واختلاف طبائعها وفنون أشكالها وخواص طبائعها هي كالادوات والآلات للفاعل الصانع المحرك ، وهو النفس الكلية الفلكية التى هذه التأثيرات كلها من أفعالها وهي المسماة طبيعة تظهر وتعمل باذن باريها جل ثناؤه . وقد تبين بدلائل عقلية ان الباري جل ثناؤه لايباشر الاجسام بذاته ولايتولى من الافعال بنفسه الا الاختراع والابداع حسب : وأما التأليف والتركيب والصنائع والافعال والحركات التى تكون بالآلات والادوات في الاماكن والازمان انما بأمر ملائكته الموكلين وعباده المؤيدين بأن يفعلوا مايؤمرون مثل أمر الملوك والرؤساء لعبيدهم وخدمهم وجنودهم

فصل

وقد تبين مما ذكرنا ان الجواهر المعدنية مع كثرة أنواعها واختلاف طبائعها وفنون خواصها أصلها كلها وهيولاها هي الاركان الاربعة التى تسمى الامهات وهي النار والهواء والماء والارض وتبين أيضاً ان الفاعل فيها والمؤلف لاجزائها

والمركب لها هي الطبيعة باذن الله تعالى وتبين بأن الغرض من هذه الجواهر المعدنية هو منافع الناس والحيوان واصلاح أمر الحياة الدنيا ومعيشة الحيوان الى وقت معلوم

واعلم يا أخي بأن الجواهر المعدنية مع اختلاف طبائعها وأنواع أشكالها وفنون جواهرها وخواصها كالادوات للطبيعة الفاعلة والآلات لها تفعل بها وفيها ومنها في الاماكن المتباينة والازمان المختلفة هذه الافعال والصنائع والاعمال من التركيب والتأليف والجمع والتفريق لاجزاء هذه الاركان الاربعة من الكون والفساد والنشؤ والبلى حسب دوران الافلاك وحركات الكواكب وطوالع البروج على آفاق البلد من البر والبحر والسهل والجبل والعمران والخراب كل ذلك باذن الله تعالى الذي خلقها ووكلها بالاركان وأيدها بالقوة الالهية على هذه الافعال والصنائع من تكوين المعادن والنبات والحيوان

واعلم أن الطبيعة انما هي ملك من ملائكة الله المؤيدين وعباده الطائعين يفعلون ما يؤمرون، لا يعصون الله ما أمرهم وهم من خشيته مشفقون

واعلم أن الله تعالى غير محتاج في أفعاله الى الادوات والآلات والأماكن والازمان والهيولى والحركات بل فعله الخاص به هو الابداع والاختراع اذ الاختراع هو الاخراج من العدم الى الوجود بحسب ما بينا فى رسالة المباديء العقلية والافعال الروحانية

واعلم أن طائفة من المجادلة أنكرت أفعال الطبيعة لما جهلت ماهية الطبيعة نفسها ولم تدر أنها ملك من ملائكة الله تعالى الموكلين بتدبير عالمه واصلاح خلائقه فنسبت كل أفعال الطبيعة الى الباري جل ثناؤه حسنة كانت أو سيئة خيراً كانت أو شراً وفيهم من نسب ماكان حسنا الى الباريء وما كان قبيحا نسبه الى غيره ثم اختلفوا في الغير من هو فنهم من نسب تلك الافعال الى الطبيعة والى التولد ومنهم من نسبها الى النجوم ومنهم من نسبها الى البخت والاتفاق ومنهم من نسبها الى جريان العادة ومنهم من نسبها الى الشياطين ولا يدري ما الشياطين وكل

هذه الاقاويل قالوها لجهلهم ماهية الطبيعة وقلة معرفتهم بافعالها وافعال ملائكة الله الموكلين بحفظ عالمه وادارة أفلاكه وتسيير كواكبه وتوليد حيواناته وتربية نبات أرضه وتكوين معادنها

واعلم يا أخي أن الباري جل ثناؤه لا يباشر الاجسام بنفسه ولا يتولى الافعال بذاته بل يأمر ملائكته الموكلين وعباده المؤيدين فيفعلون ما يؤمرون كما يأمر الملوك الذين هم خلفاء الله في أرضه عبيدهم وخدمهم ورعيتهم لا يتولون الافعال بانفسهم شرفاً واجلالا كذلك يأمر سبحانه أو يريد أو يشاء أو يقول كن فيكون ما أراد بأمره وارادته ومشيئته واختراعه وابداعه وانشائه وايجاده واحداثه الهيولى الاولى والخلق الاول كما ذكر بقوله تعالى « انما قولنا لشيء اذا أردنا أن نقول له كن فيكون » وقوله تعالى « وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » وقوله تعالى « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة »

واعلم يا أخي أن هذه الصنائع والافعال التي تجري على أيدي عباده اذا نسبت الى الباري جل جلاله فان نسبتها على مثل نسبة أفعال الملوك اذا قيل بنى فلان الملك مدينة كذا وحفر نهر كذا وعمر بلد كذا كما يقال بنى الاسكندر الرومي سد يأجوج ومأجوج وبنى سليمان بن داود عليه السلام مسجد ايليا وبنى ابراهيم (١) الخليل عليه السلام البيت الحرام وبنى المنصور مدينة السلام اذ كان ذلك بامرهم وارادتهم ومشيئتهم والقائهم وعنايتهم لا أنهم تولوا الافعال بانفسهم أو باشروا الاعمال باجسامهم وكذلك حكم اضافة أعمال ملائكة الله وأنبيائه وعباده طبيعية كانت أو اختيارية فنسبتها الى الله تعالى على هذا المثال تكون كما ذكر الله تعالى لنبيه عليه السلام « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » وقوله تعالى « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » وقوله تعالى « أفرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » وقوله تعالى « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »

(١) هذا ليس في محله لان الخليل بنى البيت الحرام بيده كما ورد في الاخبار الصحيحة اه

وما شاكل هذه الاضافات من الافعال والاعمال والصنائع والتأليف والتركيب والجمع والتفريق والكون والفساد والنشوء والبلاء اذا نسب الى الله تعالى فعلى هذا السبيل تكون تلك النسبة لأن الله تعالى خاق الفاعلين والصناع والعمال وأفعال البشر كانت أو الجن والشياطين والملائكة أو الطبيعة فحكمها كلها بالاضافة الى الله حكم واحد لانهم جميعاً عبيده وجنوده وخدمه خلقهم وربام وأنشأم وقوام وعلمهم وهدام وأمرم ونهام فطيع وعاص وخير وشرير وفاضل وناقص ومعذب ومنعم ومحسن ومسيء ومبتلى ومعافى خلقهم الله أطواراً لسعة علمه ونفاذ مشيئته واجراء احكامه وعز سلطانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

فصل

ان طائفة من المجادلة لما لم يعرفوا ما الطبيعة نسبت أفعالها كلها الى الباريء جل جلاله ووقعت بذلك فى شبهة عظيمة وحيرة وشكوك وذلك لما تبين لهم بان الفعل لا يكون الا من فاعل وشاهدوا افعالا لم يروا فاعليها نسبوها الى الباريء جل ثناؤه ونظروا فيها وبحثوا عنها فوجدوا بعضها شروراً وفساداً مثل موت الأطفال ومصائب الاخيار وتسليط الاشرار وتلف الحيوانات وما يلحقها من الامراض والاوجاع والجهل والبلوى كرهوا ان ينسبوا ذلك الى الباري عز وجل فنسبوها الى التولد بزعمهم ومنهم من نسبها الى البخت والاتفاق ومنهم من نسبها الى النجوم ومنهم من نسبها الى الباري تعالى وقال بالمكافأة والمجازاة ومنهم من قال بالعرض وسابق النظر ومنهم من قال بالأصلح واللطف، وأقاويل أخرى يطول شرحها من التعديل والتجويز فطولوا الخطب فيها وقد بينا طرفاً من أقاويلهم في رسالة الآراء والمذاهب والديانات فاعرفه من هناك ان شاء الله تعالي. ونحن قد بينا أن هذه كلها افعال الانفس الجزئية التى هي كلها قوى النفس الكلية الفلكية كما أنشأها باريها عز وجل كما ذكر بقوله تعالى: «ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» فما كان من هذه الافعال خيراً نسب الى النفس الجزئية الخيرية

وما كان منها شراً نسب الى الانفس الشريرة وعليها تقع المجازاة والمكافأة عن الثواب والعقاب

واعلم يا أخي ان نفسك هي احدى النفوس الجزئية وهي قوة من قوى النفس الكلية والفلكية لا هي بعينها ولا منفصلة منها كما أن جسدك جزء من أجزاء جسم العالم لا هو كله ولا منفصل منه فانظر الآن كيف أعمالك وأفعالك وأخلاقك وآراؤك ومعارفك فبحسب ذلك يكون جزاؤك ومكافأتك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انما هي أعمالكم ترد اليكم وقال الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الآية » وفقك الله أيها الاخ للرشاد وهداك للسداد انه رؤوف بالعباد وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم صلى على محمد وآله أجمعين

تمت رسالة تكوين المعادن ويتلوها رسالة ماهية الطبيعة

الرسالة السادسة

من الجسمانيات الطبيعيات

فى ماهية الطبيعة

وهي الرسالة العشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الصنائع البشرية في الرسالة الملقبة بالصنائع العملية نريد أن نذكر في هذه الرسالة الصنائع الطبيعية وكيفية أفعالها في الاركان الاربعة وكيفية مواليدها التى هي الحيوان والنبات والمعادن والغرض منها تنبيه لنا عن أفعال النفس وماهية جوهرها والبيان عن اخبار الملائكة ويسميها الفلاسفة روحانيات الكواكب فنقول أولا ما الطبيعة

واعلم يا أخي ان الطبيعة انما هي قوة النفس الكلية الفلكية وهي سارية في جميع الاجسام التى دون فلك القمر من لدن كرة الاثير الى منتهى مركز الاثير

واعلم ان الاجسام التى دون فلك القمر نوعان بسيطة ومركبة ، فالبسيطة

أربعة أنواع وهي النار والهواء والماء والارض . والمركبة ثلاثة أنواع وهى المعادن والنبات والحيوانات وهذه القوة أعنى الطبيعة سارية فيها كلها ومحركة ومسكنة ومدبرة لها ومتممة ومبلغة لكل واحدة منها الى أقصى مدى غاياتها بحسب ما يليق بواحدة واحدة ، منها كما شاء باريها وكما بينا في الرسائل الخمس وهي رسالة الكون والفساد ورسالة الآثار العلوية ورسالة المعادن ورسالة النبات ورسالة الحيوان

واعلم ان النفس الكلية هي روح العالم كما بينا فى الرسالة التى ذكرنا فيها ان العالم انسان كبير والطبيعة هي فعلها والاركان هى النار والهواء والماء ، والارض هى الهيولى الموضوعة لها والافلاك والكواكب كالادوات لها والمعادن والنبات والحيوانات كلها مصنوعاتها

واعلم يا أخي ان الصناع البشريين يعملون أعمالهم بأبدانهم وأيديهم وارجلهم وهى كلها مصنوعات للطبيعة كالخشب والحديد والقطن والحب وماشا كلها كما بينا في رسالة الصنائع العملية ويظهرون صنائعهم بأدوات اتخذوها من مصنوعات الطبيعة ايضا كالفأس والمنشار والابرة والقلم وما شاكلها فهيولاهم وادواتهم خارجة من ذواتهم . واما الطبيعة فهيولاها من ذاتها التى هي الاركان الاربعة وهي لها بمنزلة الاربعة الاخلاط فى بدن انسان واحد وهي سارية فيها كلها وصانعة منها وفيها مصنوعاتها ، ومصنوعاتها ايضاً ليست بخارجة من ذاتها وهي كلها كالاعضاء في جسد حيوان واحد وهى ثلاثة اجناس ، معادن ونبات وحيوان وكل جنس منها تحته انواع وكل نوع تحته انواع الى ان تنتهى انواع تحتها اشخاص . فأما الانواع والاجناس فهي محفوظة معلومة صورها في الهيولى ، واما الاشخاص فهى غير معلومة ولا محفوظة فيها ، والعلة في حفظ صور الاجناس والانواع في الهيولى هى ثبات عللها الفلكية ، واما تغيير الاشخاص وسيلانها فمن اجل تغييرات نظامها وذلك ان العلة الفاعلة لهذه المصنوعات هي النفس الكلية الفلكية باذن باريها وكانت الاركان هيولى لها والطبيعة فعلها والفلك

والكواكب كالادوات لها وكان الموضوع فى أحكام النجوم ثلاثة انواع وهي الافلاك والكواكب والبروج وكانت تأثيراتها في هذه الاركان بحسب المناسبات الثلاث كما بينا في رسالة الموسيقى ، وهي مناسبة اعظام اجرامها ومناسبة ابعاد مراكزها ومناسبة حركات بعضها من بعض ، ولما كانت المناسبات التى بين فلك الكواكب الثابتة وبين هذه الاركان الاربعة محفوظة ابعادها واعظامها وحركاتها صارت الاجناس الثلاث محفوظة صورها فى الهيولى ، ولما كانت أيضاً المناسبات التى بين مراكز الافلاك الحاملة وبين هذه الاركان محفوظة ابعادها وحركاتها واعظامها صارت صور انواع هذه الاجناس ايضا محفوظة فى الهيولى ، ولما كانت المناسبات من اجرام الكواكب السيارة وأفلاك تداويرها وبين هذه الاركان غير محفوظة صارت من أجل ذلك أشخاص هذه الانواع وصورها غير محفوظة في الهيولى

واعلم يا أخي ان العالم جملته احدى عشر كرة كما بينا في رسالة السماء والعالم وان الشمس مركز جرمها في أوسط الاكر وذلك ان خمس اكر فوقها وخمس اكر دونها فالتى فوقها كرة المريخ وكرة المشترى وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط ، والتى دونها كرة الزهرة وكرة عطارد وكرة القمر وكرة النار والهواء وكرة الماء والارض ، وان حكم الكرتين اللتين فوق كرة زحل غير حكم الاكر الباقية كما أن حكم الكرتين اللتين دون فلك القمر غير حكم الآخرين ، وذلك أن كرة الاشخاص بين الكرتين في الطرفين وهي كرة الكواكب الثابتة وكرة الهواء لكن تلك الكرة ثابتة صورها وهيولاها جميعاً وهذه الكرة ثابتة بصورها ، وهيولاها سيالة ، فقد جعلت الحكمة الالهية والعناية الربانية للكواكب السيارة واسطة بين الطرفين اللذين هما المركز والمحيط لكيما اذا صعدت الكواكب في أوجاتها قربت من تلك الاشخاص الفاضلة واستمدت منها الفيض واذا انحطت فى الحضيض أوصلت تلك الفيوضات الى

هذه الاركان فتكونت منها هذه الكائنات المتولدات التى هي المعادن والحيوان والنبات

واعلم يا أخي أنه اذا سرت تلك الفيوضات من هناك نحو مركز العالم نزلت البركات من السماء الى الارض وهى الارزاق والرحمة والوحى والتأييد والنصر ، فأول ما تسري تلك القوى في الاركان فتكون منها المزاجات الكائنات في باطن الارض لتكوين المعادن المختلفة الجواهر الكثيرة المنافع وعلى ظاهر وجهها يكون النبات الكثير الفوائد وفى الهواء الحيوانات الكثيرة الصور العجيبة الاعراض باختلاف أنواعها وفنون أشخاصها حتى اذا بلغ كل شيء منها إلى أقصى مدى غاياتها في أدوار الالوف عطفت تلك القوة راجعة نحو المحيط كما بدء أول مرة فيكون منها البعث والنشور والمعراج والقيامة كما ذكر الله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة

واعلم أن تأثيرات الكواكب في هذه الاركان ومولداتها تكون بحسب مناسباتها ومناسباتها تكون بحسب اعظام اجرامها وأبعاد مراكزها وحركات أجرامها كما أن تأثيرات نغم الموسيقى تؤثر في النفوس بحسب مناسباتها وبحسب دقة أوتارها وغلظها وخرقها واسترخائها وثقل تحريكها وخفتها كما بينا في رسالة الموسيقى

واعلم يا أخي ان المناسبات التى هى بين الاركان ومولداتها وبين الكواكب السيارة ومراكز أفلاكها مختلفة تارة تكون على نسبة الافضل وتارة تكون على نسبة الادون وتارة بين ذلك ، فاذا اتفق ان تكون الكواكب عند استئناف الادوار على نسبة الافضل تكون الكائنات على أفضل حالها فى تلك الادوار ويكون البشر أكثرهم اخياراً وفضلا مثل الملائكة الذين كانوا قبل آدم أبي البشر ، واذا كانت على نسبة الادون كانت بالضد من ذلك ويكون البشر أكثرهم أشراراً مثل الذين يكونون في أواخر الزمان عند خراب العالم واذا كانت

متوسطة فبحسب ذلك تكون الكائنات ، وأفضل حالات الكواكب أن تكون في صعودها أو اشرافها أو في اوجاتها وأدونها أن تكون في مقابلة هذه المواضع أو وسطا بين ذلك

واعلم يا أخي ان كل كائن تحت فلك القمر وكل حادث في هذا العالم له وقت معلوم يحدث فيه لا يكون قبل ولا بعد وله سبب موجب لكونه لا يكون الا به وله بقعة مخصوصة لا يوجد الا هناك لا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل ، ولكن نذكر منها طرفا مجملا ليكون على صحة ما قلنا ويتصور المتفكرون حقيقة ما وصفنا ، وذلك ان الله جل ثناؤه جعل الفلك محيطاً بالارض من جميع الجهات كما بينا في رسالة جغرافيا ، ولما كان الفلك مقسوماً اربعة أقسام وكل ربع منه مسامتا لربع من الارض وكل كوكب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض فانه يكون موازياً الدائرة على بسيط الارض وتكون مطارح شعاعاته على بسيط الارض ويكون لتلك الشعاعات زوايا ثلاث قائمة وحادة ومنفرجة ولكل زاوية منها تأثيرات مختلفات كما بينا في رسالة الآثار العلوية

واعلم يا أخي بان الباري جل ثناؤه جعل حركات تلك الاشخاص في دورانها سبباً موجباً لكون الحوادث في هذا العالم

وعلة فاعلة للكائنات تحت فلك القمر وجعل الاوقات المعلومة بحسب اجتماعاتها ومناظراتها واتصالاتها في درجات البروج وجعل البقاع المسامتة لها ولمطارح شعاعاتها مختصة لكونها وحدوثها وذلك ان الاقاليم السبعة التي في الارض كالافلاك السبعة والبلدان في الاقاليم كالبروج في الافلاك والمدن والقرى في البلدان كالوجود والحدود في البروج والاسواق والمحال في المدن والقرى كالدرجات والدقائق في الحدود والدور والمنازل والبيوت والدكاكين كالثواني والثوالث في الدقائق ، واجتماعات الكواكب في درجات البروج

بسبب اجتماعات الحيوانات والجواهر المعدنية والنبات في البلدان والمدن والقرى

فحدود زحل في البروج سبب وعلة لحدوث الانهار والجبال والبرارى والآجام والغدران والشوارع والطرقات وما شاكلها من حدود البقاع

وحدود المشترى في البروج سبب لحدوث المساجد والهياكل والبيع ومواضع الصلوات وبقاع القرابين، واجتماعات الكواكب في حدوده علة لاجتماعات الناس في الجمعات والاعياد وتعلم احكام النواميس وقراءة الكتب النبوية والتفقه في الدين والحكومة عند القضاة والحكام وماشاكل ذلك

وحدود المريخ في البروج سبب وعلة لحدوث مواقد النيران ومذابح الحيوان ومعسكر الجيوش وأماكن السباع ومواضع الحروب والخصومات وماشاكل ذلك واجتماعات الكواكب واتصالاتها في حدود المريخ علة لاجتماعات الناس والنبات والجواهر المعدنية فى هذه المواضع والاماكن

وحدود الزهرة في البروج سبب لحدوث البساتين ومواضع النزه ومجالس اللهو والاكل والشرب والفرح والسرور واللذة والمناظر الحسان، واجتماعات الكواكب ومطارح شعاعاتها في حدودها علة لاجتماعات الناس والنبات والحيوان في هذه المواضع.

وحدود عطارد فى البروج سبب لحدوث الاسواق ومواضع الصناع ومجالس الكلام والعلوم ودواوين الكتاب وجموع القصاص ومناظرات العلماء، ودرجات اشرافها سبب لمنازل الملوك وسادات الناس، ودرجات هبوطها سبب لمواضع المحق والسقوط والحبوس وما شاكل ذلك .

﴿ فصل ﴾

فى كيفية وصول تأثير الاشخاص الفلكية الثابتة الوجود الدائمة الدوران الى هذه الاشخاص السفلية الكائنة عن حركاتها الفلكية القليلة الثبات الدائمة السيلان

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه انه قد قامت البراهين الهندسية

على أن الارض هى مركز العالم وان الهواء والافلاك محيطة محدقة بها من جميع جهاتها .

واعلم أن مثال الارض في وسط العالم كمثل بيت الله الحرام فى وسط الحرم وان مثل الفلك المحيط وسائر مراكز الافلاك فى دورانها حول الاركان الاربعة كمثل الطايفين حول البيت .

وان مثل الكواكب الثابتة مع مطارح شعاعاتها من المحيط نحو مركز الارض كمثل المصلين المتوجهين من آفاق البلاد شطر البيت .

وان مثل الكواكب السيارة في مسيرها ذاهبة وجائية تارة من أوجاتها نحو المركز وتارة ذاهبة من حضيضها نحو المحيط كمثل الحجاج تارة ذاهبين من بلدانهم نحو البيت وتارة منصرفين عن البيت الحرام راجعين الى بلدانهم فاذا مروا متوجهين نحو البيت حمل كل واحد مما في بلده من الامتعة والنفقة والتحف والهدى والقلائد آمين نحو البيت الحرام فيجتمع هناك في الموسم مما في كل بلد طوائفه وخواص امتعته وتجتمع الامم من كل مذهب يتبايعون ويتشارون فاذا قضوا مناسكهم انصرف كل اهل بلد بطوائف ما في سائر البلدان ومغفرة من الله ورضوان .

فهكذا يا أخي حكم سريان قوى تلك الاشخاص العالية من محيط الفلك نحو مركز العالم وذلك انها اذا اجتمعت مطارح شعاعاتها على بسيط الارض وتخللت أجزاء الاركان وامتزج بعضها ببعض وسرت تلك القوى فيها يتكون من امتزاجها ضروب المتولدات الكائنات من الحيوان والمعادن والنبات المختلفة الاجناس المتفننة الانواع المتغائرة الاشخاص لايعلم كثرة عددها واختلاف احوالها الا الله سبحانه .

ثم ان تلك القوى اذا بلغت أقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها المقصودة منها عطفت عند ذلك راجعة نحو المحيط فيكون سبباً لبعث النفوس ونشر الارواح

اما بربح وغبطة واما بخسران وندامة كمثل الراجعين من تجار الحاج اما بربح وغفران أو بندامة وخسران .

فانظر ياأخي وتفكر كيف يكون انصرافك من عالم الكون والفساد الى عالم الافلاك التي جاءت من نفسك واعتبر نسبة الى الحجاج اذا قضوا مناسكهم كيف ينصرفون مشتاقين الى بيوتهم وأوطانهم.

واعلم ياأخي أن جميع مناسك الحج وفرائضه أمثال ضربها الله عز وجل للنفوس الانسانية الواردة عن عالم الافلاك وسعة السموات الى عالم الكون والفساد لكيما يتفكر العاقل ويعتبر وينبه نفسه من سنة الغفلة ورقدة الجهالة وتذكر مبدأها ومعادها وتشتاق فترجع كما جاءت وتجيب الداعي اذا ناداها « ياأيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » : فتقول لبيك اللهم لبيك .

واعتبر ياأخي كيفية انصراف الحج الى بلدانهم فانك ترى لاهل كل بلد قافلة وطريقاً يمرون فيها متعاونين ذاهبين وراجعين فهكذا وردت النفوس الى هذا العالم في كل أمة بدلالة كوكب وبرج في قران ولا تنصرف من الدنيا الا بدين ومذهب ويكون زاد كل نفس ما كسبت من خير وشر فلا تظن ياأخي انك تقدر على ان ترجع بنفسك وحدها

واعلم أن الطريق بعيدة والشياطين بالمرصاد قعود كقطاع الطريق فاعتبر فكما انك لاتقدر على أن تعيش وحدك الا عيشاً نكداً ولا تجد عيشاً هنياً الا بمعاونة أهل مدينة وملازمة شريعة فهكذا ينبغي لك أن تعتبر لتعلم بانك محتاج الى اخوان اصدقاء متعاونين لتنجو بشفاعتهم من جهنم وتصعد الى ملكوت السماء بمعاونتهم وتدخل الجنة بلاحساب .

واعلم ياأخي علماً يقينا انه لو كان يمكن أن تنجو نفس وحدها بمجردها لما أمر الله تعالى بالتعاون حيث قال : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا

على الاثم والعدوان » وقال : « واصبروا وصابروا » وكذلك قال : « ويوم نبعث من كل أمة فوجاً » وقال تعالى :«وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً»

وانظر ياأخي بنور عقلك وتفكر بفهمك وقف في مقامك وتوجه نحوالبيت لعلك تعرف بوقوفك على جبل عرفات ماعرف أهل المعارف الذين أشار اليهم بقوله جل ثناؤه : « ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم » يعنى بعلاماتهم فيزدلف بك معهم الى المزدلفة وتبلغ نحو المنى المتمنى وهم يطمعون إذ تدخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون

واعلم ياأخي أن من حج البيت بقلب ساه ونفس لاهية بلاعلم ولا بصيرة ورأي تلك المناسك وسننها ولم يعقل معانيها ولا دري ما الغرض منها ولاعرف شيئاً من أغراضها المقصودة بها رجع من هناك بقلب غافل ونفس شاكة وفكر متحير لانه متى رآها ولم يدر معانيها ولاعرف أغراضها تخيل له عند ذلك انها كلعب الصبيان من رمى الحصا والسعى بين الصفا والمروة والاحرام والتلبيـة والطواف والعمرة وماشا كلها من السنن والفرائض وعلى هذا القياس لكل أمة من أمم الناس في بيوت عباداتهم من سنن مفترضات دياناتهم وقرابين هيا كل صلواتهم أمثلة وأشائر ومرامي ومرموزات لواضعها والى هذا المعنى أشار ابراهيم خليل الرحمن .

وأعلم بان غرض الانبياء عليهم السلام وواضعي النواميس الالهية أجمع غرض واحد وقصد واحد وان اختلفت شرائعهم وسنن مفترضاتهم وازمان عباداتهم وأما كن بيوتاتهم وقرابينهم وصلواتهم كما ان غرض الاطباء كلهم غرض واحد ومقصد واحد في حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة وان اختلفت علاجاتهم فى شرباتهم وأدويتهم بحسب اختلاف الأمراض العارضة للابدان في الاوقات المختلفة والعادات المتغايرة والاسباب المفننة من الاهوية والبلدان .

وذلك ان غرض الاطباء كلهم هو اكتساب الصحة للمريض وحفظها على

الاصحاء ودفع الامراض وازالتها عن المرضى فهكذا غرض الانبياء عليهم السلام وغرض جميع واضعي النواميس الالهية من الفلاسفة والحكماء ، وذلك انهم أطباء النفوس وغرضهم هو نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى واخراجها من هاوية عالم الكون والفساد وايصالها الى الجنة عالم الافلاك وسعة السموات بتذكيرها ماقد نسيت من مبدئها ومعادها كما قال الله تعالى عز وجل « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وقال « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » وقال : « لعلكم تذكرون » فتؤبون وترجعون كما قال :«ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية»

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي بان سنن الديانات النبوية وموضوعات النواميس الفلسفية ومفروضات الشرائع كلها ومناسك بيوتات العبادات وقرابين الهياكل والصلوات كلها اشارات ومرامي الى ما أشار اليه ابراهيم خليل الرحمن في بنائه البيت الحرام ووضعه الحجر والمقام وتعليمه المناسك ذريته ودعائه الناس فيهم بالحج الى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم ، وذلك أن الانسان العاقل اللبيب الفهيم الذكى اذا حج ولبى وطاف وصلى ورأى البيت وشاهد كيفية الحج ومايفعل الحاج والمحرمون من عجائب سنن المناسك ومفروضاتها من الاحرام والتلبية والطواف والسعي ووقوف الحج بعرفات والمبيت بالمزدلفة والتضحية بمنى والحلق والرمي وماشا كلها من فرائض الحج وسنن المناسك وتفكر فيها بقلب مستيقظ واعتبرها بعين بصيرة ونفس زكية فطن لما أراده ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام فيما سن واحدة واحدة وماالغرض الاقصى منها كلها وعرف وفهم واهتدى قلبه واهتدت نفسه وانتبهت وأبصرت فتراجعت وشاهدت ورأت ما أشار الله تعالى اليه بقوله «وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض »

واعلم يا أخي أن الملائكة الحافين بالعرش هم حملة العرش وهي الكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع من داخله كما يحف الحاج بالبيت في طوافهم من خارجه فهم يسبحون بحمد ربهم كما قال : « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » ويؤمنون به ويقرون بأن من وراء مراتبهم ومقاماتهم أموراً أخرى هي أشرف وأعلا يقصر علمهم عنها ويقف فهمهم دونها كما يقر الحاج من المؤمنين بأن من وراء السموات البيت المعمور وحوله جموع الملائكة طائفين يحجون اليه في كل يوم ألوف ألوف لا يعودون اليه أبداً ويقولون أن هذا البيت الحرام في الارض بحذاء ذلك البيت المعمور الذي في السماء وان هذه للسنن والمناسك مثله واشارات الى تلك السنن والمناسك التي تنسكها الملائكة حول البيت المعمور

فصل

واذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا اليه فنقول ان قوماً من العلماء تكلموا في أحكام النجوم فأثبتوا دلائلها على الكائنات وأنكروا أفعالها من عالم الكون والفساد وقوم أثبتوا دلائلها وأفعالها جميعاً وقوم آخرون أنكروها جميعاً فأما الذين أثبتوا دلائلها فعند الاعتبار عرفوها ولكن لم ينظروا الى حقائق الاشياء كيف هي فلم يعرفوها

وأما الذين أنكروا دلائلها وأفعالها فلتركهم النظر في هذا العلم. وأما الذين أثبتوا دلائلها وأفعالها فانما عرفوا ذلك بمد النظر والبحث الشديد والاعتبار والتصفح لأمور الموجودات شيئاً بعد شيء حتى أتوا على أواخرها ، ثم نظروا الى أوائلها فرأوا أنها كلها مربوطة رباطاً واحداً عن علة واحدة ومبدع واحد مثل العدد ولما كنا قد قلنا فيها قبل أن هذه الاشياء كلها مفعولات الطبيعة وان الاشخاص الفلكية كالأدوات لها وقوى تلك الأشخاص كالمعاونين للطبيعة احتجنا ان نبين حقيقتها فنقول : انا قد بينا معنى قول الحكماء أن العالم انسان كبير له جسم

ونفس وبينا تركيب جسمه في رسالة السماء والعالم فنريد أن نبين كيف كان سريان قوى نفسه في الاجسام التي تحت فلك القمر

واعلم يا أخي بان جسم العالم بأسره بمنزلة جسم انسان واحد وان جميع أفلاكه وطبقات سمواته وكواكب أفلاكه وأركان طبائعه ومولداتها من جملة جسمه بمنزلة أعضاء بدن انسان واحد ومفاصل جسده ، فان نفسه تدير أفلاكه وتحرك كواكبها باذن الباري جل وعز كما تحرك نفس انسان واحد أعضاء جسده ومفاصل بدنه ، وان للنفس بحركات كواكبه فيما دون فلك القمر من الاركان ومولداتها أفعالا فيها وبها ومنها لا يحصى عددها الا الله سبحانه كما أن لنفس الانسان الواحد في جميع بدنه ومفاصل جسده أفعالا كثيرة كما بينا في رسالة تركيب الجسد وذلك أن جسم العالم مركب من إحدى عشر كرة كما بينا في رسالة تركيب الجسد وان العالم مقسوم بنصفين كما أن جسد الانسان شقان وان في الفلك اثنى عشر برجاً لمسير كواكبه ، منها ستة شمالية وستة جنوبية كما أن في الجسد اثنى عشر ثقباً ستة منها في الجانب الايمن وستة منها فى الجانب الايسر لمجاري حواسه وسريان قوى نفسه وان في الفلك سبعة كواكب مدبرة بها قوام أمره وهي سبب الكائنات باذن البارى عز وجل كما أن في الجسد سبع قوى فعالة بها قوام أمر الجسد وصلاح حاله وهى القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغاذية والقوة النامية والقوة المصورة ، ولكل قوة من هذه عضو مخصوص من الجسد منه تسرى القوة الى جميع أعضاء الجسد وبه تظهر أفعالها فى البدن وهي المعدة والكبد والقلب والدماغ والرئة والطحال والمرارة فكما أن من هذه الاعضاء تبث النفس هذه القوى في البدن وتنشر أفعالها في الجسد فهكذا حكم أفعال هذه الكواكب السبعة في الفلك فان النفس الكلية تنبث قوتها في جميع العالم وبها تظهر أفعالها في الكائنات التى تحت فلك القمر وكما أن من افراط أفعال هذه القوى ونقصانها يعرض في البدن الاضطراب والتألم كما يعرف الاطباء ، فهكذا من افراط تأثيرات هذه الكواكب ونقصان

أفعال قوتهـا تكون المناحس والفساد فى عالم الكون كما يخبربهـا أصحاب أحكام النجوم وكما أن شرح علم الطب طويل والصناعة عجيبة والعمر قصير كما قال بقراط حكيم اليونانيين فهكذا شرح أحكام النجوم طويل كما قال حكيم الفرس بزرجمهر كارهست مردينست ولكن نذكر منهـا طرفاً فنقول :—

انه ينبث من جرم الشمس قوة روحانية في جميع العالم فتسري في أفلاكه وأركان طبائعه ومولداتها فى جميع الاجساد الكلية والجزئية وبها يكون صلاح العالم وتمام وجوده وكمال بقائه كما تنبعث من القلب الحرارة الغريزية فى جميع الجسد التى بها تكون حياة البدن وصلاح الجسد ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما انبث منها فى العالم روحانيات الشمس ، وذلك بحسب اختصاصها بجسم جسم كاختصاص الحرارة الغريزية بعضو عضو من الجسد وشرح كيفيتها يطول . وقد ذكرنا فى رسالة أفعال الروحانيات طرفاً منه ، وفى رسالة المعادن والنبات والحيوان ويسمى الناموس هذه القوة ملكا ذا جنود وأعوان واسرافيل منهم صاحب الصور ، وهكذا ينبث من جرم زحل قوة روحانية تسرى في جميع العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها تكون تماسك الصور في الهيولى وانبثاثها كما تنبث من جرم الطحال قوة الخلط السوداوى فى جميع الجسد ومفاصله وبها يكون تماسك الاجزاء فى البدن من العظام والعصب والجلد وجمود الرطوبات التى لو لم تكن لسال هيولى الجسد كما يسيل الماء والهواء ويسمى الفلاسفة هذه القوة روحانيات زحل ، والناموس يسميها ملكا ذا جنود وأعوان وملك الموت منهم ومنكر ونكير أيضاً ، وهكذا ينبث من جرم المريخ قوة روحانية تسرى فى جميع العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها يكون النزوع والنهوض نحو المطالب والنشاط نحو الاعمال والصنائع والترقى في المعالى وطلب الغايات للبلوغ الى التمام والوصول الى الكمال فى الموجودات كلها وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما ينبث منها فى العالم روحانيات المريخ ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود

وأعوان وجبرائيل ومنهم مالك الغضبان وخزنة جهنم أجمعون وسريانها فى العالم وأنبثاث قواهـا كما ينبث من جرم المرارة والقوة الصفراوية المميزة للاخلاط الموصلة بها الى مواضعها المقصودة من أطراف البدن ونهايات الجسد المثيرة للغضب والحقد والحمية وما يشاكلها . وهكذا ينبث من جرم المشترى قوة روحانية تسرى فى جميع العالم بها يكون اعتدال الطبائع المتضادات وتأليف القوى المتنافرات وسبب المتولدات الكائنات وحفظ النظام على الموجودات كما ينبث من الكبد رطوبة الدم التي بها يعتدل أخلاط الجسد ويستوي مزاج الطبائع وينمو الجسد وتنشىء الابدان وتطيب الحياة ويلذ بالعيش وتأنس الارواح وتألف النفوس وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما ينبث من أفعالها روحانيات المشترى ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود واعوان ورضوان خازن الجنان منهم .

وهكذا ينبث من جرم الزهرة قوة روحانية فتسري في جميع العالم وأجزائه وبها تكون زينة العالم وحسن نظامه وبهاء أنواره ورونق الموجودات وزخرف الكائنات والتشوق اليها والعشق لها والمحبات والمودات أجمع . كما ينبث من جرم المعدة شهوة الملاذ الى جميع مجاري الحواس التى بها تستلذ المشتهيات وتستطاب النعم وتستحسن الزينة ومن أجلها يراد البقاء في الدنيا ولا يتمنى الوصول الى الآخرة ، ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما يتفرع منها روحانيات الزهرة ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان منها الحور العين وخزان الجنان

وهكذا ينبث من جرم عطارد قوة روحانية تسرى في جميع جسم العالم وأجزائه بها تكون المعارف والاحساس في العالم والخواطر والالهام والوحي والنبوة والعلوم أجمع كما تنبث من الدماغ القوة الوهمية وما يتبعها من الذهن والتخيل والذكر والروية والتمييز والفراسة والخواطر والالهام والشعور والاحساس والمعارف والعلوم أجمع وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما يتبعها روحانيات عطارد ،

ويسميها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان والولدان والذين هم خدام أهل الجنان والكرام البررة والكرام الكاتبون منهم

وهكذا ينبث من جرم القمر قوة روحانية تسري فى جميع جسم العالم وأجزائه وتكون النفس للموجودات فى العالمين جميعاً تارة من عالم الأفلاك الى عالم الكون والفساد من أول الشهر وتارة من عالم الكون والفساد نحو عالم الافلاك من آخر الشهر ، وهي القوة المتوسطة بين عالم الافلاك معدن البقاء والدوام وبين عالم الاركان معدن الكون والفساد كما ينبث من جرم الرئة القوة التى يكون فيها التنفس تارة باستنشاق الهواء من خارج لحفظ الحرارة الغريزية على الجسد، وتارة يكون التنفس بارساله الى خارج لترويحه ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما ينبث عنها من الافعال روحانيات القمر ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان فبهذه القوة تنزل الملائكة بالوحي والبركات من السماء وبها يصعد بأعمال بنى آدم الى السماء وبها تعرج الارواح والمعقبات منهم

وهكذا ينبث من كل كوكب من الثوابت قوة روحانية تسري في جميع جسم العالم من أعلى الفلك الثامن الذي هو الكرسى الواسع الى منتهى مركز الارض كما ينبث من نور الشمس في الهواء والاجسام الشفافة وبهذه القوة تحفظ صور أجناس الموجودات فى الهيولى وبها صلاح العالم وقوام وجوده باذن البارى عز وجل، ومنها ثبات سكان السموات والاراضين واليها أشار بقوله تعالى « ومايعلم جنود ربك الا هو » وقال حكاية عنهم « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » وحملة العرش منهم

وأما الملائكة الذين سجدوا لآدم أبى البشر فهم الذين فى الارض خلفاء لهؤلاء الذين هم في الافلاك وهي نفوس سائر الحيوانات الساجدة لآدم وذريته بالطاعة المسخرة لهم الى يوم القيامة

واعلم بأن خراب العالم انما يكون سببه فساد الكون وهذا يكون بغلبة أحد الاركان اما بطوفان من الماء مثل ما كان في زمان نوح النبي عليه السلام واما بطوفان من النار مثل ما وعد في القرآن يكون في آخر الزمان بقوله « يوم تأتي السماء بدخان مبين » وسبب ذلك أن تستولي القرانات على البروج المائية والكواكب المائية فيكون طوفان الماء ، والبروج النارية والكواكب النارية فيكون طوفان النار ، فاذا بلغ قلب الاسد الى حد المريخ في بروج الاسد بعد سنين فيكون طالع القران وطالع أشهر البروج النارية ويستولي المريخ عليها فيشبه أن يكون طوفان من النار في ذلك الزمان ، وكيفية ذلك أن يحمى الهواء فيصير ناراً سموماً فيحترق الانسان والحيوان ويبقى العالم أعني وجه الارض خرابا بلا حيوان ، ثم ان الله سبحانه ينشأ النشأة الآخرة كما وعد في القرآن بقوله : ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون » يعني النشأة الآخرة وقال تعالى : « وننشئكم فيما لا تعلمون » فعند ذلك يحصل أهل الجنة فيها منعمون وأهل النار فيها مخلدون وقد بينا في رسالة البعث كيف يكون ذلك فانتبه يا أخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستعد واعمل للمعاد والنشأة الآخرة لعلك تبعث يوم القيامة من السعداء وتصعد الى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة الذين هم الملأ الأعلى ولا تكونن مع الذين يريدون الخلد في الدنيا عالم الكون والفساد لابثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برد عالم الارواح ولا شراب نسيم الجنان كلما نضجت جلودهم بالبلى بدلوا بالكون جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب أعاذك الله أيها الاخ من عذاب النار و بلغك وايانا وجميع اخواننا دار القرار مع الابرار انه على ما يشاء قدير

تمت الرسالة والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على محمد رسوله وآله الائمة الطاهرين وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تمت رسالة ماهية الطبيعة وتتلوها رسالة أجناس النبات

الرسالة السابعة

من الجسمانيات الطبيعيات

فى أجناس النبات

وهي الرسالة الحادية والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الجواهر المعدنية وبينا طرفاً من كيفية تكونها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص منافعها ومضارها في رسالة لنا وبينا فيها ان آخر مرتبة الجواهر المعدنية متصلة بأول مرتبة الجواهر النباتية فنريد أن نتبعها برسالة النبات ونبين فيها أيضاً طرفاً من كيفية سريان القوى النابتة فيها . والغرض منها تعديل أجناس النبات وكيفية تكونها ونشوءها وأسباب اختلاف أنواعها من الاشكال والألوان والطعوم والروائح وأوراقها وأزهارها وحبوبها وبذورها ونحوها وعروقها وقضبانها وأصولها من المنافع فان أول مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة الحيوانية وآخر مرتبة الحيوانية متصلة بأول مرتبة الانسانية وآخر مرتبة الانسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان السموات وقاطنو الافلاك الذين خلقهم الله تبارك وتعالى لعمارة عالمه مطيعين في طاعته لايعصون الله ماأمرهم

ويفعلون مايؤمرون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وهم من خشيته مشفقون . فنقول :

اعلم يا أخي بأنك مندوب للقاء ربك ومبعوث من هذه الدنيا الى هذه المرتبة ومقصود بك اليها منذ يوم خلقت تنتقل من حال أدون الى حال هي أتم وأكمل وأشرف الى أن تلقى ربك وتشاهده فيوفي لك ماوعدك فمن تلك الحالات ماقد جاوزت وشاهدت ومنها مالم تبلغها بعد وانك قد أتى عليك حين من الدهر لم تك شيئاً مذكوراً ، ثم خلقت نطفة من ماء مهين ، ثم نقلت الى الرحم في قرار مكين ، ومكثت هناك تسعة أشهر لتتميم البنية وتكميل الصورة ثم نقلت الى هذا الجو الفسيح و مكثت أربع سنين لاكمال التربية واشتداد القوة وشاهدت بالحواس محسوساتها وحصل لك الفهم والذهن والتمييز والتفكر والروية والمعرفة الغريزية ، ثم أسلمت الى المكتب وعلمت مالم تكن تعلم من القراءة والكتابة والآداب والرياضات وحساب الدواوين والكيل والموازين ، ثم نقلت الى مجالس أهل العلم والفضل في المساجد والصلوات والمشاهد والاعياد والى الاسواق والصنائع والاسفار لتشاهد هذا العالم بمافيه من الجبال والبراري والبحار والمدن والقرى والأنهار وعاينت فيه أصناف الخلائق من الحيوان والنبات والمعادن وعرفت تصاريف أحوالها في الحر والبرد والليل والشتاء والصيف والنور والظلام وتصاريف الرياح والغيوم والامطار وعاينت دوران الافلاك وطوالع البروج ومسيرات الكواكب وحوادث الايام ونوائب الحدثان كل ذلك كيما تنتبه نفسك من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وتتفكر فيما شاهدت وتعتبر مارأيت من أحوال هذه الدنيا

ولتعلم علماً يقيناً انك منتقل من هاهنا الى حالة أخرى بعد الموت وتنشأ نشأة أخرى فكن مستعداً للرحلة وتزود للسفر قبل فناء العمر وتقارب الأجل وهو أن تتخلق بأخلاق الملائكة وتتزين بشمائلها وتترك أخلاق اخوان الشياطين

وجنود ابليس أجمعين . وقد بينا كيفية ذلك في رسائلنا الاحدى والخمسين رسالة فاعرف من هناك ان شاء الله

واعلم أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن المصنوع المحكم يدل على الصانع الحكيم وان كان الصانع الحكيم محتجباً عن ادراك الابصار وكل عاقل إذا تأمل أحوال النبات من فنون أشكال أصولها وامتداد عروقها في الارض وتفرع أغصانها في الهواء وتقطيع أوراقها في فنون الأشكال وألوان أزهارها من الاصباغ واختلاف صور حبوبها وأشكال أثمارها من الصغر والكبر واختلاف ألوانها وطعومها وروائحها يتبين له ويعلم علماً ضرورياً بأن لها صانعاً حكيما لأن عقله يشهد له بأن الأركان الأربعة المتضادة القوى المتنافرة الطباع لاتجمع ولا تأتلف ولا تصير على هذه الأوصاف التى تقدم ذكرها إلا بقصد صانع حكيم لايشك فيه ، لكن اذا لم يتفكر في كيفية صنعته لم فعل هكذا ولم يفعل كذا وكذا لايفهم ولايدري ولايتصور له ذلك فمن أجل هذا احتجنا الى أن نذكر من هذا الفن طرفاً ليزداد علماً كل من يسمعه ويتفكر فيه

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن النبات مصنوعات ظاهر جلية لاتخفى ولكن صانعها وعلتها باطنة خفية محتجبة عن ادراك الابصار لها وهي التى يسميها الفلاسفة القوى الطبيعية ويسميها الناموس الملائكة وجنود الله الموكلين بتربية النبات وتوليد الحيوانات وتكوين المعادن ونحن نسميها النفوس الجزئية ، والعبارات مختلفة والمعنى واحد وانما نسبت الفلاسفة والحكماء هذه المصنوعات الى القوى الطبيعية وصاحب الشرع الى الملائكة ولم ينسبها الى الله تعالى لانه يجل الباري جل ثناؤه عن مباشرة الاجسام الطبيعية والحركات الجرمانية والاعمال الجسدانية كما يجل الملوك والسادة والرؤساء عن مباشرة الافعال بانفسها

وان كانت تنسب اليها على سبيل الامر بها والارادة لها كما يقال بنى الاسكندر السد ، وبنى سليمان مسجدايليا ، وبنى المنصور مدينة السلام، إذ كان

بناؤها بامرهم لا يتولون الافعال بانفسهم فعلى هذا المثال تنسب افعال عباد الله الى الله جل ثناؤه كما ذكر هو بقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى » وقال « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » وقال « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم » وآيات كثيرة في هذا المعنى في القرآن المبين

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان العاقل اللبيب اذا تأمل احوال النبات وتفكر فيها واعتبرها فلا يجد شيئاً منها يخرج عن صورة جنسه أو يتجاوز عن اشكال نوعه وذلك انه مارؤيت قط ورقة زيتون خرجت من شجرة جوز ولا حبة شعيرة خرجت من سنبلة حنطة

وعلى هذا المثال والقياس سائر أنواع الحبوب والثمار والبقول والحشائش تراها كل واحدة منها حافظة صورة أبناء جنسها وشكل نوعها كأنها صبت في قوالب مختلفة الاشكال محفوظة الانواع

وهكذا حكم كل الحيوانات التامة الخلقة الكاملة الصورة محفوظة صور اجناسها واشكال أنواعها في اشخاصها وذلك انه مارؤى قط خرج مهر من رحم ناقة ولا جدي خرج من رحم بقرة ولا كركى خرج من بيض نعامة ولا فروج خرج من بيض حمامة

واذا فكر العاقل اللبيب في هذه الاشياء وطلب العلة فيها وبحث عنها فربما يتخيل له أو يتوهم بانه ليس في قدرة الصانع غير ذلك أو يظن ان الهيولى لا تقبل الا تلك الصورة أو يقول أن الحكمة لا تقتضي غير ذلك فان توهم وظن انه ليس في قدرة الصانع غير ذلك فان عقله ينكر ذلك عليه لان من يقدر على اختراع مصنوع فهو على تغيير بنيته أقدر وان ظن أو توهم بان الهيولي لا تقبل غير ذلك من الصور فكيف وهي موضوعة لقبول جميع الصور فقد أخطأ وان قال ان الحكمة لا تقتضي غير ذلك فما وجه المنع في الحكمة أن يخرج عجل من رحم ناقة أو جمل من رحم بقرة أو جدي من رحم عنز أو فروج من بيضة حمامة بين لنا ذلك ،

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان لكل نوع من النبات أصلا فما اصله لكيموس (١) ما ولكيموسه مزاج ما، لا يتكون من ذلك المزاج الا ذلك الكيموس ولا يتكون من ذلك الكيموس الا ذلك النوع من النبات وان كان يسقي بماء واحد وينبت في تربة واحدة ويلحقها نسيم هواء واحد وتنضجها حرارة شمس واحدة فالهيولى الاولى موضوعة لقبول جميع الصور ولكن الهيولات الثواني كل واحدة منها لا تقبل الصور الا باعيان مخصوصة

والمثال في ذلك ان التراب والماء موضوعة لشجرة الحنطة ولشجرة القطن ولكن من القطن لايجيء الا الغزل ومن الغزل الثوب ومن الثوب القميص وغيره ومن الحنطة لايجيء الا الدقيق ومن الدقيق العجين والعجين الخبز

فعلى هذا المثال والقياس تختلف احوال النبات وذلك ان رطوبة الماء ولطائف أجزاء التراب اذا حصلت في عروق النبات تغيرت وصارت كيموساً على مزاج ما لا يجيء من ذلك الكيموس والمزاج غير ذلك النوع من النبات وكذلك حكم أوراقه ونوره وثمره وحبه

فصل

ثم لما كان النبات مختلف الطباع من الطعوم والالوان والروائح لانها غذاء للحيوان وكانت الحيوانات مختلفة الطباع جعل كل نوع من النبات غذاء لنوع من الحيوان ودواء لداء يعرض لها مذكور ذلك في كتب الطب والبيطرة بشرحها

واعلم ياأخي ايدك الله وايانا بروح منه بان لكل نوع من النبات اربع علل علة هيولانية وعلة فاعلية وعلة تمامية وعلة صورية .

فاما العلة الهيولانية فهي الاركان الاربعة النار والهواء والماء والارض

وأما العلة الفاعلية فهي قوى النفس الكلية .

وأما العلة التمامية فانها من أجل الحيوان غذاء لها ومنافع .

(١) الكيموس معناه الخلط وهي لفظة سريانية .

واما العلة الصورية فهي أسباب فلكية شرحها يطول وكل ذلك باذن الباري جل ثناؤه ونريد أن نفصل كل علة منها ونشرحها ليكون في ذلك عبرة لأولي الابصار ومعرفة لأولي الالباب .

وذلك ان اجزاء الاركان اذا اجتمعت واختلطت وامتزجت واتحدت صارت هيولى ليتكون النبات والمسبب في اجتماعها واختلاطها هو دوران الافلاك حول الاركان ومسيرات الكواكب في البروج ومطارح شعاعاتها في جو الهواء نحو مركز الارض كل ذلك باذن الله تعالى ولطيف حكمته فهو الذي خلق الافلاك وادارها وقسم البروج وأطلعها وصور الكواكب وسيرها وأرسل النفوس وكلها فتبارك الله احسن الخالقين واحكم الحاكمين

وأما كيفية ذلك فنحن نذكرها ونبينها لقوم يعقلون بعون الله وحسن توفيقه ان شاء الله

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الشمس اذا طلعت على آفاق البلاد وأشرقت على جو الهواء وأضاءت على وجه الأرض حميت مياه البحار والأنهار ولطفت أجزاؤها وصارت بخاراً لطيفاً خفيفاً وارتفعت في الهواء في جو السماء حتى اذا بلغت الى سطح الزمهرير وجاوزت كرة النسيم بردت هناك واجتمعت ووقفت وغلظت وتراكمت وصارت غيوماً وسحاباً وضباباً وطلاً وصقيعاً وتراكمت وساقتها الرياح الى رؤوس الجبال ووجوه البراري والقفار والقرى والسوادات والمزارع وهطلت هناك الامطار وابتل وجه الارض وشرب التراب رطوبة الماء واختلطت أجزاؤه واتحدت فاذا طلعت الشمس على وجه الارض وسخنتها حيث تلك الاجزاء المائية جفت وأخذت ترتقي من قعر الأرض الى وجهها ورفعت معها تلك الاجزاء الارضية المتحدة بها الى ظاهر سطح الأرض ثم ان قوى النفس البسيطة التي هي دون فلك القمر السارية في الاركان تصور من تلك المادة أنواع النبات بفنون أشكالها وألوان اصباغها كما يعمل الصناع البشريون في

أسواق المدن فنون المصنوعات من الهيوليات الموضوعات في صناعتهم المعروفة كما بينا في رسائلنا

واعلم يا أخي بان قوى النفس الكلية الفلكية البسيطة التي ذكرنا انها تعمل اجناس النبات وانواعها هي التي ذكرت في كتب الانبياء عليهم السلام انها ملائكة الله وجنوده الموكلون بها وذكر انه قد ورد في الاخبار المتواترة بان مع كل ورقة وثمرة وحبة تخرجها الارض من النبات ملكا موكلا يربيها وينشؤها ويحفظها من الآفات العارضة لها الى ان تتم وتكمل وتبلغ الى أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها كل ذلك باذن الله خالقها وبارئها وكذلك حكم الحيوانات اجمع كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ونحن نسمي ماكان منها موكلا بالنبات النفس النباتية واعلم يا أخي ان الله جل ثناؤه قد أيد النفس النباتية بسبع قوى فعالة وهي القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغاذية والقوة المصورة والقوة النامية

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان كل قوة من هذه تفعل شيئاً خلاف ماتفعل القوة الاخرى في أجسام الحيوان والنبات فاما أول فعلها في تكون النبات فهو جذبها عصارات الاركان الاربعة ومصها لطيفها وما فيها من الاجزاء المشاكلة لنوع نوع من أصول النبات ثم امساكها لها بالقوة الماسكة ثم نضجها لها بالهاضمة ثم دفعها الى أطرافها بالدافعة ثم تغذيتها لها بالغاذية ثم النمو والزيادة في أقطارها بالنامية ثم التصوير لها بانواع الاشكال والاصباغ بالمصورة وذلك ان القوة الجاذبة اذا مصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام الدم بالمحجمة او كما تمص النار الدهن بالفتيلة وجذبتها انجذبت معها الاجزاء الترابية اللطيفة لشدة انجذابها فاذا حصلت تلك المادة في عروق النبات نضجتها الهاضمة وصارت كيموساً على مزاج ماشاكلها من الجرم والعروق وتناولتها القوة الغاذية والصقت بكل شكل ما يلائمه من تلك المادة وزادت في أقطارها طولا وعرضا

وعمقاً وما فضل من تلك المادة ولطف ورق دفعته الى فوق فى أصول النبات وقضبانها وأغصانها وجذبته الجاذبة الى هناك وأمسكته الماسكة لئلا يسيل راجعاً الى أسفل ثم أن القوة الهاضمة تنضجها مرة ثانية وتغير مزاجها وكيفيتها وتصيرها مشاكلة لجرم الاصول والفروع والاغصان ومادة لها وزادت فى أقطارها طولا وعرضا وعمقاً وما فضل منها ولطف ورق دفعته الى فوق الى اعالى الفروع والقضبان والاغصان وجذبته الجاذبة الى هناك وأمسكته الماسكة ثم ان القوة الهاضمة طبختها مرة ثالثة وانضجتها وصيرتها على مزاج آخر مشاكلا لجرم الورق والنور والزهر واكمام الحب والثمر مادة لها وتزيدت في أقطارها طولا وعرضاً وعمقاً وما لطف منها ورق صيرته مادة للحب والثمر وأمسكته هناك بالماسكة ثم ان القوة الهاضمة تطبخها مرة رابعة وتنضجها وتلطفها وتميزها وتصير الغليظ منها والكثيف منها مادة لجرم القشور والنوى وتزيد فيها طولا وعرضاً وعمقاً وتصير اللطيف الصافي منها مادة للب الحب والثمر وهو الدقيق والدهن والشيرج والدبس ، واللون والطعم والرائحة مختلفة طباعها ومنافعها ومضارها وأمزجتها في درجاتها. ولما هي مذكورة في كتب الطب وكتب الاغذية والحشائش بشرحها تركنا ذكرها مخافة التطويل فهذه الافعال التى ذكرناها كلها أفعال النفس النباتية الخادمة للنفس الحيوانية المتوسطة بينها وبين الاركان الاربعة تتناول بعروقها عصاراتها نيا فجا ثم تصفيها وتطبخها وتناولها الحيوان غذاء لطيفاً صافياً لذيذاً هنيئاً مريئاً كل ذلك لطف من الله جل ثناؤه بخلقه وشفقته عليهم ورحمة لهم ورفق بهم فله الحمد والثناء والشكر والدعاء ومنه الفضل والنعماء والآلاء والاحسان في الآخرة

واعلم يا أخى أن النباتات هي كل جسم يخرج من الارض ويتغذي وينمو فمنها ما هي أشجار تغرس قضبانها أو عروقها ومنها ما هي زروع تبذر حبوبها أو بذورها أو قضبانها . ومنها ما هي أجزاء تتكون من أجزاء الاركان اذا

اختلطت وامتزجت كالكلأ والحشائش فهذه الثلاثة الاجناس يتنوع كل واحد منها أنواعاً كثيرة من جهات عدة وصفات مختلفة نحتاج ان نذكر منها طرفاً ونشرحها ليكون قياساً على باقيها ودليلا من القليل على الكثير ونبدأ أولا بذكر الاشجار فنقول :

أن الشجر هو كل نبت يقوم على ساقه منتصباً أصله مرتفعاً فى الهواء ويدور عليه الحول لا يجف . وأما النجم فهو كل نبت لا يقوم أصله على ساقه مرتفعاً فى الهواء بل يمتد على وجه الارض أو يتعلق بالشجر ويرتقي معه في الهواء كما يحصل عند ثقل ثماره بتلابيبه كشجرة الكرم والقرع والقثاء والبطيخ وما شاكلها

وأعلم بأن من الشجر ما هو تام كامل . ومنها ما هو ناقص غير كامل فالتام الكامل من الاشجار ما كان له هذه التسعة الاجزاء ، وهي الاصل ، والعروق ، والقضبان ، والفروع ، والورق ، والنور ، والثمر ، واللحا ، والصمغ ، والناقص منها ما ينقص واحدة من هذه الاوصاف وأكثر كشجرة الالب ، وأم غيلان ، والخلاف ، والطرفا ، وما شاكلها مما لا ثمرة لها أو ما لا ورقة لها أو ما لا نور لها أو ما لا صمغ لها

واعلم بأن من الاشجار التامة ماهى أتم وأكمل من بعض وتتفاضل في ذلك جهات عدة فمنها ما هو من جهة أصولها وذلك أن منها ما يقوم على أصول ويرتفع فى الهواء ويتفرع فى الجهات كشجرة التين ، والتوت ، واللوز ، والجوز ، وغيرها . ومنها ما يرتفع فى الهواء منتصباً مفرداً مثل شجر النخل ، والسرو ، والقنا ، والصفصاف ، والساج ، وغيرها . وهكذا حكم عروقها فى الارض فان منها ما تنزل عروقه في الارض كالاوتاد منتصبة . ومنها ما يذهب في الجهات على الاستقامة . ومنها ما ينعطف ويتعوج ويلتف . ومنها ما يجاور بعضه بعضا فى منابته ويزدحم . ومنها ما ينفرد ولا ينبت تحتها معها غيرها . ومن النبات والشجر ماورقه وثمرته متناسبات في الكبر ، واللون ، والشكل ، واللمس ، كالاترج

والنارنج ، والليمون ، والكمثرى ، والتفاح ، وما شاكلها ، ومن النبات والشجر ما ثمرته وحبه غير مناسب لورقه فى الكبر مثل شجر الرمان ، والتين ، والعنب ، والجوز ، والنخل وغيرها مما شاكلها وذلك أن شجرة الاترج مدحرج الشكل ثمرها أخضر اللون لين اللمس مناسب لورقه والنارنج مستدير الشكل مناسب لورقة شجره والكمثرى مخروط الشكل وكذلك ورقة شجرته والتفاح مستدير الشكل وكذلك ورقة شجرته

وأما ثمرة الرمان فغير مناسبة في الكبر لورقة شجرتها وكذلك التين والعنب وغيرهما وعلى هذا القياس حكم حبوب النبات و بذورها منهاما هومناسب ومنها ما هو غير مناسب كل ذلك لعلل وأسباب ومآرب

﴿ فصل فى بيان أجناس النبات من جهة الاماكن ﴾

واعلم يا أخي بأن من النبات ما ينبت فى البراري والقفار ومنه ما ينبت على رؤوس الجبال ، ومنه على شطوط الانهار وسواحل البحار ، ومنه ما ينبت في الآجام والغياض ، ومنه ما يزرعه الناس ويغرسونه في القرى والسودات والبساتين والافرجة

واعلم يا أخي بأن أكثر النبات ينبت على وجه الارض الا القليل منه فانه ينبت تحت الماء كقصب السكر والارز والنيلوفر وأنواع من العكش

ومن النبات ما ينبت على وجه الماء كالطحلب ومنه ماينسج على الشجر والنبات كالكشوثا والبلاب ، ومنه ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدمن

ومن النبات ما لا ينبت الا في البلدان الدفيئة ومنه ما لا ينبت الا فى البلدان الباردة . ومنه ما لا ينبت الا فى التربة الطيبة . ومنه ما لا ينبت الا فى الرمال وبين الحصى والحجارة والصخور والارض اليابسة . ومنه ما لا ينبت الا في الاراضى السبخة المشورجة

فصل في اختلاف النبات من جهة الازمان

اعلم بأن أكثر العشب والكلأ والحشائش ينبت في أيام الربيع لاعتدال الزمان وطيب الهواء وكثرة الامطار المتقدمة في الشتاء . وأما الذي ينبت منها في الفصول الثلاثة فهي قليلة . فمنها مايزرعها الناس ويتعهدونها بالسقي كالحنطة والشعير والباقلا والعدس وغيرها مما يزرع في الخريف ويحصد في الربيع . ومنها ما يزرع في الشتاء ويدرك في الربيع كالقثاء والخيار والباذنجان . ومنها ما يزرع في الخريف ويستحكم في الشتاء كالجزر والشلغم والكرنب والقرنبيط . ومنها ما يزرع في الصيف ويحصد في الخريف كالسمسم والذرة والارز وغيرها ومنها ما يزرع في الربيع ويستحكم في الخريف كالقطن والقنب وغيرها

واعلم يا أخي أن الباري الحكيم جل ثناؤه جعل أوراق النبات زينة لها ودثاراً لثمارها ووقاية لحبوبها ونورها وزهرها من الحر والبرد المفرطين ومن الرياح العواصف والغبار وشدة وهج الشمس وجعلها أيضا ظلالا للحيوانات وكناها وستراً ووطاء وغذاء ومادة لأجسادها وأدوية ومنافع كثيرة وهكذا حكم ثمارها وحبوبها وبذورها ولحائها وعروقها وأصولها ولبسها وقضبانها وفروعها كل واحدة من هذه الانواع ذات منافع كثيرة لا يعلمها إلا الله وذكر منها طرف في كتب الطب وكتاب الحشائش وما لم يعلم ولم يذكر أكثر مما علم وذكر

واعلم ياأخي بأن من أوراق الشجر والنبات ما هو مستطيل الشكل ومنه ماهو مخروط الرأس مدور الأسفل ومنه مستدير الشكل ومنه سقطي الشكل صليبي ومنه ليلساني الشكل وسابوري الشكل ومنه زيتوني الشكل ومنه جابوتي الشكل ومنه ذو الاصابع مقسوم بنصفين ومنه مثلثات ومنه مزدوجات متقابلات ومنه مفردات متجانبات ومنه واسع عريض طويل ومنه ضيق العرض قليل الطول ثخين لين ومنه غليظ خشن ومنه دقيق أملس شفاف أملس ومنه طيب الرائحة ومنه منتن الرائحة ومنه مر الطعم ومنه حلو الطعم وغيرها من الطعوم

وأكثر ألوان ورق النبات أخضر ولكن منها مشبع اللون ومنها أغبر اللون ومنها صافى اللون ومنها كمد اللون ومنها لون ظاهرها خلاف باطنها وهكذا حكم ثمارها وحبوبها وبذورها وأنوارها وأزهارها كل ذلك لعلل وأسباب ومآرب ذلك تقدير العزيز العليم . وذلك أن من الثمار ما له قشرة رقيقة نسجها حريري شفاف ومنها ما قشرته غليظة نسجها ليفي موزى أو غضروفي صلب أو خزفي يابس أو شبكي مربع واسع أو نسيجي كروشي ثخين ومن الثمار ما فى جوف قشرته شحمة ثخينة أو جامدة أو رطبة سيالة عذبة أو حلوة أو عفصة أو مرة أو مالحة أو تفهة أو حامضة أو دهنية دسمة . ومن الثمار مافي جوف شحمه نواة مستديرة الشكل مستطيلة أو مخروطة أو مصمتة أو مجوفة أو فى داخلها لبة دسمة أو مرة أو حلوة أو طعم آخر من الطعوم التسعة ومن الثمار مافي جوف شحمه حب صغار أو كبار صاب أو رخو عليها رطوبة لزجة أو تكون قشفة صلبة مختلفة الاشكال أو مجوفة في داخلها لب أو تكون فارغة

واعلم يا أخي بان بين أوراق الشجر والنبات وبين ثمارها وحبوبها ونورها وأزهارها مناسبات ومشاكلات في الصغر والكبر أو متباينات متفاوتات من جهات عدة . فنها من جهة الصورة والشكل ومنها من جهة اللون والطعم والرائحة ومنها من جهة اللين والخشونة والصلابة والرخاوة ومنها من جهة الكبر والصغر والسعة والضيق والثخن والرقة والشفافة والكمد والازدواج والانفراد وغير ذلك مما يطول شرحه كل ذلك لعلل واسباب ومآرب لايعلم كنهها الا الله تعالى الذى خلقها وأبدعها كما علمها .

ولكن نذكر من ذلك طرفا ونخبر بعللها الهيولانية واسبابها الصورية وأغراضها التامية ليكون دليلا على الباقية وتنبيهاً لنفوس الغافلين عن التفكر في غرائب مصنوعات الباري الحكيم جل ثناؤه ويكون عبرة لأولى الابصار الذين يتفكرون في خلق السموات والارض والآيات التى في الانفس والآفاق وليكون أيضاً ارشاداً لقلوب المتحيرين الذين يظنون إنها ليست بصنع صانع

حكيم ولاقصد قاصد بل اتفاق وينسبونها الى الطبيعة ولا يدرون ماالطبيعة والى النجوم والافلاك ولايدرون كيف ذلك ولم ذلك ولماذا وجد

واعلم ياأخي بان من الثمار ماهو طويل الشكل مدحرج الخلقة مختلف الالوان على نواه قشرة رقيقة حريرية لينة اللمس صلبة النسج وعلى هذه النواة شحمة ثخينة عليها قشرة صلبة ملساء وعلى ظهر النواة نقرة وفى الجانب المقابل خضرة مستطيلة فيها حشو ليفي وعلى رأس الثمرة من خارج قمعة عليها شظيات متفرقة متشبثة بالثمرة ومادة هذه الثمرة من قبل النضج عفصة وبعد النضج حلوة لزجة وهو التمر .

ومن الثمار ماشكله مستدير وخلقته كبيرة عليه قشرة كثيفة ليفية ثخينة مجوفة من داخل واسعة فيهاخزائن مقومةوفيهادعاص مقسمةعليهاحبوب مرصعة اشكالها مخروطة في جوف تلك الحبوب نواة خزفية رخوة في داخلها لبة دسمة وفي أسفل رأس الثمرة من خارج فتحة مستديرة فيها غشاوة ليفيةوعليهاشظيات نابتة وحولها شرفات قائمة مخروطة وهو ثمر الرمان.

ومن الثمار ماشكله مستدير املس وشحمته ثخينة في جوفه نواة مستديرة حسن اللون حسن الملمس في داخل النواة لبة دسمة وهو النبق

ومن الثمر ماشكله مستدير سفطي عليه قشرة ليفية ثخينة من داخلها قشرة أخرى خزفية صلبة مجوفة فيها خزائن مقسومة فيها لبة دسمة عليها قشرةرقيقة وبينها حجب منخرقة أقسامها مهندمة واذا فصلت هذه الثمرة انفصلت بنصفين كالسفطين وهى ثمرة الجوز.

ومن الثمار ماشكله مخروط سفطي وعليه قشرة ليفية في داخلها قشرةخزفية صلبة فيها ثقب نافذ فيها فتايل ليفية وفى داخل هذه القشرة لبة دسمة عليها قشرة رقيقة صلبة وهى ثمرة اللوز

ومن الثمار ليس له نوى وعليه قشرة لحمية وشكله مخروط صنوبري وفى أسفله ثقبة مستديرة فيها شظيات زيبرية وفى جوف هذه الثمرة حبوب صغار

رخوة وطعم مادته قبل النضج لين أبيض غليظ حاد محرق وبعد النضج طعمه حلو وهو ثمرة التين.

ومن الثمار ما اشكاله مختلفة مستدير ومستطيل ومدحرج ومخروط ومختلف الالوان أسود وأبيض واحمر وأصفر واغبر عليه قشور رقيقة صلبة ملسة ملصقة بشحمتها وفى جوف شحمتها حبوب مختلفة الاشكال زيتونية فقاعية مضاعفة ومفردة ومزدوجة وثلثة اربعة خزفية وعظامية ومنها صلبة ومنها رخوة في جوف تلك الحبوب لبة دسمة ومادة شحمتها قبل النضج حامضة وقبل ذلك عفصة وبعد النضج حلوة وهى ثمرة الاعناب.

ومن الثمار ما أشكاله مخروطة أو صدفية عليها قشور رقيقة ملتصقة بشحمتها وهي غليظة ثخينة فى داخلها نواة خزفية اشكالها صدفية داخلها ملساء فيها لبة دسمة والوان هذه الثمار مختلفة وطعمها عذب وحلو ومر وحامض وقبل النضج كلها عفصة وهي الاجاص والمشمش والخوخ وأمثالها.

ومن الثمار ما اشكاله كرية أو مستطيلة أو مدحرجة وعليها قشور لحمية غليظة طعم شحمتها حامض وفي داخلها حب صغار على دعاص مرصعة شبه التلال ما بين خللها لحمة طعمها حامض والوان قشرها أحمر وأخضر وأصفر ومادتها قبل النضج عفصة مثل الاترج والنارنج والايمون وما شاكلها

ومن الثمار ماهى ذات حبة صغيرة وفى داخلها نواة خزفية وفى جوفها لبة دسمة مثل الحبة الخضراء والفستق والسماق وحب الصنوبر

ومن الثمار مالا ينضج مثل البلوط والعفص وثمر السرو والاهليلج

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان البارى جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات جعل أصلها كلها من هيولى واحدة وخالف بينها بالصور المختلفة وجعلها أجناساً وأنواعا مختلفة متفننة متباينة وقوى مابين اطرافها وربط أوائلها وأواخرها بما قبلها رباطاً واحداً على ترتيب ونظام لما فيه

من اتقان الحكمة واحكام الصنعة لتكون الموجودات كلها عالما واحداً منتظما نظاما واحداً وترتيباً واحدا لتدل على صانع احد .

فن أجل تلك الموجودات المختلفة الاجناس المتباينة الانواع المربوطة أوائلها باواخرها وأواخرها بما قبلها في الترتيب وانتظام المولدات ، الكائنات التى دون فلك القمر وهي أربعة اجناس: المعادن والنبات والحيوان والانسان وذلك ان كل جنس منها تحته انواع كثيرة فنها ماهو فى أدون المراتب ومنهاماهوفي اشرفها واعلاها.

ومنها ماهو بين الطرفين فادون اطراف المعادن مما يلى التراب الجص والزاج وانواع الشبوب. والطرف الاشرف الياقوت والذهب الاحمر والباقي بين هذين الطرفين من الشرف والدناءة كما بينا في رسالة المعادن .

وهكذا أيضاً حكم النبات فانه انواع كثيرة متباينة متفاوتة ولكن منه ماهو في ادون الرتبة مما يلى رتبة المعادن وهى خضراء الدمن

ومنها ماهو فى اشرف الرتبة مما يلى رتبة الحيوان وهي شجرة النخل وبيان ذلك أن أول المرتبة النباتية وادونها مما يلى التراب هي خضراء الدمن وليس بشىء سوى غبار يتلبد على الارض والصخور والاحجار ثم تصيبه الامطار وانداء الليل فيصبح بالغد كانه نبت زرع وحشائش فاذا أصابه حر شمس نصف النهار جف ثم يصبح من غد مثل ذلك من أول الليل وطيب النسيم ولا تنبت الكماة ولا خضراء الدمن الا في ايام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما لان هذا معدن نباتي وذلك نبات معدني .

وأما النخل فهو آخر المرتبة النباتية مما يلى الحيوانية وذلك ان النخل نبات حيواني لان بعض احواله مباين لاحوال النبات وان كان جسمه نباتاً ، بيان ذلك ان القوة الفاعلة منفصلة من القوة المنفعلة والدليل على ذلك ان اشخاص الفحولة منه مباينة لاشخاص الاناث ولاشخاص فحولته لقاح في أناثها كما يكون ذلك للحيوان .

فأما سائر النبات فان القوة الفاعلة فيها ليست بمنفصلة عن القوة المنفعلة بالشخص بالفعل حسب مابينا في رسالة لنا وأيضاً فان النخل اذا قطعت رؤوسها جفت وبطل نموها ونشؤها وماتت .

كل ذلك موجود في الحيوان فبهذا الاعتبار تبين ان النخل نباتي بالجسم حيواني بالنفس إذ كانت افعاله افعال النفس الحيوانية وشكل جسمه شكل النبات .

وفي النبات نوع آخر فعله أيضاً فعل النفس الحيوانية لكن جسمه جسم النبات وهو الكشوث وذلك ان هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت في الارض كما يكون لسائر النباتات ولا له أوراق كاوراقها بل انها تلتف على الاشجار والزروع والشوك فتمتص من رطوبتها وتتغذى بها كما يتغذى الدود الذي يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات ويقرضها فيأكلها ويتغذى بها وهذا النوع من النبات وان كان جسمه يشبه النبات فان فعل نفسه فعل الحيوان فقد بان بما وصفنا أن آخر الرتبة النباتية متصل باول المرتبة الحيوانية وأما سائر المراتب النباتية فهي بين هذين .

واعلم يا أخي بأن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان كما ان أول المرتبة النباتية متصل بآخر المرتبة المعدنية وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء كما بينا قبل . فأدون الحيوان وأنقصه هو الذي ليس له إلا حاسة واحدة فقط وهو الحلزون وهي دودة في جوف أنبوبة تنبت تلك الأنبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة وتبسط يمنة ويسرة تطلب مادة يتغذي بها جسمها فاذا أحست برطوبة ولين انبسطت اليه وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف تلك الأنبوبة حذراً من مؤذ لجسمها ومفسد لهيكلها وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق إلا الحس واللمس فقط وهكذا أكثر الديدان التى تتكون في الطين وفى قعر البحار

وأعماق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم لأن الحكمة الالهية من مقتضاها أن لا تعطي الحيوان عضواً لا يحتاج اليه في جذب المنفعة ودفع المضرة لأنها لو أعطته مالا يحتاج اليه لكان وبالا عليه في حفظه وبقائه

فهذا النوع حيوان نباتي لان جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ويقوم على ساقه قائماً ، وهو من أجل أن يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان ومن أجل انه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوان رتبة في الحيوانية وتلك الحاسة أيضاً فقد يشارك بها النبات ، وذلك ان النبات له حس اللمس فقط . والدليل على ذلك ارساله بعروقه نحو المواضع الندية وامتناعه من ارسالها نحو الصخور واليبس أيضاً فانه متى اتفق منبته في مضيق مال وعدل عنه طالباً للفسحة والسعة فان كان فوقه سقف يمنعه من الذهاب علواً وكان له ثقب من جانب مال الى نحو تلك الناحية حتى اذا طال طلع من هناك

فهذه الأفعال تدل على أن له حساً وتمييزاً بمقدار الحاجة . وأما حس الألم فليس للنبات وذلك انه لم يلق بالحكمة الالهية أن تجعل للنبات ألماً ولم تجعل له حيلة الدفع كما جعلت للحيوان وذلك ان الحيوان لما جعلت له أن يحس بالألم جعلت له أيضاً حيلة الدفع إما بالفرار والذهاب والهرب وإما بالتحرز وإما بالممانعة فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي النبات فنريد أن نبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسان فنقول :

ان رتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسانية ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه . وذلك ان رتبة الانسانية لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان ولكن عدة أنواع فنها ماقاربها رتبة الانسانية بصورة جسده مثل القرد ومنها ماقاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه ومنها كالطائر الانساني أيضاً ومثل الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار ونحوهما من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ومنها

النحل اللطيف الصنائع الى ماشا كل هذه الأجناس وذلك انه مامن حيوان يستعمله الناس ويأنس بهم الا ولنفسه قرب من نفس الانسانية

أما القرد فلقرب شكل جسمه من شكل جسد الانسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الانسانية وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس

وأما الفرس الكريم فانه قد بلغ من كرم أخلاقه أنه صار مركباً للملوك وذلك انه ربما بلغ من أدبه انه لايبول ولايروث مادام بحضرة الملك أو حاملا له وله أيضاً مع ذلك ذكاء واقدام في الهيجاء وصبر على الطعن والجراح كما يكون الرجال الشجعان كما وصف الشاعر فقال :

واذا شكا مهري الي جراحه عنداختلاف الطعن قلت له اقدما
لما رآني لست أقبل عذره عض الشكيم على اللجام وحمحما

وأما الفيل فانه يفهم الخطاب بذكائه ويمتثل الامر والنهي كما يمتثل الرجل العاقل المأمور المنهى .

فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الانسان لما يظهر فيها من الفضائل الانسانية . وأما باقي أنواع الحيوانات فهي فيما بين هاتين المرتبتين فسبحان الخالق البارىء القادر القاهر الحكيم العالم الذي خلق الخلائق بقدرته وفضل البعض على البعض برحمته وخلق النبات مع اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها ومنافعها مصلحة ومنفعة لخلقه وخلق الحيوانات الخسيسة والشريفة لنظام العالم ومعايش الخلائق بوجدانهم تعالى الله علواً كبيراً

واذ قد فرغنا من ذكر مراتب الحيوانية مما يلى مراتب الانسانية فينبغي أن نذكر أولا المرتبة الانسانية ممايلى الحيوانية

فصل

اعلم يا أخي بأن أول مرتبة الانسانية التى تلى مرتبة الحيوانية هي مرتبة الذين لايعلمون من الامور الا المحسوسات ولا يعرفون من العلوم الا الجسمانيات

ولايطلبون الا اصلاح الاجساد ولا يرغبون الا في رتب الدنيا ولايتمنون الا الخلود فيها مع علمهم بأنه لاسبيل لهم الى ذلك ولا يشتهون من اللذات الا الاكل والشرب مثل البهائم ولا يتنافسون الا في الجماع والنكاح كالخنازير والحمير ولا يحرصون الا على جمع الذخائر من متاع الحياة الدنيا ويجمعون مالايحتاجون اليه كالنمل ويحبون مالاينتفعون به كالعقعق ولايعرفون من الزينة الا أصباغ اللباس كالطواويس ويتهارشون على حطام الدنيا كالكلاب على الجيف فهؤلاء وان كانت صورهم الجسدانية صورة الانسان فان أفعال نفوسهم أفعال النفوس الحيوانية والنباتية فأعيذك أيها الاخ البار الرحيم أن تكون منهم أو مثلهم وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

وأما رتبة الانسانية التى تلى رتبة الملائكة فهو أن يجتهد الانسان ويترك كل عمل وخلق مذموم قد اعتاده من الصبا ويكتسب أضداده من الاخلاق الجميلة الحميدة ويعمل عملا صالحا ويتعلم علوما حقيقية ويعتقد آراء صحيحة حتى يكون انسان خير فاضلا وتصير نفسه ملكا بالقوة فاذا فارقت جسدها عند الموت صارت ملكا بالفعل وعرج بها الى ملكوت السماء ودخلت في زمرة الملائكة ولقيت ربها بالتحية والسلام كما ذكر الله جل ثناؤه « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وقال تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقال تعالى « لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون » وقال « ادخلوا الجنة التى كنتم توعدون » وآيات كثيرة من القرآن في هذا المعنى

واذ قد ذكرنا طرفاً من كيفية أصول الأشجار وثمارها وأوراقها ذكرا مجملا فنريد أن نذكر أيضاً طرفاً من علل فنون تركيبها والأسباب التى من أجلها وجب أن تكون كذلك ليتبين ما الغرض منها والعناية الربانية بها والحكمة الالهية فيها لتكون دليلا وقياساً على غيرها مما لايعلم أحد كنه غاياتها الا الله الذي خلقها وصورها وأنشأها وأتمها لبلوغ غاياتها وتمام نهاياتها

فمن ذلك شجرة النخيل فانها كثيرة العروق دقيقتها بطيئة النشؤ طويلة العمر منتصبة الارتفاع مستديرة الاصل، مسدسة مخارج السعف مستطيلة الاوراق مزدوجة مقابل رخو الجرم متخلخلة تركيب الجسم محشو خللها بزبير رخو ملتف حوله على أصول سعفه ليفات منسوجة موازية طبقات ثلاث

وأما علة كثرة عدد عروق هذه الشجرة فهي لكيما تجذب بها القوة الطبيعية الجاذبة للمواد الكثيرة وذلك لشدة حاجة هذا الجنس من النبات الى المواد الكثيرة لكبر جثتها وعظم جرمها وطول قامتها وكثرة عدد سعفاتها وأوراقها لكيما تستعمل في جرم أصولها طولا وعرضاً وعمقاً وبعضها في جرم سعفها مثل ذلك وبعضها في جرم أوراقها مثل ذلك وبعضها في ليفها وبعضها في جرم أكمام طلعها وبعضها في جرم قضبان قنواتها وبعضها في جرم نواة ثمرها ودبسها وشيرجها

وأما العلة في جعل تركيب جسم أصلها رطباً رخوا متخلخلا فلكيما يسهل على القوى الطبيعية جذب تلك المواد من أسفلها الى أعاليها ورؤوس أجذاعها وفروع سعفها وأوراقها فلو كان جرم أصلها صلباً متكاثفاً مكتنزاً كسائر الاشجار الطوال كالساج والدلب والسرو لعسر على القوى الطبيعية جذب تلك المواد الى هناك ولكثرة عدد عروق شجر النخل ولطافته علة أخرى وذلك أن أصل جرمه لما كان مركباً من قضبان كأنها خيوطات مجموعة متداخلة جعل لكل خيط منها عروق ممتدة في الارض تمتص بها المواد الى ذلك الخيط مفرداً ليسهل على الطبيعة تقسيم تلك المواد على تلك القضبان من أول الامر ولما كان تركيب جرم شجر النخل على ما ذكرنا من الرخاوة والتخلخل لفت عليها الطبيعة سعفات من الليف على أصول مخارج سعفاتها من أجذاعها كأنها مآزر مشدودة على وسط حمال متشمر كل ذلك لكيما تمسك أصول تلك السعفات على جذوعها ولا تنفصل عنها عند هز الرياح العاصفة لها ولا تتصدع تلك الاجذاع من ثقل أعاليها على أسافلها عند ميلانها يمنة ويسرة عند تحريك الرياح لها

وأما السبب الذي من أجله جعل على الطلع الغلاف فلكيما يحفظه ويصونه من الآفات العارضة من البرد والحر المفرطين والمطر الشديد والرياح والعواصف والغبار وما شاكل هذه الاشياء المضرة بها لأنها تخرج رطبة ندية رخصة رخوة فاذا استحكمت واشتدت انشقت تلك الاكمام والغلف عنها وظهرت لنسيم الهواء وحرارة الجو لتربو وتسمن وتنضجها حرارة الشمس وتصير بسراً ورطباً جنياً هضيماً ثم تجف وتصير تمراً ودبساً جامداً

وأما النساجة الحريرية التي على نواه فجعلت حاجزة بين جرم النواة ودبس الثمرة لئلا يمتص عفوصة جرم النواة وغلظ جوهرها دبس التمر وشيرجها لأن من طبع جواهر الاجسام الارضية أن تشرب نداوة الرطوبات الرقيقة الدهنية وتمتصها فلو لم تجعل تلك الغشاوة الرقيقة الحريرية النسج هناك لاختلط دبس الثمرة مع جرم نواتها وقل الانتفاع بها

وأما الحفرة المستطيلة في جرم نواة الثمرة والفتيلة التي فيها فانما جعلت تلك لكيما تجري فيها تلك المواد من أولها الى آخرها وتجمد أولا فأولا

وأما النقرة التي على ظهر النواة فانما جعلت تلك بابا ومخرجاً عند الغرس ومن هناك يخرج العرق النازل في الارض ليجذب المواد ويمتص النداوة والرطوبة من المغرس ومن هناك تخرج الطاقة المورقة التي تبدو أولا وتظهر من الارض عند الغرس ثم تصير أصلا وجذعاً على مرور الايام وطول الزمان

وأما الاقماع التي على رؤوس الثمرات فجعلت تلك مصفاة للمواد التي تجذبها القوى الطبيعية الى هناك وتميز الغليظ من اللطيف وترسل الليف الرقيق الى ظاهر جرم الثمرة وتجمده عليها دبساً وشيرجا وترسل الغليظ الفحل الى جرم النواة وتجمده عليها

وأما ثمار الجوز واللوز والفستق وأشباهها فتفعل بها الطبيعة مثل هذا التمييز سواء ولكنها ترسل الغليظ الفحل الى ظاهرها واللطيف الرقيق الى باطنها بالعكس مما تفعل في ثمرة الثمرة

وأما ثمرة التين والجميز فلم يميز لطيفها من غليظها لان موادها وكيموسها معتدلان وليس بين الاجزاء الارضية والاجزاء المائية كثير تفاوت فلم تحتج الطبيعة أن تميزهما وتفصلهما مثل ما فعلت في ثمرة التمرة والجوز وما شاكلها من سائر الثمار بل قد ميزت الطبيعة تلك المادة بأجزاء أخرى فجعلت في داخل الثمرة حبوباً صغاراً وعلى خارجها قشرة رقيقة ظاهرة صاينة لرطوبتها من الغبار والقذى

وأما كيفية تركيب عروق شجرة التين وجرم أصولها وقضبانها وورقها وثمرها فهي على غير تركيب شجرة النخلة وذلك أن عروق التين غلاظ ذاهبات تحت الارض في الجهات مستقيما ومعوجاً في عمقها وفيها تجويفات مثل ما فى جوف القصب لكنها أضيق قليلا وهكذا تركيب أصول شجر التين وقضبانها وفروعها فيها تجويفات لطيفة ولها عقد مثل عقد القصب وفى تلك التجويفات زبيرية محشوة خللها

وأما سبب تلك التجويفات التى في عروقها وأصولها وقضبانها فهو لكيما يسهل على القوي الطبيعية الجاذبة جذب تلك المواد من عمق الارض والتى هي الاجزاء الارضية ورطوبات مائية الى أصول أشجارها ورفعها من أسافلها الى أعالى رؤوسها وأطراف فروعها وجعلت تلك العقد في مواضع تلك التجويفات وحشيت زبيراً لكيما يسهل على القوة الماسكة امساك تلك المواد هناك لئلا ترجع الى أسفل بثقلها وتبقى هناك تهضمها القوة الهاضمة وتستعملها القوة الغاذية وتزيد في أجرامها وأطرافها طولا وعرضاً وعمقاً القوة النامية

وأما شجرة العنب فقد ركب جرم أصولها وجسم قضبانها تركيباً غير تركيب شجرة النخل والتين ، أما عروقها فتذهب تحت الارض ممتدة فى الجهات دقاقا وغلاظاً وفيها تجويفات مثل ما في عروق شجرة التين ولكن جرم أصولها يمتد طويلا على وجه الارض ولا يكاد يقوم على ساقه مرتفعاً في الهواء كثيراً

كغيره من الاشجار وعلى ظاهر قضبانه عقد وأنابيب ظاهرة مجوفات محشوة زبيرا مثل قضبان شجر التين للغرض الذي ذكرنا وعليها أليفة منسوجة رخوة سلسة وعند عقد قضبانها تخرج شيظات لينة منبثة تلتف على الاشجار وتتعلق بها وترتقي عليها لتحل عليها ثقل ثمرتها لان أصولها دقيقة لا تطيق حملها ويخرج من ثمرتها حبات مجتمعة متجاورة متعلقة لتغطيها ورقة واحدة على عناقيدها غير محتاجة الى غلاف أو أكمام تصونها من الآفات مثل ما تحتاج ثمرة النخل لان مثل مادتها غليظة صلبة عفصة لا تعرض لها الآفات كما تعرض لثمرة النخل لانها تخرج رخوة رخصة ندية ترفة تسرع اليها الآفات

وأما تركيب ثمرة العنب وحباتها فاذا نضجت تبين عليها هناك قشرة رقيقة حريرية النسج جعلت تلك لتحفظ رطوباتها هناك ودبسها وشيرجها من الآفات العارضة لها من الرياح والغبار، وحرارة الشمس أن تنشف تلك الرطوبات أو تحللها كما تفعل بالمياه المستنقعات وجعل في وسط لحمها عجمات صلبة خزفية مجوفة في داخلها لب دسم هو بذر العنب وبزوره وانما لم يحتج الى أن يكون بين تلك العجمات وبين دبس العنب غشاوة رقيقة مثل ما بين نواة التمرة ودبسها كما ذكرنا قبل لان تلك العجمات وان كانت جواهرها أرضية عفصية فهي صغيرة وهي أيضاً رخوة ليست صلابتها كصلابة نواة التمرة وغلظ جوهرها وعلة أخرى أنها مجوفة في داخلها لب دسم فلم تخف الطبيعة حتى تنشف تلك العجمات بشيرج العنب ولم تجعل بينهما حاجزاً كما جعلت في خلقة التمرة وعلة أخرى أيضاً أن دبس العنبة وشيرجها كثير بالاضافة الى جرم تلك العجمات وليس حكم جرم نواة التمرة ودبسها مثل ذلك بل جرم نواتها بالاضافة الى دبسها وشيرجها كثير فان قال قائل أو ظن متوهم أن الاشجار تغرس ولا تحتاج الى بذر يزرع وبزر يحفظ الى وقت الحاجة فما الحكمة فما كون عجمات العنب وحبات ثمرة التين وغيرها في جوفها فليعلم هذا القائل بان الحكمة الالهية والعناية الربانية لم يذهب عليها هذا المقدار

من العلم ولكن خفيت عليك تلك العلة وذلك السبب فاعترضتك الشكوك والحيرة والظنون والتخيل الفاسد والوهم الكاذب وقد ذكرنا علتها وسببها وجواب سؤالك في موضع آخر تجده ان شاء الله تعالى

تمت الرسالة السابعة من الطبيعيات في ماهية النبات وهي الرسالة العشرون من رسائل اخوان الصفا وتتلوها الرسالة الثامنة في بيان تكوين الحيوانات



الرسالة الثامنة

من الجسمانيات الطبيعيات

في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها

وهي الرسالة الثانية والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر النباتات وبينا طرفاً من كيفية تكوينها ونشؤها ونموها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها ومنافعهاومضارها في رسالة لنا وبينافيها أيضاً بأن أول مرتبة النبات متصلة بآخر مرتبة الجواهر المعدنية وان آخرها متصل بأول مرتبة الحيوان فنريد أن نذكر في هذه الرسالة أيضاً طرفاً من كيفية تكوين الحيوانات وبدء كونها ونشؤها ونمائها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها واختلاف أخلاقها ونبين أيضاً بأن آخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان وآخر مرتبة الانسان متصل بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان الهواء والأفلاك وأطباق السموات ليكون في ذلك بيان ودليل لمن كان له قلب صاف ونفس زكية وعقل راجح على كيفية ترتيب الموجودات ونظام الكائنات عن علة واحدة ومبدأ واحد وانها كترتيب العدد عن الواحد الذي قبل الاثنين . ونبين أيضا

بأن نسبة صورة الانسانية الى صور سائر الحيوانات كنسبة الرأس من الجسد وتقسه كالسائس وأتقسها كالمسوس

وقد بينا في رسالة الاخلاق بأن صورة الانسانية هي خليفة الله في ارضه وبينا فيها أيضا كيف ينبغي أن تكون سيرة كل انسان حتى يستأهل أن يكون من أولياء الله ويستحق الكرامة منه وبينا أيضا في أكثر رسائلنا فضيلة الانسان وخصاله المحمودة وأخلاقه المرضية ومعالمه الحقيقية وصنائعه الحكمية وتدابيره المرضية وسياسته الربانية ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفا من فضائل الحيوانات وخصالها المحمودة وطبائعها المرضية وشمائلها السليمة ونبين أيضا طرفا من طغيان الانسان وبغيه وتعديه على ماسواه مما سخر له من الانعام والحيوانات أجمع وكفرانه النعم وغفلته عما يجب عليه من أداء الشكر وان الانسان اذا كان فاضلا خيراً فهو ملك كريم خير البرية وان كان شريراً فهو شيطان رجيم شر البرية وجعلنا بيان ذلك على ألسنة الحيوانات ليكون أبلغ في المواعظ وأبين في الخطاب وأعجب في الحكايات وأظرف في المسامع وأطرف في المنافع وأغوص في الافكار وأحسن في الاعتبار

فصل

واعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه بأن الجواهر المعدنية هي في أدون مراتب المولدات من الكائنات وهي كل جسم متكون منعقد من أجزاء الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وان النبات يشارك الجواهر في كونها من الاركان ويزيد عليها وينفصل منها بأن كل جسم يتغذى من الاركان وينمو ويزيد في أقطارها الثلاثة طولا وعرضاً وعمقا وان الحيوان أيضا يشارك النبات في الغذاء والنمو ويزيد عليه وينفصل عنه بأنه جسم متحرك حساس . والانسان يشارك النبات والحيوان في أوصافها ويزيد عليها وينفصل عنها بأنه ناطق مميز جامع لهذه الاوصاف كلها

فصل

ثم اعلم يا أخي بأن النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان لانه مادة لها كلها وهيولى لصورها وغذاء لأجسادها وهو كالوالدة للحيوان أعني النبات وذلك انه يمتص رطوبات الماء ولطائف أجزاء الارض بعروقه الى أصوله ثم يحيلها الى ذاته ويجعل من فضائل تلك المواد ورقاً وثماراً وحبوباً نضيجاً ويتناول الحيوان غذاء صافياً هنيئاً مريئاً كما تفعل الوالدة بالولد فانها تأكل الطعام نضيجاً ونيئاً وتناول ولدها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين فلو لم يكن النبات يفعل ذلك من الاركان لكان يحتاج الحيوان الى أن يتغذى من الطين صرفاً ومن التراب سفاً ويكون منغصاً في غذائه وملاذه . فانظر يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه الى معرفة حكمة الباري جل ثناؤه كيف جعل النبات واسطة بين الحيوان وبين الاركان حتى يتناول بعروقه لطائف الاركان وعصاراتها ويهضمها وينضجها ويصفيها ويناول الحيوان من لطائف لبابها وحبوبها وقشورها وورقها وثمارها وصموغها ونورها وأزهارها لطفاً من الله تعالى بخلقه وعناية منه ببريته فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين

فصل

ثم اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الحيوان ماهو تام الخلقة كامل الصورة كالتي تنزو وتحبل وتلد وترضع ومنها ماهو ناقص الخلقة كالذي تتكون من العفونات ومنها ماهو كالحشرات والهوام بين ذلك كالتي تنفذو تبيض وتحضن وتربي

ثم اعلم بأن الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان في بدء الخلق وذلك انها تتكون في زمان قصير والتي هي تامة الخلقة تتكون في زمان طويل لأسباب وعلل يطول شرحها وقد ذكرنا طرفاً منها في رسالة مسقط النطفة ورسالة الافعال الروحانية وتقول أيضاً ان حيوان الماء

وجوده قبل وجود حيوان البر بزمان لان الماء قبل التراب والبحر قبل البر في بدء الخلق

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن الحيوانات التامة الخلقة كلها كان بدء كونها من الطين أولا من ذكر وانثى توالدت وتناسلت وانتشرت في الارض سهلا وجبلا وبراً وبحراً من تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار متساويين والزمان أبداً معتدلا هناك بين الحر والبرد والمواد المتهيئة لقبول الصورة موجودة دائما وهناك أيضاً تكون أبونا آدم ابو البشر وزوجته ثم توالد وتناسلت أولادهما وامتلأت الارض منهم سهلاوجبلا وبراً أو بحراً الى يومنا هذا

ثم اعلم يا أخي بأن الحيوانات كلها متقدمة الوجود على الانسان بالزمان لانها له ولاجله وكل شيء هو من أجل شيء آخر فهو متقدم الوجود عليه، هذه الحكمة في أولية العقل لا تحتاج الى دليل من المقدمات ونتائجها لانه لولم يتقدم وجود هذه الحيوانات على وجود الانسان لما كان للانسان عيش هنيء ولا مروة كاملة ولا نعمة سائغة بل كان يعيش عيشاً نكداً فقيراً بائساً بسوء الحال كما سنبين بعد هذا في فصل آخر عند فراغ زعيم أهل المدن من خطابهم وكيفية أحوالهم كيف تكون عند فقدان الحيوانات

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن صور النبات منكوسة الانتصاب الى أسفل لان رؤوسها نحو مركز الارض ومؤخرها نحو محيط الافلاك والانسان بالعكس من ذلك لان رأسه مما يلي الفلك ورجليه مما يلي مركز الارض في أي موضع وقف على بسيطها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالا من الجوانب كلها ومن هذا الجانب ومن ذلك الجانب والحيوانات متوسطة بين ذلك لا منكوسة

كالنبات ولا منتصبة كالانسان بل رؤوسها الى الآفاق ومؤخرها الى ما يقابله من الافق الآخر كيف ما دارت وتصرفت في جميع أحوالها وهذا الوضع والترتيب الذي ذكرنا من أمر النبات والحيوانات والانسان أمر الهي بواجب الحكمة الالهية والعناية الربانية ليكون في ذلك دلالة وبيان لاولى الابصار والناظرين في أسرار الخلقة والباحثين عن حقائق الاشياء والمعتبرين بما في الارض من الآيات والعلامات والدلالات بأن قوى النفس الكلية المنبثة في العالم من أعلى فلك المحيط الى منتهى مركز الارض بعضها منتصب نحو المركز وبعضها منصرف الى المركز المحيط وبعضها منبث متوجه نحو الآفاق على المركز في كل فج منها جنود الله منصرفين لحفظ العالم وتدبير الخلائق والسياسة الكلية وما رب أخرى لا يعرف كنه معرفتها أحد الا الله عز وجل

وقد بينا في رسالة لنا بأن قوى النفس الكلية أول ما تبتديء تسري في قعر الاجسام من اعلا سطح فلك المحيط الى نحو مركز الارض فاذا سرت في الافلاك والكواكب والاركان والمولدات وبلغت الى مركز الارض من أقصى مدى غايتها ومنتهى نهاياتها عطفت عند ذلك راجعة نحو المحيط وهو المعراج والبعث والقيامة الكبرى

فانظر الآن يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه كيف يكون انصراف نفسك من هذا العالم الى هناك فانها هي احدى تلك القوة المنبثة من النفس الكلية السارية في العالم وقد بلغت الى المركز وانصرفت ونجت من الكون في المعادن أو في النبات أو في الحيوان وقد جاوزت الصراط المنكوس والصراط المقوس وهي الآن على صراط مستقيم آخر درجات جهنم وهي الصورة الانسانية فان جاوزت وسلمت من هذه دخلت الجنة من أحد أبوابها وهي الصورة الملكية التي تكسبها بأعمالك الصالحة وأخلاقك الجميلة وآرائك الصحيحة ومعارفك الحقيقية وبحسن اختيارك فاجتهد يا اخي قبل الفوت وفناء العمر وتقارب

الاجل واركب مع اخوانك في سفينة النجاة يرحمك الله برحمته ولا تكن مع المغرقين واخوان الشياطين

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن الحيوان هو جسم متحرك حساس يتغذى وينمو ويحس ويتحرك حركة مكان وان من الحيوان ما هو في أشرف المراتب مما يلي رتبة الانسانية وهو ما كانت له الحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم. ومنه ما هو في أدون رتبة مما يلي النبات وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس حسب. كالاصداف وما كان كاجناس الديدان كلها تتكون في الطين أو في الماء أو في الخل أو في الثلج أو في لب الثمر أو في الحب أو لب النبات والشجر أو في أجواف الحيوانات الكبار الجثة وما اشبهها

وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبة ويحس اللمس وليس له حاسة أخرى لا الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر غير اللمس وحسب. وهو سريع التكون وسريع الهلاك والفساد والبلى ومنها ما هو أتم بنية وأكمل صورة وهو كل دودة تتكون وتدب على ورق الشجر والنبات ونورها وزهرها ولها ذوق ولمس. ومنها ما هو أتم وأكمل وهو كل حيوان له لمس وذوق وشم وليس له سمع ولا بصر وهي الحيوانات التى تعيش في قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة. ومنها ما هو أتم وأكمل وهو كل حيوان من الهوام والحشرات التى تدب في المواضع المظلمة له لمس وذوق وسمع وشم وليس له بصر مثل الحلمة فباللمس قوام جثته وبالذوق يميز الغذاء من غيره وبالشم يعرف مواضع الغذاء والقوت وبالسمع يعرف دنا المؤذيات له فيحترز قبل الورود والهجوم عليه ولم يجعل له البصر لانه يعيش في المواضع المظلمة ولا يحتاج الى البصر ولو كان له بصر لكان ذلك وبالا عليه من حفظه ففى اغماض العين من القذى ضرورة لان الحكمة

الالهية لم تعط الحيوان عضوا ولا حاسة لا يحتاج اليها ولا ينتفع بها ومنه ماهو أتم بنية وأكمل صورة وهو ماله خمس حواس كاملة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر ثم يتفاضل في الجودة والدون

فصل

ومن الحيوانات مايتدحرج كدودة الثلج ومنها مايزحف كدودة الصدف ومنها ماينساب كالحية ومنها مايدب كالعقارب ومنها مايعدو كالفأر ومنها مايطير كالذباب والبق . ومما يدب ويمشي ماله رجلان ومنها ماله أربع أرجل ومنها ماله ستة أرجل ومنها ماله أكثر كالدخال ومما يطير من الحشرات ماله جناحان ومنها ماله اربعة اجنحة ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخالب وقرون كالجراد ومنها ماله خرطوم كالبق والذباب ومنها ماله مشفر وحمة كالزنابير . ومن الهوام والحشرات ماله فكر وروية وتمييز وتدبير وسياسة مثل النمل والنحل يجتمع جماعة منهم ويتعاونون على أمر المعيشة واتخاذ المنازل والبيوت والقرى وجمع الذخائر والقوت للشتاء ويعيش حولا وربما زاد وما كان غير هذين من الهوام والحشرات مثل البق والبراغيث والذباب والجراد وماشاكلها فانها لا تعيش حولا كاملا لانه يهلكها الحر والبرد المفرطان ثم يتكون في العام القابل مثلها

فصل

ومن الحيوان ماهو أتم بنية مما ذكرنا وأكمل صورة منها وهو كل حيوان بدنه مؤلف من أعضاء مختلفة الاشكال وكل عضو مركب من عدة قطعات من العظام وكل قطعة منها مفننة الهيئات من الطول والقصر والدقة والغلظ والاستقامة والاعوجاج ومؤلفة كلها بمفاصل مهندمة التركيب مشدودة الاعصاب والرباطات محشوة الخلل باللحم منسوجة بالعروق محصنة بالجلدة مغطاة بالشعر والوبر والصوف والريش أو الصدف أو الفلوس وفي باطن أجسادها أعضاء رئيسية كالدماغ والرئة والقلب والكبد والطحال والكليتين والمثانة والامعاء والمصارين

والأوراد والمعدة والكرش والحوصلة والقانصة وماشا كلها

وفي ظاهر البدن ارجل وأيد واجنحة وذنب ومخالب ومناقير وحافر وظلف وخف وما شاكلها كل ذلك لمآرب وخصال عدة ومنافع جمة لا يعلمها الا الذي خلقها وصورها وأنشأها وأتمها وأكملها وبلغها الى اقصى غاياتها وتمام نهاياتها .

وهذه كلها أوصاف والانعام البهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح وبعض حيوان الماء وبعض الهوام كالحيات والانعام وهو كل ماله ظلف مشقوق

والبهائم ما كان لها حافر والسباع ما كان لها أنياب ومخالب الوحوش ما كان مركباً بين ذلك

والطيور ما كان لها اجنحة وريش ومنقار . والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوس ومخالب معقفة معقربة .

وحيوان الماء مايقيم فيه ويعيش والحشرات مايطير وليس لها ريش والهوام مايدب على رجلين أو أربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبيه

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية التي لها عظام كبار وجلود ثخان وأعصاب غلاظ وعروق واسعة وأعضاء كبيرة مثل الفيل والجمل والجاموس وغيرها تحتاج أن تمكث في الرحم زماناً طويلا الى ان تلد لعلتين اثنتين احداهما كيما تجتمع في الرحم تلك المواد التي تحتاج اليها الطبيعة في تتميم البنية وتكميل الصورة.

والعلة الاخرى كيما تدور الشمس في الفلك وتقطع البروج المثلثات المشاكلات الطباع وتحط من هناك قوى روحانيات الكواكب الى عالم الكون والفساد التي تحتاج اليها في تتميم قوى النفس النامية النباتية وقوى النفس الحيوانية الحاسة ليقبل من كل جنس من الكائنات المولدات ماله أن يقبل من تلك القوى

كما بينا طرفا من ذلك في رسالة مسقط النطفة

ثم اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الحيوانات التامة الخلقة الكبيرة الجثة العظيمة الصورة كلها كونت في بدء الخلق ذكراً وأنثى من الطين تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار هناك متساويين والحر والبرد معتدلين والمواضع الكنينة من تصاريف الرياح موجودة هناك والمواد كثيرة متهيئة لقبول الصورة .

ولما لم يكن في الارض مواضع موجودة بهذه الاوصاف جعلت ارحام أناث هذه الحيوانات على هذه الاوصاف من اعتدال الطباع لكيما اذا انتشرت في الارض تناسلت وتوالدت حيث كانوا وأكثر الناس يتعجبون من كون الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من كونها في الرحم من ماء مهين وهي أعجب في الخلقة واعظم في القدرة لان من الناس من يقدر أن يصور حيوانا من الطين أو من الخشب أو من الحديد أو من النحاس كما هي موجودة مشاهدة في أيدي الناس من خلقة الاصنام .

ولا يمكن لاحد أن يصور حيوانا من الماء لان الماء جسم سيال لا تتماسك فيه الصورة فتكون هذه الحيوانات في الارحام أو في البيض من ماء مهين أعجب في الخلقة وأعظم في القدرة من كونها من الطين .

وأيضاً ان أكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل أكثر من خلقة البقة وهي أعجب خلقة وأظرف صورة لان الفيل من كبر جثته له اربعة ارجل وخرطوم ونابان خارجيان والبقة مع صغر جثتها لها ستة أرجل وخرطوم وأربعة أجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وامعاء وأعضاء أخرى لا يدركها البصر وهي مع صغر جثتها مسلطة على الفيل بالأذية ولا يقدر عليها ولا يمتنع بالتحرز منها وأيضاً فان الصانع البشري يقدر على أن يصور فيلا من الخشب أو من الحديد أو من غيرها بكماله ولا يقدر احد من الصناع أن يصور بقة لا من الخشب ولا من الحديد بكمالها .

وايضاً فان كون الانسان من النطفة بديئا ثم في الرحم جنيناً ثم في المهد رضيعاً ثم في المكتب صبياً ثم في تصاريف أمور الدنيا رجلا حكيما أعجب أحوالا وأعظم اقتداراً من كونه يبعث من تراب قبره يوم القيامة وخروج الناس كأنهم جراد منتشر ..

وهكذا أيضاً مشاهدة خروج عشرين فرخة من تحت حضن دجاجة واحدة أو ثلاثة دراجات من تحت حضن دراجة واحدة ينفض عنها قشور بيضها في ساعة واحدة وعدو كل واحدة في طلب الحب وفرارها وهربها من الطالب لها حتى ربما لا يقدر عليها أعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة فما الذي منع المنكرين من الاقرار بذلك وهم يشاهدون مثل هذه التي أعجب هي منها وأعظم في القدرة لولا جريان العادة بها

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بان مشاهدة جريان الامور دائما اذا صارت عادة قل تعجب الناس منها والفكر فيها والاعتبار لها ويعرض لهم من ذلك سهو وغفلة ونوم النفس وموت الجهالة .

فاحذر من هذا الباب يا أخي ولا تكن من الغافلين وكن من الذين ذكرهم الله في كتابه ومدحهم بقوله : « الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » وذم الذين بخلافهم بقوله « وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بان أبدان الحيوانات التامة الخلقة والناقصة الخلقة جميعاً مؤلفة ومركبة من اعضاء مختلفة الاشكال والمفاصل مفننة الهيآت كالرأس واليد والرجل والظهر والبطن والقلب والكبد والرئة وغيرها

كل ذلك لاسباب وعلل وأغراض لايعلم كنه معرفتها الا الله الذي خلقها وصورها كما شاء وكيف شاء

ولكن نذكر منها طرفاً ليتبين صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا وذلك أنه مامن عضو في أبدان الحيوانات صغيراً كان أو كبيراً الا وهو خادم لعضو آخر ومعين له اما في بقائه وتتميمه أو في افعاله ومنافعه مثال ذلك الدماغ في بدن الانسان فانه ملك الجسد ومنشىء الحواس ومعدن الفكر وبيت الروية وخزانة الحفظ ومسكن النفس ومجلس محل العقل.

وان القلب خادم للدماغ ومعينه في أفعاله وان كان هو أمير الجسد ومدبر البدن ومنشأ العروق الضوارب وينبوع الحرارة الغريزية وخادم القلب ومعينه في افعاله ثلاثة أعضاء أخرى وهي الكبد والعروق الضوارب والرئة

وهكذا حكم الكبد بيت الشراب يخدمه ويعينه في افعاله خمسة أعضاء أخرى وهي المعدة والاوراد والطحال والمرارة والكليتان.

وهكذا أيضاً حكم الرئة بيت الريح يخدمها ويعينها في افعالها أربعة أعضاء أخرى وهي الصدر والحجاب والحلقوم والمنخران وذلك ان من المنخرين يدخل الهواء المستنشق الى الحلقوم ويعتدل فيه مزاجه ويصل الى الرئة ويتصفى فيها ثم يدخل الى القلب ويروح الحرارة الغريزية هناك وينفذ من القلب الى العروق الضوارب ويبلغ الى سائر اطراف البدن الذي يسمى النبض ويخرج من القلب الهواء المحترق الى الرئة ومن الرئة الى الحلقوم ومن الحلقوم الى المنخرين أو الى الفم والصدر يخدم الرئة في فتحه لها عنداستنشاق الهواء وضمه اياها عند خروج النفس والحجب تحفظ الرئة من الآفات العارضة لها عند الصدمات والدفعات واضطراب أحوال البدن

وهكذا حكم الكبد تخدمه المعدة بانضاج الكيموس قبل وصوله اليه وتخدمه الاوراد بعصها وايصالها اليه بحال يجذب عكر الكيموس من الاخلاط الغليظة المحترقة منها الى نفسها وتخدمه المرارة بجذب المرة الصفراء الى نفسها

وتصفية الدم منها وتخدمه الكليتان بجذب الرطوبة الرقيقة الهينة منها الى نفسها وهو الذي يكون منه البول وتخدمه العروق المجوفة بجذب الدم اليها وايصاله الى سائر أطراف الجسد الذي هو مادة لجميع أجزاء البدن

وهكذا يخدم المريء والأسنان والفم المعدة وذلك ان الفم هو باب الجسد الذي يدخل منه الطعام والشراب الى عمق الجسد والاسنان تخدمها بالطحن اوالدق والمريء يزدرد ويبلع ويوصلها الى المعدة والامعاء تجذب الثقل وتخرجه من الجسد .

وعلى هذا المثال والقياس مامن عضو في بدن الحيوان الا وهو يخدم البدن في أفعاله ويخدمه عضو آخر ويعينه في أفعاله والغرض الاقصى منها كلها هو بقاء الشخص وتتميمه وتبليغه الى أكمل حالاته اما بذاته أو ببقاء نسله أطول مايمكن في جنس جنس ونوع نوع وشخص شخص

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الحيوانات ماهو أخرس لامنطق له ولاصوت كالسرطان والسلاحف والسمك ، وبالجملة أكثر حيوان الماء الا القليل منها مثل الضفدع والراديا ومنها ماله صوت وهو كل حيوان يستنشق الهواء ويسمع له دوي وزمر كالبق والذباب والزنابير والصراصير والجراد وماشا كلها ويكون ذلك من تحريك أجنحتها

واعلم بأن أصوات الحيوانات المتنفسة متفننة كثيرة الاختلاف من الطول والقصر والغلظ والعظم والصغر والجهير والخفيف وفنون الطنين والزمير والالحان والنغم كل ذلك بحسب طول أعناقها وقصرها وسعة مناخيرها وحلاقيمها وضيقها وصفاء طبائعها وغلظها وشدة قوة استنشاقها الهواء وارسالها وتعديل أنفاسها بعد ترويح الحرارة الغريزية التي في قلوبها أو في عمق أجسادها

والعلة في ان حيوانات الماء أكثرها لاأصوات لها لانها لارئات لها ولا

تستنشق الهواء ولم يجعل لها ذلك لانها لاتحتاج اليها وذلك ان الحكمة الالهية والعناية الربانية جعلت لكل حيوان من الاعضاء والمفاصل والعروق والاعصاب والغشاوات والاوعية بحسب حاجته اليه فى جر المنفعة أو دفع المضرة في بقاء شخصها وتتميمه وتكميله وبلوغه الى أقصى مدى غاياته ولسبب بقاء نسلها من آلات السفاد والالقاح وتربية الاولاد وكل حيوان هو أتم بنية وأكمل صورة فهو أكثر حاجة الى أعضاء كثيرة وآلات مختلفة وأدوات معينة في بقاء شخصه ونتاج نسله . وكل حيوان أنقص بنية وأدون صورة فهو أقل حاجة الى اعضاء مختلفة وادوات مفننة في بقاء شخصه ودوام نسله

بيان ذلك ان الحيوانات ثلاثة أنواع : فمنها ماهو أتم وأكمل وهو كل حيوان ينزو ويحبل ويرضع ويربى الاولاد . ومنها مادون ذلك وهو كل حيوان يسفد ويبيض ويفرخ . ومنها دون ذلك وهو كل حيوان لايسفد ولايبيض ولايلد بل يتكون في العفونات ولايعيش سنة كاملة لان الحر والبرد المفرطين يهلكانها لان أجسادها متخلخلة مفتحة المسام وليس لها جلد ثخين ولاصوف ولاشعر ولاوبر ولاصدف ولاعظام ولاعصب ولافلوس فهي لاتحتاج الى الرئة ولاالطحال ولا المرارة ولاالكلى ولاالمثانة ولااستنشاق الهواء لترويح الحرارة الغريزية إذ كان نسيم الهواء يتصل الى عمق أبدانها لصغر جثتها وفتح مسامها ويحفظ الحرارة الغريزية التى فى مزاج أبدانها وتركيب طبائعها

وأما الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية التى عليها جلود ثخان ولحوم كثيرة وغشاوات وعروق وأعصاب وعظام مصمتة ومجوفة وأضلاع ومصارين وأمعاء وكروش ومعدة وقلب ورئة وطحال وكليتان ومثانة وقحف الرأس والشعر والوبر والصوف والريش والصدف وماشاكلها مما يمنع وصول نسيم الهواء الى عمق أبدانها وترويح الحرارة الغريزية فيها فقد جعل لبعضها رئة وحلقوم ومجار للنفس لكيما يصل نسيم الهواء الى عمق أبدانها ومحابس قعر أجسادها ويروح

الحرارة الغريزية فيها ويحفظ الحياة عليها الى وقت معلوم . فهذا الذي ذكرناه هو حكم الحيوانات التامة الخلقة الكاملة الصورة التي تستنشق الهواء وتتنفس منه وتعيش فيه

وأما أجناس الحيوانات التي تعيش في المياه ولاتخرج منها فانها لا تحتاج الى استنشاق الهواء ولا التنفس منه لان الباريء الحكيم جل ثناؤه لماخلقها في الماء وجعل حياتهامنه وفيه جعلها على طبيعة واحدة وهي طبيعة الماء وركب أبدانها تركيباً يصل برد الماء ورطوبته الى قعر أبدانها وعمق أجسادها وتروح الحرارة الغريزية التي في طباع تركيبها وتنوب عن استنشاقها الهواء وتنفسها منه وجعل لكل نوع منها أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لجثته وجعل على أبدانها من أنواع الصدف وفنون الفلوس وماشا كلها لباساً لها ودثاراً من الحر والبرد وغطاء ووطاء ووقاية لها من الآفات العارضة وجعل لبعضها أجنحة وأذناباً تسبح بها في الماء مثل الطيور في الهواء وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل مأكولها أكثر عدداً من نسل آكلها كل ذلك غرضاً لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زمانا طويلا أطول مايمكن في حياتها وطبائعها

وأما اجناس الطيور التي هي سكان الهواء وقاطنوه فان الباري الحكيم جل ثناؤه جعل ابدانها مختصرة من اعضاء كثيرة مما في ابدان الحيوان البري الذي يحبل ويلد ويرضع ليخفف عليها النهوض في الهواء والطيران فيه وذلك ان الباري لم يجعل للطير اسنانا ولا أذنا بينة ولا معدة ولا كرشاً ولا مثانة ولا خرزات الظهر ولا جلدا ثخينا ولا على أبدانها شعراً ولا صوفا ولا وبرا بل جعل بدل ذلك ريشاً لباساً لها ودثارا من الحر والبرد وغطاء ووطأ ووقاية من الآفات العارضة ويعينها على النهوض والطيران وبدل الاسنان منقارا وبدل المعدة حوصلة وبدل الكرش قانصة

وعلى هذا القياس بدل كل عضو عدم منه عضوا آخر مشاكلا لابدانها

ومناسباً لاجسادها بحسب مآربها ومنافعها ودفع المضار عنها كل ذلك أسباب وعلل لبقاء اشخاصها ودوام نسلها مدة ماأطول مايمكن فى طبائعها وجبلتها

وأما أجناس الحيوانات البرية الآكلة منها العشب فان البارى الحكيم جعل لها أفواها واسعة تتمكن من القبض على الحشيش والكلأ فى الرعى وجعل لها اسنانا حداداً تقطع بها واضراساً صلابا تطحن بها الصلب من العشب والحب والورق والقشر والنوى وجعل لها مريا واسعاً زلقاً تزدرد به ماتعضغه وكروشاً واسعة محملة تملأها وتحمل فيها زادها فاذا اكتفت رجعت الى أماكنها ومرابطها وبركت واستراحت

ومنها ماتجتر وتسترجع مابلعته وتطحنه ثانية وتبلع وتزدرد الى مواضع آخر من كروشها خلقتها غير خلقة الاولى متهيئة لطبخ الحرارة الغريزية لها والتمكن من نضجها لكيما تستمرء بها الطبيعية وتميز ثقلها من لطيفها وتدفع الثقل الى الامعاء والمصارين ويخرج من الثقب والمواضع الممدة لذلك وترد اللطيف الصافى الى الكبد لتطبخها ثانية وتصفيها وتفيض اخلاطها على الاوعية الممدة اقبولها مثل الطحال والمرارة والقلب والكليتين والعروق المجوفة التى هى كالانهار والجداول فى ابدانها ليجري ذلك الدم الصافي فيها الى سائر اطراف اجسادها وتخلف بدلا عما تحلل من ابدانها إذكانت اجساد الحيوانات كلها في الذوبان والسيلان من اسباب داخلة ومن اسباب خارجة .

وما يفضل من تلك المواد فى ابدان الذكر فقد جعل الباري الحكيم لها أعضاء وأوعية ومجاري يحصل فيها وهي النطفة تجري منها الى ارحام الاناث عند السفاد والنزو والجماع .

وجعل في ابدان الاناث أعضاء وأوعية ومجار يحصل فيها وينضاف اليها ماينفضل في ابدان الاناث من الرطوبات المشاكلات لها على مر الايام والشهور وتجتمع وتكثر ويخلق الباري الحكيم منها صورة مثل أحد الزوجين كما شاء

وكيف شاء كما بينا طرفا من ذلك في رسالة مسقط النطفة وكل هذه الاسباب والعلل عناية من الباري الحكيم جل ثناؤه لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زماناً طويلا أطول مايمكن ويتهيأ في ذلك النوع من الحيوان تبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وارحم الراحمين

﴿ فصل ﴾

وأما السباع الأكلة اللحمان فان خلقتها وطباعها وتركيب بعض أعضائها الظاهرة والباطنة وأمزجتها وشهواتها مخالفة لما عليه الحيوانات الأكلة العشب وذلك ان الباري لما خلقها وجعل غذاءها من أكل اللحمان ومادة أبدانها من جثة الحيوانات جعل لها انيابا صلابا ومخالب مقوسة قوية وزندات متينة ووثبات خفيفة وقفزات بعيدة شديدة تستعين بها على قبض الحيوانات وضبطها وخرق جلودها وشق أجوافها وكسر عظامها ونهش لحومها من غير رحمة لها ولا شفقة عليها

وقد تحير أكثر العقلاء وتاه أكثر العلماء والفلاسفة الحكماء من المحققين بفكرتهم في هذا وبحثهم عن عللها وما وجه الحكمة والصواب في هذا وقد بينا نحن ما الحكمة وما الصواب في ذلك في رسالة العلل والمعلولات وسنذكر طرفاً منه في هذه الرسالة في فصل آخر ان شاء تعالى .

﴿ فصل ﴾

اعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الباري الحكيم لما خلق أجناس الحيوانات المختلفة الصور والطباع والمتصرفات قسمها اربعة اقسام :

فنها سكان الهواء وهي أنواع الطيور أكثرها والحشرات جميعها.

ومنها سكان الماء وهو كل حيوان يسبح في الماء كالسمك والسرطان والضفادع والصدف ونحو ذلك .

ومنها سكان البر وهي البهائم والانعام والسباع ومنها سكان التراب وهي

الهوام . وجعل في كل قسم منها بعضا آكلا وبعضا مأكولا

وذلك ان من الطير ماياكل الحب والثمر ومنها ماياكل اللحم وهي الجوارح وكل ماله مخلب ومنقار مقوس لايقدر أن يلتقط الحب أو يأكل الثمر

وهكذا حكم حيوان الماء بعضه آكل وبعضه مأكول وهكذا حكم حيوان التراب من الهوام كالحيات والضب والقطايا واشباهها

فصل

واعلم يأخي أيدك الله وايانا بروح منه ان الباري الحكيم لما خلق الحيوانات التامة البنية قسم بنية أجسادها نصفين اثنين يمنة ويسرة ليكون مطابقاً لأول العدد وللامور المثنوية العنصرية التي ذكرناها في رسالة المبادىء وجعلها ثلاث طبقات وسطاء وطرفين ليكون مطابقاً لاول عدد فرد وللأمور ذوات الاوساط والطرفين وجعل مزاج أبدانها من أربعة أخلاط مطابقاً لاول عدد مجذور ومطابقاً أيضاً لاربع طبائع بعددالاركان الاربعة وجعل لها خمس حواس دراكة لصور المحسوسات ومطابقا لاول عدد دائر ولعدد الطبائع الاربع والخامسة الطبيعة الفلكية وجعل فيها قوة تتحرك بها الى ست جهات مطابقا لاول عدد تام ولعدد سطوح المكعب وجعل في أبدانها سبع قوى فعالة مطابقاً لاول عدد كامل ولعدد الكواكب السيارة وجعل في أبدانها ثمان مزاجات : أربعة مفردة واربعة مزدوجة مطابقا لاول عدد مكعب ولعدد مناسبات الموسيقى وجعل تركيب أبدانها وتأليف أجسادها من تسع طبقات مطابقا لاول عدد فرد مجذور ولعدد طبقات الافلاك المحيطات وجعل في أبدانها اثنى عشر ثقباً أبوابا لحواسها ومآربها مطابقاً لاول عدد زائد ولعدد بروج الفلك وأسس بناء أجسادها على أعمدة ظهورها ثمانية وعشرين خرزة مطابقاً لعدد تام ولمنازل القمر وجعل في أبدانها ثلاثمائة وستين عرقا لجريان الدم الى سائر أطراف أبدانها مطابقا لعدد درج بروج الفلك ولعدد أيام السنة وعلى هذا

القياس والمثال اذا عدوا اعتبر وجد عدد كل عضو مطابقا لعدد جنس من الموجودات فقد تبين بما ذكرنا معنى قول الحكماء الفيثاغوريين أن الموجودات بحسب طبيعة العدد وذلك تقدير العزيز العليم

فصل

في ذكر تصانيف أحوال الطيور وأوقات الطيور وأوقات هيجانها وسفادها وكيفية اتخاذها اعشاشها واصلاح أوكارها وكمية بيضها ومدة حضانتها وكيفية تربيتها لاولادها فنقول

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الطيور ما يتزاوج ويتعاشق ويهيج ويسفد في سائر فصول السنة ويعاون الذكر منها الانثى في تحضين البيض وفي تربية الاولاد كالحمام ومنها ما لا يعاون لا في الحضانة ولا في تربية الاولاد كالديك ومنها ما لا يهيج في السنة الامرتين عند الفصلين المعتدلين الربيع والخريف وفي الصيف وأكثر الطيور لا تهيج ولا تسفد الا في آخر الشتاء عند استقبال الربيع وتبيض فيه وتحضن وتربي أولادها لعلمها بطيب الزمان واعتدال الهواء وكثرة الريف والقوت الموجود في أكثر الاماكن

ومن الطيور ما تتخذ عشاشها بين أغصان الشجر وأوراقها . ومنها ما تتخذه في الاراضين الدغلة بين الحشيش والشوك كالقبج والدراج والطيهوج . ومنها في ثقب الحيطان أو في أصول الاشجار . ومنها تحت السقوف . ومنها على رؤوس الحيطان والخرابات . ومنها على رؤوس الجبال والتلال . ومنها على شطوط الانهار وسواحل البحار ، ومنها ما تتخذ في البراري والقفار وبين الاحجار . ومن طيور الماء ما يأخذ بيضها باحدى رجليه على صدره ويسبح بالاخرى الى أن تحضن وتخرج فراخها

ومن الطيور ما يبيض ويحضن بيضتين . ومنها أربع ، ومنها ست ، ومنها ثمان ومنها عشرة واثنتى عشرة وعشرين وثلاثين

ومن الطيور ما يربي فراخه مما في حوصلته من الحب المتنوع ومنها ماتلقم أفراخها بمنقارها من الصيد والحب والثمر ، ومنها ما تقتص من بيضها بعضا وتحسيه أفراخها كالنعامة ومنها ما يبحث في الارض ويلقي الى افراخه الحب والدبيب كالدراج والدجاج

ومن الطيور ما هو سريع الطيران دائما طول النهار كالخطاف . ومنها ماهو ثقيل الطيران قليلا كالسمان ومنها بعيد الورد كالقطا ، ومنها بعيد الاسفار كالغراب . ومنها ما لا يفارق الموطن كالعصافير . ومنها ما تطير في أسفارها قطاراً كقطار الجمال كالكركي ومنها ما يطير مصطفا متحاذيا كصف المصلين . ومنها ما يطير جماعات مختلطات ملتئمة . ومنها ما يطير مستقبلا للريح . ومنها ما يطير مستدبرا لها . ومنها ما يطير موربا علي الجانب ، ومنها ما يطير متوجها قاصداً ومنها مايطير مرتفعا ومنخفضا ويمنة ويسرة ، ومنها مايطير مستقيما قاصداً ومنها ما اذا نهض للطيران عدا على وجه الارض خطوات ثم استعلى في الجو . ومنها ما ينهض منتصبا دفعة واحدة . ومنها ما يرتقي في جو الهواء مختلفا مستديراً كالصاعد الى المنابر . ومنها ما اذا استقل استقل منعرجا منعطفا كالصاعد للعقبة . ومنها ما اذا استقل في جو الهواء أمسك عن تحريك جناحيه . ومنها ما يمسكها تارة ويحركها تارة أخرى . ومنها ما اذا أراد النزول الى الارض نكس رأسه وزج نفسه منقضا ومصوبا كالمطر يوم الريح . ومنها ما ينزل برفق ملويا كما ينزل من المنارة . ومنها ما ينزل معطفاً يمنة ويسرة كما تنزل الدواب من العقبة ، ومنها ما ينزل مدليا رجليه ضاما جناحيه أو مدليا مرسلا وكل واحد من الطيور متناسب الجناحين من الطول والعرض والوزن والعدد وفى كل جناح أربعة عشر طاقة ريش صلبة قصباتها مجوفة خفاف مصطفة من جانب ومتوازية من جانب وتمامها طاقات أخر أقصر منها موفور الدثار من الجانبين يسد خللها طاقات وعلى أبدان الطائر طاقات من الريش أقصر من ذلك وهو لباس لها وفي خللها طاقات

أخرى صغار لينة الزبير بينة الريف هي دثار لها ووطأ وغطأ من الحر والبرد وزينة لها

وأيضاً أكثر الطير ذنبه مناسب لجناحيه وعدده اثنى عشرة طاقية أو أنقص

ومن الطير ماذنبه أوفر من جناحيه كالطاووس . ومنها ما جناحاه وافران طويلان وذنبه قصير كالكراكى

ومن الطير ما ينقض عن فرخه البيض وهو موفر عليه ريشه كالدراج والدجاج . ومنها ما يكون معرى من الريش ثم يخرج ريشه فى ايام التربية كفراخ الحمام

ومن الطير ما على ريشه دهنا فلا يبتل كطير الماء . ومنها ما يرمى بريشه في كل سنة ويخرج له غيره ومنه ما بين أصابع رجليه غشاوات

ومن طير الماء ماينهض من الماء فى طيرانه . ومنها ما يخرج من الماء الى الارض ثم يطير

ومن الطير ما هو طويل الرجلين والجناحين والعنق والمنقار . ومنها قصير الرقبة طويل المنقار وأكثر الطيور فى طيرانه يجمع رجليه الى صدره . ومنها ما يمدها الى خلفه مع ذنبه كالكراكى واللقالق

ومن الطير ما يكون طويل العنق يطوي عنقه فى طيرانه ومنها ما هو يمده الى قدامه كمالك الحزين

ومن الجوارح من الطير ما يقبض على الطيور في جو الهواء ويأخذها في طيرانها . ومنها ماإذا لحقها في طيرانها دخل من تحتها مستلقياً على ظهره وقبض عليها فقلبها . ومنها ما ينحط عليها ويخطفها من وجه الارض . ومنها ما يقع على رؤوس الغزلان وحمير الوحش وينشب مخالبه فيها ويرفرف بجناحيه على أعينها ويقتلها. والحمام الهادي يعرف سمت البلد المقصود بالنظر في جو الهواء الى جريان الانهار وميل الاودية ثم ينحو السوادات ويتيامن عن الجبال ويتياسر عنها وعن مهب الرياح في تصاريفها

وهكذا تعرف الطيور التي تشتي في البلاد الدفيئة وتصيف في البلدان الباردة مواقعها وأكثر الطيور لها جودة البصر والشم والذوق والسمع وأما اللمس فدون ذلك من أجل الريش الذي على جلودها والجوارح من الطيور كلها وافية الجناحين عريضة الاذناب شديدة الطيران قصيرة الرجلين والرقبة طويلة الافخاذ قوية المخاليب معقربة المناقير لا تقدر على التقاط الحبوب بل تأكل اللحمان وتصطاد غيرها .

ومن الطيور ما يلقط الحب ويأكل الثمر أو يصطاد الحشرات والهوام ويأكل النبت والحشيش .

ومن الطيور ما يطير بالليل والنهار ويسافر ويتعيش .

ومن الطيور ما يطير بالليل دون النهار . وأما أكثرها فبالنهار دون الليل

ومن الطيور ما يأوى بالليل إلى رؤوس الاشجار وبين أغصانها وأوراقها ومنها ما يأوى الى رؤوس الجبال والتلال والحيطان والقلاع . ومنها ما يأوى الى الآجام والدغل . ومنها ما يأوى الى الثقب والاعشاش والاحجرة وتحت السقوف ومنها ما يأوى الى الجزائر بين الانهار والمياه . ومنها ما يبيت في الصحاري وعلى الشطوط ويتحارس بالنوب وعلى السواحل . ومنها ما يبيت في الجو

ومن الطيور ما ينتبه بالأسحار ويترنم ويسبح . ومنها ما يبكر في طلب القوت . ومنها ما يسفر ويتصبح ويضحي ثم يمر وينصرف في طلب القوت « تغدو خماصاً وتروح بطاناً » .

ومن الطيور ما يفرخ وينشر بالغدوات . ومنها بالعشيات . ومنها في انصاف النهار . ومنها في يوم الغيم ، ومنها في يوم الصحو . ومنها في يوم المطر . ومنها في شدة الحر . ومنها في شدة البرد . ومنها في يوم الريح

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان من الطيور ما اذا نهض واستقل

في جو الهواء في طيرانه يكون كشكل المثلث يبسط بجناحين وافيين منشورين وذنب مثل ذلك مناسب لهما مثل الزرازير والخطاطيف ومنها مايكون كشكل المربع بجناحين وافيين منشورين وعنق طويل ممتد من قدام ورجلين طويلين ممتدتين من خلف وذنب قصير مثل الكراكي واللقالق ومن الحشرات مايكون في طيرانه كشكل المسدس له أربعة أجنحة من الجانبين ورأس قدام وذنب خلف كالجراد والبق والزنابير

واعلم يا أخي بأنك اذا تأملت واعتبرت أبدان الطيور والحشرات وجدتها كلها متزنة الجانبين طولا وعرضاً خفة وثقلا يمنة ويسرة وخلفاً وقداماً ومن أجل هذا اذا نتف من احدى جناحيه طاقات ريش اضطرب في طيرانه كرجل أعرج في مشيته اذا كانت احدى رجليه أطول والأخرى أقصر ومن أجل ذلك أيضاً متى نتف من ذنبه طاقات ريش اضطرب في طيرانه مكبوباً على رأسه كمثال زورق أو سمارية في الماء في ثقل صدرها وخفة كوثلها ومن أجل هذا صار بعض الطيور اذا مد رقبته الى قدام مد رجليه الى خلف ليتوازن ثقل رجليه بثقل رقبته كالكراكي ومن الطير مايطوي رقبته الى صدره ويجمع رجليه تحت بطنه في طيرانه كمالك الحزين وعلى هذا المثال حكم سائر الطيور والحشرات في طيرانها

﴿ فصل في بيان بدء الخلق ﴾

يقال انه لما توالدت أولاد بني آدم وكثرت وانتشرت في الارض براً وبحراً وسهلا وجبلا متصرفين فيها في مآربهم آمنين بعد ماكانوا قلقين خائفين مستوحشين من كثرة السباع والوحوش في الارض وكانوا يأوون في رؤوس الجبال والتلال متحصنين فيها وفي المغارات والكهوف ويأكلون من ثمر الاشجار وبقول الارض وحب النبات وكانوا يستترون بأوراق الشجر من الحر والبرد ويشتون في البلدان الدفيئة ويصيفون في البلدان الباردة ثم بنوا في سهول الارض الحصون والقرى والمدن وسكنوها

ثم سخروا من الانعام البقر والغنم والجمال ومن البهائم الخيل والبغال والحمير وقيدوها وألجموها وصرفوها فى مآربهم من الركوب والحمل والحرس والدراس وأتعبوها فى استخدامها وكلفوها أكثر من طاقتها ومنعوها من التصرف فى مآربها بعد ما كانت مخلات فى البرارى والآجام والغياض تذهب وتجيء حيث أرادت فى طلب مراعيها ومشاربها ومصالحها ونفرت منهم بقيتها من حمر الوحوش والغزلان والسباع والوحوش والطيور بعد ما كانت مستأنسة متوالفة مطمئنة فى أوطانها وأماكنها وهربت من ديار بنى آدم الى البراري البعيدة والآجام والدحال ورؤوس الجبال وشمر بنو آدم فى طلبها بأنواع من الحيل والقنص والشباك والفخاخ واعتقد بنو آدم فيها انها عبيد لهم ، هربت وخلعت الطاعة وعصت ثم مضت السنون والايام على ذلك الى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله ودعا الانس والجن الى الله ودين الاسلام فأجابته طائفة من الجن وحسن اسلامها ومضت على ذلك مدة من الزمان

ثم انه ولى على بنى الجان ملك منها يقال له بيراست الحكيم لقبه شاه مردان . وكانت دار مملكته مردان فى جزيرة يقال لها صاغون فى وسط البحر الاخضر مما يلي خط الاستواء وهي طيبة الهواء والتربة فيها أنهار عذبة وعيون جارية وهي كثيرة الريف والمرافق وفنون الاشجار وألوان الثمار والرياض والانهار والرياحين والانوار ثم انه طرحت الرياح العاصفة فى وقت من الزمان مركباً من سفن البحر الى ساحل تلك الجزيرة وكان فيها قوم من التجار والصناع وأهل العلم وسائر أغنياء الناس فخرجوا الى تلك الجزيرة وطافوا فيها فوجدوها كثيرة الاشجار والفواكه والثمار والمياه العذبة والهواء الطيب والتربة الحسنة والبقول والرياحين وأنواع الزرع والحبوب مما تنبته أمطار السماء ورأوا فيها أصناف الحيوانات من البهائم والانعام والطيور والسباع والوحوش والهوام والحشرات أجمع وهي كلها متألفة بعضها فى بعض مستأنسة غير متنافرة

ثم ان اولئك القوم استطابوا ذلك المقام واستوطنوا وبنوا هنالك البنيان وسكنوا ثم انهم أخذوا يتعرضون لتلك البهائم والانعام التي هناك يسخرونها ليركبوها ويحملوا عليها أثقالهم على المنوال الذي كانوا يفعلون في بلدانهم فنفرت منهم تلك البهائم والانعام التي كانت هناك وهربت وشردوا في طلبها بأنواع من الحيل في أخذها واعتقدوا فيها انها عبيد لهم، هربت وخلعت الطاعة وعصت فلما علمت تلك البهائم والانعام هذا الاعتقاد منهم فيها جمعت زعماءها وخطباءها وذهبت الى بيراست الحكيم ملك الجن وشكت اليه مالقيت من جور بني آدم وتعديهم عليها واعتقادهم فيها فبعث ملك الجن رسولا الى اولئك القوم ودعاهم الى حضرته فذهب طائفة من أهل ذلك المركب الى هناك وكانوا نحواً من سبعين رجلا من بلدان شتى فلما بلغه قدومهم أمر لهم بطرح الانزال والاكرام ثم أوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة أيام

وكان بيراست الحكيم عادلا كريماً منصفاً سمحاً يقري الاضياف ويؤوي الغرباء ويرحم المبتلى ويمنع الظلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولايبتغي بذلك غير وجه الله تعالى ومرضاته فلما وصلوا اليه ورأوه على سرير ملكه حيوه بالتحية والسلام فقال لهم الملك على لسان الترجمان : ما الذي جاء بكم الى بلادنا وما دعاكم الى جزيرتنا من غير مراسلة قبل ذلك

قال قائل من الانس دعانا ماسمعنا من فضائل الملك ومابلغنا من مناقبه الحسان ومكارم أخلاقه الجسام وعدله وانصافه في الاحكام فجئناه ليسمع كلامنا ويتبين حجتنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين وخولنا المنكرين ولايتنا والله يوفق الملك للصواب ويسدده للرشاد وهو أحكم الحاكمين

فقال الملك قولوا ماتريدون وبينوا ماتقولون . قال زعيم الانس نعم أيها الملك نقول ان هذه البهائم والانعام والسباع والوحوش أجمع عبيد لنا ونحن أربابها وهي خول لنا ونحن مواليها فمنها هارب آبق عاص ومنها مطيع كاره منكر للعبودية

قال الملك للانسي ماالدليل والحجة على مازعمت وادعيت . قال الانسي نعم أيها الملك لنا دلائل شرعية سمعية على ماقلنا وحجج عقلية على ماادعينا . فقال الملك هات أوردها فقام الخطيب من الانس من أولاد العباس ورقى المنبر وخطب الخطبة وقال :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وصاحب الشفاعة يوم الدين وصلوات الله على ملائكته المقربين وعلى عباده الصالحين من أهل السموات والارضين من المؤمنين والمسلمين وجعلنا واياكم منهم برحمته وهوارحم الراحمين.

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهرا وخلق منه زوجة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وأكرم ذريتهما وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات . قال الله عز وجل : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » وقال تعالى : «وعليها وعلى الفلك تحملون » وقال : « وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم » وقال : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » وقال : « لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه » وآيات كثيرة في القرآن والتوراة والانجيل تدل على انها خلقت لنا ومن أجلنا وهي عبيد لنا ونحن اربابها واستغفر الله لي ولكم .

فقال الملك قد سمعتم يامعشر البهائم والانعام ما قال الانسي من آيات القرآن فاستدل بها على دعواه فأي شيء لكم وعندكم نيما قال فقام عند ذلك زعيمها وهو البغل فقال :

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد القديم السرمد الذي كان قبل الاكوان بلا زمان ولا مكان ثم قال كن فكان نورا ساطعاً أظهره من مكنون غيبه ثم خلق من النور بحرا من النار اجاجاً وبحرا من الماء رجراجاً ذا امواج ثم خلق من

الماء والنار افلاكا ذوات ابراج وشهابا وهاجاً ، والسماء بناها والارض دحاها والجبال ارساها وجعل اطباق السموات مسكن العليين وفسحة الافلاك مسكن الملائكة المقربين،والارض وضعها للانام وهو النبات والحيوان ثم خلق الجان من نار السموم وخلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين في قرار مكين وجعل ذريته في الارض يخلفون ليعمروها ولا يخربوها ويحفظون الحيوانات وينتفعون بها ولا يظلمونها ولا يجورون عليها استغفر الله لي ولكم

ثم قال ليس في شيء مما قرأ هذا الانسي من آيات القرآن أيها الملك دلالة على مازعم انهم ارباب ونحن عبيد لهم انما هي آيات تذكار بانعام الله عليهم واحسانه فقال لهم سخرها لكم كما قال سخر الشمس والقمر والسحاب والرياح أفترى أيها الملك بانها عبيد لهم ومماليك وانهم اربابها

واعلم أيها الملك بأن الله خلق كل مافي السموات والارض وجعلها مسخرة بعضها لبعض اما لجر منفعتها اليها أو دفع مضرتها فسخر الله الحيوان للانسان بما هو لايصال المنفعة اليها ودفع المضرة عنها كما سنبين بعد هذا الفصل لا كما ظنوا وتوهموا وماقالوه من الزور والبهتان بانهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم

﴿ فصل ﴾

ثم قال زعيم البهائم أيها الملك كنا نحن وآباءنا سكان الارض قبل خلق آدم أبي البشر قاطنين في ارجاءها ، ظاعنين في فجاجها،تذهب وتجيء كل طائفة منا في بلاد الله في طلب معائشها وتتصرف في صلاح أمورها كل واحد مقبل على شأنه في مكان موافق لمآربه من برية أو أجمة أو جبل أو ساحل أو تلال أو غياض أو رمال كل جنس منا مؤالف لابناء جنسه مشتغلين باتخاذ نتاجنا وتربية الاولاد في طيب من العيش بما قدر الله لنا من المأكل والمشارب والتمتع آمنين في أوطاننا معافين في ابداننا نسبح الله ونقدسه ونوحده ليلا ونهاراً ولا نعصيه ولا نشرك به شيئاً ومضت على ذلك الدهور والازمان .

ثم ان الله جل ثناؤه خلق آدم أبا البشر وجعله خليفة في الارض وتوالد أولاده وكثرت ذريته وانتشرت في الارض براً وبحرا وسهلا وجبلا وضيقوا علينا الاماكن والاوطان وأخذ منا من أخذ أسيرا من الغنم والبقر والخيل والبغال والحمير وسخروها واستخدموها واتعبوها بالكد والعناء في الاعمال الشاقة من الحمل والركوب في السفر والحضر والشد في الفدن والدواليب والطواحين بالقهر والغلبة والضرب والهوان والوان من العذاب طول أعمارنا فهرب منا من هرب في البراري والقفار ورؤس الجبال وشمر بنو آدم في طلبنا بانواع من الحيل فمن وقع منا في ايديهم شدوه بالذل والقيد والقفص والذبح والسلخ وشق الاجواف وقطع المفاصل ونتف الريش وجز الشعر والوبر ثم نار الطبخ والوقد والتشوية والوان من العذاب مالا يبلغ الوصف كنهها .

ومع هذه الاحوال كلها لا يرضى منا هؤلاء الادميون حتى ادعوا علينا أن هذا حق واجب لهم علينا وانهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم فمن هرب منا فهو آبق عاص تارك الطاعة كل هذا بلا حجة لهم علينا ولا بيان ولا برهان الا القهر والغلبة .

فلما سمع الملك هذا الكلام وفهم هذا الخطاب أمر مناديا فنادى في مملكته ودعا الجنود والاعوان من قبائل الجن من بني ساسان وبني خاقان وأولاد شيصبان والقضاة العدول والفقهاء من آل ادريس وبني بلقيس وقعد لفصل القضاء بين زعماء الحيوانات والجدليين من الانس . ثم قال لزعماء الانس ما تقولون فيما تحكي هذه البهائم والانعام من الجور وما يشكون من الظلم والتعدي منكم فقال زعيم الانس :

نقول أن هؤلاء عبيد لنا ونحن مواليها ولنا أن نتحكم عليها تحكم الأرباب ونتصرف فيها تصرف الملاك كيف شاء . فمن أطاعنا طاعته لله ومن عصانا وهرب فمعصيته لله . فقال الملك للانسي ان الدعاوي لا تصح عند الحكام الا بالبينات

ولا تقبل الا بالحجة الواضحة فيما قلت وادعيت ، فقال الانسى ان لنا حججاً عقلية ودلائل فلسفية تدل على صحة ما قلنا . قال الملك ما هي بينها لنعلمها . قال نعم حسن صورتنا وتقويم بنية هيكلنا وانتصاب قامتنا وجودة حواسنا ودقة تمييزنا وذكاء نفوسنا ورجحان عقولنا كل هذا يدل على انا أرباب وهم عبيد لنا . فقال الملك لزعيم البهائم ما تقولون فيما قال الانسى . قال ليس شيء مما قال بدليل على ما ادعى هذا الانسى . قال الملك أليس انتصاب القيام واستواء الجلوس من شيم الملوك وانحناء الاصلاب والانكباب على الوجوه من صفات العبيد . قال الزعيم وفقك الله أيها الملك للصواب وصرف عنك سوء الامور استمع لما أقول

اعلم بأن الله جل ثناؤه ماخلقهم على تلك الصورة ولاسواهم على هذه البنية لتكون دلالة على انهم أرباب ولا خلقنا على هذه الصورة وسوانا على هذه البنية لتكون دلالة على انا عبيد ولكن لعلمه واقتضاء حكمته بأن تلك البنية هي أصلح لهم وهذه أصلح لنا

﴿ فصل في بيان علة اختلاف صور الحيوانات ﴾

بيان ذلك ان الله عز وجل لما خلق آدم وأولاده عراة بلا ريش على أبدانهم ولا وبر ولا صوف على جلودهم يقيهم من الحر والبرد وجعل أرزاقهم من ثمر الاشجار ودثارهم من أوراقها وكانت الاشجار منتصبة في جو الهواء جعل أيضاً قامتهم منتصبة ليسهل عليهم تناول الثمر والورق منها وهكذا لما جعل ارزاقنا من حشيش الارض جعل بنية أبداننا منحنية ليسهل علينا تناول العشب من الارض فلهذه العلة جعل صورهم منتصبة وصورنا منحنية لا كما توهموا . فقال الملك ماتقولون في قول الله عز وجل « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » . قال الزعيم أن للكتب النبوية تأويلات وتفسيرات غير ما يدل عليه ظاهر ألفاظها يعرفها العلماء الراسخون في العلم فليسأل الملك أهل الذكر . قال الملك لحكيم الجن ما

معنى قوله « في أحسن تقويم » . قال في اليوم الذى خلق فيه آدم كانت الكواكب في اشراقها وأوتاد البروج قائمة والزمان معتدلا كثير المواد . وكانت متهيئة لقبول الصور فجاءت بنيته في أحسن صورة وأكمل هيئة . قال الملك وكفى بهذه الفضيلة كرامة وافتخاراً . قال الحكيم ان لها معنى غير ما ذكر وتبين ذلك بقوله : « فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » يعني لم يجعلك طويلا دقيقا ولا قصيرا لزيقا بل ما بين ذلك . فقال زعيم البهائم ونحن كذلك فعل بنا أيضاً لم يجعلنا طوالا ولا دقاقاً ولا قصاراً ولا صغاراً بل بين ذلك فنحن وهم في هذه الصورة والفضيلة والكرامة بالسوية . فقال الانسى لزعيم البهائم من أين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة وقد نرى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الاذنين قصير الذنب ونرى الفيل عظيم الخلقة طويل النابين واسع الاذنين صغير العينين ونرى البقر والجاموس طويل الذنب غليظ القرون ليس له أنياب من فوق ونرى الكبش عظيم القرنين كبير الالية ليس له لحية والتيس طويل اللحية ليس له الية مكشوف العورة ونرى الارنب صغير الجثة كبير الاذنين وعلى هذا المثال والقياس نجد الحيوانات والسباع والوحوش والطيور والهوام مضطربات البنية غير متناسبة الاعضاء

فقال زعيم البهائم هيهات ذهب عليك ايها الانسى احسنها وخفى عليك أحكمها . أما علمت انك لما عبت المصنوع فقد عبت الصانع او لا ترى وتعلم بأن هذه كلها مصنوعات الباري الحكيم خلقها بحكمته لعلل وأسباب وأغراض لجر المنفعة اليها ودفع المضرة عنها ولا يعلم ذلك الا هو والراسخون في العلم ، قال الانسى فخبرنا أيها الزعيم اذا كنت حكيم البهائم وخطيبها ما العلة في طول رقبة الجمل . قال ليكون مناسباً لطول قوائمه لينال الحشيش من الارض ويستعين به على النهوض بحمله وليبلغ مشفره الى سائر أطراف بدنه فيحكها

وأما خرطوم الفيل فعوض عن طول الرقبة وكبر أذنيه ليذب البق والذباب

عن ما في عينيه وفه اذ كان فه مفتوحاً أبداً لا يمكنه ضم شفتيه لخروج أنيابه منه وأنيابه سلاح له يمنع بها السباع عن نفسه

واما كبر اذن الارنب فهو من اجل أن تكون دثاراً لها ووطاء وغطاء في الشتاء والصيف ، لانه رقيق الجلد ترف البدن وعلى هذا القياس نجد كل حيوان جعل الله عز وجل له من الاعضاء والمفاصل والادوات بحسب حاجته اليه لجر المنفعة أو دفع المضرة والى هذا المعنى أشار موسى عليه السلام بقوله « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

وأما الذي ذكرت أيها الانسي من حسن الصورة وافتخرت به علينا فليس فيه شيء من الدلالة على مازعمت بأنكم أرباب ونحن عبيد فاذا كان حسن الصورة شيء مرغوب فيه عند أبناء الجنس من الذكور والاناث ليدعوهم ذلك الى الجماع والسفاد والنتاج والتناسل لبقاء النسل فاننا لانرغب في محاسن اناثنا ولا اناثنا في محاسن ذكراننا كما لايرغب السود في محاسن البيض ولا البيض في محاسن السود وكما لايرغب اللواط في محاسن الجواري ولا الزناة في محاسن الغلمان فلا فخر لكم علينا بمحاسن الصور أيها الانسي

﴿ فصل في بيان جودة الحواس في الحيوانات ﴾

وأما الذي ذكرته من جودة حواسكم ودقة تمييزكم وافتخرتم به علينا فليس ذلك لكم خاصة دون غيركم من الحيوانات لان فيها ماهو أجود حاسة منكم وأدق تمييز فمن ذلك الجمل فانه مع طول قوائمه ورقبتـه وارتفاع رأسه من الارض في الهواء يبصر ويرى موضع قدميه في الطرقات الوعرة والمسالك الصعبة في ظلم الليل مالايرى ولايبصر أحدكم الا بسراج أو مشعل أو شموع وترى الفرس الجواد يسمع وطء الماشي من البعد في ظلمة الليل حتى انه ربما نبه صاحبه من نومه بركضة رجليه حذراً عليه من عدو أو سبع وهكذا نجد كثيراً من الحمير والبقر اذا سلك بها صاحبها طريقاً لم يسلكها قبل خلاها ثم رجعت الى

مكانها ومعقلها وموضعها المألوف فلا تتيه وقد يوجد من الانس من قد يسلك طريقاً دفعات ثم انه يضل فيه ويتيه ونجد من الغنم والشاء ما يلد منها في ليلة واحدة عدداً كثيراً وتسرح من الغد الى الرعي وتروح بالعشي وتخلى من الوثاق مائة من البهائم وأكثر فيذهب كل واحد الى أمه لا يشكل عليها أمهاتها ولا تشتبه وكذلك أولادها على أمهاتها والانسي ربما يمر به الشهر والشهران أو أكثر وهو لايعرف والدته من أخته ولا والده من أخيه فأين وجود الحاسة ودقة التمييز الذي ذكرته وافتخرت به علينا أيها الانسي

وأما الذي ذكرته من رجحان العقول فلسنا نرى له أثر أو علامة لانه لو كان لكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشيء ليس هو من افعالكم ولا اكتساب منكم بل هي مواهب من الله جل ذكره لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه وإنما العقلاء يفتخرون باشياء هي افعالهم من الصنائع المحكمة والآراء الصحيحة والعلوم الحقيقية والمذاهب المرضية والسنن العادلة والطرق المستقيمة ولسنا نراكم تفتخرون بشيء منها غير دعوى بلا حجة وخصومة بلا بينة

﴿ فصل في بيان شكاية الحيوان من جور الانس ﴾

قال الملك للانس قد سمعت الجواب فهل عندك شيء غير ما ذكرت قال نعم أيها الملك هنالك مسائل أخر ومناقب غير ماذكرت تدل على أنا أرباب وهم عبيد لنا فمن ذلك بيعنا وشراؤنا لها واطعامنا وسقيانا لها اذا مرضت ونكسوها ونكفيها من الحر والبرد وندفع عنها السباع ان تفترسها ونداويها اذا مرضت وننفق عليها اذا اعتلت ونعلمها اذا جهلت ونخليها اذا اعيت ونعرض عنها اذا جنت كل ذلك اشفاقا عليها ورحمة لها وتحننا عليها وكل هذا من افعال الارباب بعبيدها والموالي بخولها

قال الملك للزعيم قد سمعت ماذكر فاي شيء عندك أجب قال زعيم البهائم أما ذكره انا نبيعها ونشتريها فهكذا يفعل أبناء فارس بابناء الروم وأبناء الروم بابناء فارس اذا ظفر بعضهم ببعض افترى أيهم العبيد وأيهم الموالي والارباب وكذلك

يفعل أبناء الهند بابناء السند وأبناء السند بابناء الهند فايهم الموالي وأيهم العبيد وهكذا يفعل أبناء الحبشة بابناء النوبة وأبناء النوبة بابناء الحبشة وكذلك يفعل أبناء الاعراب والاكراد والاتراك بعضهم ببعض فايهم ليت شعري العبيد وأيهم الموالي بالحقيقة وهل هي أيها الملك العادل الا دول ونوب تدور بين الناس بموجبات أحكام النجوم والقرانات كما ذكر الله تعالى ذلك « وتلك الايام نداولها بين الناس وما يعقلها إلا العالمون » وأما الذي ذكر بانا نطعمها ونسقيها ونكسوها وما ذكره من سائر ما يفعلون بنا فليس ذلك لشفقة علينا منهم ولا رحمة لنا ولا تحننا علينا ولا رأفة بنا بل مخافة أن نهلك فيخسرون أثماننا وتفوتهم المنافع منا من شرب البالنا ودثارهم من أصوافنا وأوبارنا وأشعارنا وركوبهم ظهورنا وحملهم اثقالهم علينا لاشفقة ولا رحمة كما ذكر. ثم تكلم الحمار فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى في أيدي بنى آدم موقرة ظهورنا باثقالهم من الحجارة والاجر والتراب والخشب والحديد وغيرها ونحن نمشى تحتها ونجهد بكد وعناء شديد وبأيديهم العصا والمقارع يضربون وجوهنا وادبارنا بحنق وعنف وضجر وصخب لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك فاين الرحمة وأين الشفقة والرأفة منهم علينا كما زعم هذا الانسى ثم تكلم الثور فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن اسارى في أيدي بنى آدم مقرنين في فدانهم مشدودين في دواليبهم وارحيتهم مغطاة وجوهنا مشدودة أعيننا وهم يضربونا مع ذلك لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا فاين الرحمة والشفقة والرأفة منهم علينا كما زعم هذا الانسى

ثم تكلم الكبش فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى في أيدى بنى آدم يأخذون صغار أولادنا من الجدي والحملان فيفرقون بينها وبين أمهاتها ليستأثروا بالبالنا لاولادهم ويجعلوا أولادنا مشدودة أرجلها وأيديها محمولة الى المذابح والمسالخ جائعة عطشانة تصيح فلاترحم وتصرخ وتستغيث فلا تغاث ثم نراها مذبوحة مسلوخة مشقوقة أجوافها مفرقة أعضاؤها ورؤسها وكروشها ومصارينها وأكبادها في دكاكين القصابين مقطعة بالسواطير مطبوخة فى

القدور مشوية في التنور ونحن سكوت لا نبكي ولا نشكوا وان شكونا أو بكينا لم نرحم فاية رحمة وأية رأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسى

ثم تكلم الجمل فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدي بنى آدم مخزومة أنوفنا ، بأيدى جماليهم خطامنا ، يجروننا على كره منا محملة ظهورنا بأثقالهم نقاد ونساق في ظلم الليل في القفار والفلوات والمسالك الوعرة والحيوانات قائمة في أوطانها ونحن نمشى بأثقالهم نصدم الصخور والحجارة والدكادك باخفافنا مقرحة جنوبنا وظهورنا من احتكاك أقتابنا ونحن جياع عطاش لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك فأين الرحمة والرأفة علينا كما زعم هذا الانسى

ثم تكلم الفيل فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن أسارى في أيدي بنى آدم والقيود في أرجلنا والقلوس في رقابنا وكلاليب الحديد في أيديهم يضربون بها في أدمغتنا يضربوننا يمنة ويسرة على كره منا مع كبر جثتنا وعظم خلقتنا وطول أنيابنا وشدة قوانا لا نقدر على دفع ما نكره لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك فأين الرحمة وأين الرأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسى

ثم تكلم الفرس فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدى بنى آدم واللجم في أفواهنا والسروج على ظهورنا والبطرنجات والحزم مشدودة على أوساطنا والفرسان المدرعة على ظهورنا تزج وتهجم بنا في الغبار عواريا جياعاً وعطاشا والسيوف في وجوهنا والسهام في نحورنا والرماح في صدورنا نخوض المياه ونسبح الدماء لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك

ثم تكلم البغل فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن أسارى في أيدي بنى آدم والشكال في أرجلنا واللجم في أفواهنا والحكمات في أحناكنا والاقفال على فروجنا ممنوعين عن شهوات نتاجنا والاكف على ظهورنا وسفهاء الانس من الساسة والركابة فوق ذلك وبأيديهم العصى والمقارع يضربون وجوهنا وأدبارنا ويشتموننا بأقبح ما يقدرون عليه من الشتم والفحشاء بحنق وغيظ وسفاهة حتى انه ربما بلغ به السفه منهم أن يشتموا أنفسهم واخواتهم وامهاتهم وبناتهم

ويقولون اير الحمار في است من باعه واشتراه أو ملكه يعنى به صاحبه كل ذلك راجع اليهم وهم به أولى

فاذا فكرت أيها الملك فيما هم فيه من هذه الاوصاف من السفاهة والجهالة والفحشاء والقبيح من الكلام رأيت منهم عجباً من قلة التحصيل لما هم فيه من الاحوال المذمومة والصفات القبيحة والاخلاق الرديئة والاعمال السيئة والجهالة المتراكمة والآراء الفاسدة والمذاهب المختلفة ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون ولا يتعظون بمواعظ أنبيائهم ولا يأتمرون بوصية ربهم حيث يقول : « وليعفوا أو ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » . وقوله تعالى « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » وقوله تعالى « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » وقوله تعالى : « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » وقوله تعالى : « لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولون سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا منقلبون »

فلما فرغ البغل من كلامه التفت الجمل الى الخنزير فقال له قم وتكلم واذكر ما تلقون معشر الخنازير من جور بنى آدم واشك الى الملك الرحيم فلعله يرق لنا ويرحمنا ويفك أسرنا من أيدي بنى آدم فانكم من الانعام

فقال حكيم من حكماء الجن لا لعمري ليس الخنزير من الانعام بل من السباع ألا ترى ان له أنياباً ويأكل الجيف

وقال قائل آخر من الجن بل هو من الانعام ألا ترى ان له ظلفاً ويأكل العشب والعلف وقال الآخر لا بل هو مركب من السباع والانعام والبهائم مثل الفيل والزرافة مركبة من الحمار والجمل

ثم قال الخنزير للجمل والله ما أدري ما أقول وممن أشكو من كثرة اختلاف القائلين في أمرنا

أما حكماء الجن فقد سمعت ما قالوا . وأما الانس فهم أكثر اختلافاً في أمرنا وأبعد رأياً ومذهباً وذلك ان المسلمين يقولون انا ممسوخون ملعونون ويستقبحون صورتنا ويستثقلون أرواحنا ويستقذرون لحومنا ويتشاءمون من ذكرنا وأما أبناء الروم فيتنافسون فى أكل لحومنا في قرابينهم ويتبركون بها الى الله

أما اليهود فيغضبوننا ويشتموننا ويلعنوننا من غير ذنب منا اليهم ولاجناية عليهم لكن لعداوة بينهم وبين النصارى وأبناء ازوم وأبناء الارمن فحكمنا عندهم كحكم البقر والغنم عند غيرهم يتبركون بنا من خصب أبداننا وسمن لحومنا وكثرة نتاجنا وغزارة الباننا

وأما الاطباء من اليونانيين فيتداوون بشحومنا ويتواصفونها في ادويتهم وعلاجاتهم .

واما ساسة الدواب فيخالطوننا بدوابهم وعلفهـا لان حالها يصلح عندهم بمخالطتنا وشمها روائحنا

واما الاساكفة والجرازون فيتنافسون في شـعر اعرافنا ويتبادرون في نتف اسلتنا في شدة حاجتنا اليها فقـد تحيرنا لا ندري لمن نشكر وممن نشكو وممن نتظلم

فلما فرغ الخنزير من كلامه التفت الحمار الى الارنب وكان واقفاً بين قوائم الجمل فقال له قم فتكلم واذكر ما تلقون معشر الارانب من جور بنى آدم واشك الى الملك الرحيم لعله يرحمنا وينظر في امرنا ويفك اسرنا من ايدي بنى آدم

فقال الارنب اما نحن فقد هربنا من بنى آدم وتركنا دخول ديارهم واوينا الى الدحال والغياض وسلمنا من شرورهم ولـكنا بلينا بالـكلاب والخيل والجوارح ومعاونتهم لبنى آدم علينا وحملهم الينا وطلبهم لنا ولاخواننا من الغزلان وحمر الوحوش وبقرها وابلها والوعول السـاكنة في الجبال اعتصاماً بها

ثم قال الارنب اما الكلاب والجوارح وتعاونهم لبني آدم فهم معذورون في معاونة الانس علينا لما لها من النصيب في اكل لحومنا لانها ليست من ابناء جنسنا بل من السباع

اما الخيل فلانها منا معاشر البهائم وليس لها نصيب في اكل لحومنا فما لها ومعاونة الانس علينا لولا الجهالة وقلة المعرفة وقلة التحصيل للأمور والحقائق

﴿ فصل ﴾

(في بيان تفضيل الخيل على سائر البهائم وغيرها)

قال الانسي للارنب أقصر فقد أكثرت اللوم والذم للخيل ولو علمت أنها خير حيوان سخرته الانس لما تكلمت بهذا الكلام . قال الملك للانسي وما تلك الخيرية التي قلتها اذكرها قال خصال محمودة ، وأخلاق مرضية ، وسيرة عجيبة ، من ذلك حسن صورتها وتناسب أعضاء أبدانها ، وبنية هيكلها وصفاء لونها ، وحسن شعرها ، وسرعة عدوها ، وطاعتها لفارسها ، كيف شاء وكيف أراد صرفها انقادت له يمنة ويسرة وقداماً وخلفاً في الطلب والهرب وذكاء نفسها وجودة حواسها ، وحسن آدابها ربما لا تبول ولا تروث مادام راكبها عليها ولا تحرك ذنبها اذا ابتل شعر ذنبها لئلا يصيب صاحبها ولها قوة الفيل وتحمل راكبها بخوذته وجوشنه وسلاحه مع ما لها من السرج واللجام والتجافيف وآلة الحديد نحو الف رطل عند سرعة العدو ولها صبر الحمار عند اختلاف الطعن في صدرها ونحرها في الهيجاء وسرعة عدوها في الغارات والطلب كحملات السرحان وتمشي كمشي السنور في التبختر وهرولة كذئب يتنقل وعطفات أيضاً كعطفات جلمود الصخر اذا حطه السيل ومبادرة للعدو في الرهان كمن يطلب الحلبة ، قال الارنب نعم ولكن لها مع هذه الخصال المحمودة والاخلاق الجميلة عيب كبير يغطي هذه الخصال كلها

فقال الملك ما هو بين لي . قال الجهالة وقلة معرفة بالحقيقة وذلك أنه يعدو

تحت عدو صاحبه الذي لم يره قط في الهرب مثل ما يعدو تحت صاحبه الذي ولد في داره وتربى في منزله في الطلب ويحمل عدو صاحبه اليه في طلبه كما يحمل صاحبه في طلب عدوه ، وما مثله في هذه الخصال الا كمثل السيف الذي لا روح فيه ولا حس ولا شعور ولا معرفة فانه يقطع عنق صيقله كما يقطع عنق من أراد كسره وتعويجه وعيبه انه لا يعرف الفرق بينهما

ثم قال الارنب ومثل هذه الخصال موجودة في بني آدم وذلك أن أحدهم ربما يعادي والديه وصاحبه واخوانه وأقربائه ويكيدهم ويسيء اليهم مثل مايفعله بالعدو البعيد الذي لم ير منه براً ولا احساناً قط . وذلك ان هؤلاء الانس يشربون البان هذه الانعام كما يشربون البان أمهاتهم ويركبون ظهور هذه البهائم كما يركبون أكتاف آبائهم صغاراً وينتفعون بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين . ثم آخر الامر يذبحونها ويسلخونها أو يشقون أجوافها ويقطعون مفاصلها ويذيقونها نار الطبخ والشي ولا يرحمونها ولا يذكرون احسانها اليهم وما نالوا من فضلها وبركتها

فلما فرغ الارنب من لومه الانس والخيل وما ذكر من عيوبهم . قال الحمار لا تكثر من اللوم فانه ما من أحد من الخلق أعطى فضائل ومواهب جمة الا وقد حرم ما هو أكثر منها وما من أحد حرم مواهب الا وقد أعطي شيئاً لم يعطه غيره لان مواهب الله كثيرة لا يستوفيها كلها شخص واحد ولا نوع ولا جنس واحد بل فرقت على الخلق طراً فمكثر ومقل وما من شخص آثار الربوبية فيه أظهر الا ورق العبودية عليه أبين مثل ذلك نيرا الفلك وهما الشمس والقمر فانهما لما أعطيا من مواهب الله حظا جزيلا من النور والعظمة والظهور والجلالة حتى أنه ربما توهم قوم أنهما ربان الهان لبيان آثار الربوبية فيهما حرما بدل ذلك التحرز من الكسوف ليكون دليلا لاولى الالباب على انهما لو كانا الهين لما انكسفا وهكذا حكم سائر الكواكب الفلكية لما أعطيت الانوار الساطعة والافلاك الدائرة والاعمار الطويلة حرمت التحرز من الاحتراق والرجوع

والهبوط لتكون آثار العبودية عليها ظاهرة . وهكذا حكم سائر الخلق من الجن والانس والملائكة فما منها أحد أعطي فضائل جمة ومواهب جزيلة الا وقد حرم ما هو أكبر واجل وانما الكمال لله الواحد القهار العزيز الغفار الشديد العقاب ومن أجل ما ذكرنا قيل

ولست بمستبق أخاً لا تلومه على شعث أي الرجال المهذب

فلما فرغ الحمار من كلامه تكلم الثور وقال . لكن ينبغي لمن وفر حظه من مواهب الله تعالى أن يؤدي شكرها وهو أن يتصدق من فضل ما أعطي على من قد حرم ولم يرزق منها شيئاً

أما ترى الشمس لما وفر حظها جزيلا من النور كيف تفيض من نورها على الخلق ولا تمن عليهم . وكذلك القمر والكواكب كل واحد على قدره وكان سبيل هؤلاء الانس لما أعطوا من مواهب الله تعالى ما قد حرم غيرهم من الحيوان أن يتصدقوا عليها ولا يمنون

ولما فرغ الثور من كلامه ضجت البهائم والانعام وقالت جميعاً . ارحمنا أيها الملك العادل الكريم وخذ بأيدينا وخلصنا من جور هؤلاء الانس الآدميين الظلمة فالتفت الملك عند ذلك الى جماعة ممن حضر من حكماء الجن وعلمائهم فقال ألا تسمعون شكاية هذه البهائم والانعام وما يصفون من جور بنى آدم عليها وظلمهم لها وتعذيبهم عليها وقلة رحمتهم بها

قالوا قد سمعنا كل ما قالوا وهو حق وصدق ومشاهد منهم ليلا ونهاراً لا يخفى على العقلاء ذلك . ومن أجل ذلك هربت بنو الجان من بين أيديهم وظهرانيهم الى البراري والقفار والمفاوز والفلوات ورؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية وسواحل البحار لما رأوا من قبيح أفعالهم وسوء أعمالهم ورداءة اخلاقهم وتركت ان تأوى ديار بنى آدم ومع هذه الخصال كلها لا يتخلصون من سوء ظنهم ورداءة اخلاقهم واعتقادهم فى الجن وذلك انهم يقولون ويعتقدون ان للجن في الانس نزغات وخبطات وفزعات في صبيانهم ونسائهم

وجهالهم حتى انهم يتعوذون من شر الجن بالتعاويذ والرقى والاحراز والتمائم وما شاكلها ولم يروا قط جنياً قتل انسيا او جرحه او اخذ ثيابه او سرق متاعه او نقب داره او فتق جيبه او بتر كمه او فش قفل دكانه او قطع على مسافر او خرج على السلطان او اغار غارة او اخذ اسيراً وكل هذه الخصال توجد فيهم ومنهم بعضالبعض ليلا ونهاراً ثم لايتوبون ولا هم يذكرون

فلما فرغ القائل من كلامه نادى مناد الا ايها الملأ امسيتم فانصرفوا الى مساكنكم مكرمين لتعودوا غداً آمنين

فصل

(في بيان منفعة المشاورة لذوى الرأى)

ثم ان الملك لما قام من المجلس خلا بوزيره بيراز وكان رجلا عاقلا رزينا فيلسوفاً حكيما فقال له الملك قد شاهدت المجلس وسمعت ما جرى من هؤلاء الطوائف الوافدين من الكلام والاقاويل وعامت فيما جاؤا له فبماذا تشير ان تفعل بهم وما الرأي الصواب الذى عندك

قال الوزير ايد الله الملك وسدده وهداه الرشاد ، الرأى الصواب ، عندي ان يأمر الملك قضاة الجن وفقهائها وحكمائها واهل الرأي ان يجتمعوا عنده ويستشيرهم في هذا الامر فان هذه قصة عظيمة وخطب جليل وخصومة طويلة والامر فيها مشكل جداً والرأي مشترك والمشاورة تزيد ذوى الرأى الرصين بصيرة وتفيد المتحير رشداً والحازم اللبيب معرفة ويقيناً

فقال الملك نعم ما رأيت وصواب ما قلت ثم أمر الملك بعد ذلك باحضار قضاة الجن من آل جرجيس والفقهاء من بنى ناهيد وأهل الرأي من بنى بيران الحكيم والحكماء من آل لقمان وأهل التجارب من بنى هامان والحكام والفلاسفة من بنى كيوان وأهل الصرامة والعزيمة من آل بهرام فلما اجتمعوا عنده خلا بهم ثم قال لهم

قد علمتم ورود هذه الطوائف الى بلادنا ونزولهم بساحتنا ورأيتم حضورهم مجلسنا وسمعتم أقاويلهم ومناظراتهم وشكاية هذه البهائم الاسيرة من جور بني آدم وقد استجاروا بنا واستذموا بذمامنا وتحرموا بطعامنا فماذا ترون وما الذي تشيرون أن نفعل بهم قال رأس الفقهاء من أهل ناهيد بسط الله يد الملك بالقدرة ووفقه للصواب أما الرأى عندي أن يأمر الملك هذه البهائم أن يكتبوا قصتهم ويذكروا فيها ما يلقون من جور بني آدم ويأخذون فيها فتاوى الفقهاء فان في هذا خلاصا لهم ونجاة من الظلم فان القاضي سيحكم لهم أما بالبيع أو بالعتق أو بالتخفيف والاحسان اليهم فان لم يفعل بنو آدم ماحكم به وهربت هذه البهائم منهم فلا وزر عليها فقال الملك للجماعة ماذا ترون فيما قال واشار فقالوا صوابا ورشادا ثم أشار غير صاحب العزيمة من آل بهرام فانه قال أرأيتم ان استباعت هذه البهائم واجابها بنو آدم الى ذلك من ذا الذي يزن أثمانها قال الفقيه الملك قال من أين قال من بيت مال المسلمين من الجن قال صاحب الرأي ليس في بيت المال مايفي بأثمان هذه البهائم وخصلة أخرى ان كثيراً من بني آدم لايرغبون في بيعها لشدة حاجتهم اليها واستغنائهم عن أثمانها مثل الملوك والاشراف والاغنياء وهذا أمر لايتم فلا تتعبوا افكاركم في هذا فقال الملك فما الرأي الصواب عندك قل لنا قال الصواب عندي أن يأمر الملك هذه البهائم والانعام الاسيرة في أيدي بني آدم ان تجمع رأيها وتهرب كلها في ليلة واحدة وتبعد من ديار بني آدم كما فعلت حمر الوحش والغزلان والوحوش والسباع وغيرها فان بني آدم اذا أصبحوا لم يجدوا ما يركبون ولاما تحمل اثقالهم امتنعوا عن طلبها لبعد المسافة ومشقة الطريق فيكون هذا نجاة لها وخلاصا من جور بني آدم فعزم الملك على هذا الرأي ثم قال لمن كان حاضرا ماذا ترون فيما قال واشار قال رئيس الحكماء من آل لقمان هذا عندي أمر لايتم فلا تتعبوا أنفسكم فهو بعيد المرام لان أكثر هذه البهائم لاتكون بالليل الا مقيدة أو مغللة والابواب عليها مغلقة فكيف يتسنى لها الهرب في ليلة واحدة قال صاحب العزيمة يبعث الملك تلك الليلة قبائل الجن يفتحون لها

الابواب ويحلون عقلها واوثاقها ويخبلون حراسها الى أن تبعد البهائم واعلم أيها الملك بان لك في هذا أجرا عظيما وقد محضت لك النصيحة لما ادركني من الرحمة لها وان الله تعالى لما علم من الملك حسن النية وصحة العزيمة فانه يعينه ويؤيده وينصره اذا شكر نعمته بمعاونة المظلومين وتخليص المكروبين فان في بعض كتب الانبياء عليهم السلام مكتوبا يقول الله عزوجل أيها الملك اني لم أسلطك لتجمع المال وتتمتع وتشتغل بالشهوات واللذات ولكن لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من كافر فعزم الملك الى ما أشار به صاحب الرأي ثم قال لمن حوله من الحضور ماذا ترون فيما قال قالوا محض النصيحة وبذل المجهود فصدقوا رأيه جميعاً غير حكيم من آل كيوان فانه قال بصرك الله أيها الملك خفيات الامور وكشف عن بصرك مشكلات الاسباب والدهور أن في هذه الاسباب والعمل خطبا جليلا لا تؤمن غائلة عاقبته ولا يستدرك اصلاح ما فات منه ولا مافرط فقال الملك عرفنا ياحكيم ما الرأى وما الذى يخاف ويحذر بين لنا لنكون على علم وبصيرة قال نعم أرأيت أيها الملك ان تم ما أشير به عليك من وجه نجاة هذه البهائم من أيدى بنى آدم وهربها من أيديهم أليس بنو آدم من الغد يصبحون وقد رأوا حادثا عظيما من فرار هذه البهائم وهربها من ديارهم فيعلمون يقينا بان ذلك ليس من فعل البهائم ولا من تدبير الانس بل لا يشكون بان ذلك من فعل الجن وحيلتهم قال الملك لاشك فيه قال أليس بعد ذلك كلما فكر بنو آدم فيما فاتها من المنافع والمرافق بهربها منهم امتلأت حزنا وغيظا وغما وأسفا على ما فاتها وحقدت على بنى الجان عداوة وبغضا واضمرت لهم حيلا ومكائد ويطلبونهم كل مطلب ويرصدونهم كل مرصد ويقع بنو الجان عند ذلك في شغل وعداوة وجل كانوا في غنا عنه وقد قالت الحكماء أن الاديب العاقل هو الذى يصلح بين الاعداء ولا يجلب الى نفسه عداوة ويجر المنافع الى غيره ولا يضر نفسه قالت الجماعة صدق الحكيم الفيلسوف الفاضل ثم قال القائل من الحكماء ما الذى يخاف

ويحذر من عداوة الانس لبنى الجان أيها الحكيم أن ينالوهم من المكاره وقد علمت بان الجان أرواح خفيفة نارية تتحرك علوا طبعا وبنو آدم أجساد ارضية ثقيلة تتحرك بالطبيعة سفلا ونحن نراهم ولا يرونا ونسير فيهم ولا يحسون بنا ونحن نحيطهم وهم لا يحسوننا فأى شيء يخاف منهم علينا أيها الحكيم فقال له الحكيم هيهات ذهب عنك عظامها وخفي عليك أجسامها أما علمت ان بنى آدم وان كانت لهم أجساد أرضية ثقيلة فان لهم أرواحا فلكية ونفوسا ناطقة ملكية بها يفضلون عليكم ويمتازون عنكم واعلموا ان لكم فيما مضى من أخبار القرون الاولى معتبرا ومختبرا وفيما جرى بين بنى آدم وبين بنى الجان في الدهور السالفة دليلا واضحا فقال الملك اخبرنا أيها الحكيم كيف كان وحدثنا بما جرى من الخطوب وكيف تم ذلك

﴿ فصل في بيان العداوة بين بنى الجان وبين بنى آدم وكيف كانت ﴾

قال الحكيم نعم ان بين بنى آدم وبنى الجان عداوة طبيعية وعصبية جاهلية وطباعا متنافرة يطول شرحها قال الملك اذكر منها طرفا وابتدأ من أوله قال الحكيم فاعلم ان بنى الجان كانت في قديم الايام والازمان قبل آدم أبي البشر عليه السلام سكان الارض وقاطنيها وكانوا قد طبقوا الارض براً وبحراً سهلا وجبلا فطالت أعمارهم وكثرت النعمة لديهم وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصية أنبيائها واكثرت في الارض الفساد فضجت الارض ومن عليها من جورهم فلما انقضى الدور واستؤنف القرآن أرسل الله تعالى جندا من الملائكة نزلت من السماء فسكنت الارض وطردت بنى الجان الى اطراف الارض منهزمة وأخذت سبيا كثيرا منها وكان فيمن أخذ أسيراً عزازيل ابليس اللعين فرعون آدم وهو إذ ذاك صبى لم يدرك فلما نشأ مع الملائكة تعلم من علمها وتشبه بها في ظاهر الامر واخذ من رسومه وجوهره غير رسومها وجوهرها ولما طالت الايام صار رئيسا

فيها آمراً ناهياً متبوعاً حينا ودهراً من الزمان والدهر فلما انقضى الدور واستؤنف القرآن اوحى الله الى اولئك الملائكة الذين كانوا في الارض فقال لهم اني جاعل في الارض خليفة من غيركم وارفعكم الى السماء فكرهت الملائكة الذين كانوا في الارض مفارقة الوطن المألوف وقالت في مراجعة الجواب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما كانت بنو الجان ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون لاني آليت على نفسي ان لااترك على وجه الارض احداً من الملائكة ولا من الانس ولا من سائر الحيوان ولهذا اليمين سر قد بيناه في موضع آخر فلما خلق الله تعالى آدم وسواه ونفخ فيه من روحه وخلق زوجته حواء امر الملائكة الذين كانوا في الارض بالطاعة فانقادت لهما جميعاً ما عدا عزازيل فانه انف وتكبر واخذته الحمية حمية الجاهلية والحسد لما راى ان رياسته قد زالت ويحتاج ان يكون تابعا بعد ماكان متبوعا ومرؤوسا بعد ما كان رئيسا فامر اولئك الملائكة ان يصعدوا بآدم عليه السلام فادخلوه الجنة وهي بستان من الشرق على رأس جبل الياقوت الذي لايقدر احد من البشر ان يصعد هنالك وهي طيبة التربة معتدلة الهواء شتاءاً وصيفا ليلا ونهاراً كثيرة الانهار مخضرة الاشجار مفننة الثمار والفواكه والرياض والرياحين والانهار والازهار كثيرة الحيوانات غير المؤذية والطيور الطيبة الاصوات اللذيذة الالحان والنغمات وكان على راس آدم وحواء شعر طويل مدلى كأحسن مايكون على الجواري والابكار يبلغ قدميهما ويستر عورتيهما وكان دثاراً لهما وستراً لهما وزينة وجمالا وكانا يمشيان على حافات تلك الانهار ويشمان من الرياحين والازهار ويأكلان من ثمار تلك الاشجار ويشربان من مياه تلك الانهار بلا تعب من الابدان ولا عناء من النفوس ولا مشقة من كد الحرث والنسل والزرع والسقي والحصاد والدراس والطحن والخبز والغزل والنسج والخياطة والغسل وما اليوم أولادهما به مبتلون من شقاوة اسباب المعاش في هذه الدنيا وكان حكمهما في تلك الجنة حكم الحيوانات التي هناك مستودعين مستريحين متلذذين وكأن الله تعالى الهم

ادم اسماء تلك الاشجار والثمار والرياحين واسماء تلك الحيوانات التي هناك

فلما نطق أدم سأل الملائكة عنها فلم يكن عندها جواب فغدا عند ذلك ادم معلماً يعرفها اسماءها ومنافعها ومضارها فانقادت الملائكة لامره ونهيه لما تبين لها فضله عليها.

ولما علم عزازيل ذلك ازداد بغضا وحسدا واحتال لهما بالمكر والخديعة والحيل والدغل والغش ثم اتاهما بصورة الناصح فقال لهما لقد فضلكما ربكما بما انعم به عليكما من الفصاحة والبيان ولو ا كلتما من هذه الشجرة لازددتما علما وبقيتما ههنا خالدين امنين لا تموتان فاغترا بقوله لما حلف لهما اني لكما لمن الناصحين وحملهما الحرص فتسابقا وتناولا ما كانا منهيين عنه

فلما اكلا منها تناثرت شعورهما وانكشفت عوراتهما وبقيا عريانين واصابهما حر الشمس فاسودت ابدانهما وتغيرت الوان وجوههما ورأت الحيوان حالهما فانكرتهما ونفرت منهما واستوحشت من سوء حالهما وامر الله تعالى الملائكة أن اخرجوهما من هناك فرموهما الي اسفل الجبل فوقعا في برية قفراء لا نبت فيها ولا ثمر وبقيا هناك زمانا طويلا يبكيان وينوحان حزناً وأسفاً على مافاتهما نادمين على ماكان منهما

ثم ان رحمة الله تعالى تداركتهما فتاب الله تعالى عليهما وارسل ملكا يعلمهما الحرث والزرع والدراس والحصاد والطحن والخبز والغزل والطبخ والخياطة واتخاذ اللباس

ثم لما توالدا وتناسلا وكثرت ذريتهما خالطهم أولاد بني الجان وعلموهم الصنائع والحرث والغرس والبنيان والمنافع والمضار وصادقوهم وتوددوا اليهم وعاشروهم مدة من الزمان بالحسنى ولكن كلما ذكر بنو آدم ماجرى على ابيهم من كيد عزازيل وعداوته لهم امتلأت قلوب بني ادم غيظاً وحقداً على بني الجان فلما قتل قابيل هابيل اعتقدت أولاد هابيل بأن ذلك من تعليم بني الجان فازدادوا غيظاً

وعداوة وطلبوهم كل مطلب واحتالوا عليهم بكل حيلة من العزائم والرقي والمنادل والدخن ودخان النفط والكبريت والحبس في القوارير والعذاب بالوان الدخان والبخارات المؤذية لاولاد بني الجان المنفرة لهم المشتة لاغراضهم فكان ذلك دأبهم الى أن بعث الله ادريس النبي عليه السلام وهو هرمس بلغة الحكماء فاصلح بين بني الجان وبين أولاد ادم عليه السلام بالدين والشريعة والاسلام والملة وتراجعت بنو الجان الى ديار بني ادم وخالطوهم وعاشوا فيهم معهم بخير الى أيام الطوفان وبعد ذلك الى أيام ابراهيم عليه السلام فلما طرح في النار اعتقد بنو ادم بأن تعليم المنجنيق كان من بني الجان لنمرود الجبار فلما طرح أخوة يوسف عليه السلام أخاهم في الجب نسب ذلك الى نزغات الشيطان من أولاد الجن

فلما بعث الله موسى عليه السلام اصلح بين بني الجان وبين بني اسرائيل بالدين والشريعة ودخل كثير من الجن في دين موسى عليه السلام

فلما كان ايام سليمان بن داود عليهما السلام شيد الله ملكه وسخر له الجن والشياطين وغلب سليمان عليه السلام على ملوك الارض افتخرت الجن على الانس بان ذلك كان من معاونة الجن لسليمان وقالت لولا معاونة الجن لسليمان كان حكمه حكم أحد ملوك بني ادم وكانت الجن توهم الانس انها تعلم الغيب

فلما كان موت سليمان عليه السلام والجن في العذاب المهين لم تشعر بموته فتبين انها لو كانت تعلم الغيب ما لبثوا في العذاب المهين

وأيضاً لما جاء الهدهد بخبر بلقيس وقال سليمان عليه السلام ما قال للملأ من الجن والانس أيكم يأتيني بعرشها افتخرت الجن قال عفريت من الجن وهو اصطر بن مايان من ال كيوان انا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلس الحكمة قال سليمان أريد أسرع من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وهو اصف بن برخيا

فلما راه مستقراً عنده خر سليمان عليه السلام ساجداً لله تعالى وتبين فضل الانس على الجن وانقضى المجلس وانصرفت الجن من المجلس من هناك خجلين

منكسين رؤسهم وغوغاء الانس يتغطغطون في أثرهم ويستقفون أثرهم شامتين بهم

فلما جرى ماذكرته هربت طائفة من الجن من سليمان وخرج عليهم خارج منهم فوجه سليمان عليه السلام في طلبهم من جنوده وعلمهم كيف يأخذونهم بالرقى والعزائم والكلمات والآيات المنزلات وكيف يحبسونهم بالمنادل وعمل في ذلك كتاباً وجد في خزانته بعد موته وشغل سليمان عليه السلام طغاة الجن بالاعمال الشاقة الى ان مات

ثم لما بعث المسيح عليه السلام دعي الخلق من الجن والانس الى الله تعالى عز وجل ورغبهم في لقائه وبين لهم طريق الهدى وعلمهم كيف الصعود الى ملكوت السموات فدخل في دينه طوائف من الجن وترهبت وارتقت الى هناك واستمعت من الملأ الاعلى الاخبار والقت الى الكهنة

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله منعت من استراق السمع وقالت لاندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً ودخلت قبائل من الجن في دينه وحسن اسلامها وانصلح الامر بين بنى الجان وبين المسلمين من أولاد آدم عليه السلام الى يومنا هذا.

ثم قال الحكيم يامعشر الجن لاتتعرضوا لهم ولاتفسدوا الحال بينكم وبينهم ولاتحركوا الاحقاد الساكنة ولا تثيروا الاضغان الكامنة والبغضاء والعداوة القديمة المركوزة في الطباع والجبلة فانها كالنار الكامنة في الاحجار تظهر عند احتكاكها فتشتعل بالكباريت فتحترق المنازل والاسواق ونعوذ بالله من ظفر الاشرار ودولة الفجار والعار والبوار فلما سمع الملك والجماعة هذه القصة العجيبة اطرقت مفكرة فيما سمعت

ثم قال الملك للحكيم فما الرأي الصواب عندك في أمر هذه الطوائف الواردة المستجيرة بنا وعلى أي حال نصرفهم من بلادنا راضين بالحكم الصواب.

قال الحكيم الرأي الصواب لايسنح الا بعد التثبت والتأني بالفكر والروية والاعتبار بالامور الماضية والرأي عندي أن يجلس الملك غداً في مجلس النظر

ويحضر الخصوم ويسمع عنهم مايقولون من الحجة والبيان ليتبين له على من يتوجه الحكم ثم يدبر الرأي بعد ذلك

قال صاحب العزيمة أرأيتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس في الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الانس عليها بذرابة السنتها وجودة عبارتها وفصاحتها أترى أن تبقى هذه البهائم أسيرة في أيديهم يسومونها سوء العذاب دائماً قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الامر والعبودية الى ان ينقضى دور القرآن ويستؤنف نشوء آخر ويأتى الله لها بالفرج والخلاص كما نجى آل اسرائيل من عذاب فرعون وكما نجى آل داود من عذاب بخت نصر وكما نجى آل حمير من عذاب آل تبع وكما نجى ال ساسان من عذاب اليونان وكما نجى ال عمران من عذاب ازدشير

فان أيام هذه الدنيا دول بين أهلها تدور باذن الله تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيئته بموجبات احكام القرانات والادوار في كل الف سنة مرة أو فى كل اثنتى عشرة الف سنة مرة أو في كل ستة وثلاثين الف سنة مرة أو في كل ثلاثمائة الف وستين الف سنة مرة أو في كل يوم مقداره خمسين الف سنة مرة فاعلم جميع ذلك.

فصل

فى بيان كيفية استخراج العامة اسرار الملوك

فنقول اعلم ان الملك لما خلا بوزيره ذلك اليوم اجتمعت جماعة الانس في مجلسهم وكانوا سبعين رجلا من بلدان شتى فأخذوا يرجمون الظنون فقال قائل منهم قد رأيتم وسمعتم ماجرى اليوم بيننا وبين هؤلاء عبيدنا من الكلام الطويل ولم تنفصل الحكومة فترى أي شيء رأى الملك في أمرنا، فقالوا لا ندري ولكن نظن انه قد لحق الملك من ذلك ضجر وشغل قلب وانه لا يجلس غداً للحكومة بيننا وبينهم . قال الاخر لكن أظن انه يخلو غدا مع وزيره ويشاوره فى أمرنا

قال الاخر بل يجمع غدا الفقهاء والحكماء ويشاورهم في امرنا قال الاخر ترى ماالذي يشيرون به فى أمرنا فأظن أن الملك حسن الرأي فينا ولكن أخاف أن الوزير ربما يميل علينا ويحيف في امرنا قال الاخر أمر الوزير سهل نحمل اليه شيئاً من الهدايا يلين جانبه ويحسن رأيه وقال الاخر ولكن أخاف من شيء أخر قالوا وماهو قال فتاوى الحكماء والفقهاء وحكم الحاكم قال هؤلاء أمرهم أيضاً سهل نحمل اليهم شيئاً من التحف والرشوة فيحسن رأيهم فينا ويطلبون لناحيلافقهية ولايبالون بتغيير الاحكام ولكن بليتنا والذى نخاف منه صاحب العزيمة فانه صاحب الرأى والصواب والصرامة صلب الوجه وقح لايبالى بأحد فان استشاره اخاف أن يشير عليه بالمعاونة لعبيدنا علينا ويعلمه كيف ينتزعها من أيدينا

وقال اخر القول كما ذكرت ولكن ان استشار الملك الفلاسفة والحكماء يخالفونه في الرأي فان الحكماء اذا اجتمعت ونظرت في الامور سنح لكل واحدمنهم وجه من الرأى غير الذي يسنح للاخر فيختلفون فى ما يشيرون به ولا يكادون يجتمعون على رأى واحد

وقال آخر أرأيتم ان استشار الملك القضاة والفقهاء ماذا يشيرون به علينا فى أمرنا ، قال الاخر لاتخلو فتاوى الفقهاء وحكم القضاة من إحدى ثلاثة وجوه إما عتقها وتخليتها من أيدينا أو بيعها وأخذ اثمانها أو التخفيف عنها والاحسان اليها ليس في حكم الشريعة واحكام الدين غير هذا

وقال آخر أرأيتم إن استشار الملك الوزير فى أمرنا ماذا يشير عليه

ليت شعري قال قائل منهم أظنه سيقول أن هذه الطوائف قدنزلوا بساحتنا واستذموابذمامنا واستجاروا بنا وهم مظلومون ونصرة المظلوم واجبة على الملوك المقسطين لانهم خلفاء الله في أرضه ملكهم على عباده وبلاده ليحكموا بينهم بالعدل والانصاف ويعينوا الضعفاء ويرحموا أهل البلاء ويقمعوا أهل الظلم ويجبروا الخلق على احكام الشريعة ويحكموا بينهم بالحق شكراً لنعم الله عليهم وخوفاً من مسائلتهم غداً

وقال آخر أرأيتم لوأمر الملك القاضي أن يحكم بيننا فيحكم بأحد الاحكام الثلاثة ماذا تقولون وماذا تفعلون قالوا ليس لنا أن نخرج من حكم الملك ولا من حكم القاضي لان القضاة خلفاء الانبياء والملك حارس الدين.

وقال آخر أرأيتم أن حكم القاضي بعتقها وتخلية سبيلها ماذا تصنعون . قال أحدهم نقول مماليكنا وعبيدنا ورثناهم عن آبائنا وأجدادنا ونحن بالخيار ان شئنا فعلنا وان شئنا لم تفعل

قالوا وإن قال القاضي هاتوا الصكوك والوثائق والعهود والشهود بأن هؤلاء عبيدكم ورثتموهم عن آبائكم قالوا نجيء بالشهود من جيراننا وعدول بلادنا قال ان قال القاضي إني لا أقبل شهادة الانس بعضهم لبعض على هذه البهائم انها عبيد لهم لانهم كلهم خصماء لها وشهادة الخصم لا تقبل في احكام الدين أو يقول القاضي أين الوثائق والصكوك والعهود هاتوها واحضروها ان كنتم صادقين . ما ذا تقول وتفعل عند ذلك فلم يكن عند الجماعة جواب في ذلك غير العباسي فانه قد قال نقول لقد كانت لنا عهود ووثائق وصكوك ولكنها غرقت في ايام الطوفان ، قالوا فان قال القاضي احلفوا بايمان مغلظة انها عبيد لكم قال نقول لا يتوجه اليمين الاعلى المنكرين والبينة على المدعين ونحن مدعون فلا يتوجه علينا اليمين ، قال فان استحلف القاضي هذه البهائم حلفت بانها ليست بعبيد لكم ماذا تفعلون قال قائل منهم نقول انها قد حنثت فيما حلفت ولنا حجج عقلية وبراهين ضرورية تدل على انها عبيد لنا .

قال أرأيتم أن حكم القاضي ببيعها وأخذ اثمانها فاذا تقولون وماذا تفعلون قال أهل المدن نبيعها ونأخذ أثمانها وننتفع بها ، فقال أهل الوبر من الاعراب والا كراد والاتراك والبوادي هلكنا والله ان فعلنا ذلك الله الله في أمرنا ولا تحدثوا أنفسكم بهذا فقال لهم اهل المدن لم ذاك قالوا لانا اذا فعلنا ذلك بقينا بلا لبن نشرب ولا لحم نأكل ولا ثياب من صوف ولا دثار من وبر ولا أثاث من

شعر ولا نعال ولا خف ولا نطع ولا قربة ولا غطاء ولا لبود ولا وطاء فنبقى عراة حفاة أشقياء بسوء الحال ويكون الموت خير لنا من الحياة ، ويصيب أهل المدن مثل ما أصابنا فلا تعتقوها ولا تبيعوها ولا تحدثوا أنفسكم بهذا الحديث بل الاحسان اليها والتخفيف عنها والرفق بها والتحنن عليها والرحمة لها فانها لحم ودم مثلكم تحس وتتألم ولم يكن لكم سابقة عند الله جازاكم بها حين سخرها لكم ولا كان لها جناية عند الله عاقبها بها ولا ذنب ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاراد لحكمه ولا مبدل لقضائه ولا منازع له في ملكه ولا خلاف لمعلومه أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه الغفور الرحيم

فصل

ولما قام الملك من مجلسه وانصرفت طوائف الحضور اجتمعت البهائم فخلصت نجياً فقال قائل منهم قد سمعتم ماجرى بيننا وبين خصمائنا من الكلام والمناظرة ولم تنفصل الحكومة على شيء فما الرأي عندكم قال قائل منهم نعود في غد ونشكوا ونبكي ونتظلم فلعل الملك يرحمنا ويفك أسرنا فانه قد أدركته الرحمة علينا اليوم ولكن ليس من الرأي الصواب للملوك والحكام أن يحكموا بين الخصوم إلا بعد أن يتوجه الحكم على أحد الخصمين بالحجة الواضحة والبينة العادلة والحجة لاتصح إلا بالفصاحة والبيان وذرابة اللسان وهذا حاكم الحكام محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يقول : انكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجة من بعض فأحكم له فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً فاني انما أقطع له قطعة من النار

واعلموا ان الانس أفصح منا لساناً وأجود بياناً وانا نخاف عليكم أن يحكم لهم علينا غداً عند الحجاج والمناظرة فما الرأي الصواب عندكم قولوا فان كل واحد من الجماعة اذا فكر سنح لكل واحد وجه من الرأي صواباً كان أو خطأ .

قال قائل منهم الرأي الصواب عندي أن نرسل رسلا الى سائر أجناس

الحيوانات فنعرفهم بالخبر ونسألهم أن يبعثوا الينا زعماءهم وخطباءهم ليعاونونا فيما نحن فيه فان لكل جنس منها فضيلة ليست للاخرى بضروب من التمييز والرأي الصواب والفصاحة والبيان والنظر والحجج واذا كثر الانصار يرجى الفلاح والنجاح والنصر من الله ينصر من يشاء والعاقبة للمتقين

فقالت الجماعة حينئذ : صواباً مارأيت ونعم ما أشرت فأرسلوا ستة نفر الى ستة أجناس من الحيوان وسايرها كانوا هم حضوراً من البهائم والانعام . منها رسولا الى الحشرات ورسولا الى الطيور ورسولا الى السباع ورسولا الى الجوارح ورسولا الى الهوام ورسولا الى حيوان الماء

فصل في بيان تبليغ الرسالة

ثم بعد ذلك رتبوا الرسل وبعثوا الى كل واحد منهم فلما وصل الرسول الى أبي الحرث الاسد ملك السباع وعرفه الخبر وقال له ان زعماء البهائم والانعام مجتمعون مع زعماء الانس عند ملك الجن للمناظرة وقد بعثوا الى سائر أجناس الحيوانات يستمدون منها وبعثوني اليك لترسل معي زعيما من جنودك من السباع ليناظر ولينوب عن الجماعة من أبناء جنسه اذا دارت النوبة في الخطاب اليه . فقال الملك للرسول وماذا يزعم الانس ومايدعون على البهائم والانعام . قال الرسول يزعمون انها عبيد لهم وخول وانهم أرباب لها ولسائر أجناس الحيوانات التي على وجه الارض .

قال الاسد : وبماذا يفتخر الانس عليها ويستحقون الربوبية ؟ أبالقوة والشجاعة والجسارة أم بالحملات والوثبات أم بالقبض والامساك بالمخالب أو بالقتال والوقوف في الحرب أم بالهيبة والغلبة فان كانوا يفتخرون بواحدة من هذه الخصال جمعت جنودي ثم ذهبنا حتى نحمل عليهم حملة واحدة ونفرق جمعهم ونشتت شملهم قال الرسول لعمري ان من الانس من يفتخر بمثل هذه الخصال التي ذكرها الملك ولهم مع ذلك أعمال وصنائع وحيل ومرافق ومكائد لاتخاذ

السلاح من السيوف والرماح الردينيات والحراب والسكاكين والنشاب والقسي والجنن والاحتراز من مخالب السباع وأنيابها باتخاذ لباس اللبود والجواشن والقرغندات والدروع والخوذ والزرد مما لا تنفذ فيها أنياب السباع ولا تصل اليها مخالبها ولهم مع ذلك حيل أخرى في أخذ السباع والوحوش من الخنادق المحفورة والزبيات المستورة والصناديق المعمولة والفخاخ المنصوبة والوهق والستائر وا لات أخر لا تعرفها السباع فتحذرها ولا تهتدي كيف الخلاص منها اذا وقعت هي فيها ولكن ليس الحكومة ولا المناظرة بحضرة ملك الجن بخصلة من هذه وانما الحجاج والمناظرة بفصاحة الالسنة وجودة البيان ورجحان العقول ودقة التمييز .

فلما سمع الاسد قول الرسول وما أخبره به فكر ساعة ثم أمر مناديا ينادي فاجتمعت عنده جنوده من أصناف السباع والوحوش من النمور والفهود والدببة وبنات آوى والذئاب والثعالب وسنانير البر والضباع وأصناف القرود وبنات عرس وبالجملة كل ذي مخلب وناب يأكل اللحمان

فلما اجتمعت عند الملك عرفها الملك الخبر وماقال الرسول ثم قال أيكم يذهب الى هناك فينوب عن الجماعة فنضمن له مايريد ويتمنى علينا من الكرامة والقربى إذ هو نجح في المناظرة والحجة في الحجاج فسكتت السباع ساعة متفكرة هل أحد يصلح لهذا الشأن أم لا ثم قال النمر للأسد أنت ملكنا ومولانا ونحن عبيدك ورعيتك وجنودك وسبيل الملك أن يدبر الرأي ويشاور أهل البصيرة بالامور ثم يأمر وينهي ويدبر الامور كما يجب وسبيل الرعية أن يسمعوا ويطيعوا لان الملك من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد والرعية والجنود بمنزلة الاعضاء من البدن فمتى قام كل واحد منها بما يجب من الشرائط انتظمت الامور واستقامت وكان في ذلك صلاح الجميع وفلاح الكل

فقال الأسد للنمر وماتلك الخصال والشرائط التي قلت انها واجبة على الملك والرعية بينها لنا . قال نعم أما الملك فينبغي أن يكون رجلا عاقلا أديبا لبيبا

سخيا شجاعا عادلا رحيما عالي الهمة كثير التحنن شديد العزيمة صارما في الامور متأنيا ذا رأي وبصيرة ومع هذه الخصال ينبغي أن يكون مشفقا على رعيته متحننا على جنوده وأعوانه رحيما بها كالأب المشفق على اولاده الصغار شديد العناية بصلاح امورهم

وأما الذي يجب على الرعية والجنود والاعوان فالسمع والطاعة للملك والمحبة له والنصيحة لاعوانه وان يعرفه كل واحد منهم ماعنده من المعرفة وما يحسن من الصناعة وما يصلح له من الأعمال ويعرف الملك أخلاقه وسجاياه ليكون الملك على علم منه وينزل كل واحد منهم منزلته ويستخدمه فيما يحسن ويستعين به فيما يصلح له .

قال الاسد : لقد قلت صوابا ونطقت حقا فبوركت من رحيم ناصح لملكه ولاخوانه ولابناء جنسه فما الذي عندك من المعاونة في هذه الامور التي قد دعينا اليها واستعين بنا فيها

قال النمر للاسد سعد نجمك وظفرت يداك أيها الملك ان كان الأمر يمشي هناك بالقوة والجلد والغلبة والقهر والحمل والحقد والحنق والحمية فانا لها .

قال الملك لا يمشي الامر هناك بشيء مما ذكرت .

قال الفهد ان كان الامر يمشي هناك بشيء من الوثبات والقفزات والقبض والبسط فأنا لها ، قال الملك لا

قال الذئب ان كان الامر يمشي هناك بالغارات والخصومات والمكابرات فأنا لها ، قال الملك لا

قال الثعلب ان كان الامر يمشي هناك بالختل والحيلة والعطفات والروغات وكثرة الالتفات والمكر فانا لها ، قال الملك لا

قال ابن عرس ان كان الامر يمشي باللصوصية والتجسس والاختفاء والسرقة فأنا لها ، قال الملك لا

قال القرد ان كان الامر يمشى هناك بالخيلاء والمجانة واللعب واللهو والرقص وضرب الطبل والدف فأنا لها ، قال الملك لا

قال السنور ان كان الامر يمشى هناك بالتواضع والسؤال والكدية والمؤانسة والتخرخر فأنا لها ، قال الملك لا

قال الكلب ان كان الامر يمشى هناك بالبصبصة وتحريك الذنب واتباع الاثر والحراسة والنباح فأنا لها . قال الملك لا

قال الضبع ان كان الامر يمشى هناك بنبش القبور وجر الجيف وحرب الكلاب والكراع وثقل الروح فأنا لها ، قال الملك لا

قال الجرز ان كان الامر يمشى هناك بالاضرار والافساد والقرض والقطع والسرقة والاخراب فأنا لها قال الملك لا يمشى الامر هناك بشيء من هذه الخصال التى ذكرتموها

ثم أقبل الاسد على النمر وقال : ان هذه الخصال والطباع والاخلاق والسجايا التى ذكرت هذه الطوائف من أنفسها لا تصلح الا لجنود الملوك من بنى آدم وسلاطينهم وأمرائهم وقادة الجيوش وولاة الحروب وهم اليها أحوج وأليق بهم لان أنفسهم سبعية وان كانت أجسادهم بشرية وصورهم آدمية

أما مجالس العلماء والفقهاء والحكماء وأهل العقل والرأي والعلم والتمييز فان أخلاقهم وسجاياهم أشبه بأخلاق الملائكة الذين هم سكان السموات وجنود رب العالمين فمن ترى يصلح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة

قال النمر صدقت أيها الملك فيما قلت ولكن أرى العلماء والفقهاء من بنى آدم قد تركوا هذه الطريقة التى قلت أيها أخلاق الملائكة وأخذوا في ضروب من أخلاق الشياطين من المكابرة والمغالبة والتعصب والعداوة والبغضاء فيما يتناظرون ويتجادلون من الصياح والسفاهة . وهكذا من نجدهم في مجالس القضاة والحكام يفعلون ما ذكرت وتركوا استعمال الادب والعقل والنصيحة والعدل . قال صدقت ، ولكن رسول الملك يجب أن يكون رجلا عاقلا حكيما خبيراً فاضلا

منصفاً كريماً لا يميل ولا يجنف في الاحكام فمن ترى ان نبعثه الى هناك رسولا وزعيما يفي بخصال الرسالة وليس في جماعة الحاضرين من يفي بها هاهنا

﴿ فصل في بيان صفة الرسول كيف ينبغي أن يكون ﴾

قال النمر للاسد ماتلك الخصال التي ذكرت أيها الملك أنها يجب أن تكون في الرسول ، بينها لنا قال الملك نعم أولها يحتاج ان يكون رجلا عاقلا حسن الاخلاق بليغ الكلام فصيح اللسان جيد البيان حافظا لما يسمع محترزاً فيما يجيب ويقول مؤدياً للامانة حسن العهد مراعياً للحقوق كتوماً للسر قليل الفضول في الكلام لا يقول من رأيه شيئاً غير ماقيل له الا مايرى فيه صلاح المرسل ولا يكون شرها ولا يكون حريصاً اذا رأى كرامة عند المرسل اليه مال الى جهته وخان مرسله واستوطن البلد لطيب عيشه هناك أو كرامة يجدها أو شهوة ينالها هناك بل يكون ناصحاً لمرسله ولاخوانه وأهل بلده وأبناء جنسه ويبلغ الرسالة ويرجع بسرعة الى مرسله فيعرفه جميع ماجرى من أوله الى آخره ولا يخاف في شيء منه في تبليغ رسالته مخافة من مكروه يناله فانه ليس على الرسول الا البلاغ

ثم قال الاسد للنمر فمن ترى يصلح لهذا الامر من هذه الطوائف . قال النمر لا يصلح لهذا الشأن الا الحكيم العادل والعالم الخبير كليلة أخو دمنة . قال الاسد لابن آوى ما تقول فيما قال فيك قال أحسن الله جزاءه وأطاب عنصره قال ما يشبهه من الفضل والكرم . قال الملك لابن آوى فهل تنشط وتمضي الى هناك وتنوب عن الجماعة ولك الكرامة علينا اذا رجعت وأفلحت . قال سمعا وطاعة لامر الملك ولكن لا أدري كيف اعمل وكيف أصنع مع كثرة أعدائي هناك من أبناء جنسنا

قال الملك من هم قال الكلاب ايها الملك قال مالها قال انها قد استأمنت الى بني آدم وصارت معينة لهم علينا معشر السباع

قال الملك ما الذي دعاها الى ذلك وحملها عليه حتى فارقت أبناء جنسها وصارت مع من لا يشاكلها معينة لهم على أبناء جنسها ، فلم يكن عند أحد من ذلك علم غير الذئب فانه قال أنا أدري كيف كان السبب وما الذي دعاها الى ذلك

قال الملك قل لنا وبينه لنعلم كما تعلم ، قال نعم ايها الملك انما دعى الكلاب الى مجاورة بنى آدم ومداخلتهم مشاكلة الطباع ومجانسة الاخلاق وما وجدت عندهم من المرغوبات واللذات من المأكولات والمشروبات وما في طباعها من الحرص والشره واللؤم والبخل وما في جبلتها من الاخلاق المذمومة الموجودة في بنى آدم مما السباع عنه بمعزل ، وذلك ان الكلاب تأكل اللحمان ميتاً وحيناً ومذبوحاً قديداً ومطبوخاً ومشوياً ومالحاً وطرياً وجيداً ورديئاً وثماراً وبقولا وخبزاً ولبناً وحليباً وحامضاً وجبناً وسمناً ودسماً ودبسا وشيرجا وناطفا وعسلا وسويقا وكوامخا وما شاكلها من اصناف مأكولات بنى آدم التى اكثر السباع لا يأكلها ولا يعرفها ومع هذه الخصال كلها فان بها من الشره واللؤم والبخل ما لا يمكنها ان تترك احداً من السباع ان يدخل قرية او مدينة مخافة ان ينازعها في شيء مما هي فيه حتى انه ربما يدخل احد من بنات آوى او بنات ابي الحصين قرية بالليل ليسرق منها دجاجة أو ديكا أو سنوراً أو يجر جيفة مطروحة أو كسرة مرمية أو ثمرة متغيرة فترى الكلاب كيف تحمل عليه وتطرده وتخرجه من القرية ومع هذا كله أيضاً ترى بها من الذل والمسكنة والفقر والهوان والطمع ما اذا رأى في يد أحد من بنى آدم من الرجال والنساء والصبيان رغيفاً أو كسرة أو تمرة أو لقمة كيف يطمع فيها وكيف يتبعه ويبصبص بذنبه ويحرك برأسه ويحد النظر الى حدقته حتى يستحي أحدهم فيرمي بها اليه . ثم تراه بعد كيف يعدو اليها بسرعة وكيف يأخذها بعجلة مخافة أن يسبقه اليها غيره وكل هذه الاخلاق المذمومة موجودة في الانس والكلاب فمجانسة الاخلاق ومشاكلة الطباع دعت الكلاب الى أن فارقت ابناء جنسها من السباع واستأنست من الانس وصارت معينتهم على أبناء جنسها من السباع

قال الملك ومن غيرهم من المستأمنة الى الانس من السباع . قال الذئب السنانير أيضاً . قال الملك ولم استأنست السنانير أيضاً . قال العلة واحدة وهي مشاكلة الطباع لأن السنانير بها أيضاً من الحرص والشر والرغبة في ألوان المأكولات والمشروبات مثل ما بالكلاب

قال الملك كيف حالها عندهم . قال هي أحسن حالا من الكلاب قليلا ، وذلك أن السنانير تدخل بيوتهم وتنام في مجالسهم وتحت فرشهم وتحضر موائدهم فيطعمونها مما يأكلون ويشربون وهي أيضاً تسرق منهم أحياناً اذا وجدت فرصة من المأكولات

وأما الكلاب فلا يتركونها تدخل بيوتهم ومجالسهم وبين الكلاب وبين السنانير بهذا السبب حسد وعداوة شديدة حتى ان الكلاب اذا رأت سنوراً خرجت من بيوتهم حملت عليها حملة تريد أن تأخذها وتأكلها وتمزقها والسنانير اذا رأت الكلاب نفخت في وجوهها ونفشت شعورها وأذنابها وتطاولت وتعظمت كل ذلك عناداً لها وعداوة ومناصبة وحسداً وبغضاً وتنافسا في المراتب عند بني آدم

قال الاسد للذئب من رأيت ايضا من المستأنسة غير هذين من جنس السباع . قال الفأر والجرزان يدخلون منازلهم وبيوتهم ودكاكينهم وخاناتهم غير مستأنسين بل على وحشة ونفور

قال فماذا يحملها على ذلك . قال الرغبة في المأكولات والمشروبات من الالوان قال من يداخلهم أيضا من أجناس السباع ، قال ابن عرس على سبيل اللصوصية والخلسة والتجسس ، قال ومن غيرها من يداخلهم قال لا غير سوى الاسارى من الفهود والقرود على كره منها

ثم قال الملك للذئب متى استأنست الكلاب والسنانير الى الانس . قال منذ الزمان الذي استظهرت فيه بنو قابيل على بني هابيل ، قال كيف كان ذلك حدثنا ذلك

قال لما قتل قابيل اخاه هابيل طالب بنو هابيل من بني قابيل بثأر ابيهم فاقتتلوا وتحاربوا واستظهرت بنو قابيل على بني هابيل فهزموهم ونهبوا اموالهم وساقوا مواشيهم من الاغنام والبقر والخيل والبغال والجمال وغنموا واستغنوا فأصلحوا الدعوات والولائم وذبحوا حيوانات كثيرة ورموا رؤوسها واكارعها وكروشها حول ديارهم وقراهم فلما رأتها الكلاب والسنانير رغبت جميعا في كثرة الريف والخصب ورغد العيش فداخلتهم وفارقت ابناء جنسها وصارت معهم معينة الى يومنا هذا

فلما سمع الملك الاسد ما ذكره الذئب من هذه القصة . قال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون واستكثر من هذه الكلمات وتكرارها فقال له الذئب ما الذى اصابك ايها الملك الفاضل وما هذا التأسف على مفارقة الكلاب والسنانير لابناء جنسها . قال الاسد ليس تأسفي على شيء فاني منهم ولكن لما قالت الحكماء بأنه ليس شيء على الملوك اضر ولا افسد لامرهم وامر رعيتهم من المستأمن من جندهم واعوانهم الى عدوهم لانه يعرف اسرارهم واخلاقهم وسريرتهم وعيوبهم واوقات غفلتهم والنصحاء من جنودهم والخونة من رعيتهم فيدله على طرقات خفية ومكائد دقيقة وكل هذه ضارة للملوك وجنودها لا بارك الله في الكلاب والسنانير

قال الذئب قد فعل الله بها مادعوته عليها ايها الملك واستجاب دعاك ورفع البركة من نسلها وجعلها في الغنم . قال كيف ذلك . قال لان الكلبة الواحدة تجتمع عليها فحول لتحبلها وتلقى هي من الشدة عند العلق والخلاص جهداً وعناء ثم انها تلد ثمانية او اكثر ولا يرى منها في البر قطيع ولا في المدينة كما في الاغنام من القطعان يذبح منها في كل يوم في المدن والقرى من العدد ما لا يحصى كثرة ، وهي مع ذلك تنتج كل سنة واحداً او اثنين، والعلة في ذلك ان الآفات تسرع الى اولاد الكلاب والسنانير قبل الفطام لكثرة اختلاف مأكولاتها فيعرض لها من الامراض المختلفة مما لا يعرض للسباع منها

شيء وكذلك ان سوء اخلاقها وتأذي الناس منها ينقص من عمرها ومن اولادها .

ثم قال الاسد لكليلة سر بالسلامة والبركة على بركة الله وعونه الى حضرة الملك وبلغ ما ارسلت به

فصل

ولما وصل الرسول الى ملك الطيور وهو الشاه مرغ امر مناديا ينادي فنادى فاجتمعت عنده اصناف الطيور من البر والبحر والسهل والجبل عدد كثير لا يحصى عددها الا الله فاخبرهم ما اخبر به الرسول من اجتماع الحيوانات عند ملك الجن للمناظرة مع الانس فيما ادعوه عليها من الرق والعبودية

ثم قال الشاه مرغ للطاووس وزيره من هاهنا من فصحاء الطيور ومتكلميها يصلح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة في المناظرة مع الانس

قال الطاووس هاهنا جماعة تصلح لذلك . قال بينهم لي لاعرفهم . قال هاهنا الهدهد الجاسوس ، والديك المؤذن والحمام الهادي ، والدراج المنادى ، والدرج المغنى والقنبر الخطيب . والبلبل الحاكى والخطاف البناء . والغراب الكاهن والكركي الحارس . والقطاء الكدري . والطيطوي الميمون . والعصفور الشبق . والشقراق الاخضر . والفاختة النائح . والورشان الدجلى . والقمري المكي . والصقر الجبلي . والزرزور الفارسي . والسمان البري . واللقلق القلقي . والعقعق البستاني . والبط الكسكوكى . ومالك الحزين . وأبو تيمار أخوه . والكركى البطائحي . والهزار دستان اللغوي الكثير الالحان . والغواص البحرى . والنعامة البدوي

قال الشاه مرغ للطاووس أرنيهم واحداً واحداً لانظر اليهم وأبصر شمائلهم ومن يصلح لذلك الامر قال نعم

أما الهدهد الجاسوس صاحب النبي سليمان عليه السلام فهو ذلك الشخص الواقف اللابس مرقعة ملونة المنتن الرائحة قد وضع على رأسه البرنس ينقر كأنه

يسجد ويركع وهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والقائل لسليمان في خطابه معه « أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون »

وأما الديك المؤذن فهو ذلك الشخص الواقف فوق الحائط صاحب اللحية الحمراء والتاج ذي الشرفات ، الاحمر العينين المنتشر الحاجبين الصفافين المنتصب الذنب كأنه أعلام وهو الغيور السخي الشديد المراعاة لامر حرمه وحلائله العارف بأوقات الصلاة المذكر بالأسحار المنبه للجيران الحسن الموعظة وهو القائل فى اذانه في وقت السحر اذكروا الله ماأطول ماأنتم نائمون والموت والبلى لاتذكرون ومن النار لا تخافون والى الجنة لا تشتاقون ونعم الله لا تشكرون ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فاذكروا هازم اللذات وتزودوا فان خير الزاد التقوى

وأما الدراج المنادي فهو ذلك الشخص الواقف على التل الابيض الخدين الأبلق الجناحين المحدودب الظهر من طول السجود والركوع وهو كثير الاولاد مبارك النتاج المذكر المبشر في ندائه وهو القائل لنفسه في أيام الربيع بالشكر تدوم النعم وبالكفر تحل النقم واشكروا نعم الله يزدكم ثم يقول أيضاً في أيام الربيع شعراً :

سبحان ربي وحده عز وجل حمداً على نعمائه فقد شمل
جاء الربيع والشتا قد ارتحل ووازن الليل النهار فاعتدل
ودارت الايام حولا قد كمل من عمل الخير ففي الخير حصل

ثم يقول اللهم اكفني شر بنات آوى والجوارح والصيادين من بني آدم ووصف طباعهم من جهة التغذية والمنفعة وشهوات مرضاهم

وأما الحمام الهادي فهو ذلك المحلق في الهواء الحامل كتاباً ما الى بلد

بعيد في رسالة وهو القائل في طيرانه وذهابه شعراً

ياوحشتنا من فرقة الاخوان   ياطول أشواقي الى الخلان
يارب أرشدنا إلى الاوطان

وأما الدراج المغني فهو ذلك الماشي بالتبختر في وسط البستان بين الاشجار والريحان المطرب بأصواته الحسان ذوات النغم والألحان وهو القائل في مراثيه ومواعظه شعراً

يامغنياً للعمر في البنيان   وغارس الاشجار في البستان
وباني القصور في الميدان   وقاعداً في الصدر في الايوان
وغافلا عن نوب الزمان   احذر ولاتغتر بالرحمن
واذكر غدا الترحال للجبان   مجاور الحيات والديدان
من بعد عيش طيب المكان

وأما القنبر الخطيب فهو ذلك الشخص صاحب الذنب المرتفع في الهواء على رأس الزرع والحصاد في أنصاف النهار كالخطيب على المنبر الملحن بأنواع الاصوات المطربة وفنون النغمات اللذيذة وهو القائل في خطبته وتذكاره شعراً

أين أولو الالباب والافكار   أين ذوو الارباح والتجار
من حبة الزراع في العقار   سبعون ضعفاً كيل بالمقدار
مواهباً من واحد غفار   فاعتبروها يا أولي الابصار

وآتوا حقه يوم حصاده ولاتغدوا تخافتون على حرد قادرين ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين .من يزرع اليوم خيراً يحصده غداً غبطة ومن يغرس معروفاً يجنى غداً ربحاً . الدنيا كالمزرعة والعاملون من أبناء الآخرة كالحراث وأعمالهم كالزرع والشجر والموت كالحصاد والقبر كالبيدر ويوم البعث كأيام الدراس . وأهل الجنة كالحب والثمار ، واهل النار كالتبن والحطب ويومئذ يميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم وينجي الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون

واما البلبل الحاكي فهو ذلك القاعد على غصن تلك الشجرة وهو الصغير الجثة السريع الحركة الابيض الخدين الكثير الالتفات يمنة ويسرة الفصيح اللسان الجيد البيان كثير الالحان يجاور بني آدم في بساتينهم ويخالطهم في مساكنهم ويكثر مجاوبتهم في كلامهم ويحاكيهم في نغماتهم ويعظهم في تذكاره لهم فهو القائل لهم عند لهوهم وغفلاتهم : سبحان الله كم تلعبون ، سبحان الله كم تضحكون ، سبحان الله الا تسبحون ، سبحان الله أليس للموت تولدون، أليس للبلاء تربون أليس للخراب تبنون أليس للفناء تجمعون كم تلعبون وكم تولعون أليس غدا تموتون وفي التراب تدفنون « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » يا ابن آدم « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » ثم يقول : اللهم اكفني ولع الصبيان وشر سنانير الجيران ياحنان يا منان ياديان يا غفران

وأما الغراب الكاهن منبيء الانباء فهو ذلك الشخص اللابس السواد المتوقي المحذر المبكر بالاسحار للطواف في الديار المتتبع للآثار الشديد الطيران الكثير الاسفار الذاهب في الاقطار المخبر بالكائنات المحذر أوقات الغفلات وهو القائل في نعيقه وانذاره ألوحا ألوحا النجا النجا احذر البلى يامن طغى وبغى أين المفر والخلاص من القضاء الا بالصلاة والدعاء . لعل رب السماء يكفيكم كيف يشاء

وأما الخطاف البناء فهو ذلك السائح في الهواء الخفيف الطيران ، القصير الرجلين الوافي الجناحين ، المجاور لبنى آدم في دورهم ، المربى لأولاده في منازلهم ، وهو كثير التسبيح في الأسحار ، كثير الدعاء والاستغفار ، بالعشى والابكار الذاهب البعيد في الاسفار المصيف في الصرد والمشتّي في الحرور ، وهو القائل في تسبيحه ، وتذكاره ودعائه ، سبحان خالق البحار والقفار ، سبحان مرسى الجبال ، ومجرى الانهار ، سبحان مولج الليل والنهار ، سبحان مقدر الآجال

والارزاق بمقدار ، سبحان من هو الصاحب في الاسفار ، سبحان من هو الخليفة في الاهل والديار ، ثم يقول ذهبنا في البلاد ورأينا العباد ورجعنا الى موضع التلاد ونتجنا بعد الفساد فلله الحمد انه الكريم الجواد

وأما الكركى الحارس فهو ذلك الشخص القائم في الصحراء ، الطويل الرقبة والرجلين ، القصير الذنب الوافر الجناحين ، وهو الذاهب في طيرانه ، له صفير الحارس في الليل نوبتين ، وهو القائل في تسبيحه ، سبحان مسخر النيرين ، سبحان مارج البحرين ، سبحان رب المشرقين ورب المغربين ، سبحان الله خالق الثقلين ، سبحان هادي النجدين ، سبحان الخالق من كل شيء زوجين اثنين . والقطا الكدري فهو ساكن البراري والقفار ، وهو بعيد الورد الى الأنهار ، ويسافر بالليل والنهار الكثير التسبيح والتذكار ، القائل في غدوه ورواحه وورودهوصدوره سبحان خالق السماوات المسموكات ، سبحان خالق الاراضين المدحوات ، سبحان خالق الافلاك الدايرات ، سبحان خالق البروج الطالعات ، سبحان خالق الكواكب السيارات ، سبحان مرسل الرياح الذاريات ، سبحان منشيء السحب الممطرات ، سبحان رب الرعود المسبحات ، سبحان رب البروق اللامعات ، سبحان رب البحار الزاخرات ، سبحان مرسي الجبال الشامخات ، سبحان مدبر الليل والنهار والأوقات ، سبحان منشيء الحيوانات والنبات ، سبحان خالق الانوار والظلمات ، سبحان خالق الخلق في البحار والفلوات ، سبحان محيي العظام الرفات الدارسات الباليات بعد الممات ، سبحان من تكل الالسن عن مدحه ووصفه بحقائق الصفات

وأما الطيطوي الميمون المبارك فهو ذلك القائم على المياه الابيض الخدين الطويل الرجلين الزكى الخفيف الروح وهو المحذر للطيور في الليل في اوقات الغفلات المبشر بالرخص والبركات وهو القائل في تسبيحه

يافالق الاصباح والانوار ومرسل الرياح في الاقطار

ومنشيء السحاب ذي الامطار   ومجرى السيول والانهار
ومنبت العشب مع الاشجار   ومخرج الحبوب والثمار
فاستبشروا يامعشر الاطيار   بسعة الرزق من الغفار

وأما الهزار داستان اللغوى الكثير الالحان فهو ذلك القاعد على غصن الشجرة الصغير الجثة الخفيف الحركة الطيب النغمة وهو القائل في غنائه والحانه شعراً:

الحمد لله ذي القدر والاحسان   الواحد الفرد ذي الغفران
يامنعما في السر والاعلان   كم نعمة بمنة الرحمن
تفيض كالبحار في الجريان   ياطيب عيش كان في الازمان
بين رياض الروح والريحان   وسط البساتين على الاغصان
مثمرة الأشجار بالألوان   لو أنني ساعدني اخواني
ذاكرتهم بكثرة الالحان

ثم قال الشاه مرغ للطاووس من ترى يصلح من هؤلاء أن نبعثه الى هناك ليتناظر مع الانس وينوب عن الجماعة.

قال الطاووس كلهم عبيدك يصلح لذلك لانهم كلهم فصحاء خطباء شعراء عقلاء فضلاء غير ان الهزار داستان أفصحهم لسانا وأجودهم بياناً وأطيبهم نغمة والحاناً.

قال الشاه مرغ سر وتوكل على الله عز وجل فبعثه ، ولما وصل الرسول الى ملك الحشرات وهو النحل وعرفه الخبر أمر مناديه فنادى فاجتمعت عنده الحشرات من الزنانير واليعاسيب والذباب والبق والجراجيس والجعلان والزراريح والجراد.

وبالجملة هي كل حيوان صغير الجثة يطير بالاجنحة ليس له ريش ولا عظم ولا دفء ولا وبر ولا شعر ولا يعيش سنة كاملة غير النحل لانه يهلكها الحر المفرط والبرد المفرط شتاء وصيفاً ثم انه عرفها الخبر.

وقال أيكم يذهب الى هناك وينوب عن الجماعة فى مناظرة الانس.

قال الجماعة بماذا يفتخر الانسان علينا قال الرسول بكبر الجثة وعظم الخلقة وشدة القوة والقهر والغلبة

قال زعيم الزنانير نحن نمر الى هناك وننوب عن الجماعة ، قال زعيم الذباب لابل نمر الى هناك ، قال زعيم الجراجيس لابل نمر الى هناك .

ثم قال زعيم البق نحن نمر الى هناك ، قال زعيم الجراد نحن نمر الى هناك ، قال لهم الملك مالى أرى كل الطوائف قد تبادرت الى البراز من غير فكر ولا روية في هذا الامر قالت الجماعة للثقة بنصر الله تعالى واليقين بالظفر بقوة الله وحوله . ولما تقدم من التجربة فيما مضى من الدهور والامم الخالية والملوك الجبابرة قال كيف كان ذلك اخبروني .

قالت البق أيها الملك أصغرنا جثة وأضعفنا بنية قتل النمرود لعنة الله عليه أكبر ملوك بنى آدم واطغاهم وأعظمهم سلطانا وأشدهم صولة وتكبراً قال صدقت:

قال الزنبور اليس اذا لبس أحد من بنى آدم سلاحه الشاك وأخذ بيده سيفه ورمحه وسكينه ونشابه فيقدم واحد منا فيلسعه بحمة مثل رأس ابرة فتشغله عن كل ماأراد وعزم عليه ويتورم جلده وتوهن أعضاؤه وتتربد أعصابه حتى لايقدر على سيفه أو سكينه أو لجام فرسه قال صدقت :

قال الذباب اليس أعظمهم سلطاناً وأشدهم هيبة اذا قعد الملك على سريره وقام الحجاب دونه شفقة عليه أن يناله أذى أومكروه فيجيء أحدنا من مطبخه أو خلائه ملوث الرجلين والجناحين فيقعد على السرير وعلى ثيابه وعلى وجهه ولحيته ويعذبه ولا يقدر على الاحتراز منا قال صدقت :

قال الجرجيس اليس اذا قعد أحدهم في مجلسه ودسته وسريره وكلله المنصوبة يدخل أحدنا بين ثيابه فيقرضه ويزعجه من سكونه واذا أراد أن يبطش بناصفع نفسه بيده ولطم خده بكفه ودق رأسه فنفلت منه .

قال صدقت : ولكن ليس في حضرة ملك الجن يمشى الامر بشيء مما ذكرتم انما يمشى الامر هناك بالعدل والنصفة والأدب ودقة النظر وجودة التمييز

والاحتجاج بالفصاحة والبيان بالمناظرة فهل عندكم شيء منها .

فاطرقت الجماعة ثم قال الملك أنا أسير بنفسي وأنا أنصحكم ، فقالت الجماعة فيا قال الملك ، لا ، قال الحكيم من النحل أنا أقوم بهذا الامر بعون الله ومشيئته .

قال الملك والجماعة خار الله لك فيما عزمت عليه ونصرك وأظفرك على خصمائك ومن يريد غلبك وعداوتك ثم ودعهم وتزود ورحل حتى قدم على ملك الجن وحضر المجلس مع من حضر من غيره من سائر أصناف الحيوان

فصل

ولما وصل الرسول وهو البغل الى ملك الجوارح وهو العنقاء وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت عنده أصناف الجوارح من النسور والعقبان والصقور والبزاة والشواهين والحداء والرخم والبوم والببغاء وكل طير ذي مخلب مقوس المنقار يأكل اللحم .

ثم عرفها الخبر وماجاء به الرسول من اجتماع الحيوانات بحضرة ملك الجن للمناظرة مع الانس . قال الملك لوزيره كركدن أترى من يصلح من هذه الجوارح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة من أبناء جنسه بالمناظرة مع الانس قال الوزير ليس فيها أحد يصلح لهذا الامر غير البوم قال لم ذلك قال هذه الجوارح كلها تنفر من الانس وتفزع منهم ولا تفهم كلامهم ولا تحسن مخاطبتهم ولا تجاورهم

وأما البوم فهو قريب المجاورة لهم في ديارهم العافية ومنازلهم الدراسة وقصورهم الخربة وينظر الى آثارهم القديمة ويعتبر بالقرون الماضية وفيه مع ذلك من الورع والزهد والخشوع والتقنع والتقشف ماليس لغيره يصوم النهار ويحيي الليل وربما يعظ بني آدم يذكرهم وينوح على ملوكهم الماضية والأمم السالفة ويقول هذه الابيات :

أين الملوك الماضية تركوا المنازل خالية

جمعوا الكنوز بجدهم تركوا الكنوز كما هيه
فانظر اليهم هل ترى في دارهم من باقيه
الا قبوراً دراسا فيها عظام باليه

﴿ ويقولون أيضاً شعر ﴾

ألا يادار ويحك خبرينا لماذا صار أهلك يهجرونا
فانطقت ولو نطقت لقالت لانك قد بليت وما بلينا

وربما قال :

سألت الدار تخبرني عن الاحباب مافعلوا
فقالت لي أقام القوم أياما وقد رحلوا
فقلت أين أطلبهم وأى منازل نزلوا
فقالت في القبور وقد لقوا والله ما عملوا

وربما قال أيضاً :

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موراداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الاكابر والاصاغر
لايرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت انى لامحالة حيث صار القوم صائر

وقال أيضاً :

نام الخلي فما أحس رقادي واليوم محتضر لدى وسادي
من غير ماسقم ولكن شفني هم أراه فقد أصاب فؤادي
أين الملوك الاولون عهدتهم بين العذيب وبين ارض مزاد
ارض تخيرها لطيب مقيلها كعب ابن مامة وابن أم زواد
ارض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذا الشرفات من شداد

ولقد غنوا فيها باطيب عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد
فاذا النعيم وكل ماياهي به يوما يصير الى بلى ونفاد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على الميعاد

ثم يقرأ :

كم تركوا فيها من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء الآية .

قال له العنقاء ماتقول فيما ذكر الكركدن قال البوم صدق فيما قال : ولكن لايمكن المصير الى هناك .

قال العنقاء لم ذاك قال لان بنى آدم يبغضوننى ويتطيرون برؤيتى ويشتموني من غير ذنب اليهم ولا أذية تنالهم منى فكيف اذا رأوني وقداظهرت لهم الخلاف ونازعتهم في الكلام والمناظرة وهى ضرب من الخصومة تنتج العداوة والعداوة تدعو الى المحاربة والمحاربة تخرب الديار وتهلك أهلها.

قال العنقاء للبوم فمن ترى يصلح لهذا الامر ، قال البوم ان ملوك بنى آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها ويكرمونها ويحملونها على ايديهم ويمسحونها باكمامهم فلو بعث الملك بواحدة منها اليهم لكان رأياصوابا

قال العنقاء للجماعة قد سمعتم ماقال البوم وأى شيء عندكم قال البازي صدق البوم فيما قال : لكن ليست كرامتنا على بنى آدم لقرابة بيننا وبينهم ولا علم ولا أدب يجدونه عندنا ولكن لانهم يشاركوننا في معائشنا ويأخذون من مكاسبنا كل ذلك حرصاً منهم على ذلك وشرها واتباعا للشهوات واللعب والبطر والفضول لايشتغلون بما هو واجب عليهم من اصلاح امر معادهم ولما هو لازم لهم من طاعة ربهم وماهم مسئولون عنه يوم المعاد

فقال العنقاء للبازي فمن ترى يصلح لهذا الامر قال البازي أظن أن الببغاء يصلح لهذا الامر لان بنى آدم يحبونها ، ملوكهم ونساؤهم وخاصتهم وعامتهم

وشيوخهم وصبيانهم وعلماؤهم وجهلاؤهم ويكلمهم ويسمعون منه مايقولون ويحاكيهم في كلامهم واقاويلهم .

فقال العنقاء للببغاء ماتقول فيما قال البازي ، قال صدق فيماقال وأخبر ، واني ذاهب الى هناك وأنوب عن الجماعة بحول الله وقوته وعونه ولكني محتاج الى المعاونة من الملك ومن الجماعة قال له العنقاء ماذا تريد قال الدعاء لله والسؤال منه بالنصر والتأييد ، فدعا له الملك بالنصر وأمنت الجماعة

ثم قال البوم أيها الملك ان الدعاء اذا لم يكن مستجاباً فعناء ونصب وتعب بلافائدة لان الدعاء لقاح والاجابة نتيجة فاذا لم يكن الدعاء مع الشرائط لم ينجح ، قال الملك فما شرائط الدعاء المستجاب ، قال النية الصادقة ، واخلاص القلوب كالمضطر ، وأن يتقدمه الصوم ، والصلاة ، والتوبات والصدقة ، والبر والمعروف قالت الجماعة صدقت وبررت فيما قلت أيها الزاهد الحكيم العالم العابد

قال العنقاء للجماعة من الجوارح الحضور : أما ترون معشر الطيور ماوقعنا فيه من جور بنى آدم وتعذيبهم الحيوانات حتى بلغ الامر الينا مع بعدديارنا منهم ومجانبتنا اياهم وتركنا مداخلتهم ، فأنا مع عظم جثتي وخلقي وشدةقوتي وسرعة طيراني تركت ديارهم وهربت منهم الى الجزائر والبحار والجبال ، وهكذا أخي الكركدن لزم البراري والقفار وبعد من ديارهم طلباً للسلامة من شرهم ثم لم نتخلص من شرهم حتى أحوجونا الى المناظرة والمحاجحة والمحاكمة ولو أراد أحد منا أن يختطف كل يوم منهم عدداً كثيراً لكنا قادرين عليهم ولكن من شيم الاحرار أن يجاوروا الاشرار ويعاملوهم ويكافؤوهم على سوء أفعالهم ولايفعلوا مثل فعلهم بل يتركونهم ويبعدون عنهم ويكلونهم الى ربهم ويشتغلون بمصالحهم وبما يجر المنفعة وراحة القلب في المعاد

ثم قال العنقاء وكم من مركب في البحر طرحته الرياح عندي فهديتهم الطريق وكم غريق كسر به المركب فأنجيته الى السواحل والجزائر كل ذلك طلباً لمرضاة

ربي وشكراً للنعمة التي أعطاني من عظم الخلقة وكبر الجثة فشكراً له على إحسانه إلي وهو حسبنا ومعيننا ونعم المولى ونعم النصير

﴿ فصل ﴾

ثم لما وصل الرسول الى ملك حيوان البحر وهو التنين وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت اليه أصناف الحيوانات البحرية من التنانين والكواسج والتماسيح والدلافين والحيتان والسموك والسرطانات والكرازنك والسلاحف والضفادع وذوات الاصداف والفلوس وهي نحو سبعمائة صورة مختلفة الالوان والاشكال فعرفها الخبر وماقاله الرسول ثم قال التنين للرسول بماذا يفتخر بنو آدم على غيرهم أبكبر الجثة أم بالشدة والقوة أو بالقهر والغلبة : ان كان افتخارهم بواحدة منها ذهبت الى هناك و نفخت نفخة واحدة أحرقتهم من أولهم الى آخرهم ثم جذبتهم برجوع نفسي فبلعتهم

قال الرسول لايفتخرون بشيء من ذلك ولكن برجحان العقل وفنون العلم وغرائب الأدب ولطائف الحيل ودقة الصنائع والفكر والتمييز والروية وذكاء النفس

قال التنين صف لي شيئاً منها لاعلمه . قال نعم أيها الملك ألست تعلم ان بني آدم ينزلون بحيلهم وعلومهم وحكمهم الى قرر البحار الزاخرة المظلمة الكثيرة الامواج ليستخرجوا من هناك الجواهر من الدرر والمرجان وهكذا يعملون الحيلة ويصعدون الى رؤوس الجبال الشامخة فينزلون منها النسور والعقبان وهكذا بالحيلة يعملون العجلة من الخشب ويشدونها في صدور الثيران وأكتافها ثم يحملون عليها الاحمال الثقال وينقلونها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ويقطعون البراري والقفار والمفاوز

وهكذا بالعلم والحيلة يبنون السفن والمراكب ويحملون فيها الامتعة ويقطعون بها سعة البحار البعيدة الاقطار

وهكذا بالعلم والحيلة يدخلون في كهوف الجبال ومفازات التلال وعمق الارض فيخرجون منها الجواهر المعدنية والذهب والفضة والحديد والنحاس وغير ذلك .

وهكذا بالعلم والحيلة اذا نصب أحدهم على ساحل بحر أو على شط جزيرة أو على شرعة نهر طلسما أو صنما أو لعبة لم تقدر عشرة آلاف منكم يا معشر التنانين والكواسج والتماسيح أن تجتاز هناك أو تقرب من ذلك المكان ، ولكن ليس أيها الملك بحضرة ملك الجن الا العدل والانصاف في الحكومة والحجة البينة لا بالقهر والغلبة والمكر والحيلة

ولما سمع التنين مقالة الرسول قال لمن حوله من جنوده ألا تسمعون ، ماذا ترون وأي شيء تقولون ، أيكم يذهب الى هناك فيناظر الانس وينوب عن الجماعة من اخوانه وأبناء جنسه .

قال له الدلفين منجي الغرقى : الحوت أولى حيوان البحر بهذا الامر ولأنه أعظمها خلقة وأكبرها جسما وأحسنها صورة وأنظفها بشرة وأنقاها بياضاً وأملسها بدناً وأسرعها حركة وأشدها سباحة وأكثرها عدداً ونتاجاً ومن كان من ابناء جنسها من السموك حتى انه قد امتلأت منها البحار والانهار والبطائح والعيون والجداول والسواقي صغاراً وكباراً وللحوت ايضاً يد بيضاء عند بني آدم حيث اجار نبياً لهم وآواه في بطنه ورده الى مأمنه ، والانس ايضاً يرون ويعتقدون ان مستقر الارض على ظهر الحوت

قال التنين للحوت ماذا ترى فيما قال الدلفين . قال صدق في كل ما قال ولكن لا ادري كيف اذهب الى هناك وكيف اخاطبهم وليس لي رجلان امشي بهما ولا لسان ناطق ولا صبر لي عن الماء ساعة واحدة ولكن ارى ان السلحفاء يصلح لهذا الامر لانه يصبر عن الماء ويرعى في البر ويعيش كما يعيش في البحر ويتنفس في الهواء كما يتنفس في الماء وهو مع هذا قوي البدن صلب الظهر جيد العضو حليم وقور صبور على الأذى محتمل الاثقال .

قال التنين للسلحفاة فاترى فيما قال . قال صدق الحوت ولكني لا اصلح لهذا الامر لاني ثقيل المشي والطريق بعيد وقليل الكلام أخرس ولكن السرطان يصلح لهذا الامر والشان لأنه كثير الأرجل جيد المشي سريع العدو حاد المخالب شديد العض ذو فكين وأظافر حداد كثير الأسنان صاب الظهر مقاتل متدرع

قال التنين للسرطان ماذا ترى فيما ذكر السلحفاء

قال صدق ولكن لاادري كيف أذهب الى هناك مع عجيب خلقتي وتموج صورتي أخاف أن أكون شهرة هناك . قال التنين كيف ذلك

قال لانهم يرونني حيواناً بلارأس عيناه على كتفيه فمه في صدره وفكاه مشقوقتان من جانبين وله ثمانية أرجل مقوسة معوجة ويمشي على جانبه وظهره كأنه من رصاص . قال التنين صدقت فمن ترى يصلح لهذا الامر أن يتوجه الى هناك . قال السرطان أظن ان التمساح يصلح لهذا الامر لانه طويل الخلقة شديد الارجل جيد المشي سريع العدو واسع الفم طويل اللسان كثير الاسنان قوي البدن مهيب النظر شديد الرصد لمطلبه غواص في الماء وفي الطلب

قال التنين للتمساح ماذا تقول فيما ذكر السرطان . قال صدق ولكني لاأصلح لهذا الامر لاني غضوب ضجور وثاب مختلس فرار غدار وان الامر ليس هناك بالقهر والغلبة ولكن بالحلم والوقار والعدل والتمييز والفصاحة والبيان والعدل والانصاف في الخطاب

قال التمساح ولست أتعاطى شيئاً من هذه الخصال ولكني أرى الضفدع يصلح لهذا الامر لأنه حليم وقور صبور ورع كثير التسبيح والتهليل بالليل والنهار وفي الاسحار كثير الصلاة والدعاء بالعشي والابكار وهو يداخل بني آدم في منازلهم وله عند بني اسرائيل يد بيضاء مرتين احداهما يوم طرح النمرود ابراهيم خليل الرحمن في النار فانه كان ينقل الماء بفيه فيصبه في النار على ابراهيم لتطفى ، ومرة أخرى فانه كان أيام موسى بن عمران معاوناً له على فرعون وهو مع ذلك فصيح اللسان جيد البيان كثير الكلام والتسبيح والتهليل والتكبير

وهو من الحيوان الذي يعيش في الماء ويأوي البر والبحر ويحسن المشى والسباحة جميعاً وله رأس مدور مقنع وعينان براقتان وذراعان وكفان مبسوطان ويمشى متخطياً ومتقفزاً سريعاً ويقعد مربعاً ويدخل منازل بنى آدم ولا يخافهم ولا يخافون منه

قال التنين للضفدع ماذا ترى فيما ذكر التمساح قال صدق انا أمر الى هناك وأنوب عن الجماعة من اخواننا وحيوان الماء أجمع ولكني أريد أن تدعو الله بالنصر والتأييد والدعاء بدعاء مستجاب قال التنين كيف يكون الدعاء المستجاب قال كما ذكر البوم للعنقاء في الفصل الذي قبل هذا الفصل قالوا نعم صدق فدعو الله جميعاً بالنصر والتأييد له وودعوه وسار عنهم وقدم على ملك الجن

﴿ فصل في بيان شفقة الثعبان على الهوام ورحمته لهم ﴾

ولما وصل الرسول الى ملك الهوام وهو الثعبان وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت اليه أصناف الحيوانات من الهوام مثل الافاعي والحيات والعقارب والجرارات والدخالات والضب وسام ابرص والحرابي والعظايا والخنافس وبنات وردان والعناكب والنمل والجنادب والبراغيث والقمل والسوالك والفار والصراصر وأصناف الديدان مما يتكون في العفونات أو يدب على رؤس الاشجار أو يتكون في لب الحبوب وقلوب الشجر وجوف الحيوانات الكبار والارضة والحيوان الذى يتولد في الخل أو في الثلج أو في ثمرة الشجرة والسوس ومايتولد في السرقين أو في الطين وما يدب في المغارات والظلمات والاهوية ، فاجتمعت كلها عند ملكها لا يحصيها عدد ولا يعلمها الا الله الذي خلقها كلها وصورها ورزقها ويعلم مستقرها ومستودعها

فلما نظر الملك اليها وهي من عجائب الصور وأصناف الاشكال بقي متعجباً منها ساعة طويلة ثم فتشها فاذاهي اكثر الحيوانات عدداً وأصغرها جثة وأضعفها بنية وأقلها حيلة وحواساً وشعوراً وبقي متفكراً في أمرها . ثم قال الثعبان لوزيره الافعى من ترى يصلح من هذه الطوائف أن نبعثه هناك للمناظرة فان اكثرها

صم بكم عمي بلا يدين ولا رجلين ولا جناحين ولا منقار ولا مخاب ولا ريش على أبدانها ولا شعر ولا وبر ولا صوف ولا فلوس وان اكثرها عراة حفاة حسرى ضعفاء فقراء مساكين بلا حيلة ولا حول ولا قوة وأدركته رحمة عليها وتحنن وشفقة ورأفة ورق قلبه عليها ودمعت عيناه من الحزن ، ثم نظر الى السماء ثم دعا وقال في دعائه ياخالق الخلق ويا باسط الرزق ويامدبر الامور ويا أرحم الراحمين ويامن هو بالمنظر الاعلى ويامن هو يسمع ويرى ويامن يعلم السر وأخفى أنت خالقها ورازقها وأنت مصورها ومدبرها ومبدؤها ومعيدها ومحييها ومميتها كن لها ولنا وليّاً وحافظاً وناصراً ومعيناً وهاديا ومرشدا ياأرحم الراحمين ويارب العرش العظيم فنطقت كلها بلسان فصيح وقالت آمين آمين رب العالمين

فصل في بيان خطبة الصرصر وحكمته

فلما رأى الصرصر ما أصاب الثعبان من التحنن والرأفة والرحمة على رعيته وجنوده وأعوانه وأبناء جنسه ارتقى الى حائط بالقرب منه وحرك أوتاره وزمر بزماره وترنم بأصوات وألحان ونغمة لذيذة بالتحميد لله والتوحيد له . فقال الحمد لله نحمده ونستعينه ونشكره على نعمائه السابغة وآلائه الدائمة فسبحان الله الحنان المنان الديان . سبحان الواحد الاحد سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح الحي القيوم ذو الجلال والاكرام والاسماء العظام والآيات والبرهان قبل الاماكن والازمان والجواهر ذوات الكيان لا هواء فوقه ولا ماء تحته ، محتجباً بنوره متوحداً بوحدانيته وأسرار غيبه حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية . فسبحان الظاهر بالنسبة الى ذاته لكل شيء والخفي بالنسبة الي ذاته عن كل شيء ثم قضى ودبر وقدر كما شاء قدر وأراد ثم أبدع نوراً بسيطاً لامن هيولى متهيئة ولا من صورة متوهمة ، بل بقوله كن فكان فهو العقل الفعال ذو العلم والاسرار خلق الخلائق لا لوحشة كانت في وحدته ولا لاستعانة بها على

امر من أموره ولكن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا مرد لقضائه وهو السريع الحساب

ثم قال أيها الملك المشفق الرحيم الرؤوف المتحنن على هذه الطوائف لا يغمك ما ترى من ضعف أبدان هذه الطوائف وصغر جثتها وعمرها وفقرها وقلة حيلتها فان لله الذي هو خالقها ورازقها هو أرحم الراحمين بها وعليها من الوالدة المشفقة على أطفالها ومن الآب الرحيم على أولاده وذلك ان الخالق جل ثناؤه لما خلق الحيوانات المختلفة الصورة مفننة الاشكال ورتبها مراتبها على منازل شتى ما بين كبير الجثة عظيم الخلقة قوي البنية شديد القوة وما بين صغير الجثة ضعيف البنية قليل الحيلة ساوى بينهما في المواهب الجزيلة من الآلات والادوات التي تتناول بها المنافع وتدفع بها المضرات فصارت متكافئة في العطية

مثال ذلك انه لما أعطى الفيل الجثة العظيمة والبنية القوية والقوة الشديدة ليدفع المكاره عن نفسه بأنيابه الطوال الصلاب ويتناول المنافع بخرطومه الطويل أعطى أيضاً البقة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية عوضاً من ذلك الجناحين اللطيفين وسرعة الطيران فتنجو من المكاره وتتناول الغذاء بخرطومها فصار الصغير والكبير فى هذه المواهب التى تجر بها المنفعة وتضر بها المضرة متساوية فهكذا نمر الخالق الباري والمصور لهذه الطوائف الضعفاء الفقراء اللواتي تراها عراة حفاة حسرى • وذلك ان الباري جل ثناؤه لما خلقها على هذه الاحوال التى تراها كفاها أمر مصالحها من جر المنفعة أو دفع المضرة عنها

فانظر أيها الملك وتأمل واعتبر أحوالها فانك ترى ما كان أصغر منها جثة وأضعف بنية وأقل حيلة كان أروح بدنا وأربط جأشا وأسكن روعاً فى دفع المكاره عن غيرها وكان أطيب نفساً وأقل اضطرابا في طلب المعاش وجر المنافع وأخف مؤنة مما هو أعظم جثة وأقوى بنية وأ كثر حيلة

بيان ذلك انك ترى اذا تأملت وجدت الكبار منها القوية البنية الشديدة

القوة تدفع عن نفسها المكاره بالقهر والغلبة والقوة والجلد كالسباع والفيلة والجواميس وأمثالها وسائر الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة الخلقة الشديدة القوة ، فنها ما تدفع عن نفسها المكاره والضرر بالفرار والهرب وسرعة العدو كالغزلان والارانب وغيرها من حمر الوحش ، ومنها بالطيران والتخلف بالجو كالطيور ومنها بالغوص في الماء والسباحة فيه ، ومنها ما تدفع المكاره والمضار بالتحصن والاختفاء في الاحجرة والثقب كالفارة والنمل كما قال تعالى : « ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » وقيل لما سمع سليمان عليه السلام ذلك أمر باحضار النملة فلما دخلت قالت : سلام عليك يانبي الله اني وقعت فيما احترزت منه فتعجب سليمان من قولها

فلما وضعها على كفه سأل النملة لماذا قلت ليحطمنكم سليمان وجنوده ألست تدرين اني لا أظلم أحداً ولا أرضى أن نظلم جنودي فلو سمعت من هذا شيئا فاخبريني ولماذا قلت اني وقعت فيما احترزت منه ألست تعلمين اني لست بجائر ولا ظالم على خلق الله تعالى فلم قلت هذا . قالت النملة معاذ الله اني أريد بتلك الاشارات حسبما فهمت لكني أريد بذلك ان الله أعطاك ملكا لا يكون لأحد من بعدك من الزينة والعدل والانصاف وناديت من أجل أنهم لا يخرجون من البيوت ولا يشتغلون بالنظارة ليفوت عنهم ذكر الله تعالى أردت بذلك الاشارة الى هذا المعنى . ومنها ما قد ألبسه الله من الجلود الثخينة الجزلة كالسلحفاء والسرطان والحلزون وذوات الاصداف من حيوان البحر . ومنها ماتدفع المكاره والضرر عن نفسها بادخال رؤوسها تحت أبدانها كالقنفذ

أما فنون تصاريفها في طلب المعائش والمنافع فنها مايصل اليه ويهتدي اليه بجودة النظر وشدة الطيران كالنسور والعقبان

ومنها بجودة الشم كالنمل والجعلان والخنافس وغيرها

ومنها مايهتدى ويصل اليه بجودة الذوق كالسمك وغيرها من حيوان الماء

ومنها بجودة الاستماع والاوصاف كالنسر ولما منع الباري الحكيم هذه

الطوائف والحيوانات الصغار الجثة الضعاف القوى والبنية القليلة الحيلة هذه الآلات والادوات والحواس وجودتها لطف بها وكفاها مؤونة الطلب وأسباب الهرب ، وذلك انه جعلها في مواضع كنينة وأماكن حريزة ، اما في الثقاب، واما في حب النبات ، واما في أجواف الحيوانات الكبار ، أو في الطين أوفي السرقين وجعل غذاءها مختصا بها ، وموادها حواليها ، وجعل في أبدانها قوى جاذبة تمتص بها الرطوبات المغذية لابدانها المقوية لاجسادها ولم يحوجها الى الطلب ولا الى الهرب

فمن أجل هذا لم يخلق لها رجلين تمشي ولا يدين تتناول ولا فماً يفتح ولا أسناناً تمضغ ولا حلقوما يبلع ولا مريا يزدرد ولا حوصلة تقع فيها ولا قانصة ولا معدة ولا كرشاً ينطبخ الكيموس فيها ولا أمعاء ولا مصارين للثفل ولا كبداً تصفي الدم ولا طحالا تجذب فضلات الكيموس الغليظة ولامرارة تجذب اللطيفة ولا كليتان ولا مثانة تجذب البول ولا أوراداً يجرى الدم فيها للنبض ولا أعصابا من الدماغ للحس ولا تعرض لها الامراض المزمنة والعلل المؤلمة ولا تحتاج الى دواء ولا علاج ولاعناء من الآفات التى تعرض للحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية الشديدة القوة فسبحان الله الخالق الحكيم الذى كفاها هذه المطالب وهذه المؤونة وأراحها من التعب والنصب فله الحمد والمنة والشكر والثناء على جزيل مواهبه وعظيم نعمائه وحسن آلائه

فلما فرغ الصرصر من هذه الخطبة ، قال له الثعبان ملك الهوام بارك الله فيك من خطيب ماأفصحك ومن مذكر ماأعلمك ومن واعظ ماأبلغك والحمد لله الذى جعل في أجناس هذه الطائفة مثل هذا الحكيم الفاضل المتكلم الفصيح ، ثم قال له الثعبان امض الى هناك فتنوب عن الجماعة فى المناظرة مع الانس قال نعم سمعاً وطاعة للملك ونصيحة للاخوان ، قالت الحية عند ذلك لاتذكر عندهم انك رسول الثعبان والحيات ، قال الصرصر ولم ذلك قالت لان بين بنى آدم وبين

الحيات عداوة قديمة وحقد كامن لا يقدر قدره حتى أن كثيراً من الانس يعترضون على ربهم فيقولون لم خلقها فانه ليس في خلقها منفعة ولا فائدة ولا حكمة بل ضرر كله قال الصرصر ولم يقولون ذلك قالت من أجل السم الذى بين فكيها فانه ليس فيه منفعة الا هلاك الحيوانات وموتها كل ذلك جهل منهم بمعرفة حقائق الاشياء ومنافعها ومضارها ثم قالت لاجرم فان الله جل ثناؤه ابلاهم بها وعاقبهم على ذلك حتى أحوج ملوكهم الى اقتناء سمومها تحت فصوص الخواتم لوقت الحاجة اليها فلو انهم فكروا واعتبروا أحوال الحيوانات وتصاريف أمورها لتبين لهم ذلك وعرفوا عظيم منفعة السموم في فكوك الافاعي لم خلقها الباري تعالى وما الفائدة فيها ، ولو عرفوها لما قالوا ذلك ولا اعترضوا على ربهم في أحكام مصنوعاته لان الباري تعالى لو خلق سبب هلاك الحيوانات في بصاقنا لجعل لحومنا سبباً لدفع تلك السموم وذلك أن الاطباء الاقدمين قد وجدوا في لحومنا قوة تقاوم سمومنا فادخلوا لحومنا في الترياق لتقاوم السم ولكن اكثر الناس لا يشكرون

قال الصرصر أفدنا أيها الحكيم فائدة أخرى وعرفنا لنكون على علم منها قالت الحية نعم أيها الخطيب الفاضل

اعلم بان الباري الحكيم لما خلق هذه الحيوانات التى ذكرتها في خطبتك وقلت أنه أعطى كل جنس منها أدوات وآلات لتجر المنفعة أو لتدفع المضرة فاعطى بعضها معدة حارة أو كرشاً أو قانصة فينضج الكيموس فيها بعد المضغ الشديد ويصير غذاء لها ، ولم يعط الحياة معدة حارة ولا قانصة ولا كرشاً ولا أضراساً تمضغ اللحوم فانه جعل في فكيها عوضاً منها سماً حاراً منضجاً لما تأكل من اللحمان وذلك أنها اذا قبضت على جثة الحيوانات وحصلت بين فكيها قلبت من ذلك السم عليها لمضغها من ساعتها وتبلعها وتزدردها وتستمرؤها فلولم يكن هذا السم لما استمرأت الاكل ولا حصل لها غذاء ولماتت جوعا وضرا وهلكت عن آخرها وما بقي أحد منها في ديار

قال الصرصر لعمري قد تبين لى منفعة السم فما منفعة الحيات للحيوان وما الحكمة والفائدة في خلقتها وكونها فى الارض بين الهوام

قالت كمنفعة السباع و كونها بين الوحوش والانعام والبهائم وكمنفعة كون التنين في البحر والكواسج والتماسيح و كمنفعة النسور والعقبان والجوارح في الطيور

قال الصرصر زيدينى بيانا قالت نعم ان الله جل ثناؤه أبدع الخلق واخترعه بقدرته ودبر الامور بمشيئته فجعل قوام الخلائق بعضها ببعض وجعل لها عللا واسباباً لما رأى فيهامن اتقان الحكمة وصلاح الكل ونفع العموم ولكن ربما يعرض من جهة العلل والاسباب آفات وفساد لبعض لا بقصد من الخالق تعمداً ولكن بعلمه السابق بما يكون قبل ان يكون ولم يمنع علمه بما يكون منها من الفساد والآفات أن يخلقها اذ كان النفع فيه أعم والصلاح اكثر من الفساد

بيان ذلك أن الله عز وجل لما خلق الشمس والقمر وسائر الكواكب جعل الشمس سراجاً للعالم وحياة وسبباً للكائنات بحرارتها ومحلها من العالم محل القلب من البدن تنبث منه الحرارة الغريزية الى سائر أطراف البدن التى هي سبب الحياة وصلاح الجملة

وهكذا حكم الشمس حياة وصلاح للكل والنفع للعموم . ولكن ربما يعرض منها تلف وفساد لبعض الحيوانات والنبات فيكون ذلك مغفوراً في جنب نفع العموم وصلاح الكل

وهكذا حكم زحل والمريخ وسائر كواكب الفلك . خلقها لصلاح العالم ونفع العموم ، وان كان يعرض لها في بعض الاحيان المناحس من افراط حر أو برد

وهكذا حكم الامطار يرسلها الله لحياة البلاد ، وصلاح العباد من الحيوان والنبات والمعادن ، وان كان ربما يكون منها فساد وهلاك لبعض الحيوانات والنبات

وهكذا حكم الحيات والسباع والتنين والتماسيح والهوام والحشرات والجراد كل ذلك خلقه الله من المواد الفاسدات والعفونات الكائنة ليصفو الجو والهواء ولئلا يعرض لها الفساد من البخارات المتصاعدة فيتعفن الهواء ويكون من ذلك أسباب للوباء وهلاك الحيوانات كلها دفعة واحدة

بيان ذلك أن الديدان والذباب والبق والخنافس لا تكون في دكان البزاز والحداد والنجار بل في دكان القصاب أو السمان أو اللبان أو الدباس أو في السماد والسرقين فاذا خلقها الله تعالى من تلك العفونات امتصت ما فيها وتغذت بها وصفا الهوى منها وسلم من الوباء ، ثم تكون تلك الحيوانات الصغار مأكولة وأغذية لما هو اكبر منها وذلك من حكمة الخالق جل جلاله انه لا يصنع شيئاً بلا نفع ولا فائدة ، فمن لا يعرف هذه النعم فربما يعترض على ربه فيقول : لم خلقها وما النفع فيها كل ذلك جهلا منه واعتراضاً على ربه في أحكام صنعته وتدبيره في ربوبيته وقد سمعنا بأن جهلة الانس يزعمون بأن عناية البـاري لم تتجاوز فلك القمر فلو انهم فكروا واعتبروا أحوال الموجودات لعلموا وتبين لهم أن العناية شاملة لصغير الخلقة وكبيرها بالسوية

ولما قالوا الزور والبهتان في حق الله تعالى ، تعالى الله عما يقول الظالمون علا علواً كبيرا اقول قولي هـذا واستغفر الله لي ولـكم فبهذا انقضى الكلام من الرسل

فصل

ولما كان الغد وردت زعماء الحيوانات من الآفاق وقعد الملك لفصل القضاء ونادى المنادي ألا من له مظلمـة . ألا من له حكومة فليحضر فان الحاجات تقضى لان الملك قد جلس لفصل القضاء وحضرت قضاة الجن وفقهاؤها وعدولها وحكامهـا وحكماؤها وحضرت الطوائف الواردة من الآفاق من الجن والانس والحيوانات فاصطفت يمنة ويسرة أمام الملك ودعت له بالتحية والسلام

ثم نظر الملك يمنة ويسرة فرأى من أجناس الحيوانات، واختلاف الصور، وفنون الاشكال والالوان والاصوات والنغمات وبقي متعجبا منه ساعة.
ثم قال سبحان الذي خلق الاشياء برحمته وأوجد الحيوانات بقدرته وجعل بعضها شريفاً وبعضها خسيساً وبعضها كبير الجثة وبعضها صغير الجثة، وبعضها ذو نطق وبعضها أخرس وجعل مقر بعضها في الهواء ومقر بعضها في الماء وبعضها فى البرارى والقفار والجبال والكهوف والمغارات ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ما أعظم شأنك

ثم التفت الملك الى حكيم من فلاسفة الجن فقال له ألا ترى هذه الخلائق العجيبة الشان من خلق الرحمن

قال نعم أيها الملك أراها بعين رأسي وأشاهد صانعها بعين قلبي والملك متعجب منها وأنا متعجب من حكمة الصانع الحكيم الذي خلقها وأنشأها وبرأها وربيها ويرزقها ويحفظها ويعلم مستقرها ومستودعها كل ذلك في كتاب مبين عنده ولا لغلط ولا لنسيان بل لتحقيق وبيان لانه لما احتجب عن رؤية الابصار بحجب الانوار وجل وعلا عن تصور الاوهام والافكار أظهر مصنوعاته الى مشاهدة الابصار وأخرج ما فى مكنون غيبه الى الكشف والاظهار والبيان ليدركه العيان ويستغنى عن الدليل والبرهان

ثم اعلم أيها الملك العادل ان هذه الصور والاشكال والهيا كل والصفات التى تراهـا في عالم الاجسام وجواهر الاجرام هي مثالات وأشباه وأصباغ لتلك الصـور التى في عالم الارواح غير أن تلك نورانية شفافة وهـذه ظلمانية كاسفة ومناسبة هذه الى تلك كنسبة التصاوير والنقوش التى على وجوه الالواح وسطوح الحيطان الى هذه الصور والاشكال التى عليها هذه الحيوانات من اللحم والدم والعظام والجلود لان تلك الصور التى في عالم الارواح محركات وهذه متحركات والتى دون هذه ساكنات صامتات ومحسوسات فانيات باليات فاسدات وتلك ناطقات معقولات روحانيات غير مرئيات باقيات

ثم قام حكيم الجن فخطب وحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله خالق المخلوقات وباريء المبروآت ومبدع المبدعات ومخترع المصنوعات ومقلب الازمان والدهور والاوقات ومنشيء الاماكن والجهات مدبر الافلاك وموكل الاملاك ورافع السبع السموات وباسط الاراضين المدحوات من تحت طباق السموات ومصور الخلائق ذوي الاوصاف المختلفات والالوان واللغات هو المنعم بأنواع العطايا وفنون الروايات خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا وهو بالنظر الأعلى وهو القريب البعيد بعيد من ادراك الحواس المدركات قريب في الخلوات من ذوي المناجاة فسبحان الذي جعل الطيبين للطيبات وجعل الخبيثين للخبيثات وسبحان الذي خلق المؤمنين والمؤمنات وأوجد المسلمات وأظهر العابدين والعابدات والهم القانتين والقانتات وأعان الصائمين والصائمات وهدى التائبين والتائبات وانطق الذاكرين والذاكرات لا تدركه الابصار ولا تمثله الاخبار كلت ألسن الواصفين له بكنه الصفات وتحيرت عقول ذوي الالباب بالفكرة في جلال عظمته وعز سلطانه ووضوح آياته وبرهانه فلا القوة العقلية تدركه ولا القوة النطقية تصفه وهو الله الواحد القهار العزيز الغفار الذي خلق الجان قبل آدم من نار السموم أرواحاً خفية وأشباحاً لطيفة صوراً عجيبة وحركات سريعة تسبح في الجو كيف تشاء بلا كدر ولا عناء وذلك من فضل الله علينا وهو الذي خلق أصناف الخلائق من الجن والانس والملائكة والحيوانات البرية والبحرية أصنافاً مختلفة الاشكال والصور ورتبها أصنافاً كما شاء

فمنها ما هي مراتبها في أعلى عليين وهم الملائكة المقربون وعباده المصطفون خلقهم من نور عرشه فهم حملته

ومنها ما هي في أسفل السافلين وهم مردة الشياطين واخوانهم من الكافرين والمنافقين والحاسدين والمنكرين لمصنوعاته من الجن والانس اجمعين

ومنها ما بين ذلك وهم عباده الصالحون من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فالحمد لله الذي أكرمنا بالايمان وهدانا الى الاسلام وجعلنا خلفاء في الارض كما قال تعالى « لننظر كيف تعملون » والحمد لله الذي خص ملكنا بالعلم والحلم والاحسان والعدل والانصاف وذلك من فضل الله علينا فاسمعوا وأطيعوا ان كنتم تعقلون أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

فلما فرغ الحكيم من كلامه نظر الملك الى جماعة من الانس وهم وقوف نحو سبعين رجلا مختلفي الهيئات واللباس واللغات والاشكال والالوان فقال

سبحان الذى خلق الانسان من ماء مهين . سبحان الذى خلق الانسان من نطفة في قرار مكين . سبحان الذي خلق الانسان من صلصال كالفخار . سبحان الذي جعل النطفة علقة ثم جعل العلقة مضغة ثم جعل المضغة عظاماً ثم كسا العظام لحماً وجلداً ثم نفخ فيه من روحه فتبارك الله أحسن الخالقين . سبحان الذي قدر وهدى ،وأمات وأحيا . سبحان الذي جعل الانسان أكرم الحيوانات وأفضل الموجودات . سبحان الذي خلق الانسان في احسن تقويم. سبحان الله رب العرش العظيم

ثم نظر الملك فرأى فيهم رجلا معتدل القامة مستوى البنية حسن الصورة مليح البزة لطيف الجملة صافي البنية حلو المنظر خفيف الروح فقال للوزير من هو ذاك ومن أين هو . فقال رجل من بلاد ايرانشهي يعني به العراق قال الملك قل له يتكلم فأشار اليه الوزير قال سمعاً وطاعة

فصل

فقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولاعدوان الا على الظالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، والحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الحنان المنان ذي الجلال والاكرام ذي الفضل والانعام الذي كان قبل الاماكن والازمان والجواهر والاكوان ذوات الكيان ثم بدأ واخترع وأخرج من مكنون غيبه

نوراً ساطعاً ومن النور ناراً أجاجاً وبحراً من الماء رجراجاً وجمع بين الماء والنار وكان دخاناً مورداً وزبداً ملبداً فخلق من الزبد السموات المسموكات ومن الزبد الارضين المدحوات وثقلها بالجبال الراسيات وحفر البحار الزاخرات فأرسل الرياح الذاريات بتصاريفها في الجهات وأثار من البحار البخارات المتصاعدات ومن الارضين الدخانات المعتكرات والف منها الغيوم والسحائب المنشئات وساقها بالرياح الى البراري والقفار والفلوات وأنزل منها القطر والبركات وأنبت العشب والنبات متاعاً لنا ولانعامنا

والحمد لله الذي خلق من الماء بشراً وخلق منها زوجها ليسكن اليها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء وبارك في ذريتهما وسخر لهما في البر والبحر متاعاً الى حين ثم انهم بعد ذلك لميتون ثم انهم يوم القيامة يبعثون

والحمد لله الذي خصنا بأوسط البلاد مسكناً وأطيبها هواء ونسيما وتربة وأكثرها أنهاراً وأشجاراً وثماراً وفضلنا على كثير من عباده تفضيلا فله الحمد والمن والثناء إذ خصنا بذكاء النفس وصفاء الاذهان ورجحان العقول فنحن بهدايته استنبطنا العلوم الغامضة وبرحمته استخرجنا الصنائع البديعة وعمرنا البلاد وحفرنا الأنهار وغرسنا الاشجار وبنينا البنيان ودبرنا الملك والسياسة وأوتينا النبوة والرسالة

فمنا نوح النبي عليه السلام، وادريس الرفيع، وابراهيم خليل الرحمن، وموسى الكليم، وعيسى المسيح ومحمد المصطفى عليهم صلوات الله وتحياته ومنا كانت الملوك الفاضلة مثل أفريدون النبطي وسليمان بن داود الاسرائيلي ومنوجهر الحريري ودارا التميمي وتبع الحميري وازد شير بن بابكان الفارسي وبهرام وأنوشروان وبزرجمهر بن بختكان وملوك الطوائف من آل ساسان وبني ساسان الذين شقوا الانهار وأمروا بغرس الاشجار وبنيان المدن والقرى ودبروا الملك والسياسة والجنود والرعية فنحن لب الناس والناس لب الحيوان والحيوان

لب النبات والنبات لب المعادن والمعادن لب الاركان فنحن لب أولى الالباب فلله الحمد والمنة وله الشكر والثناء واليه المصير بعد الهرم وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

ثم قال الملك لمن كان حاضراً من حكماء الجن ماتقولون فيما قال الانسى من الاقاويل فى ماذكر من فضائلهم وافتخر به فقالوا صدق في ماقال وتكلم غيرواحد من حكماء الجن كان يقال له صاحب العزيمة والصرامة فانه ما كان يحابي أحداً واذا تكلم واحد وكان على خطئه وزلته رده عن غيه وضلالته

فقال يامعشر الحكماء اعلموا أن هذا الانسى قد ترك شيئاً لم يذكره في خطبته وهو ملاك الامر و عمدته فقال الملك وما هو قال لم يقل ومن عندنا خرج الطوفان فغرق ماعلى وجه الارض من النبات والحيوان وفي بلادنا اختلفت الالسن وتبلبلت العقول وتحيرت الالباب

ومنا كان نمرود الجبار ونحن طرحنا ابراهيم في النار ومنا كان بخت نصر مخرب ايليا ومحرق التوراة وقاتل أولاد سليمان عليه السلام وآل اسرائيل وهو الذي طرد آل عدنان من شط الفرات الى بلاد الحجاز المتمرد الجبار الفتاك السفاك للدماء

فقال الملك كيف يقول هذا ويذكره وكله عليه لاله فقال صاحب العزيمة ليس من الانصاف في الحكومة والعدل في القضية ان يذكر أحد فضائله ويفتخر بها ولايذكر مساويه ويتوب ويعتذر منها

ثم ان الملك نظر الي الجماعة فرأى رجلا أسمر نحيف الجسم طويل اللحية موفور الشعر متوشحاً بازار أحمر على وسطه فقال من هو فقال رجل من بلاد الهند من جزيرة سرنديب قال الملك للوزير مره فأمر له أن يتكلم

﴿ فصل ﴾

قال الهندي الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد القديم السرمد الذي كان قبل الدهور والازمان والجواهر والاكوان ثم أنشأ بحراً من النور عجاجاً فركب

فيه الافلاك وأدارها وصور الكواكب فسيرها وقسم البروج فأطلعها وبسط الارض فأسكنها وخط الاقاليم وحفر البحار وأجرى الانهار وأرسى الجبال وفسح الفلوات وأخرج النبات وكون الحيوان وخصنا بأوسط البلاد مكاناً وأعدلها زماناً حيث يكون الليل والنهار متساويين والشتاء والصيف معتدلين والحر والبرد غير مفرطين وجعل تربة بلادنا أكثر معادناً واشجارها طيباً ونباتها أدوية وحيوانها فيلة ودوحها ساجا وقصبها قنا وعكرشها خيزراناً وحصاها ياقوتاً وزبرجداً وجعل مبدأ كون آدم عليه السلام هناك.

وهكذا حكم سائر الحيوانات بدأ كونها تحت خط الاستواء

ثم ان الله تبارك وتعالى خصنا فبعث في بلادنا الانبياء وجعل أكثر أهلها الحكماء.

فنهم البدو والبرهمين وبوداسف وبلوهر وخصنا بالطف العلوم سحراً وعزائماً وكهانة وجعل أهل بلادنا أسرع الناس حركة وأخفهم وثباً وأجسرهم على اسباب المنايا اقداما وبالموت تهاوناً .

أقول قولي هذا واستغفر الله تعالى لي ولكم .

قال صاحب العزيمة لو أتممت الخطبة وقلت ثم بلينا بحرق الاجساد وعبادة البدور والاصنام والقرود وكثرة أولاد الزنا واسوداد الوجوه وأكل التبول والقلافل

ثم نظر الملك فرأى رجلا آخر فتأمل فاذا هو طويل مرتد برداء اصفر بيده مدرجة ينظر فيها ويزمزم ويترجج قداما وخلفاً .

فقال الملك للوزير من هو ذاك فقال رجل من اهل الشام عبراني من آل اسرائيل فقال الملك : قل له أن يتكلم فامر الوزير للعبراني قال سمعاً وطاعة

﴿ فصل ﴾

قال العبراني الحمد لله الواحد القديم الباري الحكيم القهار الحي القيوم الذي كان فيما مضى من الدهر والازمان ولم يكن سواه

ثم بدأ الخلق نوراً ساطعاً ومن النور ناراً وقاداً وبحراً من الماء رجراجاً وجمع بينهما وخلق منهما دخاناً وزبداً فقال للدخان كن سماءها هنا وقال للزبد كن ارضها هاهنا فخلق السموات فسوى خلقها في يومين وبسط الارض في يومين وخلق بين اطباقها اصناف الخلائق من الملائكة والجن والانس والطير والسباع والوحوش والبهائم والانعام وغير ذلك في يومين ثم استوى على العرش في اليوم السابع واصطفى من خلقه آدم أبا البشر ومن أولاده وذريته نوحا ومن ذريته ابراهيم خليل الرحمن ومن ذريته اسرائيل ومن ذريته موسى بن عمران عليهم السلام وكلمه وناجاه واعطاه آية اليد والعصا والتوراة وكتب الانبياء عليهم السلام

وفلق البحر واغرق فرعون عدوه وأنزل على بني اسرائيل المن والسلوى وجعلهم ملوكا وأعطاهم مالم يعط أحداً من العالمين فله الحمد والثناء والشكر والنعماء أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

فقال صاحب العزيمة نسيت ولم تقل وجعل منا القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل وضربت علينا الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب على غضب ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم جزاء بما كانوا يعملون .

ثم نظر الملك فرأى رجلا طويلا عليه ثياب من الصوف وعلى وسطه منطقة من السيور وبيده يبرم عوديطرحه ويبخر فيه النار رافعاً صوته يقرأ كلماته ويلحنها

فقال الملك للوزير من هو ذلك قال رجل سرياني من آل المسيح عليه السلام قال الملك للوزير قل له ان يتكلم فأمره الوزير قال سمعاً وطاعة :

فصل

قال السرياني الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد وكان في بدئه بلا كفؤ ولا احد ولا عدد ولامدد .

ثم فلق الاصباح ونور الانوار وأظهر الارواح وخلق صور الاشباح وبرأ

الاجسام وركب الاجرام ودور الافلاك ووكل الاملاك وسوى خلق السموات والاراضين المدحوات وارسى الجبال الراسيات وجعل البحار الزاخرات والبراري والفلوات مسكناً للحيوان والنبات.

الحمد لله الذي اتخذ من العذراء البتول جسد الناسوت وقرن به جوهر اللاهوت وايده بروح القدس وأظهر على يده العجائب وأحيا به آل اسرائيل من موت الخطية وجعلنا من اشياعه وانصاره وجعل منا القسيسين والرهبان فنحن لا نستكبر في الارض وجعل في قلوبنا رأفة ورحمة ورهبانية فله الحمد والشكر والثناء ولنا فضائل تركنا ذكرها واستغفر الله لي ولكم انه الغفور الرحيم.

قال صاحب العزيمة قل أيضاً فما رعيناها حق رعايتها وكفرنا وقلنا ثالث ثلاثة وعبدنا الصلبان وأكلنا لحم الخنزير في القربان وقلنا على الله الزور والبهتان.

ثم نظر الملك الى رجل واقف فتأمله فاذا هو اسمر شديد السمرة نحيف الجسم وعليه ثوبان ازار ورداء شبه المحرم راكعاً ساجداً يتلو القرآن ويناجي الرحمن فقال من هو ذاك قال الوزير رجل من تهامة قرشي قال الملك فمر له ان يتكلم فأمر له الوزير قال سمعاً وطاعة

فصل

قال القرشي الحمد لله الواحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هو الأول والآخر والظاهر والباطن الأول بلا ابتداء والاخر بلا انتهاء الظاهر على كل شيء قدرة وسلطاناً والباطن في كل شيء علماً ومشيئة ونفاذاً وارادة وهو العظيم الشأن الواضح البرهان الذي كان قبل الاماكن والازمان والجواهر ذوات الكيان.

ثم قال له كن فيكون فسوى وقدر فهدى وهو بالمنظر الاعلى الذي رفع السماء بغير عمد وبناها ورفع سمكها فسواها واغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم، ولانعامكم وما كان معه من إله إذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا مبيناً

هو الذي ارسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه وعترته وعلى ملائكته المقربين وانبيائه المرسلين وعلى عباده الصالحين من اهل السموات واهل الارضين والمسلمين وجعلنا واياكم منهم برحمته انه ارحم الراحمين .

والحمد لله الذى خصنا بخير الاديان وجعلنا من أمة صاحب الفرقان واكرمنا بتلاوة القرآن وصوم شهر رمضان والطواف حول بيته الحرام والركن والمقام وأكرمنا بليلة القدر والعرفات والزكاة والطهارات والصلوات والجماعات والاعياد والمنابر والخطب وفقه الدين وعلم سنن النبيين وسيرة الربانيين .

وعرفنا اخبار واحوال الأولين والاخرين وحساب يوم الدين ووعدنا ثواب النبيين والشهداء والصالحين في دار النعيم أبد الابدين ودهر الداهرين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وامام المرسلين ولنا فضائل أخرى يطول شرحها تركنا ذكرها مخافة التطويل واستغفر الله لى ولكم

قال صاحب العزيمة قل ايضاً ثم انا تركنا ورجعنا مرتدين بعدوفاة نبينا شاكين منافقين وقتلنا الائمة الخيرين الفاضلين طلباً للدنيا بالدين

ثم نظر الملك فرأي رجلا على رأسه مشدة قائما في الملعب بين يديه آلات الرصد فقال للوزير من هو ذلك قال رجل من أهل الروم من بلاد يونان فقال الملك مره فأمر له ان يتكلم قال سمعاً وطاعة .

فصل

قال اليوناني الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي كان قبل الهيولى ذات الصورة ، والابعاد كالواحد قبل الاعداد ، والازواج والافراد والمتعالى عن الانداد والاضداد

والحمد لله الذي تفضل وتكرم وأفاض من جوده العقل الفعال ذا العلوم والاسرار ، وهو نور الانور ، وعنصر الأرواح

والحمد لله الذي انتج من نوره العقل والبحث من جوهر النفس الكلية الفلكية ذات الحركات وعين الحياة والبركات

والحمد لله الذي أظهر من قوة النفس عنصر الاكوان ذوات الهيولى والكيان

والحمد لله خالق الاجسام ذوات المقادير والابعاد والاماكن والازمان

والحمد لله مركب الافلاك والكواكب السيارات الموكل بدورانها النفوس والارواح والملائكة ذات الصور والاشباح ذوي النطق والفكر والحركات الدورية وجعلها مصابيح الدجى ومشرق الانوار في الآفاق والاقطار

والحمد لله مركب الاركان ذوات الكيان وجعلها مسكناً للنبات والحيوان والانس والجان وأخرج النبات وجعل ذلك مادة للابدان وغذاء الحيوان وهو المخرج من قعار البحار وصم الجبال ، الجواهر المعدنية الكثيفة ذوات المنافع

والحمد لله الذي فضلنا على كثير من عبادة تفضيلا اذ خص بلادنا بكثرة البقول والنعم وجعلنا ملوكا بالخصال الفاضلة والسير العادلة ورجحان العقول ودقة التمييز وجودة الفهم وكثرة العلوم والصنائع العجيبة والطب والهندسة والنجوم وعلم تركيب الافلاك ومعرفة منافع الحيوان والنبات والمعادن والحركات وآلات الرصد والطلسمات وعلم الرياضات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات فله الحمد والثناء والشكر على جزيل العطاء . ولنا فضائل أخر يطول شرحها واستغفر الله لى ولكم

فقال صاحب العزيمة من أين لكم هذه العلوم والحكمة التى ذكرتها وافتخرت بها لو لا انكم أخذتم بعضها من آل اسرائيل أيام بطليموس وبعضها من علماء أهل مصر أيام مسيطوس فنقلتموها الى بلادكم ونسبتموها الى أنفسكم

فقال الملك لليوناني ماذا تقول فيما ذكر قال صدق الحكيم فيما قال فاذا أخذناها منهم فان علومنا وعلوم سائر الامم بعضها من بعض ولو لم يكن كذلك من أين للفرس علم النجوم وتركيب الافلاك وآلات الرصد لولا انهم أخذوها من أهل الهند . ومن أين كان لبنى اسرائيل علم الحيل والسحر والعزائم ونصب الطلسمات واستخراج المقادير لولا ان سليمان عليه السلام أخذها من خزائن ملوك سائر الامم حينما غلب عليهم ونقلها الى لغة العبرانيين والى بلاد الشام وكانت مملكته في بلاد فلسطين وبعضها ورثها بنو اسرائيل من كتب أنبيائهم التى القتها اليهم الملائكة بالوحي والانباء من الملأ الأعلى الذين هم سكان السماوات وملوك الافلاك وجنود رب العالمين

قال الملك للحكيم ما تقول فيما ذكر . قال صدق انما تكثر العلوم في أمة دون أمة وفي وقت دون وقت من الزمان فاذا صار الملك والنبوة فيها فتقلب سائر الامم وتأخذ فضلها وفضائلها وعلومها وكتبها فتنقلها الى بلادهم وينسبونها الى انفسهم

ثم نظر الملك الى رجل عظيم الجثة قوي البنية حسن البزة ناظراً نحو السماء يدير بصره مع الشمس كيفما دارت . فقال من هو ذلك ؟ . قال الوزير رجل من أهل خراسان من بلاد مرو والشاها . فقال الملك مر له ليتكلم فأمر له الوزير فقال سمعا وطاعة

فصل

قال الخراسانى الحمد لله الواحد الاحد الكبير المتعال العزيز الجبار القوى القهار العظيم الغفار ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير الذي تقصر عن كيفية

صفاته ألسن الناطقين ولا تبلغ كنه أوصافه أفهام المتفكرين تحيرت في عظيم جلالته :قول ذوي الالباب والابصار من المستبصرين علا فدنا وظهر فتجلى وهو بالمنظر الاعلى « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » احتجب بالانوار قبل خلق الليل والنهار وركب الافلاك الدائرات ورفع سموك السماوات ذوات الاقطار المتباعدات فلله الحمد خالق الخلائق أجناساً من الملائكة والجن والانس من الشياطين ومن الخليقة أصنافاً ذوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وذوات رجلين واربع وما ينساب على بطنه وما يغوص في الماء ويسبح فيه ، ثم جعلها أنواعاً وأشخاصاً ومن بني آدم شعوباً وقبائل مختلفة ألوانها وألسنتها ودثارها وأماكنها وأزمانها ثم قسم عليهم أنعامه وأفضاله ومواهبه واحسانه

والحمد لله على ما أعطى ووهب من آلائه وعلى ما وعد من أنعامه

والحمد لله خصنا وتفضل علينا اذ جعل بلادنا أكثر البلدان مدناً وأسواقاً ومنازل وقلاعاً وحصوناً وأنهاراً وأشجاراً وجبالا ومعادن وحيواناً ونباتاً ورجالا ونساء ، فنساؤنا في قوة الرجال ، ورجالنا في قوة الجمال ، وجمالنا في قوة عظم الجبال

والحمد لله على ما خصنا ومدحنا على ألسن النبيين بالبأس الشديد ، والقوة المتين ، ومحبة الدين ، واتباع المرسلين . فقال عز وجل « ونحن اولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ما ذا تأمرين » وقال عز وجل للمخلفين من الاعراب « ستدعون الى قوم أولو بأس شديد » وقال « سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كان الايمان معلقاً بالثريا لتناوله رجل من أبناء فارس) وقال صلى الله عليه وسلم (طوبى لاخواني من رجال فارس يجيئون في آخر الزمان يجدونه سواداً على بياض ويؤمنون بي ويصدقوني)

والحمد لله على ما خصنا باليقين والايمان والعمل للآخرة والتزود للمعاد وان منا من يقرأ الانجيل ولا يدري منه شيئاً ويؤمن بالمسيح ويصدقه ومنا من يقرأ القرآن ويلحنه ولا يعرف معناه ويؤمن بمحمد ويصدقه وينصره ونحن لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين وطردنا البغاة من بني مروان طغوا وعصوا وتعدوا حدود الله والدين ونحن نرجو أن يظهر من بلادنا الامام المهدي عليه السلام المنتظر من آل محمد صلى الله عليه وسلم فان عندنا له خبراً وأثراً والحمد لله على ما أعطى ووهب وانعم وأكرم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فلما فرغ الفارسي من كلامه نظر الملك الى من حوله من الحكماء . وقال ماذا ترون فيما ذكر قال رئيس الفلاسفة صدق فيما ذكر لولا أن فيهم جفاء الطبع وفحش اللسان ونكاح الغلمان وتزويج الامهات وعبادة النيران ويسجدون للشمس من دون الرحمن

فصل

في بيان صفات الاسد وأخلاقه ومناقبه من الخصال المحمودة والمذمومة من بين السباع والوحوش

ولما كان في اليوم الثالث حضر زعماء الطوائف على الرسم فوقفت في مواضعها كالأمس في المجلس . ونظر الملك يمنة ويسرة فرأى ابن آوى واقفاً الى جنب الحمار وهو ينظر شذراً ويلتفت يمنة ويسرة شبه المريب الخائف الوجل من الكلاب

فقال الملك على لسان الترجمان من أنت ؟ . قال أنا زعيم السباع . قال ومن أرسلك ، قال ملكنا ، قال من هو ، قال الاسد ابو الحارث

قال الملك أين يأوى من البلاد . قال في الآجام والغياض والدحال ، قال ومن رعيته ، قال حيوان البر من الوحوش والانعام والبهائم

قال ومن جنوده وأعوانه ، قال النمورة والفهود والذئاب وبنى آوى والثعالب وسنانير البر وكل ذي مخلب وناب من السباع ، قال صف لى صورته وأخلاقه وسيرته في رعيته وجنوده

قال نعم أيها الملك هو أكبر السباع جثة وأعظمها خلقة وأقواها وأشدها قوة وبطشا وأعظمها هيبة وجلالا عريض الصدر دقيق الخصر لطيف المؤخر كبير الرأس مدور الوجه وضاح الجبين واسع الشدقين منفرج المنخرين متين الزندين حاد صلب الانياب والمخالب براق العينين جهير الصوت شديد الزئير عبل الساقين شجاع القلب هائل المنظر لا يهاب أحداً ولا يرهب لشدة بطشه الجواميس ولا الفيلة ولا التماسيح ولا الرجال ذوو البأس الشديد ولا الفرسان ذوو السلاح الشاك المدرعة وهو شديد العزمة ، حازم الرأى اذا هم بأمر قام اليه بنفسه لا يستعين بأحد من جنوده وأعوانه ، سخى النفس اذا اصطاد فريسة أكل منها وتصدق بباقيها على جنوده وخدمه عفيف النفس عن الامور الدنية لا يتعرض للنساء ولا للصبيان ولا للنيام كريم الطبع اذا رأى ضوءاً بعيداً ذهب نحوه في ظلم الليل ووقف بالبعد منه وسكنت ثورة غضبه ولانت صولته ، واذا سمع نغمة طيبة قرب منها وسكن اليها لا يفزع من شيء ولا يتأذى الا من النمل الصغير فانها مسلطة عليه وعلى أشباله كما سلط البق على الفيلة والجواميس وتسلط الذباب على الملوك الجبابرة من بنى آدم قال كيف سيرته فى رعيته ، قال أحسنها واعدلها وأنا أذكر بعد هذه

فصل

في بيان صفة العنقاء وصفة الجزيرة التى تأوى اليها وما فيها من النبات والحيوان

ثم نظر الملك الى الطوائف الحضور هناك فرأى الببغاء قاعدة على غصن شجرة بالقرب وهي تنظر وتتأمل كل من يتكلم من الجماعة الحضور وينطق بحكاية في كلامه وأقاويله

فقال له الملك : من أنت ؟ : قال أنا زعيم الجوارح من الطير · قال من ارسلك قال ملكنا ، قال من هو ؟ قال عنقاء مغرب ، قال أين يأوى من البلاد ، قال الى أطواد الجبال الشامخة في جزيرة البحر الاخضر التى قل ما بلغ اليها مراكب البحر ولا أحد من البشر

قال صف لنا تلك الجزيرة · قال نعم ، طيبة التربة معتدلة الهواء تحت خط الاستواء عذبة المياه من العيون والانهار كثيرة الاشجار من دوح الساج العالية في جو الهواء قصب آجامها القنا وعكرشها الخيزران وحيوانها الفيل والجواميس والخنازير واصناف اخر ، لا يعلمها الا الله . قال صف لنا صورة العنقاء واخلاقها وسيرتها قال نعم هي اكبر الطير جثة واعظمها خلقة واشدها طيرانا كبيرة الراس عظيمة المنقار كانه معول من الحديد عظيمة الجناحين اذا نشرتهما كانهما شراعان من شراعات مراكب البحر وذنب مناسب لهما كانه قازة نمرود الجبار واذا انقضت من الجو في طيرانها تهتز الجبال من شدة تموج الهواء من خفقان جناحيها وهي تخطف الجواميس والفيلة من وجه الارض في طيرانها كما يخطف الحداة الفارة في طيرانه من وجه الارض في طيرانها قال ما سيرتها قال احسن واعدلها وأنا اذكر بعد هذا

﴿ فصل ﴾

في بيان صفة الثعابين والتنين وعجيب خلقهما وهائل منظرهما

ثم ان الملك سمع نغمة وطنيناً من شق حائط كان بالقرب من هناك هي تترنم وتتذمر ولا تهدأ ساعة ولا تسكن فتأمله فاذا هو صرصر واقف يحرك جناحيه له حركة خفيفة سريعة يسمع لها نغمة وطنين كما يسمع لوتر الزير.

فقال له الملك من أين أنت قال أنا زعيم الهوام والحشرات قال من ارسلك قال ملكنا قال من قال الثعبان·

قال أين يأوي من البلاد قال الجبال الشامخة المرتفعة الى كرة النسيم عند كرة الزمهرير حتى لا يرتفع الى هناك سحاب ولا غيوم ولا يقع امطار ولا ينبت نبات ولا يعيش حيوان من شدة برد الزمهرير .

قال فمن جنوده واعوانه قال الحيات والجرادات والحشرات أجمع قال فاين تأوي جنوده قال في الارض بكل مكان فهم أمة وخلائق لايحصى عددها الا الله الذي خلقها وصورها وبرأها ويعلم مستقرها ومستودعها .

قال الملك ولما ارتفع الثعبان الى هناك مع جنوده وأبناء جنسه قال ليستريح ببرد الزمهرير من شدة وهج حرارة السم الذي بين فكيه وتلهبها في جسمه

قال صف لنا صورته واخلاقه وسيرته قال صورته كصورة التنين واخلاقه كاخلاقه قال فمن لنا بوصف التنين قال زعيم حيوان الماء قال من هو قال ذلك الراكب الخشبة .

فنظر الملك فاذا الضفدع راكب خشبة على ساحل البحر بالقرب من هناك وهو ينق باصوات تسبيحات لله وتكبيرات وتحميداً وتهليلا لا يعلمها الا الله والملائكة الكرام البررة .

قال الملك من أنت قال أنا زعيم حيوان الماء قال ومن ارسلك قال ملكنا قال ومن هو قال التنين قال أين يأوي من البلاد قال في قعر البحار حيث الامواج المتلاطمة ومنشؤ السحاب والغيوم المؤلفة قال من جنوده وأعوانه

قال التماسيح والدلافين والسرطانات واصناف من الحيوانات البحرية التى لايحصى عددها الا الله الواحد القهار .

قال صف لنا صورة التنين وأخلاقه وسيرته قال نعم أيها الملك هو حيوان عظيم الخلقة عجيب الصورة طويل القامة عريض الجثة هائل المنظر مهول المخبر تخافه وتهابه حيوانات البحر أجمع لشدة قوته وعظم صولته اذا تحرك تحرك موج البحر من سرعة سباحته، كبير الرأس براق العينين واسع الفم كثير الاسنان، يبلع من حيوانات البحر عددا كثيرا لايحصى واذا امتلأ جوفه منها واتخم تقوس والتوى واعتمد على رأسه وذنبه ورفع وسطه خارجا من الماء مرتفعاً في الهواء مثل قوس قزح يشرق في عين الشمس ويستروح بحرها ليستمريء ما في جوفه

وربما عرض له وهو على هذه الحالة غشية وينشأ سحابة من تحته ترفعه فترمي به الى البر فيموت وتأكل من جثته السباع اياما وترمي به الى أمة ياجوج ومأجوج الساكنين من وراء السد وهما امتان صورتهما أدمية ونفوسهما سبعية لايعرفان التدبير ولا السياسة ولا البيع ولا الشراء ولا الحرفة ولا الحرث ولا الزرع بل الصيد من السباع والوحوش والسمك والنهب والغارات بعضها على بعض ويأكل بعضها بعضاً .

واعلم أيها الملك بان كل حيوانات البحر تفزع من التنين وتهابه وهو لا يفزع من شيء الا من دابة صغيرة تشبه الكرور والجرجيس فتلسعه وهو لا يقدر عليها بطشا ولا امنها احترازا فاذا لسعته دب سمها في جسمه فمات واجتمعت عليه الحيوانات البحرية تأكله فيكون لها عيشاً رغدا أياما من جثته نهي تأكلها مدة من الزمان كما تأكل السباع كبارها صغارها مدة من الزمان وهكذا حكم الجوارح من الطير،

وذلك ان العصافير والقنابر والخطاطيف وغيرها تأكل الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها ، ثم ان البواشق والشواهين وما شاكلها تصطاد العصافير والقنابر وتأكلها ، ثم ان البزاة والصقور والنسور والعقبان تصطادها وتأكلها ثم انها اذا ماتت أكلها صغارها من النمل والذباب والديدان.

وهكذا سيرة بني آدم فانهم يأكلون لحوم الجدي والحملان والغنم والبقر والطير وغيرها ثم اذا ماتوا أكلتهم في قبورهم الديدان والنمل والذباب

وهكذا يأكل صغار الحيوانات كبارها وتارة تأكل كبارها صغارها ومن أجل هذا قال الحكماء المنطقيون من الانس :

ان من فساد شيء آخر يكون صلاح شيء آخر قال الله سبحانه « وتلك الايام نداولها بين الناس ومايعقلها الاالعالمون»

وقد سمعنا أيها الملك ان هؤلاء الانس يزعمون انهم اربابنا وان سائر الحيوانات عبيد لهم فهلا يفقهون فيما وصفت من تصاريف احوال سائر الحيوانات هل بينها فرق فيما ذكرت فانهم تارة آكلون وتارة هم مأكلون فبماذا يفتخر

بنو آدم على الحيوانات وعاقبة أمرهم مثل عاقبة أمرها وتدقيل الاعمال بخواتيمها وكلهم من التراب خلقوا واليه مصيرهم

ثم قال الضفدع اعلم أيها الملك الحكيم بانه لما سمع التنين قول الانس وادعاءهم على الحيوانات انها عبيدهم وانهم ارباب لها تعجب من قولهم الزور والبهتان. وقال ماأجهل هؤلاء الانس وأشد طغيانهم واعجابهم بانفسهم ومكابرتهم لاحكام العقول كيف يجوزون أن تكون السباع والوحوش والجوارح والثعابين والتنانين والتماسيح والكواسيج عبيداً لهم وخلقت من أجلهم أفلا يتفكرون ويعتبرون بانه لو خرجت عليهم السباع من الاجام وانقضت عليهم الجوارح من الجو ونزلت عليهم الثعابين من رؤوس الجبال وخرجت اليهم التماسيح والتنانين من البحر لحملت على الانس حملة واحدة هل يبقى منهم أحد وانها لو خالطتهم في ديارهم ومنازلهم هل كان يطيب لها عيش أو حياة معهم أفلا يتفكرون في نعم الله تعالى عليهم حين صرفها وابعدها من ديارهم لدفع ضررها عنهم وانما غرهم كون هذه الحيوانات السليمة الاسيرة في ايديهم التي لا شوكة لها ولا صولة ولا حيلة وهم يسومونها سوء العذاب ليلا ونهاراً فاخرجهم ذلك الى هذا القول من غير حق ولا برهان.

فصل

ثم ان الملك نظر الى جماعة الانس وهم وقوف نحو اثنين وسبعين رجلا مختلفي الالوان والصفات والزي واللباس فقال لهم قد سمعتم ما قال فاعتبروا وتفكروا فيه ثم قال لهم من ملككم قالوا لنا عدة ملوك قال فأين ديارهم قالوا في بلدان شتى كل واحد في مدينة له جنوده ورعيته قال الملك لأي علة وأى سبب صارت هذه الطوائف من الحيوانات لكل جنس منها ملك واحد مع كثرتها وللانس ملوك عدة مع قلتهم.

قال زعيم الانس العراقي نعم أيها الملك أنا اخبرك ما العلة وما السبب في كثرة

ملوك الانس وقلة ملوك سائر الحيوانات مع كثرتها قال الملك وما هي:

قال لكثرة مآرب الانس وفنون تصاريف أمورهم واختلاف احوالها فاحتاجوا الى كثرة الملوك وليس حكم سائر الحيوانات كذلك .

وخصلة أخرى ان ملوكهم انما هم بالاسم من جهة كبر الجثة وعظم الخلقة وشدة القوة حسب .

وان حكم ملوك الانس ربما يكون بخلافه وذلك انه ربما يكون الملك أصغرهم جثة والطفهم بنية وأضعفهم قوة وانما المراد من الملوك حسن السياسة والعدل في الحكومة ومراعاة أمر الرعية وتفقد أحوال الجنود والاعوان وترتيبهم مراتبهم والاستعانة بهم في الامور المشاكلة لهم .

وذلك ان رعية ملوك الانس وجنودها واعوانها أصناف وصفات شتى فمنهم حملة السلاح الذين بهم يبطش الملك باعدائه ومن خالف أمره من الثوار والخوارج واللصوص وقطاع الطرق والغوغاء والعيارين ومن يريد الفتن ويثيرها ويريد الفساد في البلاد .

ومنهم الوزراء والكتاب والعمال وأصحاب الدواوين وجباة الخراج وبهم يجمع الملك الاموال والذخائر وارزاق الجند وما يحتاج اليه من الأمتعة والثياب والأثاث.

ومنهم البناؤن والدهاقون والمزارعون وارباب الحرث والنسل وبهم عمارة البلاد وقوام أمر المعاش للكل .

ومنهم القضاة والعلماء والفقهاء الذين هم قوام الدين وحكام الشريعة التي لا بد للملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية والامة ويسوسهم ويدبر أمورهم على أحكمه وأحسنه .

ومنهم التجار والصناع واصحاب الحرف والمتعاونون في المعاملات والتجارات والصناع في المدن والقرى الذين لا يتم أمر المعاش وطيب الحياة الا بهم ومعاونة بعضهم بعضاً .

ومنهم الخدم والغلمان والجواري والحجاب والوكلاء أصحاب الخزاين والفيوج والرسل وأصحاب الاخبار والندماء المختصون ومن شا كلهم ممن لا بد للملوك منهم في تمام السيرة .

وكل هؤلاء الطوائف الذين ذكرتهم لا بد للملك من النظر في أمورهم وتفقد احوالهم والحكومة بينهم .

فمن أجل هذه الخصال احتاجت الانس الى كثرة الملوك في كل بلد أوفي كل مدينة ملك واحد يدبر أمر أهلها كلها كما ذكرت ولم يمكن أن يقوم بها كلها واحد لان أقاليم الارض سبعة اقاليم وفي كل اقليم عدة بلدان وفى كل بلدة عدة مدن وفى كل مدينة عدة خلائق لايحصى عددها الا الله وهم مختلفو الألسن والاخلاق والاراء والمذاهب والاعمال والاحوال والمآرب .

ولهذه الخصال واجب في الحكمة الالهية والعناية الربانية أن تكون ملوك الانس كثيرة وكل ملوك بنى آدم خلفاء الله في أرضه ملكهم بلاده وولاهم عباده ليسوسوهم ويدبروا أمورهم ويحفظوا نظامهم ويتفقدوا أحوالهم ويقمعوا الظلم وينصروا المظلوم ويقضوا بالحق وبه يعدلون ويأمرون باوامره وينهون عن نواهيه ويتشبهون به في تدبيرهم وسياستهم إذ كان الله تعالى هو سائس الكل ومدبر الخلائق من أعلى عليين الى أسفل سافلين وحافظهم وخالقهم ورازقهم ومبدأهم ومعيدهم كما شاءوا كيف شاء لايسأل عما يفعل وهم يسألون أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

فصل

في بيان فضيلة النحل وعجائب أموره وتصاريف أحواله
وماخص به من الكرامات والمواهب دون غيره من الحشرات

فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نظر الملك الى اصناف الحيوانات فسمع دويا وطنيناً فاذا هو باليعسوب أمير النحل وزعيمها واقف في الهواء يحرك

جناحيه حركة خفيفة يسمع لها دوي وطنين مثل نغمة الزير من أوتار العود وهو يسبح الله ويقدسه ويهلله .

فقال له الملك من أنت . قال أنا زعيم الحشرات وأميرها قال كيف جئت بنفسك ولم ترسل رسولا من رعيتك وجنودك كما أرسلت سائر طوائف الحيوانات . قال اشفاقاً عليهم ورحمة لهم وتحنناً عليهم أن ينال أحداً منهم سوء أو مكروه أو أذية . قال له الملك وكيف خصصت بهذه الخصال دون غيرك من ملوك سائر الحيوانات . قال انما اختصني ربي من جزيل مواهبه ولطيف انعامه وعظيم إحسانه بما لا أحصيه

قال الملك اذكر منها طرفاً لأسمعه وبينه لأفهمه .

قال نعم أيها الملك مما خصنى الله به وأنعم به علي وعلى آبائي وأجدادي ان أنانا الملك والنبوة التى لم تكن من بعدنا لحيوانات أخر وجعلها وراثة من آبائنا وأجدادنا وذخيرة لاولادنا وذرياتنا يتوارثونها خلفاً عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان عظيمتان جزيلتان مغبون فيهما أكثر الخلائق من الجن والانس وسائر الحيوانات ومماخصنا ربنا وأنعم به علينا أن ألهمنا وعلمنا دقة الصنائع الهندسية ومعرفة الاشكال الفلكية من اتخاذ المنازل وبناء البيوت وجمع الذخائر فيها وماخصنا به أيضاً وأنعم به علينا سبيل الرشاد ومما خصنا أيضاً وأنعم به علينا أن حلل لنا الاكل من كل الثمرات ومن جميع أزهار النبات

ومما خصنا وأنعم به علينا أن جعل الله في مكاسبنا وذخائرنا ومايخرج من بطوننا شراباً حلواً لذيذاً فيه شفاء للناس وتصديق مماقال الله تعالى « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس»

ومما خصنا به ربنا أيضاً وأنعم به علينا أن جعل خلقة صورتنا وهيا كلنا وجيل أخلاقنا وحسن أفعالنا وأعمالنا وتصاريف أمورنا وحسن سياستنا وتدبير

رعيتنا عبرة لأولى الالباب وآية لأولى الابصار وذلك ان الله تعالى بحكمته جعل خلقتنا خلقة لطيفة وبنيتنا بنيـة ظريفة وصـورتنا صورة عجيبة وذلك انه تعالى جعل بنية جسدنا ثلاث مفاصل مخروزة فوسط جسدنا مربع مكعب ومؤخر جسدنا معوج مدبج مخروط ورأسنا مدور مبسوط وركب في وسط أبداننا أربعة أرجل ويدين متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المسدس في الدائرة لنستعين بها على القيام والقعود والوقوع والنهوض ونقدر على أساس بناء منازلنا . وبيوتنا مسدسات مكتنفات ففي بنيان بيوتنا وأشكال منازلنا إلهامات ربانية ومعقولات روحانية إذ عجز الرياضيون عن موضوعات أشكالنا وتسديسات منازلنا .

والغرض من المتساوية الاضلاع والزوايا المكشوفات كيلا يدخلها الهواء فيضر بأولادنا ويفسد شرابنا الذي هو قوتنا وذخائرنا

وبهذه الاربعة الأرجل واليدين نجمع من ورق الاشجار وزهر الأثمار الرطوبات الدهنية التي تبنى بها منازلنا وبيوتنا ، وجعل الله على كتفي أربعة أجنحة حريرية النسج آلة لي في الطيران في جو الهواء مستقلا بها. وجعل مؤخر بدننا مخروط الشكل مجوفاً مدرجاً مملوءاً بالهواء ليكون موازناً في ثقل رأسنا في الطيران ، وجعل لي حمة حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحاً لي أخوف به أعدائي وأزجر به من يتعرض ليؤذيني وجعل رقبتي خفيفة ليسهل بها علي تحريك رأسي يمنة ويسرة وجعل رأسي مدوراً عريضاً وجعل في جنبي عينين براقتين كأنهما مرآتان مجلوتان وجعلها آلة لنا لادراك المرئيات المبصرات من الالوان والاشكال والأنوار والظلمات وأثبت على رأسنا شبه قرنين لطيفين لينين وجعلهما آلة لنا لاحساس الملموسات واللين من الخشونات والصلابة والرخاوة وفتح لنا منخرين وجعلهما لاحساس المشمومات الطيبة والروائح الجيدة وجعل لنا فما مفتوحاً فيه قوة ذائقة نتعرف بها قوة الطعام والطيبات من المأكولات والمشروبات وخلق لنا مشفرين حادين نجمع بهما من ثمرة الاشجار رطوبات لطيفة

وعجز الطبيعيون والاطباء من اليونانيين من معرفتنا على طبائع النبات

والاطلاع على خصائص منافعها وخلق في جوفنا قوة جاذبة وماسكة وهاضمة وطابخة منضجة تصير تلك الرطوبات عسلا حلواً لذيذاً شراباً صافياً غذاء لنا ولأولادنا وذخائر للشتاء كما جعل في ضروع الانعام قوة هاضمة تصير الدم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين وجعل فضالتنا وفضالة أولادنا سبباً وشفاء لأخص خلق الله تعالى إذ في تشكيلنا وتخطيطنا المسدسات وترتيب الزوايا المتساويات جعل شفاء للارواح الانسانية وفي فضالتنا وبصاقنا ولعابنا جعل شفاء للجسد الانساني وجعل فضالة فضالتنا وهو الشمع سبباً للضياء في ظلم الليالي عوضاً عن الضياء النوراني الحاصل من الشمس

فمن أجل هذه النعم والمواهب التي خصنا الله تعالى بها صرنا مجتهدين في كثرة الذكر لها وأداء شكرها بالتسبيح لربنا والتهليل والتكبير والتمجيد والتحميد آناء الليل وأطراف النهار والشفقة على رعيتنا وتفقد أحوال جندنا وأعواننا وتربية أولادنا لأنا لهم كالرأس من الجسد وهم لنا كالأعضاء من البدن لاقوام لاحدهما الا بالآخر ولاصلاح لهما الا بصلاح الآخر . فلهذا جعلت نفسي فداء لهم في أشياء كثيرة من الامور الخطيرة اشفاقاً عليهم ، ومن هذا السبب الذي ذكرت اخترت مجيئي بنفسي رسولا ونائباً وزعيما من رعيتنا وجنودنا

فلما فرغ النحل من كلامه قال الملك بارك الله فيك من خطيب ما أفصحك وحكيم ما أعلمك ومن رئيس ما أحسن سياستك ومن ملك ما أفضل رعايتك ومن عبد ما أعرفك بانعام ربك ومواهب مولاك .

ثم قال الملك أين تأوون من البلاد قال في رؤوس الجبال والتلال وبين الاشجار والدحال ومنا من يجاور بني آدم في منازلهم وديارهم .

قال الملك كيف عشرتهم وكيف تسلمون منهم .

قال أما من بعد منا من ديارهم فيسلم على الامر الاكثر ولكن ربما يجيئون الينا في طلبنا ويتعرضون لنا بالاذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا وأخذوا بيوتنا

ولم يبالوا بأن يقتلوا أولادنا ويأخذوا مما كننا وذخائرنا ويتقاسموها ويستأثروا بها دوننا

قال الملك وكيف صبركم عليهم وعلى ذلك منهم ، قال صبر المضطر تارة كرها وتارة رضا وتسليما ان غضبنا وهربنا وتباعدنا من ديارهم جاءوا خلفنا يطلبوننا ويترضوننا بالهدايا من العطر وانواع الحيل من أصوات الدفوف والطبول والمزامير والهدايا المزدوجة المزخرفة من الدبس والتمر وعملهم مثل عمل الطرارين الذين يمشون في المحال ويعطون الزبيب والجوز الى الصبيان ويأخذون منهم أثوابهم ودراهمهم ويسخرون على الصبيان.

فهؤلاء أيضاً يعملون مثل السخرية بحيث انهم يبعثون الينا الهدايا من التمر والدبس إذ كلاهما يضر بابدانهم ويأخذون منا عسلا صافياً لذيذاً جعله الله تعالى سبباً لشفاء أبدانهم وزوال أمراضهم فنحن من حسن أخلاقنا لا نضايقهم فنصالحهم اذ الصلح خير لنا ولهم لان العداوة والخصومة تؤدي الى هلاك الحيوان وتؤدي الى خراب البلاد فنحن نراجعهم ونصالحهم لما في طبائعنا من الخيرة ولما في صدورنا من السلامة وقلة الحقد والحسد وحسن المراجعة وقلبنا صار موضع الهام الله تعالى لايجوز أن يكون موضع الحقد والحسد إذ هما ضدان لايجتمعان وذلك ان الله تعالى جعلنا من المقربين والصالحين والقي الوحي علينا لايليق بنا أن نكون فاسقين طاغين

ومع هذا كله لايرضون منا هؤلاء الانس حتى يدعون علينا باننا عبيدلهم وهم موال وارباب لنا بغير حجة ولا بيان ولا برهان غير الزور والبهتان إذنحن غير محتاجين اليهم حسب مايكون العبيد محتاجين الى الموالى في تصاريف أمورهم بل هم محتاجون الينا مثل مايحتاج الخدم الى السيد والله المستعان أقولى قولى هذا واستغفر الله لى ولكم انه هو الغفور الرحيم .

فصل

في بيان حسن طاعة الجن لرؤسائها وملوكها

ثم قال اليعسوب لملك الجن كيف حسن طاعة الجن لرؤسائها وملوكها قال أحسن طاعة وأطوع انقياد لامرها ونهيها قال يتفضل الملك ويذكر منها شيئاً قال نعم :

فاعلم أن الجن اخيار واشرار ومسلمون وكفار وابرار وفجار كما يكون في الناس من بني آدم فاما حسن طاعة الاخيار منها لرؤسائها وملوكها ففوق الوصف مما لا يعرفه البشر من بني آدم لان طاعتها لملوكها كطاعة الكواكب في الفلك للنير الاعظم الذي هو الشمس .

وذلك ان الشمس في الفلك كالملك وسائر الكواكب لها كالجنود والاعوان والرعية ونسبة المريخ من الشمس كنسبة صاحب الجيش من الملك والمشتري كالقاضي وزحل كالخازن وعطارد كالوزير والزهرة كالحرم والقمر كولي العهد وسائر الكواكب كالجنود والاعوان والرعية وذلك انها كلها مربوطة بفلك الشمس تسير بسيرها في استقامتها ورجوعها ووقوفها واتصالاتها وانصرافاتها كل ذلك بحسبان لا تتجاوز رسومها ولا تتعدى حدودها وجريان عاداتها في طلوعها وغروبها وتشريقها وتغريبها وجميع احوالها ومتصرفاتها لا يرى منها معصية ولا خلافه .

قال النحل لملك الجن من أين للكواكب حسن هذه الطاعة والانقياد والنظام والترتيب لملكها قال من الملائكة الذين هم جنود رب العالمين .

قال كيف حسن طاعة الملائكة لرب العالمين : قال كطاعة الحواس الخمس للنفس الناطقة .

قال زدني بياناً : قال نعم ألا ترى أيها الحكيم ان الحواس الخمسة في ادراكها محسوساتها وايرادها اخبار مدركاتها الى النفس الناطقة لا تحتاج الى امر ولا نهي

ولا وعد ولا وعيد بل كلما همت النفس الناطقة بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همت به النفس وادركتها وأوردتها اليها بلا زمان ولا تأخير ولا ابطاء

وهكذا طاعة الملائكة لرب العالمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون الذي هو رئيس الرؤساء وملك الملوك ورب الارباب ومدبر الكل وخالق الجميع واحكم الحاكمين لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العالمين .

وأما الاشرار والكفار والفساق من الجن فانها أحسن طاعة لرؤسائها واطوع انقياداً لملوكها من اشرار الانس وفجارهم وفساقهم

والدليل على ذلك حسن طاعة مردة الجن لسليمان عليه السلام لما سخرت له فيما كان يكلفها من الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة فيعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات .

ومن الدليل أيضاً على حسن طاعة الجن لرؤسائها ما قد عرفه بعض الانس الذين يسافرون في المفاوز والفلوات ان أحدهم اذا نزل بواد يخاف فيه من لمم الجن ويسمع دويهم وزجلاتهم فيستعيذ برؤسائها وملوكها ويقرأ آية من القرآن والانجيل والتوراة ويستجير بها عنهم وعن تعرضهم وأذيتهم فانهم لا يتعرضون له مادام في مكانه

ومن حسن طاعة الجن لرؤسائها انه اذا تعرض أحد من المردة وشياطين الجن لاحد من بني آدم بتخيل أو فزعة أو تخبط أو لمم فيستعين المعزم برئيس قبيلة أو ملك أو جنوده فانهم يعزمون عليها ويحشرون اليها ويمتثلون ما يأمرهم وينهاهم في صاحبهم

ومن الدليل أيضاً على حسن طاعة الجن وسهولة الانقياد وسرعة اجابتها للداعي لها اجابة نفر من الجن لمحمد عليه السلام في ساعة اجتازوا به ووجدوه يقرأ القرآن ووقفوا عليه فاستمعوه واستجابوه وولوا الى قومهم منذرين كما هو مذكور في القرآن من نعتهم في نحو عشرين آية فهذه الآيات والدلالات

والعلامات دالات على حسن الطاعة للجن وسهولتها وسرعة انقيادها واجابتها لمن يدعوها أو يستعين بها خيراً كان أو شرا

فاما طباع الانس وجبلتهم فبالضد مما ذكرت وذلك ان طاعتهم لرؤسائهم وملوكهم أكثرها خداع ومكر ونفاق وغرور وطلب للعوض والارزاق والمكافآت والخلع والمآرب والكرامات فان لم يروا مايطلبون أظهروا العصبة والخلاف وخلعوا الطاعة والخروج من الجماعة والعداوة والحرب والقتال والفساد فى الارض .

فهكذا حكمهم مع انبيائهم ورسل ربهم تارة ينكرون دعوتهم بالجحود ودفع العيان وحجة الضرورات ويطلبون منهم المعجزات بالعناد وتارة الاجابة بالنفاق والشك والارتياب والمكر والدغل والغش والخيانة في السر والجهر كل ذلك لغلظ طباعهم ورداءة جبلتهم وسوء عاداتهم وسيئات أعمالهم وتراكم جهالاتهم وعمى قلوبهم ثم لايرضون حتى يزعمون انهم ارباب وغيرهم عبيد لهم بلا حجة ولا برهان .

فلما رأت جماعة الانس طول مخاطبة ملك الجن لليعسوب زعيم الحشرات تعجبت وأنكرت وقالت :

لقد خص الملك زعيم الحشرات اليعسوب بكرامة ومنزلة لم يخص بها أحد من زعماء الطوائف الحضور في هذا المجلس

فقال لهم حكيم من حكماء الجن لاتنكروا ذلك ولا تتعجبوا منه فان اليعسوب وان كان صغير الجثة لطيف المنظر ضعيف البنية فانه عظيم المخبر جيد الجوهر ذكى النفس كثير النفع مبارك الناصية حكيم الصنعة وهو رئيس من رؤساء الحشرات وخطيبها وملكها ونبيها والملوك يخاطبون من كان من أبناء جنسهم في الملك والرياسة وان كان مخالفاً لهم في الصورة وكانوا متباينين في الملك ولا تظنوا بان الملك العادل الحكيم يميل في الحكومة الى واحدة من الطوائف

دون غيرها لهوى غالب أو طبع مشاكل أو ميل لسبب من الاسباب وعلة من العلل •

فلما فرغ حكيم الجن من كلامه نظر الملك الى الجماعة الحضور فقال سمعتم يامعشر الانس أمر شكاية هذه البهائم من جوركم وظلمكم ونحن قد سمعنا ادعاءكم عليها الرق والعبودية وهي تأبى ذلك وتجحده وطالبتكم بالدليل والحجة على دعواكم فأوردتم ماذكرتم وسمعنا ماأجابوكم فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم بالأمس فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ليكون لكم حجة عليها

فصل

فلما سمع الانس جميع ماقال ملك الجن في حقهم قام زعيم من رؤساء الروم فقال الحمد لله الحنان المنان ذي الجود والاحسان والعفو والغفران الذي خلق الانسان والهمه العلوم والبيان وبين له الدليل والبرهان واعطاه العز والسلطان وعرفه تصاريف الدهور وتقلب الازمان وسخر له النبات والحيوان وعرفه منافع المعادن والاركان .

نعم أيها الملك لنا خصال محمودة ومناقب جمة تدل على ماقلناوذكرنا

قال الملك وماهي ، قال الرومي كثرة علومنا وفنون معارفنا ودقة تمييزنا وجودة فكرنا ورويتنا وسياستنا وتدبيرنا وعجيب متصرفاتنا وصلاح معائشنا ومعاونتنا في الصنائع والتجاراة والحرف في أمور دنيانا وآخرتنا كل ذلك دليل على ماقلنا إنا ارباب لهم وهم عبيد لنا .

قال الملك للجماعة الحضور من الحيوانات ماتقولون فيما ذكروا واستدلوا على مادعوا عليكم من الربوبية والتملك

فأطرقت الجماعة ساعة متفكرة فيما ذكر الانسي من فضائل بني آدم وماأعطاهم الله من جزيل المواهب التي خصوا بها من بين سائر الحيوان

ثم تكلم النحل وقام خطيباً مذكراً مسبحاً وقال :

الحمد لله الواحد فاطر السموات وخالق المخلوقات ومدبر الاوقات ومنزل القطرات والبركات ومنبت العشب في الفلوات ومخرج الزهر من النبات وقاسم الارزاق والاقوات نسبحه في صباحنا بالغدوات ونحمده في رواحنا بالعشيات بما عملنا من الصلوات والتحيات كما قال الله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم »

أما بعد أيها الملك العادل يزعم هذا الانسي بأن لهم علوماً ومعارف وفكراً وروية وتدبيراً وسياسة تدل على أنهم أرباب لنا ونحن عبيدهم فلو أنهم فكروا في أمرنا واعتدوا أيضاً أحوالنا لبان لهم من أمرنا وعرفوا من تصاريف أحوالنا وتعاوننا في إصلاح شأننا أن لنا أيضاً علماً وفهماً ومعرفة وتمييزاً وفكراً وروية وسياسة وتدبيراً أدق وألطف وأحكم وأتقن مما لهم

فمن ذلك اجتماع جماعة النحل في قراها وتمليكها عليها رئيساً واحداً واتخاذ ذلك الرئيس أعواناً وجنوداً ورعية وكيفية مراعاتها وسياساتها وكيفية اتخاذها المنازل والبيوت المسدسات المتجاورات المكتنفات من غير بركار ومعرفة هندسة كأنها أنابيب مجوفة مسدسة ثم كيفية ترتيبها البوابين والحجاب والحراس والمحتسبين وكيف تذهب الى المرعي أيام الربيع وليال القمر في الصيف وكيف تجمع الشمع بأرجلها من ورق الأشجار والعسل بمشافيرها من زهر النبات . ثم كيف تخزنها في بعض البيوت وكيف تشد رأسها كأنها رؤوس الابراق مشدودة بالقراطيس وكيف تبيض في بعض البيوت وتحضن وتفرخ ، وكيف تأوى في بعض البيوت وتنام فيها أيام الشتاء والصيف والبرد والرياح والأمطار ، وكيف يقتاتون من ذلك العسل المخزون هي وأولادها يوماً بيوم لا إسرافاً ولا تقتيراً الى أن تنقضي أيام الشتاء وتجيء أيام الربيع وينبت العشب ويطيب الزمان ويخرج النبات والزهر والنور وكيف ترعى كما كانت عام الاول وذلك دأبها من غير تعليم من الاستاذين ولا تأديب من المعلمين ولا تلقين من الآباء والأمهات بل تعليما من الله تعالى ووحياً إلهاماً وانعاماً وتكرماً وتفضلا علينا وأنتم يامعشر

الانس تدعون علينا بالرقة وأنتم موالينا فلم ترغبوا في فضائلنا وتفرحوا عند وجداننا وتستشفوا عند تناولنا فمن كان ملكا كيف يحرص ويرغب في فضالة الخدم والخول . ونحن مستغنون عنكم فليس لكم سبل الى هذه الدعوات اذا الدعوى زور وبهتان

وأيضاً أيها الملك لو علم الانسي من حال النمل وكيف تتخذ القرية تحت الأرض منازل وبيوتاً وأزقة ودهاليزاً وغرفاً وطبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوباً وذخائر وقوتاً للشتاء وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضاً مصوناً كي لا تجري اليها المياه وبعضها مرتفعاً. تخبىء الحب والقوت في بيوت منعطفات الى فوق حذراً عليها من المطر ، واذا ابتل منها شيء كيف تنشره أيام الصحو وكيف تقطع حب الحنطة نصفين وكيف تنشر الشعير والباقلا والعدس لعلمها بأنه لا ينبت مع التقشير وتراها كيف تعمل أيام الصيف ليلا ونهاراً باتخاذ البيوت وجمع الذخائر وكيف تنصرف في الطلب يوماً يمنة ويوما يسرة في القرية كأنها قوافل ذاهبين وجائين وانها اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيئا لا تقدر على حمله أخذت منه قدراً ما ، وذهبت راجعة مخبرة للباقين وكلما استقبلتها واحدة شامتها مما في فيها لتدلها على ذلك الشيء

ثم ترى كيف كل واحدة منها على هذا الطريق الذي جاءته من هناك . ثم كيف تجتمع على ذلك الشيء جماعة منها وكيف يحملونه ويحترزونه بجهد وعناء في المعاونة

واذا علمت أن واحدة منها توانت في العمل أو تكاسلت في التعاون اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها فلو تفكر الانسي في أمرها واعتبر أحوالها لعلم أن لها علما وفهماً وتمييزاً ومعرفة ودراية وتدبيراً وسياسة مثل مالهم ولما افتخر علينا بما ذكر

وأيضا أيها الملك لو تفكر الانسي في أمر الجراد انها اذا سمنت أيام الربيع من الرعى كيف تطلب أرضا طيبة التربة رخوة الحفرة وكيف تنزل هنالك

وتحفرت بأرجلها ومخاليبها وتدخل أذنابها في تلك الحفرة وتطرح بيضها فيها وتدفنه ثم طارت وتعيش أياما ثم تأكلها الطيور ويموت من بقي ويهلك من حر وبرد وتطير

ثم اذا دارت عليها الحول وجاءت أيام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء فكيف ينشر من ذلك البيض المدفون مثل الدبيب الصغار على وجه الارض وأكلت من ورق الشجر وسمنت وباضت مثل عام أول وهذا دأبها وذلك تقدير العزيز العليم

فليعلم هذا الانسي ان لنا علما ومعرفة

وهكذا أيضا أيها الملك دود القز التي تكون على رؤوس الاشجار والجبال فانها اذا شبعت من الرعى في أيام الربيع وسمنت أخذت تنسج على نفسها من لعابها في رؤوس الجبال شبه العش والكن ثم تنام أياما معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضها في داخل ذلك الكن الذى نسجته على أنفسها ثم تقبتها وخرجت منها وسدت ذلك الثقب وخرجت لها أجنحة وطارت فيأكلها الطير أو ماتت من الحر والبرد والريح والمطر وبقى ذلك البيض في تلك الجوزات محروزاً أيام الصيف والخريف والشتاء من الحر والبرد والرياح والامطار الى أن يحول الحول ويجيء أيام الربيع ويحضن ذلك البيض في الجوزات ويخرج من ذلك الثقب مثل الدبيب الصغار وتدب على ورق الشجر أياما معلومة فاذا شبعت وسمنت أخذت ونسجت على نفسها من لعابها مثل العام الاول وذلك دأبها أبداً وذلك تقدير العزيز العليم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الى أمور مصالحها ومنافعها

وكذلك أيضا أيها الملك حال الزنانير الصفر والحمر والسود فانها تبنى أيضا منازل في السقوف والحيطان ومن بين أغصان الاشجار مثل ما يفعل النحل وتبيض وتفرخ ولكنها لا تجمع القوت للشتاء ولا تدخر للغد شيئا ولكن تتقوت يوما بيوم ما طاب لها الوقت فاذا أحست بتغيير الزمان ومجيء الشتاء ذهبت الى الاغوار والمواضع الكنينة الدفئة

ومنها ما يدخل في ثقب الحيطان والمواضع الكنينة الحصينة وينام فيها أياما طول الشتاء واذا جاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيما سلم من تلك الجثة روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت وحضنت أولادها مثل العام الاول فهذا دأبها تقدير العزيز العليم

وكل هذه الانواع من الحشرات والهوام تبيض وتحضن وتربي أولادها بعلم ومعرفة ودراية وشفقة ورحمة ورأفة وتحنن ولطف ورفق ولا تطلب من أولادها البر والمكافأة والجزاء

فأما أكثر الانس فيريدون من أولادهم براً وصلة وجزاء ومكافأة ويمنون عليها في تربيتهم اياهم . وأين هذا من المروءة والفضل والكرم والجود والسخاء الذي هو من شيم الاحرار الكرام من أرباب الفضل ، وبماذا يفتخر الانس علينا اذ الذ مأكولاتهم فضالتنا وأحسن ملبوساتهم فضالة دود القز فهم في مأكولاتهم وملبوساتهم تحت مننا ولنا أبداً النعمة عليهم . فكيف يدعون أنهم أرباب لنا ونحن عبيد لهم

ثم قال النحل أما البراغيث والبق والديدان وما شاكلها من أبناء جنسها فانها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد ولا ترضع ولا تربي أولادها ولا تبنى البيوت ولا تدخر العشب ولا تتخذ الكن بل تقطع ايام حياتها مرفهة ومستريحة مما يقاس غيرها من برد الشتاء والرياح والامطار وحوادث الزمان

واذا تغير عليها الزمان واضطرب الكيان وتغالبت طبائع الاركان أسلمت نفسها للنوائب والحدثان وانقادت للمات لعلمها يقينا بالمعاد وتعلم ان الله تعالى منشئها ومعيدها في العام القابل للكون كما انشأها أول مرة ولا تقول ولا تنكر كما أنكر الانس وقالت « انا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة »

فلو اعتبر هذا الانسي أيها الملك فيما ذكرت من هذه الاشياء من تصاريف أمور هذه الحشرات والهوام لعلم وتبين له بأن لها علماً وفهماً ومعرفة وتمييزاً

ودراية وفكراً وروية وسياسة وتدبيراً كل ذلك عناية من الباري تعالى ولما افتخر علينا فيما ذكر انهم أرباب ونحن عبيد لهم أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم انه هو الغفور الرحيم

فلما فرغ النحل من كلامه قال له الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ومن خطيب ما أفصحك ومن مبين ما أبلغك

فصل

ثم قال الملك : يامعشر الانس قد علمتم وسمعتم ماقال وفهمتم ما أجاب فهل عندكم شيء آخر

فقام انسى آخر أعرابي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على اننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذكر منها شيئاً . قال نعم وماهي

قال طيب حياتنا ولذيذ عيشنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ مما لايحصى عددها الا الله تعالى وماهؤلاء معنا شركة فيها بل هى بمعزل عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ولنا لباب الحبوب ولها تبنها وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كسبها وخشبها ولنا بعدذلك ألوان الخبز والرغفان والاقراص والجرادق من السميد والملون والكعك وغيرها ولنا ألوان الطبيخ من السكباج والاسفيداج والفطائر والهرائس والجواديت وألوان الكواسيج وغيرهامن الرواصين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلوى والخبيص والقطائف واللوزينج

ولنا ألوان الاشربة من الخمر والنبيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجبين والجلاب والفقاع ، والوان الألبان من الحليب والرائب والماست والدوغ والسمن والزبد والكشك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطبيخ والملاذ والطيبات والمشتهيات ولايحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك عنهم بمعزل وخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل

على قلة لذتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الاحرار الكرام وكل هذا دليل على اننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

﴿ فصل ﴾

فنطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزار داستان وكان قاعداً على غصن شجرة يترنم فقام وقال :

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد القديم الأبد الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلة الموجودات ومسبب الكائنات من الجمادات والنباتات وبارىء المبروآت مركب السموات ومولد المولدات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم ان هذا الانسي افتخر بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدري ان ذلك كله عقوبات لهم وأسباب الشقاوة وعذاب أليم إذ في حرامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء .

قال الملك وكيف ذلك بين لنا

قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكد أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم ومايلقون في ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يعد ولا يحصى من كد الحرث والزرع واثارة الارض وحفر الانهار وسد الشق وعمل البريدات ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقى والحفظ والنظافة والحصاد والحمل والجمع والدراس والتذرية والكيل والقسمة والوزن والطحن والعجن والخبز وبناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والشوك والسرقين ووقود النيران ومقاسات الدخان وبناء الديكدان ومعاكسة القصاب ومحاسبة البقال والجهد والعناء في اكتساب الاموال والدراهم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والاعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والذهاب والمجيء

فى الاسفار البعيدة في طلب الامتعة والحوائج والجمع والادخار والاحتكار والاتفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح

فان كان جمعها من حلال وأنفقها فى وجه الله فلابد من الحساب وان كان من غير حل وانفاقه فى غير وجه الله فالويل والحساب والعذاب إذ لابد من القوت والثياب مثل مالابد من الموت والحساب

ونحن بمعزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغذاءنا هو مما يخرج لنا من الارض من أمطار سمائها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائف والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة فى غلفها وسنبلها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطعوم والروائح الزكية والاوراق الخضرة النضرة والازهار والرياحين في الرياض وتخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولاتعب أبداننا ولاعناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولانحتاج الى كد حراث ولاعناء ولاسقي متعب لأرواحنا ولا نحتاج الى بذر ولاحصاد ولادراس ولاطحن ولاخبز ولاطبخ ولاشواء وهذه كلها علامات الكرام الاحرار

وأيضاً اذا أكلنا قوتنا يوماً بيوم تركناما يفضل عنا بمكانه لانحتاج الى حفظه ولا نحتاج الى خازن ولاناطور ولاحارس ولااحتكار الى وقت آخر بلاخوف لص ولاقاطع طريق ننام في أماكنناوأوطاننا وأوكارنا بلاباب ولاغلق ولاحصن آمنين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الاحرار وأنتم عنها بمعزل

وأيضاً فان لكم بكل لذة ذكرتم من فنون مأكولاتكم وألوان مشروباتكم فنوناً من العقوبات وألواناً من العذاب مما نحن بمعزل عنه من الامراض المختلفة والاعلال المزمنة والاسقام المهلكة والحميات المحرقة من الغب والربع والثانية والثالثة والرابعة والتخم والجشأ الحامض والهيضة والقولنج والنقرس والبرسام والسرسام والطاعون واليرقان والدبيلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص

والسكتة والصداع والسكرة والرمل وعسر البول والجرب والجدري والثواليل والدماميل والخنازير والحصبة والجراحات وأصناف الاورام مما تحتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من الكي والبتر والحقنة والسعوطات والحجامة والفصد وشرب الادوية المسهلة الكريهة الرائحة ومقاساة الحمية وترك الشهوات المركوزة في الجبلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمات للانفس والارواح والاجساد

كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته . فان أول الناس آدم « وعصى آدم ربه فغوى » « ان الانسان كان ظلوماً جهولا » ونحن بمعزل عن هذه كلها فمن أين زعمتم انكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء وأنتم مادمتم في الحياة صحيحي البدن ففي تعب وكد لتحصيل الالتماسات والمشتهيات ومادمتم مرضى ففي عقوبة وحسرة وبعد الموت في العقاب والعذاب والخطاب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجملة فمن الموالي ومن العبيد منا ومنكم

قال الانسي قد يصيبكم يامعشر الحيوان من الامراض مثل مايصيبنا ليس يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام والديك والدجاج والبهائم والانعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أمر مصالحه فأما من كان منا مخلى برأيه وتدبيره لمصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل ماتعرض له الامراض والاوجاع وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الا وقت الحاجة بقدر ماينبغي من أجل ماينبغي من لون واحد قدر مايسكن ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتمنع من الافراط في الحركة والسكون في الشمس الحارة أو في الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل المأكولات غير الملائمة لمزاجها

فاما الذي يخالطونكم من الكلاب والسنانير ومن هو أسير في ايديكم من البهائم والانعام ممنوع من التصرف برايه في مصالحه في أوقات ماتدعوها طباعها المركوزة

في جبلتها ، وتطعم وتسقى في غير وقتـه أو غير ماتشتهي او من شدة الجوع والعطش تأكل اكثر من مقـدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب ابدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو مايعرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالـكم وأوجاعهم وذلك أن الحوامل من نسائكم وجواريكم المرضعات يأكلن ويشربن بشرههن وحرصهن اكثر ماينبغي من الوان الطعـام والشراب التى ذكرت وافتخرت بها فتتولد في أبدانهن من ذلك أخلاط غليظة متضادة الطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التى في بطونهن وفى أبدان اطفالهن من ذلك اللبن الردىء ويصير سبباً للامراض والعلل والاوجاع من الفالج واللقوة والزمانة واضطراب البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة

وما ذكرت من اختلاف الاوجاع والامراض مما انتم مرتهنون بها معرضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع وما يعرض لـكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبـكاء والصراخ والمصائب وكل ذلك عقوبة لـكم وعذاب لانفسكم من سوء أعمالـكم ورداءة اختياراتـكم ونحن بمعزل من هذه كلها

وشيء آخر ذهب عليكم أيها الانسى التائه النظر فيه قال ماهو قال ان اطيب ماتأكلون والذ ماتشربون وانفع ماتتداوون به هو العسل وهو لعـاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فبأى شيء تفتخرون به علينـا وقد كان آباؤنا مشاركين فيه لآبائكم بالسوية أيضاً أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالمشرق على رأس ذلك الجبل فكانوا يأكلون من تلك الثمار والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استئثار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصيا ربهما وأخرجا من هنالك عريانين مطرودين ورميا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقعا فى برية قفر لاماء فيها ولاشجر ولا كن فبقيا فيها جائعين عريانين يبكيان على مافاتهما من النعم التى كانا فيها هناك

ثم ان رحمة الله تدارکتهما فتاب عليهما وأرسل اليهما من هناك ملكا يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والدراس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حشيش الارض والقطن والكتان والقصب بعناء وتعب وجهد وشقاء لا يحصى عددها الا الله مما قد ذكرنا طرفاً منها من قبل .

فلما توالدت وكثرت أولادهما وانتشروا في الارض براً وبحراً وسهلا وجبلا وضيقوا على سكان الارض من اصناف هذه الحيوانات أماكنها وغلبوها على أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب وطلبوها أشد الطلب وبغيتم عليها وطغيتم حتى بلغ الامر الى هذه الغاية التي انتم عليها الآن من الافتخار والمناظرة والمنازعة والمخاصمة .

وأما الذي ذكرت بان لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وما ليس لنا من الاعراس والولائم والرقص والحكايات المضحكات والتحيات والتهنئات والمدح والثناء والحلى والتيجان والاسورة والخلاخل وما شاكلها مما نحن بمعزل عنه فان لكم أيضاً بكل خصلة منها ضروبا من العقوبات وفنونا من المصائب وعذابا اليما مما نحن بمعزل عنه

فمن ذلك ان لكم بازاء الاعراس المآتم وبدل التهنئة التعزية وبدل الالحان والغناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور الغم والحزن وبدل المجالس والايوانات العالية المضيقة من القبور المظلمة والتوابيت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الحبوس والمطامير الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدستبندان والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الحلى والتيجان والخلاخيل والاسورة القيود والاغلال والسوامير والمقاطر والنكال وما شاكل المدح والثناء الهجو والشتم وسوء الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة بؤس وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومصيبة مما نحن بمعزل عنه وهذه كلها من علامات الأشقياء وان لنا بدلا من مجالسكم وصحوناتكم وأيواناتكم ومنادمتكم هذا الفضاء الفسيح وهذا الجو الواسع والرياض والخضرة على شطوط الانهار

وسواحل البحار والطيران على رؤوس البساتين والاشجار والتحليق على رؤوس الجبال نسرح ونروح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكد ألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه الغدران والأنهار بلا مانع ولا دافع ولا نحتاج الى حبل ولا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أنتم مبتلون به من حملها واصلاحها وبيعها وشرائها أو جمع أثمانها بكد ونصب وتعب ومشقة من الابدان وعناء النفوس وهموم القلوب وهموم الارواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين ثبت انكم أرباب ونحن عبيد لكم

ثم قال الملك لزعيم الانس قد سمعتم الجواب فهل عندكم شيء آخر من البيان قال نعم لنا فضائل ومناقب تدل على أن هؤلاء عبيد لنا ونحن أرباب قال الملك ما هو فهات البيان والبرهان

﴿ فصل ﴾

فقام رجل من أهل العراق عبراني وقال : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » وهو الذي أكرمنا بالوحي والنبوات والكتب المنزلات والآيات المحكمات ومافيها من ألوان الحلال والحرام والحدود والاحكام والاوامر والنواهي والترغيب والترهيب من الوعد والوعيد والمدح والثناء والتذكار والاخبار والامثال والاعتبار وقصص الاولين والآخرين وصفات يوم الدين وما وعدنا من الجنان والنعيم وما أكرمنا به أيضاً من الغسل والطهارة والصوم والصدقة والزكاة والاعياد والجمعات والذهاب الى بيت العبادات والمساجد والبيع والصلوات

ولنا المنابر والخطب والاذان والمواقيت والافاضات والاحرام والتلبيات والمناسك وما شاكلها

وكل هذه الخصال كرامات لنا وأنتم بمعزل عنها وكل ذلك دليل على اننا

أرباب وأنتم لنا عبيد

قال زعيم الطيور لو تذكرت أيها الانسي ونظرت واعتبرت لعلمت وتبين لك ان هذه كلها عليكم لا لكم

قال الملك كيف ذلك بينه لنا قال لأنها كلها عذاب وعقوبات وغفران للذنوب ومحو للسيئات ونهي عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله تعالى بقوله « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقال « ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » وقال النبي عليه السلام صوموا تصحوا ونحن براء من الذنوب والسيئات والفحشاء والمنكر فلم نحتج الى شيء مما ذكرت وافتخرت

واعلم أيها الانسي ان الله تعالى لم يبعث رسله ولا أنبيائه الا الى الامم الكافرة الجاهلة وعامة المشركين معه غيره والمنكرين ربوبيته والجاحدين وحدانيته والمدعين معه إلهاً آخر اذ قولكم ان الله ثالث ثلاثة وقولكم عزير ابن الله وقولكم مسيح ابن الله ، وقولكم ان الله تعالى على صورة شاب أمرد له جعد قطط

فمن هذه الخرافات والمجازات التى تجيء منكم وانتم المغيرون أحكامه والعاصون أوامره ، والهاربون من طاعته ، والجاهلون احسانه . والغافلون عن ذكره ، والناسون عهده وميثاقه ، الضالون المضلون الغاوون العادلون عن الصراط المستقيم

فلهذا بعث الانبياء والرسل اليكم ليعرفوكم طريق الهدى وسبيل الرشاد اما طوعاً أو جبراً أو جهراً بل قتلا وصلباً ونحن براء من هؤلاء لاننا عارفون بربنا مسلمون مؤمنون به موحدون به غير شاكين ولا ممترين ولا ضالين

ثم اعلم أيها الانسى ان الأنبياء عليهم السلام هم أطباء النفوس ومنجموها ولا يحتاج الى الطبيب الا المرضى وصاحب العلة المزمنة ولا يحتاج الى المنجم الا المنحوسون الاشقياء والضالون عن نجم الهدى كما قال عليه السلام ان مثل أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

ثم اعلم أيها الانسي ان الغسل والطهارة انما فرضت عليكم من أجل ما يعرض لكم عند النكاح من الجماع وشدة الشبق وشهوة الزنا واللواط والجلق والدغا والسحق ومن نتن الصبيان والبخر ورائحة العرق لاستكثارها واستعمالها ليلا ونهاراً وغدواً ورواحاً ضحوة وبكرة ونحن بمعزل عنها لا نهيج ولا نسفد الا في السنة مرة لا لشهوة غالبة ولا لذة داعية ولكن لبقاء النسل

وأما الصوم والصلاة فانما هي فرضت عليكم ليكفر عنكم سيئاتكم من الغيبة والنميمة والقبيح من الكلام واللعب واللهو والهذيان فالانبياء عليهم السلام يعالجونكم بهذه المداواة اذ انتم مرضى من المعاصي ونفوسكم قد امتلأت من مأكولات الذنب ومشروبات النميمة والغيبة وهي تناول لحوم الاخوان فأمر الشريعة بالحمية عن المأكولات الرديئة المضرة والحمية هو الصوم لأن الحمية رأس الدواء والبطن رأس الداء

ثم لما نظر الأنبياء في أحوالكم وعصيانكم في الليل والنهار وتناول طعام الذنوب والشكوك ومشروبات الظنون الكاذبة بالله فأمروكم بالحركات المختلفة الاشكال لتستمري عنكم تلك المتناولات والحركات المختلفة الاشكال هي الصلاة الخمس لأن الطبيب يأمر بحركات وخطوات من الاعلى الى الاسفل ومن الاسفل الى الاعلى وعلى وجه الارض بعد ثقل الطعام على المعدة وتناول الاشياء الثقيلة في الليالي ونحن براء من جميع ذلك وبمعزل عنه فلم يجب الصوم ولا الصلاة ولا فنون العبادات علينا

وأما الصدقات والزكوات انما فرضت عليكم من أجل انكم تجمعون من فضول الاموال من الحلال والحرام والغصب والسرقة واللصوصية من البخس في الكيل والموازين وكثرة الجمع والذخائر والامساك عن النفقة في الواجبات فضلا عن المسنونات والبخل والشح والاحتكار ومنع الحقوق وتجمعون ما لا تأكلون وتكنزون ما لا تحتاجون اليه ، الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » فلو أنكم كنتم تنفقون ما فضل عنكم على فقرائكم وضعفائكم لما وجبت عليكم الزكوات والصدقات ونحن بمعزل عنها اذ كنا مشفقين على أبناء جنسنا ولا نبخل بشيء مما وجدنا من الارزاق ولا ندخر من الذخائر مما فضل عاينا بل نطير جائعين متكلين على الله تعالى ونرجع بحمدالله مشبعين

وأما الذي ذكرت بأن لكم في الكتب آيات محكمات بينات للحلال والحرام والحدود والاحكام فكل ذلك تعليم لكم وتأديب لجهلكم وعماكم وقلة معرفتكم بالمنافع والمضار وان الانسان كان ظلوماً جهولا ، تحتاجون الى المعلمين والاستاذين والمذكرين والواعظين لكثرة غفلاتكم وسهوكم ونسيانكم

وانما مبين لكم الحلال والحرام لان الحرام مثل طعام حار جداً يتضرر بتناوله من غلبت عليه الحرارة وهو شاب ابن ثلاثين سنة ويسكن فى البلدان الحارة جداً في أكثر الاوقات أن يوقعه في هاوية البلى أو فى البلى أو فى جهنم الدق والذبول ويصير مثل ماسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم

والحلال مثل طعام خفيف الجرم كثير الفائدة صالح الكيموس كثير الغذاء ينتفع بتناوله من كان مزاجه معتدلا وهو صحيح البنية ويسكن في البلدان الشريفة عند خط الاستواء الصراط المستقيم ففي أكثر الامران من هذا شأنه ودأبه يبقى مدة مديدة فى جنة الصحة ودار السلام من اعتدال البنيان ودار النعيم وقلة الامراض فانتبه أيها الانسى من نوم الغفلة ورقدة الجهالة

واعلم ان هذه الاحكامات والموضوعات قيود وأغلال وسلاسل عليكم إذ الحكمة الالهية اقتضت هذه الأسرار الواجبة وجعل الموضوعات الشرعية والحكمية أستاذاً ومؤدباً لكم ونحن بمعزل عن جميع ذلك إذ قد ألهمنا الله تعالى الى جميع مانحتاج اليه من أول الامر إلهاماً ووحياً بلاواسطة من الرسل ولا نداء من وراء حجاب كما اوحى الى النحل بقوله تعالى « واوحى ربك الى النحل ان

اتخذي من الجبال بيوتا » وكما قال تعالى « كل قد علم صلاته وتسبيحه » وعلم سليمان منطق الطير

فافهم ايها الغافل الانسي وقال « فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه » قال « ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين » من عمى قلبه لانادما على ذنبه وخطيئته .

وأما الذي ذكرت بان لكم أعياداً وجمعات وذهابا الى بيوت العبادات وليس لنا شيء من ذلك .

فاعلم انكم لو كنتم مهذبي الاخلاق معاوني الاخوان عند المضائق والشدائد وكنتم كنفس واحدة في مصالح أموركم لما وجب عليكم الاعياد واجتماع الجمعات لان صاحب النواميس اقتضت هذا لتجتمع الناس بعد غيبتهم بعضهم الى بعض حتى يحصل من اجتماعهم الصداقة اذا الصداقة اس الاخوة والاخوة اس المحبة والمحبة اس اصلاح الامور واصلاح الامور صلاح البلاد وصلاح البلاد بقاء العالم وبقاء النسل .

فلهذا أمرت الشريعة أن يجتمع الخلائق فى السنة مرتين الى موضع مخصوص وفي كل اسبوع مرة الى مواضع مخصوصة وفي كل يوم خمس مرات في مساجد المحال والسوق ليحصل الغرض المطلوب

فلهذه الاسرار قال سيد المرسلين لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد وليس لنا شيء من ذلك لاننا لانحتاج الى ذلك لان الاماكن كلها لنا مساجد والجهات كلها قبلة أينما توجهنا فثم وجه الله والايام كلها لنا جمعات وعيد والحركات كلها صلواة وتسبيح فلم نحتج الى شيء مما ذكرت إذ الصلاة عبارة عن طهارة القلوب من خبث الحقد ونجاسة الشك والتقرب الى الله تعالى بخالص النية وصحة الاعتقاد والتوجه الى قبلة الامر بالمعروف والقيام بمصالح المؤمنين والقعود عن العداوة والبغضاء والركوع والسجود بالتواضع والحلم والتشهد مع الاخوان الابرار .

والتسليم من الجهل

فاذا حصلت هذه الافعال المخصوصة تسمى صلاة ونحن مشتغلون بهذه أينما تولوا فثم وجه الله ونكون مجتمعين في جميع أوقاتنا ولا نشتغل بأذية أبناء جنسنا ونكون قائمين بمصالح الاخوان وقاعدين عن الشتم والمفسدة وراكعين بالخضوع مع الانسان وساجدين بالتواضع لهم عند لقط الحبوب فهذه خصائلنا

فلهذا ماوقت علينا الجمعات والاعياد والايام كلها لنا أعياد وجمعات والحركات كلها لنا صلاة وتسبيح فلم نحتج إذ لسنا محتاجين الى شيء مما ذكرتم وافتخرتم بذلك علينا .

فلما فرغ زعيم الطيور من كلامه نظر الملك الى جماعة الانس الحاضرين قال قد سمعتم ماقال الطير وفهمتم ماذكر فهل عندكم شيء اخر فاذكروه وبينوه ان كنتم صادقين .

﴿ فصل ﴾

وقام عند ذلك العراقي وقال الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق وسابغ النعم الذي أكرمنا وأنعم علينا في البر والبحر وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا نعم أيها الملك لنا خصال أخر ومناقب ومواهب وكرامات تدل على اننا أرباب لهم وهم عبيد لنا فمن ذلك حسن لباسنا ولين ثيابنا وستر عوراتنا ووطأ فرشنا ونعومة دثارنا ودفء غطائنا ومحاسن زينتنا من الحرير والديباج والخز والقز والقطن والكتان والسمور والسجاب وألوان الفراء والاكسية من البسط والانطاع والمخاد والفرش واللبود والبربوني وماشا كلها مما لايعد كثرته وكل هذه المواهب دليل على ماقلنا بأننا أرباب لهم وهم عبيد لنا وخشونة لباسها وغلظ جلودها وسماجة دثارها وكشف عوراتها دليل على انها عبيد لنا ونحن أربابها وملاكها ولنا ان نحتكم فيها بحكم الارباب ونتصرف فيها تصرف الملاك

فلما فرغ الانسي العراقي من كلامه نظر الملك الى طوائف الحيوان الحضور

وقال ماذا تقولون فيما اذكره وافتخر به عليكم ان كان لكم جواب فهاتوا به قالوا لنا جواب أجود واحكم من ذلك

فصل

وقام بعد ذلك زعيم السباع وهو كايلة اخو دمنة فقال :

الحمد لله القوي العلام خالق الجبال والآكام ومنشيء النبات والاشجار في الغياض والآجام وجاعلها اقواتاً للوحوش والانعام وهو العلي الأعلى خالق السباع ذوات البأس والشجاعه والاقدام ذوات الزنود المتينة والمخالب الحداد والانياب الصلاب والافواه الواسعة والقفزات السريعة والوثبات البعيدة المنتشرات في الليالى المظلمات للمطالب والاقوات وهو الذي جعل اقواتها من جيف الانام ولحوم الانعام متاعاً الى حين ثم قضى على جميعها الموت والفناء والمصير الى البلى فله الحمد على ماوهب واعطى وعلى ماحكم به الصبر والرضى

ثم التفت زعيم السباع الى الكافة هناك من حكماء الجن وزعماء الحيوانات فقال :

هل رأيتم يا معشر الحكماء أو سمعتم معشر الخطباء أكثر سهواً وغفلة من هذا الانسى . قال الجماعة وكيف ذلك . قال لأنه ذكر من فضائلهم كيت وكيت من حسن اللباس ولين الثياب والدثار

ثم قال أيها الانسى خبرني هل كان لكم هذا الذي ذكرتموه وافتخرتم به الا بعد ما أخذتم عن غيركم من سائر الحيوانات واستعرتموها من سواكم من السباع وغلبتموها عليها . قال الانسى ومتى كان ذلك . قال أليس ألين ماتلبسون وأحسن ما تزينون به من اللباس والحرير والديباج الابريسم . قال بلى قال أليس ذلك من ألعاب أضعف الحيوان الذى هي ليس من بنى آدم . بل هي من جنس الهوام وقد نسجتها على أنفسها ليكون كنهالها ولبيضها ولتنام فيها وتكون لها غطاء ووطاء وحرزاً من الآفات والحر والبرد والرياح والامطار وحوادث الايام ونوائب الزمان فجئتم أنتم وأخذتموها قهراً وغلبتموها عليها جبراً وجوراً فعاقبكم

الله بها وابتلا كم بشلها وفتلها وغزلها ونسجها وخياطتها وقصارتها وقطعها وتطريزها وما شا كل ذلك من العناء والتعب والشقاء الذي أنتم مبتلون به ومعاقبون من اصلاحها وبيعها وشرائها وحفظها بشغل القلوب وتعب الابدان وشقاء النفوس لاراحة لكم ولا قرار ولا سكون ولا هدوء في دائم الاوقات

وهكذا حكمكم في أخذكم أصواف الانعام وجلود البهائم وأوبار السباع وشعورها وريش الطيور كل ذلك أخذتموه قهراً ونزعتموه غصباً وغلبتموها عليها ظلماً وجوراً ونسبتموها الى أنفسكم بغير حق ثم جئتم تفتخرون به علينا ولا تستحوزولا تذكرون ولا تعتبرون ولو كان في ذلك فخراً وتباهياً لكنا بذلك الفخر اولى منكم اذ قد أنبت الله تعالى ذلك على ظهورنا وأنشأها من جلودنا وجعلها لباساً لنا ودثاراً وغطاء ووطاء وستراً وزينة لنا كل ذلك تفضلا منه علينا ورفقا بنا ورحمة علينا وشفقة وتحننا على أولادنا وصغار نتاجنا وذلك أنه إذا ولد واحد منا فعليه جلده اصلح له وعلى جلده الشعر والصوف والوبر والريش والفلوس كل ذلك لباس ودثار وستر على حسب كبر جثته وعظم خلقته ولا نحتاج في اتخاذها الى عمل ولا نحتاج الى حلج أو غزل أو فتل أو نسج أو قطع أو خياطة مثل ما أنتم به مبتلون ومعاقبون عليه لا راحة لكم الى الموت كل ذلك عقوبة لكم لذنب أبيكم لما عصى وترك وصية ربه فغوى

قال ملك الجن لزعيم السباع كيف كان مبتداء آدم في خلقه وأول ابتدائه اخبرنا عنه

قال نعم أيها الملك ان الله تعالى لما خلق آدم وزوجته عليهما السلام أزاح عللهما فيما يحتاجان اليه في قيام وجودهما وبقاء أشخاصهما من المواد والغذاء والدثار واللباس مثل ما فعل بسائر الحيوان التى كانت في تلك الجنة التى على رأس جبل الياقوت الذي بالمشرق تحت خط الاستواء وذلك أنه لما خلق آدم وحواء عليهما السلام عريانين أنبت على رأس كل واحد منهما شعراً طويلا مدلى على جسد كل واحد منهما في جميع الجوانب سبطاً جعداً وأسود ليناً أحسن ما يكون على رأس

الجواري الابكار وأنشأهما شابين أمردين ترفين في أحسن صورة من صور تلك الحيوانات التي هناك

وكان ذلك الشعر لباساً لهما وستراً لعورتيهما ودثارا لهما ووطاء وغطاء ومانعاً عنهما البرد والحر فكانا يمشيان في ذلك البستان ويجتنيان من ألوان تلك الثمار فيأكلان منها ويتقوتان بها ويتنزهان في تلك الارض والرياض والروح والريحان والزهر والنور مستريحين ملتذذين منعمين فرحين غير خائفين بلا تعب من البدن ولا عناء من النفس وكانا منهيين عن تجاوز طورهما وتناول ما ليس لهما قبل وقتها فتركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما فتناولا ما كانا منهيين عنه فسقطت مرتبتهما وتناثرت شعورهما وانكشفت عوراتهما وأخرجا من هناك عريانين مطرودين مهانين معاقبين فيما يتكلفان من اصلاح المعاش وما يحتاجان اليه من قوام الحياة الدنيا كما زعم زعيم الطيور في الفصل الاول وكما ذكر حكيم الجن في فصله مثل ذلك

فلما بلغ زعيم السباع الى هذا الموضع من الكلام قال له زعيم الانس أما أنتم يامعشر السباع فسبيلكم أن تسكتوا وتستحوا ولا تتكلموا

قال له كليلة ولم ذلك . قال لأنه ليس من الطوائف الحضور هاهنا جنس أشر منكم معشر السباع ولا أقسى قلوباً ولا أقل نفعاً ولا أكثر ضرراً ولا أشد حرداً على أكل الجيف وطلب المعاش

قال كيف ذلك ؟ . قال لانكم تفترسون معشر السباع هذه البهائم والانعام بمخالب حداد فتخرقون جلودها وتكسرون عظامها وتشربون دماءها وتنهشون لحومها بلا رحمة عليها ولا فكرة فيها ولا رفق بها

قال زعيم السباع منكم تعلمنا وبكم اقتدينا فيما تعملون في هذه البهائم . قال الانسي كيف كان ذلك ؟

قال لأنه قبل خلق أبيكم آدم وأولاده ماكانت السباع تفعل من ذلك شيئاً ولا تصطاد الاحياء منها لان جيفها كانت كثيرة وما يموت منها كل يوم بآجالها

كفاية لها تتقوت به وما تحتاج الى صيد الاحياء منها وحمل المخاطرة على أنفسها فى الطلب والانتهاك والمحاربة والتعرض لاسباب المنايا وذلك ان الاسود والنمور والفهود والذئاب وغيرها من أصناف السباع الآكلة اللحوم لاتتعرض للفيلة والجواميس والخنازير ما دامت تجد من جيفها ما يقوتها ويكفيها الا عند الاضطرار وشدة الحاجة لان لها أيضاً اشفاقاً على أنفسها كما يكون لغيرها من سائر الحيوانات

فلما جئتم أنتم يامعشر الانس وانتزعتم منها قطعان الغنم والبقر والجمال والخيل والبغال والحمير وأحرزتموها ولم تتركوا منها في البرارى والقفار والآجام واحدا منها عدمت السباع جيفها فاضطرت الى صيد الاحياء منها وحل لها ذلك كما حلت لكم الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار

وأما الذي ذكرته من قلة رحمتنا عليها وقساوة قلوبنا فلسنا نرى ما تشكوا منا هذه البهائم كما تشكوا منكم ومن جوركم ومن ظلمكم وتعديكم عليها . وان الذي ذكرت بانا نقبض عليها بمخالب حداد وأنياب صلاب ونخرق جلودها ونشق أجوافها ونكسر عظامها ونشرب دماءها ونأكل لحومها فكذا أنتم تفعلون بها وتذبحونها بسكاكين حداد وتسلخون جلودها وتشقون أجوافها وتكسرون عظامها بالسواطير والكيان ونار الطبخ وحر الشوى زيادة على ما تفعل نحن بها

وأما الذي ذكرت من ضررنا على الحيوانات فالقول كما قلت ولكن لو فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك بأن كل ذلك صغير حقير في جنب ما تفعلون أنتم بها من الضرر والجور والظلم كما ذكر زعيم البهائم في الفصل الاول

وأما ضرر بعضكم لبعض وضرب بعضكم لبعض بالسيوف والسياط والسكاكين والطعن بالرماح والزوبينيات والضرب بالدبابيس والكال وقطع الايدي والارجل والحبس فى المطامير والسرقة واللصوصية والغش والخيانة في المعاملة والغمز والسعاية والمكر والحيل في أسباب العداوة وما شاكل هذه الخصال مما لاتفعله

السباع من ذلك بالحيوانات ولا بعضها ببعض ولا تعرفه فيزيد على ذلك كله، واما ماذكرت من قلة منافعها لغيرها فلو فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك بان النفع منالكم بين ظاهر مما تنتفعون به من جلودنا وشعورنا ووبرنا وأصوافنا ومما تنتفعون به من صيد الجوارح منا وقد سخرتموها ولكن اخبرنا أيها الانسي أي منفعة منكم لغيركم من الحيوانات فاما الضرر فهو ظاهر بين اذ قد شاركتمونا في ذبح هذه الحيوانات واكل لحمانها والانتفاع بجلودها وشعورها وبخلتم عليها بالانتفاع بجيفكم وقد دفنتموها تحت التراب حتى لا تنتفع بكم أحياء ولا أمواتا وأما الذي ذكرت من غارات السباع على الحيوانات وقبضها عليها وقتلها فان ذلك كله انما فعلته السباع بعد مارأت ان بنى آدم يفعلون بعضهم ببعض منذ عهد قابيل وهابيل والى يومنا هذا نرى كل يوم من القتلى والجرحى والصرعى في الحروب والقتال مثل ماشوهد في ايام رستم واسفنديار وايام جشيد وتبع وأيام الضحاك وأفريدون وايام سيواس ومنوجهر وايام دارا والاسكندر وايام بخت نصر وآل داود وآل بهرام وآل عدنان وأيام قسطنطين وأهل بلاد اليونان وايام عثمان ويزدجر وايام بنى العباس وبنى مروان وهلمجرا الى يومنا هذا نرى في كل سنة وشهر ويوم وقعة من بنى آدم بعضهم على بعض ومع بعض وما يحدث فيها من أسباب الشرور والبلايا والقتل والجراح والمثلة والنهب والسبي مالا يقدر ولا يعد. ثم الآن جئتم تفتخرون علينا وتعيرون السباع انها شرخلقة في الارض اما تستحون من هذا القول الزور والبهتان علينا ومتى رأى الانس ان السباع قد فعلت بعضها ببعض مثل ماتعملون انتم بعضكم ببعض في كل يوم ثم قال زعيم السباع لزعيم الانس لو تفكرتم يامعشر الانس في أحوال السباع واعتبرتم تصاريف امورها لعلمتم وتبين لكم انها خير منكم وأفضل قال زعيم الانس كيف ذلك دلنا عليه قال نعم أليس خياركم الزهاد والعباد والرهبان والاحبار والسياح قال نعم قال أليس اذا تناهى واحد منكم في الخيرية والصلاح خرج من بين أظهركم وهرب منكم وذهب يأوي الى رؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية والسواحل

والآجام مأوى السباع ويخالطها في اماكنها في الكهوف والمغارات ويعاشرها في أوطانها ويجاورها في اكنافها ولا تتعرض له السباع قال بلى كما قلت كذا نقول قال فلو لم تكن السباع أخياراً لما جاورها أخيار كم وعاشرها الصالحون منكم لان الاخيار لايعاشرون الاشرار بل يفرون منهم وينفرون عنهم فهذا دليل على أن السباع صالحة لا كما زعمتم انها شر خلق الله فهذا القول الذي ذكرتم زوراً وبهتاناً عليها ودليل آخر ان السباع صالحة لا كما زعمت هوان من سنة ملوككم الجبابرة اذا شكوا في الصالحين منكم والاخيار من أبناء جنسكم يطرحونهم بين السباع فان لم تأكله علموا بانه من الاخيار لانه لايعرف الاخيار الا الاخيار كما قال الشاعر

يعرفه الباحث عن جنسه وسائر الناس له منكر

﴿ واعلم ﴾ ايها الانسي ان في السباع أخياراً وأشراراً وان الاشرار منها لا تأكل الاشرار كما يأكل الاشرار الاشرار من الانس كما ذكر الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فلما فرغ زعيم السباع من كلامه قال حكيم من الجن صدق هذا القائل ان الاخيار يهربون من الاشرار ويأنسون بالاخيار وان كانوا من غير جنسهم وان الاشرار أيضاً يبغضون الاخيار ويهربون منهم ويلجأون الى أبناء جنسهم من الاشرار فلو لم يكن بنو آدم اكثرهم أشراراً لما هرب أخيارهم من بين ظهرانيهم الى رؤس الجبال والآجام ومأوى السباع وهي من غير جنسهم ولا تشبههم في الصورة ولا في الخلقة الا في أخلاق النفوس من الخيرية والصلاح والسلامة قالت الجماعة كلها صدق الحكيم فيما قال وذكر وأخبر فخجلت جماعة الانس عند ذلك ونكست رؤوسها حياء وخجلا مما سمعت من التوبيخ والتعريض وانقضى المجلس ونادى مناد انصرفوا مكرمين لتعودوا غداً آمنين مطمئنين

فصل

ولما كان من الغد جلس الملك مجلسه وحضرت الطوائف كلها على الرسم واصطفت فنظر الملك الى جماعة الانس وقال قد سمعتم ماجرى أمس وما ذكرتم وسمعتم الجواب عما قلتم فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم بالامس فقام عند ذلك الزعيم الفارسي وقال نعم أيها الملك العادل ان لنا مناقب أخر وفضائل جمة وخصالا عدة تدل على صحة مانقول وندعي قال الملك هات واذكر منها شيئاً قال نعم ثم قال الحمد لله الذي اختلفت الحكماء في اسمائه واتفقت في وجوده وقدمه الذي أوجد الخلائق بقدرته وخص من بينهم آدم وأولاده برحمته وشرفهم تشريفاً بخلعة الايمان ولباس الكرامة من بين سائر الحيوانات والهمهم طريق الهدى كما قال تعالى «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» والصلاة على خير خلقه وصفوة أنبيائه محمد وآله

اما بعد فاعلم أيها الملك ان منا الملوك والامراء والخلفاء والسلاطين وان منا الرؤساء والوزراء والكتاب والعمال وأصحاب الدواوين والحجاب والقواد والنقباء والخواص وخدم الملوك وأعوانهم من الجنود ومنا أيضاً التجار والصناع وأصحاب الزروع والنسل ومنا أيضاً الدهاقين والاشراف والاغنياء وارباب النعم وأصحاب المروءات ومنا أيضاً الادباء وأهل العلم والورع وأهل الفضل ومنا أيضاً الخطباء والشعراء والفصحاء والمتكلمون والنحويون وأصحاب الاخبار ورواة الحديث والقراء والعلماء والفقهاء والقضاة والحكام والعدول والمزكون والمذكرون والحكماء والمهندسون والمنجمون والطبيعيون والاطباء والعرافون والمعزمون والكهنة والمعبرون والكيمائيون وأصحاب الطلسمات وأصحاب الارصاد وأصناف أخر يطول شرحها وكل هذه الطوائف والطبقات لهم أخلاق وسجايا وطبائع وشمائل ومناقب وخصال حسنة ومذاهب حميدة وعلوم وصنائع حسان مختلفة متفننة وكل هذه لنا وغيرنا من الحيوان بمعزل عنها فهذا دليل

بأننا أرباب لها وهي عبيد لنا وفي الجملة قوام العالم بنا وبوجودنا اذ هذه الجملة التي ذكرت من الصنائع واختلاف الاشخاص صار سبباً لقوام العالم وبقائه من غير شك

﴿ فصل ﴾

فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نطق الببغاء وقال الحمد لله خالق السماوات المسموكات والاراضين المدحوات والجبال الراسيات والبحار الزاخرات والبراري والقفار والرياح الذاريات والسحب المنشئات والقطر الهاطلات والشجر والنبات والطير الصافات كل قد علم صلواته وتسبيحه

ثم قال اعلموا رحمكم الله ان هذا الانسي قد ذكر أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم فلو انه تفكر أيها الملك فعادل واعتبر كثرة أجناس الطيور وأنواعها لعلم وتبين له من كثرتها ما يصغر ويقل عنده أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم في جنب ذلك كما قد تقدم ذكره في فصل من هذا الكتاب كما قال شاه مرغ الطاووس من خطباء الطيور وفصحائها

ولكن خذ الآن أيها الانسي ازاء كل ما ذكرت وافتخرت به بقولك قولا آخر معكوساً وبدل كل حسن نسبت أصنافاً أخر قبيحة ونحن بمعزل منها وذلك أن عندكم الفراعنة والنماردة والجبابرة والفسقة والمشركين والمنافقين والملحدين والمارقين والناكثين والخوارج وقطاع الطريق واللصوص والعيارين والطرارين ومنكم أيضاً الدجالون والباغون والطاغون والمرتابون

ومنكم أيضاً القوادون والمخانيث والمؤاجرون واللواطة والسحاقات والبغايا ومنكم أيضاً الغمازون والكذابون والنباشون . ومنكم أيضاً السفهاء والجهال والأغبياء والناقصون وما شاكل هذه الاوصاف والاصناف والطبقات المذمومة أخلاق أهلها الردية طباعهم القبيحة سيرتهم وأفعالهم السيئة سيرهم وأعمالهم المذمومة الجائرة ونحن بمعزل عنها كلها ونشاركهم في اكثر الخصال المحمودة

والسير العادلة ، وذلك أن أول كل شيء مما ذكرت وافتخرت به أن منكم الملوك والرؤساء ولهم أعوان وجنود ورعية

أما علمت بأن لجماعة النحل ولجماعة النمل ولجماعة الطيور ولجماعة السباع رؤساء وأعواناً وجنوداً ورعية وان رؤساءها وملوكها أحسن سياسة وأشد رعاية من ملوك بني آدم بها وأشد تحنناً عليها ورأفة بها وشفقة عليها

بيان ذلك أن أكثر ملوك الانس ورؤساءها لا ينظرون في أمر الرعية وجنودهم وأعوانهم الا لجر منفعة منها أو دفع مضرة عنها أو الى نفس من يهواه لشهواته كائناً من كان قريباً أو بعيداً ولا يفكر بعد ذلك في واحد ولا يهمه أمره كائناً من كان من قريب أو بعيد

وليس هذا من فعل الملوك والفضلاء ولا عمل الرؤساء ذوي السياسة الرحماء بل من سياسة الملك وشرائطه وخصال الرياسة أن يكون الملك والرئيس رحيما رؤوفا برعيته مشفقا متحنناً على جنوده وأعوانه اقتداء بسنة الله تعالى الجواد الكريم الرءوف الرحيم لخلقه وعباده كائناً من كان الذي هو رئيس الرؤساء وملك الملوك . وملوك أجناس الحيوانات ورؤساؤهم هم بسنة الله تعالى أحسن اقتداء من ملوك الانس ورؤسائهم

وذلك أن ملك النحل ينظر في أمر رعيته ويتفقد أحوالهم وأحوال جنوده وأعوانه لا لهوى في نفسه وشهواتها وجر المنفعة اليها ودفع المضرة عنها أو الى نفس من يهواه لشهواته بل يفعل ذلك رأفة ورحمة لرعيته وشفقة وتحننا لهم ، وعلى جنوده وأعوانه

وهكذا يفعل ملك النمل وملك الكركى في حراسته وطيرانه وملك القطاني وروده وصدوره

وهكذا حكم سائر الحيوانات التى لها رؤساؤها ومديروها لا يطلبون من رعاياهم عوضاً ولا جزاء فيما يسوسونهم كما لا يطلبون من أولادهم براً ولا صلة ولا مكافأة لهم كما يطلب بنو آدم من أولادهم البر والمكافأة في تربيتهم لهم ، بل

نجد كل جنس من الحيوانات التي تنزو وتفد وتحمل وترضع وتربي أولادها والتي تسفد وتبيض وتحضن وتزق الفراخ والاولاد وتربي أولادها لا تطلب من أولادها براً ولا صلة ولا مكافأة . ولكنها تربي أولادها تحننا عليها وشفقة ورحمة بها ورأفة لها كل ذلك اقتداء بسنة الله تعالى اذ خلق عبيده وأنشأهم ورباهم وأنعم عليهم وأحسن اليهم وأعطاهم من غير سؤال منهم ولا يطلب منهم جزاء ولا شكوراً ولو لم يكن من لؤم طباع الانس وسوء أخلاقهم وسيرتهم الجائرة وعاداتهم الرديئة وأعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ومذاهبهم الضالة وكفرهم بالنعم لما أمرهم الله تعالى بقوله « ان اشكر لي ولوالديك الى المصير » كما لم يأمر أولادنا اذ لايكون منهم العقوق والكفران وانما توجه الامر والنهي والوعد والوعيد اليكم يامعشر الانس دوننا لانكم عبيدسوءيقع منكم الخلاف والمكر والعصيان فأنتم بالعبودية أولى منا ونحن بالحرية أولى منكم فمن أين زعمتم انكم أرباب لنا ونحن عبيد لكم لولا الوقاحة والمكابرة وقول الزور والبهتان

ثم لما فرغ الببغاء من كلامه قالت الجماعة صدق هذا القائل في جميع ما ذكر وأخبر به فخجلت جماعة الانس عند ذلك ونكسوا رؤوسهم من الحياء والخجل لما توجه عليهم من الحكم ولم يمكن الانس أن ينطقوا بعد ذلك

ولما بلغ البيغاء من كلامه الى هذا الموضع قال الملك لرئيس الحكماء من الجن من هؤلاء الملوك الذين ذكرهم هذا القائل وأثنى عليهم ووصف شدة رحمتهم واشفاقهم على رعيتهم وتحننهم ورأفتهم لجنودهم وأعوانهم وحسن سيرتهم . أنا أظن أن في ذلك رمزاً من الرموز وسراً من الاسرار عرفني ما حقيقة هذه الاقاويل واشارة هذه المرامي . قال سمعاً وطاعة

فصل

قال حكيم الجن اعلم أيها الملك ان اسم الملوك مشتق من اسم الملك واسم الملك من أسماء الملائكة وذلك أنه ما من جنس من هذه الحيوانات ولا نوع منها ولا شخص ولا كبير ولا صغير الا وقد وكل الله تعالى به ملائكة تربيه وتحفظه وتراعيه في جميع تصرفاته وهي أشد رحمة ورأفة وتحننا وشفقة من الوالدات لأولادها الصغار ونتاجها الضعيفة

قال الملك الحكيم ومن أين للملائكة هذه الرحمة والرأفة والتحنن والشفقة التي ذكرت

قال من رحمة الله تعالي ورأفته بخلقه وشفقته وتحننه على بريته وكل رحمة ورأفة من الملائكة ومن الوالدات والآباء والامهات ورحمة الخلق بعضهم على بعض فهي جزء من ألف ألف جزء من رحمة الله تعالى ورأفته بخلقه وشفقته وتحننه على عباده

ومن الدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ماوصفنا ان ربهم لما أبداهم وأبدعهم وخلقهم وسواهم ونعمهم ورباهم وكل بحفظهم الملائكة الذين هم صفوته من خلقه وجعلهم رحماء كرماء بررة وخلق لهم المنافع والمرافق في طريق الهياكل العجيبة والصور والاشكال الطريفة والحواس الدراكة اللطيفة والهمهم دفع المضار وجر المنافع وسخر لهم الليل والنهاروالشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الاله الخلق والامرويدبرهم في الشتاء والصيف في البر والبحر والسهل والجبل وخلق الاقوات من الشجر والنبات متاعاً لهم الى حين وأسبغ عليهم نعمته ظاهرة وباطنة ولو عددت لما أحصيت وكل هذه دلالة وبراهين على شدة رحمة الله ورأفته وتحننه وشفقته على خلقه

قال الملك فمن رئيس الملائكة المقربين الموكلين ببنى آدم وحفظهم ومراعاة أمرهم قال الحكيم هي النفس الناطقة الانسانية الكلية التى هي خليفة الله في

أرضه وهي التي قرنت بجسد آدم لما خلق من التراب وسجدت له الملائكة كلهم أجمعون وهي النفوس الحيوانية المنقادة لطاعة النفس الناطقة الباقية الى يومنا هذا في ذرية آدم كما ان صورة الجسد الجسمانية باقية في ذريته الى يومنا هذا وبها ينشأون وبها ينمون وبها يفوزون وبها يجازون وبها يؤاخذون واليها يرجعون وبها يعرفون يوم القيامة وبها يبعثون وبها يدخلون الجنة وبها يصعدون الى عالم الافلاك أعني صعود النفس الناطقة التي هي خليفة الله في أرضه وأبى ابليس عن سجدة لآدم وهي القوة الغضبية والشهوانية والنفس الامارة بالسوء

ليعلم الملك جميع ذلك لأن أكثر كلام الله تعالى وكلام أنبيائه وأقاويل الحكماء رموز لسر من الاسرار مخفياً عن الاشرار ومايعلمها الا الله تعالى والراسخون في العلم . وذلك ان القلوب والخواطر ما كانت تحمل فهم معاني ذلك ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « كلموا الناس على قدر عقولهم » وافشاء سر الربوبية كفر

وأما الخواص من الحكماء الذين هم الراسخون في العلم فهم لايحتاجون الى زيادة بيان إذ هم مطلعون على حقائق جميع الاسرار والمرموزات . من ذلك قول الله تعالى «علمناه منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين » وقوله « ن والقلم ومايسطرون » وقوله « والطور وكتاب مسطور » وقوله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » وقوله « في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين » وقوله « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » وقوله « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت » وقوله « وجنة عرضها السموات والارض » وقوله « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وقوله « من يحيي العظام وهي رميم » وقوله « وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى » وقوله « من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا

فاسألوهم » وقوله « يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً » وقوله « يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » وقوله (كهيعص) وقوله (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقوله (عسق) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقول النبي عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقوله صوموا تصحوا وسافروا تغنموا وقوله عليه السلام شاوروهن وخالفوهن وقوله عليه السلام الجنة تحت أقدام الامهات ونظائر ذلك من الآيات والاخبار تحت ذلك سر من الاسرار التي لايجوز أن تكشف على العوام والجهال سيما في آخر الزمان فلهذا الغرض ألبسوا حقائق الاشياء بلباس غير مايليق بذلك حسب فهم عامة البشر لكن الخواص والحكماء يعلمون الغرض والحقيقة في ذلك ويخفون عن الاشرار والاجلاف

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ثم قال الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ومن عالم ما أفهمك وجزاك الله خيراً زدني بياناً آخر فقال نعم

ثم قال الملك للحكيم لم لاتدرك الابصار الملائكة والنفوس قال لانها جواهر شفافة نورانية ليس لها لون ولاجسم ولاتدركها الحواس الجسمانية مثل الشم واللمس والذوق وقل تراها الابصار القوية اللطيفة مثل أبصار الانبياء والرسل واسماعهم فانهم بصفاء نفوسهم وانتباههم من نوم الغفلة واستيقاظهم من رقدة الجهالة وخروجهم من ظلمات الخطايا قد انتعشت نفوسهم فصارت مشاكلة النفوس الملائكة تراها وتسمع كلامها وتأخذ منها الوحي والانباء وتؤدي الى أبناء جنسهم من البشر بلغات مختلفة لما شاكلتهم اياهم باجسادهم قال الملك جزاك الله خيراً تمم كلامك ياببغاء

فصل

ثم قال الببغاء أيها الانسي أما الذي ذكرت بان منكم صناعا وأصحاب حرف فليس ذلك بفضيلة لكم دون غيركم ولكن قد شاركم فيها بعض أصناف الطيور والهوام وغير ذلك من الحيوانات

وبيان ذلك ان النحل هي من الحشرات وهي في اتخاذها البيوت وبناء منازل الاولاد أحذق وأعلم وأحكم من صناعكم وأجود وأحسن من بناء المهندسين والبنائين منكم وذلك انها تبني منازلها طبقات مستديرات كالتراس بعضها فوق بعض من غير خشب ولا لبن ولا آجر ولا جص كأنها غرف من فوقها غرف وتجعل تقدير بيوتها مسدسات متساويات الاضلاع والزوايا لما فيها من اتقان الصنعة واحكام البنية ولا تحتاج في عمل ذلك الى قراءة كتب الهندسة ولا الى آلة البركار والمسطرة كما تحتاجون الى بركار تديرون بها والى مسطرة تخطون بها والى شاقول تدلون بها والى كونيا تقدرون بها كما يحتاج البناء اليها من بني آدم

ثم انها تذهب في الرعي وتجمع الشمع من ورق الاشجار والنبات بارجلها والعسل من زهر النبات ونور الاشجار وورقها تجمعه بمشافيرها ولا تحتاج في ذلك الى زنبيل ولا الى سلة ولا ملقطة ولا مكتل تجمعه فيها أو آلة أو أدوات تغرفه بها كما يحتاج البناؤون منكم الى آلات وأدوات مثل الفأس والمسحات والراقود والمسائح وما شاكلها.

وهكذا أيضاً العنكبوت وهي من الهوام في نسج شبكتها أولا وتقريرها هندامها هي أعلم وأحذق من الحاكة والنساجين منكم وذلك انها تمد عند نسجها شبكتها أولا خطاً من حائط الى حائط أو من شجرة الى شجرة أو من غصن الى غصن أو من جانب نهر الى جانب آخر من غير أن تمشي على الماء أو تطير في الهواء ثم تمشي على ذلك الذي تمده أولا وتمد من شبكتها أولا خطوطاً مستقيمة كأنها أطناب الخيم المضروبة ثم تنسج لحمتها على الاستدارة وتترك وسطها دائرة

مفتوحة حتى تتمكن فيها لصيد الذباب وكل ذلك تفعل من غير مغزل لها ولا مفتل ولا كاركاة ولا مشط ولا أدوات مثل مايفعل الحائك والنساج منكم فيما يحتاجون اليه من الآلات والادوات المعروفة المشهورة في صناعتهم .

وهكذا أيضاً دودة القز وهي من الهوام وهي احذق في صنعتها وأحكم من صناعكم فمن ذلك انها اذا شبعت من الرعي طلبت مواضعها بين الاشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطاً دقاقا ملساً لزجة متينة ونسجت هناك على أنفسها كنا كشبه كيس ليكون لها حرزاً من الحر والبرد والرياح والامطار ونامت الى وقت معلوم .

كل ذلك تفعله من غير تعليم من الاستاذين ولا تعليم من الاباء والامهات بل الهاما من الله تعالى وتعليما منه وكل ذلك يفعل من غير حاجة الى مغزل ومفتل أو مخيط أو مقصر كما يحتاج الخياطون والرفائون والنساجون

وهكذا الخطاف وهو من الطير يبنى لنفسه منزلا ولاولاده مهداً معلقا في الهواء تحت السقوف من الطين من غير حاجة الى سلم يرتقي عليه أو راقود يحمل الطين عليه أو عمود يسند بيته اليه ولا يحتاج الى آلة من الآلات أو الادوات

واذا عميت أولادها تحمل من الطين حشيشة تسمى الماميراف تحك بها عين الاولاد فيضيء بصرها كل ذلك تعليم من الله تعالى لا من البشر وأنتم محتاجون الى الاستاذين والمعلمين في أدنى صنعة وأخس عمل وأنتم من تلقاء أنفسكم لاتقدرون على عمل من غير تعلم مدة من الزمان

وهكذا أيضاً الارضة وهي من الهوام تبنى على انفسها بيوتاً من الطين الصرف شبه الازج والازقة من غير أن تجمع التراب أو تبل الطين أو تستقي الماء فقولوا أيها الحكماء من أين لها ذلك الطين ومن أين تجمعه وكيف تحمله ان كنتم تعلمون

وعلى هذا المثال حكم أجناس الطيور والحيوانات في اتخاذها المنازل والأوكار والاعشاش وتربية أولادها تجدها أحذق وأعلم وأحكم من عمل الانس فمن ذلك تربية النعامة وهي مركبة من طائر وبهيمة لفراريخها وذلك انها اذا جمعت لها بيضاً

عشرين أو ثلاثين أو اربعين قسمتها ثلاثة أقسام منها ما تدفنه في التراب وثلثاً تتركه في الشمس وثلثاً تحضنه فاذا خرجت فراريخها كسرت ما كان في الشمس وسقتها ما كان فيها من تلك الرطوبات التي فيها مما ذوبتها الشمس ورققتها فاذا اشتدت فراريخها وقويت أخرجت المدفون منها وفتحت لها ثقباً كي يجتمع فيه الذباب والبق والهوام والنمل والحشرات ثم تطعمها فراريخها حتى اذا قويت عدت ولعبت ورعت .

فقل أيها الانسي أي نسائكم تحسن مثل هذا في تربية أولادها ان لم تكن القابلة تشيلها وتقمطها وداية تعلمها كيف تقطع سرة ولدها وتقمطه وتدهنه وتكحله وتسقيه وتنومه ولا تعلم شيئاً ولا تعرفه

وكذلك أيضاً حكم أولادكم في الجهالة وقلة المؤنة يوم يولدون لا يعلمون من مصالح أمورهم ولا يعقلون شيئاً من جر منفعة ولا دفع مضرة الا بعد اربع سنين أو سبعة أو عشرة يحتاجون أن يعلموا كل يوم علماً جديداً وأدباً مستأنفاً الى آخر العمر يوم الممات

ونجد أولادنا اذا خرج أحدهم من الرحم أو من البيض يكون معلماً أو ملهماً كل ما يحتاج اليه من أمر مصالحه ومضاره ومنافعه لا يحتاج الى تعليم الاباء والأمهات

فمن ذلك فراريخ الدجاج والدراج والقباج والطيهوج وما شاكلها فانك تجدها تنقشر عنها البيضة وتخرج وتعدو من ساعتها أو تلتقط الحب وتهرب من المطالب لها حتى ربما لا تلحق

كل ذلك من غير تعليم من الاباء والامهات بل وحياً والهاماً من الله تعالى كل ذلك رحمة منه لخلقه وشفقة ورأفة وتحنناً

وذلك ان هذا الجنس من الطيور لما لم يكن الذكر يعاون الانثى فى الحضانة وتربية الاولاد كما يعاون باقي الطيور كالحمام والعصافير وغيرهما أكثر الله عدد

خراريجها وأخرجها مكتفية مستغنية من تربية الاباء والامهات من شرب اللبن أو زق الحبوب والغذاء مما يحتاج اليه غير هذا الجنس من الحيوان والطيور وكل ذلك عناية من الله تعالى وتقدس وحسن نظر منه لهذه الحيوانات التى تقدم ذكرها.

فقل لنا أيها الانسى أيهما أكرم عند الله الذي عنايته به أكثر ورعايته به أتم فسبحان الله الخالق الرؤف الرحيم بخلقه الودود الشفيق الرفيق بعباده ونحمده ونسبحه في غدونا ورواحنا ونقدسه في ليلنا ونهارنا فله الحمد والمن والشكر والفضل والثناء والآلاء والنعماء وهو ارحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين .

وأما الذي ذكرت بأن منكم الشعراء والخطباء والمتكلمين والمذكرين وما شاكلهم فلو انكم فهمتم منطق الطير وتسبيح الحشرات والهوام وتهليلات البهائم وتذكار الصرصر ودعاء الضفدع ومواعظ البلابل وخطب القنابر وتسبيح وتكبير الكراكى وأذان الديك ومايقول الحمام في لحنه وقراءة القماري ونعيب الغراب الكاهن من الزجر وماتصف الخطاطيف من الامور وما يخبر الهدهد وما يقول النمل وما يزعم النحل ووعيد الذباب وتحذير البق وغيرها من الحيوانات ذوى الاصوات والطنين والزمير لعلمتم معشر الانس وتبين لكم أن في هذه الطوائف خطباء وفصحاء ومتكلمين وواعظين ومذكرين ومسبحين مثل ما في بنى آدم فلماذا افتخرتم علينا بخطبائكم وشعرائكم ومن شاكلهم

وكفى دلالة وبرهانا على ماقلت وذكرت قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم فنسبكم الى الجهل وقلة العلم والفهم بقوله لاتفقهون ونسبنا الى العلم والفهم والمعرفة بقوله تعالي كل قدعلم صلاته وتسبيحه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون قالها على سبيل التعجب لانه يعلم كل عاقل ان الجهل لايستوى مع العلم لاعند الله ولا عند الناس فبأي شيء

تفتخرون علينا يامعشر الانس وتدعون انكم ارباب ونحن عبيد لكم مع هذه الخصال التي فيكم كما بينا قبل غير قول الزور والبهتان

فاما الذي ذكرت من أمر المنجمين والراقين منكم فاعلموا ان لهم تمويهات وتوهيمات وتلبيسات ورزقا رقيقاً ينفق على الجهلاء من العوام والخواص والنساء والصبيان والحمقى ويخفى عليكم ايضاً وعلى كثير من العقلاء والادباء وذلك أن احدهم يخبر بالكائنات قبل كونها ويرجم بالغيب ويرجف به من غير معرفة صحيحة ودلائل عقلية واضحة وبراهين مثبتة فيقول بعد كذا وكذا شهراً وكذا وكذا سنة في بلد كذا وكذا يكون كيت وكيت وهو جاهل لايدرى أى شيء يكون فى بلده وقومه وجيرانه وأي شيء يكون ويحدث عليه فى نفسه أو فى ماله او فى أولاده أو غلمانه او من يهمه امرهم وانما يرجم بالغيب فى مكان بعيد أو في زمان طويل لئلا يقع عليه الاعتبار ويتبين صدقه وكذبه وتمويهه ومخرقته

ثم اعلم ايها الانسى انه لايغتر بقول المنجم الا الطغاة والبغاة من الملوك والجبابرة منكم والفراعنة والمماردة والمغرور بعاجل شهواتها المنكرون أمر الآخرة ودار المعاد الجاهلون بالعلم السابق والقدر المحتوم مثل نمرود الجبار وفرعون ذي الاوتاد وثمود وعاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد من قتل الاطفال . بقول المنجمون الذين لايعرفون خالق النجوم ومدبرها بل يظنون ويتوهمون ان أمور الدنيا تدبرها الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ولا يعرفون المدبر الذي فوق الكل الذي هو رب الارباب ومسبب الاسباب ومالك يوم الدين وقد أراهم الله قدرته مرة بعد اخرى ونفاذ أوامره ومشيئته فى دفعات وذلك ان نمرود الجبار أخبره المنجمون بمولود في مملكته في سنة من السنين بدلائل القرانات وانه يتربى ويكون له شأن عظيم ويخالف دين عبدة الاصنام

فقال لهم في أى بيت يكون وفي أي موضع يتربى وفي أي يوم يولد فلم يدروا ولكن أشار وزراؤه وجلساؤه بأن يقتل كل مولود يولد في تلك السنة

ليكون هو في جملة من قد قتل وظنوا أن ذلك يمكن وذلك لجهلهم بالعلم السابق والقضاء المحتم والمقدور الواقع الذي لا بد أن يكون ، ففعل ما أشاروا به عليه فيما وقع . وخلص الله تعالى ابراهيم خليله من كيدهم ونجاه من حيلتهم ومادبروا من مكرهم

وهكذا فعل فرعون بأولاد بنى اسرائل لما اخبره المنجم بمولد موسى عليه السلام فنجى الله كليمه من كيدهم ومكرهم لما أراد من بلوغ أمره ورأى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون وعلى هذا المثال والقياس تجري أحكام النجوم . لم ينفعهم ذلك من قضاء الله وقدره

ثم أنتم يامعشر الانس لا تزدادون الا غروراً بقول المنجمين وطغياناً ولا تعتبرون ولا تتفكرون ولا تتنبهون من جهالاتكم

ثم جئتم الآن تفتخرون علينا بأن منكم منجمين وأطباء ومهندسين وحكماء متفلسفين . فلما بلغ الببغاء الى هذا الموضع من كلامه قال الملك أحسن الله جزاك نعم ما قلت وبينت

فصل

ثم قال الملك لزعيم الجوارح أخبرنا ما الفائدة والعائدة في معرفة الكائنات قبل كونها بالدلائل وما يخبر عنه أهلها بفنون الاستدلالات الزجرية والكهانية والنجومية والفال والقرعة وضرب الحصى والنظر في الكف وما شاكل هذه الاستدلالات اذا كان لا يمكن دفعها ولا المنع لها ولا التحرز منها مما يخاف ويحذر من المناحس وحوادث الايام ونوائب الحدثان في السنين والازمان .

قال الزعيم نعم يمكن دفع ذلك والتحرز منه أيها الملك . ولكن لا على الوجه الذي يطلب ويلتمس أهل صناعة النجوم وغيرهم من الناس . قال كيف ذلك وعلى أي وجه ينبغى ان يلتمس ويدفع ويحترز منه

قال الزعيم بالاستغاثة برب النجوم وخالقها ومدبرها . قال كيف تكون

الاستغاثة به . قال باستعمال سنن النواميس الالهية وأحكام الشرائع النبوية من الدعاء والبكاء والتضرع والصوم والصلاة والصدقات والقرابين في بيوت الصلوات والعبادات وصدق النيات واخلاص القلوب والسؤال لله تبارك وتعالى بدفعها وبصرفها عنهم كيف شاء أو يجعل لهم في ذلك خيرة وصلاحاً لان الدلائل النجومية والزجرية انما تخبر عن الكائنات قبل كونها مما سيفعله رب النجوم وخالقها ومدبرها ومصورها والاستغاثة برب النجوم والقوة التي فوق الفلك وفوق النجوم أولى وأحرى وأوجب من الاستغاثة بالاختيارات النجومية الجزوية على دفع موجبات الاحكام الكائنات مما أوجبها بأحكام القرانات والادوار وطوالع السنين والشهور وغير ذلك في المواليد

قال الملك فاذا استعملت سنن النواميس على شرائط ما ذكرت ودعوا الله يرفع عن أهلها ما هو في المعلوم انه لا بد كائن . قال لا بد من كون ما هو في المعلوم . ولكن ربما يدفع الله عن أهلها شر ما هو كائن ويجعل لهم فيها خيرة وصلاحا ويجعلهم في حيز السلامة

قال الملك كيف يكون ذلك بين لي قال أيها الملك أليس النمرود الجبار لما اخبره منجموه بالقران يدل على أنه سيولد في الارض مولود يخالف دينه دين عبدة الاصنام وكانوا يعنون به ابراهيم خليل الرحمن

قال نعم . قال أليس نمرود خاف على دينه ومملكته ورعيته وجنوده فساداً ومناحس

قال نعم قال أليس لو انه سأل رب النجوم وخالقها أن يجعل له ولرعيته ولجنوده فيه خيرة وصلاحاً كان الله تعالى يوفقه للدخول في دين ابراهيم هو وجنوده ورعيته . وكان في ذلك خيرة لهم وصلاح قال نعم . قال وهكذا أيضا فرعون لما اخبره منجموه بمولد موسى عليه السلام لو انه سأل ربه أن يجعله مباركا عليه وقرة عين له وكان يدخل في دينه أليس كان صلاحاً له ولقومه وجنوده كما فعل

بامرأته وأحب الناس اليه وأخصهم به وهو الرجل الذي ذكره الله تعالى في القرآن ومدحه وأثنى عليه

فقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب أوليس قوم يونس عليه السلام لما خافوا ما أظلهم من العذاب دعوا ربهم الذي هو رب النجوم وخالقها ومدبرها فكشف عنهم العذاب فاذا قد تبينت فائدة علم النجوم والاخبار بالكائنات قبل كونها وكيفية التحرز منها أو دفعها أو الخيرة والصلاح فيها ومن أجل هذا أوصى موسى عليه السلام بني اسرائيل فقال لهم متى خفتم من حوادث الايام ونوائب الحدثان من الغلاء والقحط والفتن والجدب أو غلبة الاعداء ودولة الاشرار ومصائب الاخيار فارجعوا عند ذلك بالتضرع والدعاء واقامة سنة التوراة من الصلاة والزكاة والصدقات والقرابين والندم والتوبة والبكاء والتضرع الى الله تعالى فانه اذا علم صدق قلوبكم ونياتكم صرف عنكم ما تحذرون وكشف عنكم ما تخافون وما أنتم عليه وبه مبتلون

وعلى هذا المثال جرت سنة الانبياء والرسل عليهم السلام من لدن آدم أبو البشر الى محمد عليهما الصلاة والسلام والتحية والرضوان

فعلى مثل هذا ينبغي أن تستعمل أحكام النجوم والاخبار بالكائنات قبل وجودها وما يدل عليها من حوادث الايام ونوائب الزمان لا على ما يستعمله المنجمون ومن يغتر بقولهم بأن يختاروا طالعا جزويا ويتحرزوا اليها من موجبات أحكام الكل بالجزء وكيف لا يجوز ان يستعمل بقوة رب الفلك على الفلك كما فعل قوم يونس عليه السلام والمؤمنون من قوم صالح وقوم شعيب

وعلى هذا المثال ينبغي ان تكون مداواة المرضى والاعلال بالرجوع الى الله تعالى أولا بالدعاء والسؤال له والرجاء منه ان يفعل بهم مثل ما ذكرت في أحكام النجوم من الكشف والدفع والصلاح في ذلك كما بين الله تعالى عن ابراهيم حيث

يقول « الذي خلقني هو يهدين والذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين » ولا ينبغي ان يكون الرجوع الى أحكام الاطباء الناقصة في الصناعة الجاهلة بأحكام الطبيعيات الغافلة عن معرفة رب الطبيعة ولطفه في صنعته

وذلك انك ترى أكثر الناس يفزعون عند ابتداء مرضهم الى الطبيب فاذا طال بهم العلاج والمداواة ولم ينفعهم ذلك وايسوا منهم ومن مداواتهم رجعوا عند ذلك الى الله تعالى ودعوا دعوة المضطرين وربما يكتبون الرقاع ويلصقونها في حيطان المساجد والبيع واساطينها ويدعون على انفسهم وينادون بالشهرة والنكال وقولهم رحم الله من دعا للمبتلي كما يفعل بالمشهورين هذا جزاء من سرق أو قطع أو عمل ما يشبهه . ولو انهم رجعوا الى الله تعالى في أول الأمر ودعوه في السر والاعلان لكان خيراً لهم وأصلح من الشهرة والنكال

فعلى مثل هذا يجب أن تستعمل أحكام النجوم في دفع مضار النكبات والتحرز من موجبات أحكامها وما يدل عليها من الحوادث لا على مثل ما يستعمله المنجمون من الاختبارات بطوالع جزئيات ليتحرزوا بها من موجبات أحكامها الكائنات التي توجبها طوالع السنين والشهور والاجتماعات والاستقبالات والاختيارات للأوقات الجيدة لاستجابة الدعاء وطلب الغفران والمسألة الى الله تعالى بالكشف لما يخافون ويحذرون بأن يصرف عنهم كيف شاء بما شاء كما ذكروا أن ملكا أخبره منجموه بحادث كائن في وقت من الزمان يخاف منه هلاكا على بعض أهل المدينة فقال لهم من أي وجه يكون وبأي سبب فلم يدروا تفصيلا ولكن قالوا من سلطان لا يطاق فقال لهم متى يكون ذلك فقالوا في هذه السنة في شهر كذا فشاور الملك أهل الرأي كيف التحرز منه فأشار عليه أهل الدين والورع والمتألهون بان يخرج واهل المدينة كلهم الى خارج المدينة فيدعون الله أن يصرف عنهم ما اخبرهم به المنجمون مما يخافون ويحذرون فقبل الملك مشورتهم وخرج في ذلك الشهر الذى يخافون كون الحوادث فيه وخرج معه اكثر اهل المدينة

فدعوا الله ان يصرف عنهم ما يخافون وباتوا تلك الليلة على حالهم وبقي قوم في المدينة لم يكترثوا لما اخبرهم به المنجمون وما خافوا وما حذروا منه فجاء بالليل مطر عظيم وسيل العرم وكان بناء المدينة في مصب الوادي فهلك من كان في المدينة بائتاً ونجا من كان قد خرج وكان بائتاً في الصحراء فمثل هذا يندفع من قوم ويصيب قوماً واما الذي لا يندفع ومالا بد منه ولكن يجعل الله لاهل الدعاء والصدقة والصلاة والصيام في ذلك خيرية وصلاحا كما فعل بقوم نوح فمن آمن منهم نجا وجعل لهم خيرية في ذلك كما ذكر الله تعالى بقوله فانجيناه ومن معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين . واما متفلسفوكم الطبيعيون والمنطقيون والجدليون فانهم عليكم لا لكم قال الانسي وكيف ذلك قال لانهم هم الذين يضلون بني آدم عن المنهاج المستقيم وصواب الطريق والدين وأحكام الشرائع بكثرة اختلافهم وفنون آرائهم ومذاهبهم ومقالاتهم وذلك ان منهم من يقول بقدم العالم ومنهم من يقول بقدم الهيولى ومنهم من يقول بقدم الصورة ومنهم من يقول بعلتين اثنين ومنهم من يقول بثلاثة ومنهم من يقول باربعة ومنهم من قال بخمسة ومنهم من قال بستة ومنهم من قال بسبعة ومنهم من قال بالصانع والمصنوع معاً ومنهم من قال بلا نهاية ومنهم من قال بالتناهي ومنهم من قال بالمعاد ومنهم من قال بالانكار ومنهم من اقر بالرسل والوحي ومنهم من انكر ومنهم من شك وارتاب وتحير ومنهم من قال بالعقل والبرهان ومنهم من قال بالتقليد من الاقاويل المختلفة والاراء المتناقضة التي بنو آدم بها مبتلون وفيها متحيرون متبلبلون شاكون وفيها مختلفون ونحن كلنا مذهبنا واحد وطريقتنا واحدة وربنا واحد ولا نشرك به شيئاً نسبحه في غدونا ونقدسه في رواحنا لا نريد لاحد منا سوءاً ولا نضمر له شراً ولا نفتخر على أحد من خلق الله تعالى راضون بما قسمه الله تعالى انا خاضعون تحت أحكامه لا نقول لم وكيف ولماذا فعل ودبر كما يقول المعترضون على ربهم في أحكامه وتدبيره وصنعه

فأما الذي ذكرت من أمر المهندسين والمساح منكم وافتخرت به فلعمري ان لهم التعاطي في البراهين التى تدق عن الفهم وتبعد عن التصور لما يدعون فيها ولكن أكثرهم لا يعقلون لتركهم تعلم العلوم الواجب تعلمها ولا يسعهم الجهل بها . يربون علي مايدعون من الفضولات التى لايحتاج اليها وذلك ان أحدهم يتعاطى مساحة الآجام والأوتاد ومعرفة ارتفاع رؤوس الجبال وعمق قعر البحر وتكسير البراري والقفار وتركيب الافلاك ومراكز الاثقال وماشا كل ذلك وهو مع ذلك كله جاهل بكيفية تركيب جسده ومساحة جثته ومعرفة طول مصارينه وأمعائه وسعة تجويف صدره وقلبه ورئته ودماغه وكيفية خلقة معدته وأشكال عظامه وتركيب هندام مفاصل بدنه وماشاكل هذه الاشكال التى معرفته بها أسهل وفهمه لها أقرب وعلمها بها أوجب والتفكر فيها أنفع والاعتبار بها أهدى وأرشد الى معرفة ربه وخالقه ومصوره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه

ومع جهله بهذه الاشياء أيضاً ربما يكون تاركا للعلم بكتاب الله وفهم أحكام شريعته ودينه ومفروضات سنن مذهبه ولايسعه تركها ولا الجهل بها

وأما افتخاركم باطبائكم والمداوين لكم فلعمرى انكم محتاجون اليهم مادامت لكم البطون الرحبة والشهوات المؤذية والنفوس الشرهة والمأكولات المختلفة ومايتولد منها من الامراض المزمنة والاسقام المؤلمة والاوجاع المهلكة تلجئكم الى باب الاطباء ولنعم ماقيل فى الشعر

ان الطبيب بطبه ودوائه   لايستطيع دفاع مكروه أتى

فزادكم الله أطباء لأنه لايرى على باب دكان الطبيب الا كل عليل مريض سقيم كما لايرى على باب دكان المنجم الا كل منحوس أو منكوب أو خائف لايزيده المنجم الا نحساً على نحس يأخذ قطعة ولايقدر على تعجيل سعادة ولا تأخير منحسة الا زخرف القول غروراً تخميناً وحزراً بلايقين ولابرهان

وهكذا حكم المتطببين منكم يزيدون العليل سقما والمريض عذاباً بالحمية من

تناول اشياء ربما يكون شفاء العليل فى تناولها وهو ينهاه ويمنعه منها لجهله ولو تركه مع حكم الطبيعة لعله كان أسرع لبرئه وأنجح لشفائه فافتخارك أيها الانسي بأطبائكم ومنجميكم هو عليكم لا لكم

فأما نحن فغير محتاجين الي الاطباء والمنجمين لانالا نأكل الاقوت يوم وبلغة يوم من لون واحد وطعام واحد فلا تعرض لنا الامراض المختلفة والاعلال المتفننة ولا نحتاج الى الاطباء ولاالى الشراب والدرياقات وفنون المداوات مما تحتاجون أنتم اليه فهذه الاحوال كلها التى هي بالاحرار والاخيار أشبه والكرام أولى وتلك بالعبيد والاشقياء أولى وبهم اليق فمن أين زعمتم أنكم أرباب لنا ونحن لكم عبيد بلا حجة ولا برهان الاقول الزور والبهتان

وأما تجاركم ورؤساؤكم ودهاقينكم الذين ذكرتم وافتخرتم بهم فلا فخر لكم ولا لهم إذكانوا هم أسوأ حالا من العبيد الاشقياء والفقراء الضعفاء وذلك انك تراهم طول نهارهم مشغولى القلب متعوبي الابدان مغمومي النفوس معذبي الارواح فيما يبنون مالايسكنون ويغرسون مالايجنون ويجمعون مالا يأكلون ويعمرون الدور ويخربون القبور أكياس فى أمور الدنيا بله في أمور الآخرة يجمع أحدهم الدينار والمتاع ويبخل أن ينفق على نفسه ويتركه لزوج امرأته اوازوج ابنته أو لزوجة ابنه ولوارثه كادون لغيرهم مصلحون أمورسواهم لاراحة لهم الى الممات .

وأما تجاركم فيجمعون من حرام وحلال ويبنون الدكاكين والخانات ويملؤنها من الامتعة ويحتكرونها ويضنون بها على أنفسهم وجيرانهم واحبابهم ويمنعون الفقراء والمساكين حقوقهم ولا ينفقون حتى تذهب جملة واحدة إما في حرق أو غرق أو سرقة أو مصادرة سلطان جائر أو قطع طريق وما شا كل ذلك ويبقى هو بحزنه ومصيبته معاقباً بما كسبت يداه فلا زكاة أخرج ولا صدقة أعطى ولا يتيما بر ولا معروفا لضعيف أسدى ولاصلة لذي رحم ولا احسانا الى صديق ولازود للمعاد ولا قدم للآخرة

والذين ذكرتهم من أرباب النعم وأهل المروءات فلو كانت لهم مروءة كما ذكرت لكان لا يهنيهم العيش اذا رأوا فقراءهم وجيرانهم واليتامى من أولاد اخوانهم والضعاف من أبناء جنسهم جياعا عراة مرضى زمنى مفاليج مطروحين على الطريق يطلبون منهم كسرة ويسألونهم خرقة وهم لا يلتفتون اليهم ولا يرحمونهم ولا يفكرون فيهم فأي مروءة لهم وأي فتوة فيهم وكيف تهنيهم لذاتهم الا أنهم كالانعام بل هم أضل سبيلا

وأما الذين ذكرتهم من الكتاب والعمال وأصحاب الدواوين وافتخرت بهم فهكذا يليق بكم الافتخار بالاشرار الذين يهتدون الى أسباب الشرور وما لا يهتدي غيرهم ويصلون الى ما لا يصل اليه سواهم لدقة افهامهم وجودة تمييزهم ولطف مكايدهم وطول السنتهم ونفاذ خطابهم في كتبهم يكتب أحدهم الى أخيه وصديقه زخرفاً من القول غروراً بالفاظ مسجعة وكلام حلو وخطاب فصيح يغريه وهو من ورائه في قطع دابره والحيلة في ازالة نعمته والوصول الى أسباب نكايته وتدوين الاعمال في مصادراته وتأويلات الاخذ لماله

وأما قراؤكم وعبادكم الذين تظنون أنهم أخياركم وترجون استجابة دعائهم وشفاعتهم لكم عند ربهم فهم الذين غروكم باظهارهم الورع والخشوع والتقشف والنسك من حذف الاسبلة وتقصير الاكمام وتشمير الازار والسراويل ولبس الخشن من الصوف والشعر والمرقعات وطول الصمت وكثرة التنسك وترك التفقه في الدين وتعلم احكام الشرائع وسنن الدين وترك تهذيب النفس واصلاح الخلق واشتغلوا بكثرة السجود والركوع بلا علم حتى ظهر أثر السجود على جباههم والثفنات على ركبهم وتركوا الاكل والشرب حتى جفت ادمغتهم ونحلت شفاههم وانحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم وانحنت ظهورهم وقلوبهم مملوءة بغضاً وحقداً وجفاء لمن ليس مثلهم وتوسمهم مملوءة وساوس وخصومة مع ربهم بضمائرهم لم خلق ابليس والشياطين والكفار والفراعنة والفساق والفجار والاشرار ولم رباهم ورزقهم ويمكنهم ويمهلهم ولا يهلكهم

ولماذا فعل هـذا وما شاكل هذه المحاولات والخرافات والوساوس التي قلوبهم مملوءة منها ونفوسهم شاكة متحيرة فهم عند الله اشرار وان كانوا عندكم أخيار فهؤلاء وان كانوا بالصورة الظاهرة انسان ففي الصورة المعنوية ليسوا كذلك فأي افتخار لكم بهم وانما هم عار لكم

وأما فقهاؤكم وعلماؤكم فهم الذين يتفقهون في الدين طلباً للدنيا وابتغاء للرياسة والولاية والقضاء والفتاوى بارائهم وقياساتهم فيحللون تارة ويحرمون تارة بتأويلاتهم ويتبعون ماتشابه ويتركون حقيقة ماأنزل الله من الآيات المحكمات فنبذوه وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ويتبعون ماتتلو الشياطين على قلوبهم من الخيالات .

كل هذا طلباً للدنيا وتكسبا للرياسة من غير ورع ولاتقوى من الله تعالى فأولئك هم وقود النار في الآخرة أو يتوبون الى الله وتستغفرونه فأي فخر لكم

وأما قضاتكم وعدولكم والمزكون لكم فأدهى وأظلم وأبطر وهم أشر سيرة من الفراعنة والجبابرة وذلك انك تجد الواحد منهم قبل الولاية قاعدا بالغدواة في مسجده حافظا لصلاته مقبلا على شأنه يمشي بين جيرانه على الارض هوناحتى اذا ولي الحكم والقضا تراه راكبا بغلة فارهة وحماراً مصريا بسرج ومركب وغاشية يحملها السودان وخفاقين تنجر في الارض قد ضمن القضاء من السلطان الجائر بشيء يؤديه اليه من اموال اليتامى ومال الوقوف وصالح عدو له بشيء من السحت والبراطيل فقبل منهم الرشوة ويرخص لهم في الجنايات وشهادات الزور وترك اداء الامانات والودائع فأولئك هم الذين وبخوا في التوراة والانجيل والفرقان ابالله تغترون وعليه تجرؤن

وأما خلفاؤكم الذين تزعمون انهم ورثة الانبياء عليهم السلام فكفى في وصفهم ماقال الله تعالى وقال رسول الله (ص) مامن نبوة الا ونسختها الجبروتية ويسمون باسم الخلافة ويسيرون بسيرة الجبابرة وينهون عن منكرات الامور ويرتكبون

هم منها كل محظور ويقتلون اولياء الله وأولاد الانبياء عليهم السلام ويسبونهم ويغصبونهم على حقوقهم ويشربون الخمر ويبادرون الى الفجور واتخذوا عباد الله خولا وايامهم دولا وأموالهم مغنما فبدلوا نعمة الله كفراً واستطالوا على الناس افتخاراً ونسوا امر المعاد وباعوا الدين بالدنيا والآخرة بالاولى فويل لهم مما كسبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون . وذلك انه اذا ولى أحد منهم ابتدأ اولا بالقبض على من تقدمت له حرمة لآبائه وأسلافه وازال نعمته وربما قتل اعمامه واخوانه وأبناء عمه وأقرباءه وربما كحلهم أو حبسهم وتفاهم أو تبرأ منهم كل ذلك يفعلون بسوء ظنهم وقلة يقينهم مخافة أن يفوتهم المقدور او رجأ أن ينالوا ماليس في المقدر كل ذلك حرصا على طلب الدنيا وشدة الرغبة فيها وشحا عليها وقلة الرغبة في الآخرة وقلة اليقين بجزاء الاعمال في المعاد وليست هذه الخصال من شيم الاحرار ولا فعل الكرام فافتخارك ايها الانسي على الحيوان بذكر ملوككم وامرائكم وسلاطينكم عليكم لا لكم وادعاؤكم علينا العبودية ولا تفسكم الربوبية صار باطلا وزوراً وبهتاناً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم انه هو الغفور الرحيم .

فصل

فلما فرغ الببغاء من كلامه قال الملك لمن حوله من حكماء الجن والانس أخبروني من الذي يحمل الى الارضة ذلك الطين الذي تبنى به على نفسها تلك الازاج والعقود شبه الرواق والدهاليز وهي دابة ليس لها رجلان تعدو بهما ولا جناحان تطير بهما

فقال الحكيم الخبير من العبرانيين نعم أيها الملك سمعنا ان الجن تحمل اليها ذلك الطين مكافأة لها على ماأسدت اليها من الاحسان في اليوم الذي أكلت منسأة سليمان بن داود عليه السلام فخر وعلمت الجن بموته فهربت ونجت من العذاب الأليم .

فقال الملك لمن حوله من علماء الجن ماذا تقولون فيما ذكر الانس

فقالوا لسنا نعرف هذا الفعل من الجن لأنه لو كانت الجن تحمل اليها التراب والطين والماء فهي بعد إذاً في العذاب المهين . لان سليمان لم يكن يسومها شيئاً غير حمل الماء والتراب في اتخاذ البنيان

فقال الحكيم اليوناني عندنا أيها الملك من ذلك علم هو غير ماذكر هذا العبراني . فقال الملك أخبرني ماهو . قال نعم اعلم أيها الملك ان هذه الدابة دابة ظريفة الخلقة عجيبة الطبيعة . من ذلك ان طبيعتها باردة جداً وبدنها متخلخل منتفخ المسام يتداخلها الهواء ويتجمد من شدة برد طبيعتها ويصير ماء ويرشح على ظاهر بدنها ويقع عليها غبار الهواء دائماً فيبتل ويجتمع شبه الوسخ فهي تجمع ذلك من بدنها وتبنى على نفسها تلك الازاج كناً لها من الآفات ولها مشفران حادان شبه المشراطين تقرض بهما الحب والخشب والثمر والنبات وتنقب الآجر والحجارة

فقال الملك للصرصر هذه الدابة من الهوام وأنت زعيمها فماذا ترى فيما قال اليوناني . فقال الصرصر صدق فيما قال ولكن لم يتمم ولم يفرغ من الوصف . فقال الملك تممه أنت فقال نعم :

ان الخالق تعالى لما قدر أجناس الخلائق وقسم بينها المواهب والعطايا عدل في ذلك بينها بحكمته ليتكافؤوا ويتساووا عدلا منه وإلهاماً وإنصافاً بها سبحانه وبحمده فمن الخلق ماقد وهب له جثة عظيمة وبنية قوية ونفساً ذليلة مهينة مثل الجمل والفيل ومنها ماقد وهب له نفساً قوية عزيزة عليمة حكيمة وبنية صغيرة ليتكافأ في المواهب والعطايا عدلا من الخالق الوهاب وحكمة

فقال الملك للصرصر زدني في البيان . قال نعم ألاترى أيها الملك الى الفيل مع كبر جثته وعظيم خلقته كيف هو ذليل النفس منقاد للصبي الراكب على كتفه يصرفه كيف شاء . ألم تر الى الجمل مع عظم جثته وطول رقبته كيف ينقاد لمن جذب خطامه ولو كانت فأرة أو خنفساء . ألم تر الى الجرادة في الحشرات الصغار

التي هي أصغر منها اذا ضربت الفيل بحمتها كيف تقتله وتهلكه وكذلك الارضة وان كانت لها جثة صغيرة وبنية ضعيفة فان لها نفساً قوية . وهكذا حكم سائر الحيوانات الصغار الجثة مثل دودة القز ودودة الدرة وزنابير النحل فان لهـا أنفسا علامة حكيمة وان كانت أجسادها صغاراً وبنيتها ضعيفة

قال الملك ماوجه الحكمة في ذلك . قال لان الخالق تعالى علم بأن البنية القوية والجثة العظيمة لاتصلح إلا للكد والعمل الشاق وحمل الاثقال ولو قرن بها أنفسا كبارا لما انقادت للكد والعمل الشاق ولأبت وأنفت ولجت وشمست وامتنعت فسبحان الخالق العالم بمصالح خلقه . وأما الجثث الصغار والانفس الكبار العلامة فانها لاتصلح إلا للحذق في الصنائع مثل أنفس النحل ودودة القز ودودة الدرة وأمثالها .

قال الملك زدني في البيان . قال نعم ان الحذق في الصناعة هو أن لايدري كيف عملها الصانع ومن أي شيء عملها وبأي شيء يعمل مثل صناعة النحل لانه لايدري كيف تبنى منازلها وبيوتها مسدسات من غير بركار ولامسطرة ولاأدوات أخر ولايدرى من أين تجمع العسل والشمع وكيف تعمله وكيف تميزه فلو كانت لها جثة كبيرة لبان ذلك وشوهد ورأى وأدرك وهكذا حكم دودة القز لوكانت لها جثة عظيمة لرأي كيف تمد ذلك الخيط الدقيق وتغزله وتفتله . وهكذا بناء الارضة لو كانت لها جثة عظيمة لرأى كيف تبل ذلك الطين وكيف تبنى . وأخبرك أيها الملك ان الخالق تعالى قد أرى الدلالة على قدرته للحكماء من بنى آدم المنكرة ايجاد العالم لامن هيولى موجودة،من صناعة النحل باتخاذها البيوت من الشمع وجمعها العسل من غير هيولى موجودة

قال الملك زعمت الانس بأنها تجمع من زهر النبات وورق الشجر . قال فلم لايجمعون هم منها شيئاً مع زعمهم بأن لهم العلم والقدرة والحكمة والفلسفة وان كانت تجمع ذلك من وجه الارض أو من الماء أو من وجه الهواء فلم لايرون منها شيئاً ولايدرون كيف تجمع ذلك وتحمله وتميزه وتبنى وتخزن . وهكذا أرى

الخالق قدرته لجبابرتهم الذين طغوا وبغوا لما كثرت نعم الله تعالى لديهم مثل نمرود الجبار قتله أصغر جثة من الحشرات وهكذا فرعون لما طغى وبغى على موسى أرسل عليه جنود الجراد وأصغر من الجراد القمل وقهره فلم يعتبر ولم ينزجر وهكذا لما جمع الله لسليمان عليه السلام الملك والنبوة وشيد ملكه وسخر له الجن والانس وقهر ملوك الارض وغلبهم شكت الجن والانس في أمره وظنت ان ذلك بحيلة منه وقوة وحول له مع انه قد نفى هو ذلك عن نفسه بقوله « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر » فلم ينفعهم قوله ولم يزل الشك من قلوبهم في أمره حتى بعث الله هذه الارضة فأكلت منسأته وخر على وجهه في محرابه فلم يجسر على ذلك أحد من الجن والانس هيبة منه واجلالا وبين الله قدرته ليكون عظة لملوكهم الجبابرة الذين يفتخرون بكبر أجسادهم وعظم جثتهم وشدة صولتهم ومع هذه كلها لا يتعظون ولا ينتبهون ولا يزجرون بل يلحون ويتمردون ويفتخرون علينا بملوكهم الذين هم صرعى بأيدي صغارنا والضعفاء من أبناء جنسنا

واما دودة الدرة فهي اصغر حيوان البحر بنية وأضعفها قوة والطفها جثة واكبرها نفساً واكثرها علماً ومعرفة وذلك انها تكون في قعر البحر مقبلة على شأنها في طلب قوتها حتى اذا حان وقت من الزمان صعدت من قعر البحار الى سطح الماء في يوم المطر فتفتح أذنين لها شبه شفتين فيقطر فيهما من ماء المطر حبات فاذا علمت بذلك ضمت تلك الشفتين ضما شديداً اشفاقاً أن يرشح فيها من ماء البحر المالح ثم تنزل برفق الى قعر البحار كما كانت بدءاً وتمكث هناك منضمة على الصدفتين الى ان ينضج ذلك الماء فينعقد منه الدر فاي علماء الانس يعمل مثل هذا خبروني ان كنتم صادقين

وقد جعل الله تعالى في جبلة نفوس الانس محبة لبس الحرير والديباج والابريسم وما يتخذ منها من اللباس الحسن الذي هو كله من لعاب هذه الدودة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفة النفس وجعل في ذوقهم الذ ما يأكلون العسل الذي

هو بصاق أضعف الحيوانات الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفة النفس الحاذقة في الصنعة وأحسن مايوقدون في مجالسهم الشمع الذي هو فضلة من فضالة النحل وجعل ايضاً أفخر مايتزينون به الدر الذي يخرج من جوف هذه الدودة الصغيرة الجثة الشريفة النفس ليكون دلالة على حكمة الصانع الخالق الحكيم ليزدادوا به معرفة ولنعمائه شكراً وفي مصنوعاته فكرة واعتباراً . ثم هم مع هذه كلها معرضون غافلون ساهون لاهون طاغون باغون وفي طغيانهم يترددون لانعامه كافرون ولا لآلائه جاحدون ولصنعته منكرون وعلى ضعفاء الخلق مفتخرون متعدون جائرون ظالمون

فلما فرغ الصرصر وهو زعيم الهوام من كلامه قال الملك بارك الله فيك من حكيم ما أبلغك ومن متقن ما أحكمك ومن خطيب ما أفصحك ومن موحد ما اعرفك بربك ومن ذاكر شاكر لانعامه ما أفضلك

فصل

ثم قال الملك للانسي قد سمعتم ما قال وفهمتم ما اجاب فهل عندكم شيء آخر قالوا نعم خصال ومناقب تدل على انهم عبيدنا ونحن أرباب قال وما هي اذكرها قال وحدانية صورتنا وكثرة صورها واختلاف أشكالها فان الرياسة والربوبية بالوحدة أشبه والعبودية بالكثرة اشبه فقال الملك للجماعة ماذا ترون فيما قال وذكر فامارقت الجماعة ساعة مفكرة فيما قال

ثم تكلم زعيم الطيور وهو الهزار داستان قال صدق ايها الملك فيما قال ولكن نحن وان كانت صورنا مختلفة كثيرة فنفوسنا واحدة وهؤلاء الانس وان كانت صورتهم واحدة فان نفوسهم كثيرة مختلفة قال الملك وما الدليل على ان نفوسهم كثيرة مختلفة قال كثرة آرائهم واختلاف مذاهبهم وفنون دياناتهم وذلك انك تجد فيهم اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين ومن عبدة الاصنام والنيران والشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها وتجد أيضاً أهل الدين

الواحد مختلفي المذاهب والآراء مثل سامري وغيابي وحالوتي ونسطوري ويعقوبي وملكاني وشنوي ومانوي وخرمي ومزدكي ويصاني وبهرمي وشمسي وخارجي ورافضي وناصبي وقدري وجهمي ومعتزلي وسني وجبري وماشا كل هذه المذاهب التي يكفر أهلها بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً ونحن من هذه كلها برآء مذهبنا واحد واعتقادنا واحد وكلنا موحدون مؤمنون مسلمون غير مشركين ولامنافقين ولافاسقين ولامرتابين ولاشاكين ولامتحيرين ولا ضالين ولامضلين نعرف ربنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا فنسبحه ونهلله ونقدسه ونكبرة بكرة وعشياً ولكن هؤلاء الاناس لايفقهون تسبيحهم

فقال الانسي الفارسي نحن أيضاً كذلك ان ربنا واحد وإلهنا وخالقنا ورازقنا واحد ومحيينا ومميتنا واحد لاشريك له فقال الملك فلم تختلفون في الآراء والمذاهب والديانات والرب واحد قال لان الديانات والآراء والمذاهب انما هي طرق ومسالك ومحاريب ووسائل والمقصود واحد من أي الجهات توجهنا فثم وجه الله قال فلم يقتل بعضكم بعضاً إذ كانت الديانات كلها قصدها واحد وهو التوجه الى الله.

فقال المستبصر الفارسي نعم أيها الملك ليس ذلك من جهة الدين لان الدين لا اكراه فيه ولكن من جهة سنة الدين الذي هو الملك. قال وكيف ذلك بينه لي. قال ان الدين والملك اخوان توأمان لايفترقان ولاقوام لأحدهما الا بأخيه غير ان الدين هو الأخ المقدم والملك هو الأخ المؤخر المعقب له فلابد للملك من دين يدين به الناس ولابد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعاً أو كرهاً. فلهذه العلة يقتل أهل الديانات بعضهم بعضاً طلباً للملك والرياسة كل واحد يريد انقياد الناس أجمع لسنة دينه وأحكام شريعته وأنا أخبر الملك وفقه الله لفهم الحقائق وأذكره بشيء يقين لاشك فيه

قال الملك وما هو ؟. قال ان قتل الانفس سنة في جميع الديانات والملل والدول كلها غير أن قتل النفس في سنة الدين وهو أن يقتل طالب الدين نفسه.

وفي سنة الملك أن يقتل طالب الملك غيره

فقال الملك أما قتل الملوك غيرها في طلب الملك فبين ظاهر . وأما قتل طالب الدين نفسه في سائر الديانات فكيف هو ؟

قال نعم ألا ترى أيها الملك أن ذلك سنة دين الاسلام كيف هو بين ظاهر وذلك قول الله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون »

ثم قال « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به » . وقال « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » . وقال « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً » وقال في سنة التوراة « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم » وقال المسيح عليه السلام في الانجيل من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

فقال استعدوا للقتل والصلب ان كنتم تريدون أن تنصروني وتكونوا معي في ملكوت السماوات عند أبي وأبيكم والا فلستم في شيء مني فقبلوا وقتلوا ولم يرتدوا عن دين المسيح

وهكذا يفعل البراهمة من أهل الهند يقتلون أنفسهم ويحرقون أجسادهم طلباً للدين ويرون ويعتقدون بأن أقرب قربان الى الله تعالى أن يقتل التائب جسده ويحرق بدنه ليكفر عن ذنوبه يقيناً منه بالمعاد

وهكذا يفعل المانية والمثنوية تمنع أنفسها من الشهوات وتحمل عليها كد العبادات حتى تقتلها وتخلصها من دار البلاء والهوان

وعلى هذا القياس يوجد حكم سنن أهل الديانات في جعل قتل النفوس من فنون العبادات وأحكام الشرائع كلها وضعت لطلب النفوس وطلب النجاة من نار جهنم والفوز بالوصول الى نعيم الآخرة دار المعاد والقرار وأخبر الملك وأذكره أن في أهل الديانات والمذاهب اخياراً وأشراراً ولكن أشر الاشرار من لا يؤمن بيوم الحساب ولا يرجو ثواب الاحسان ولا يخاف مكافأة

السيئات ولا يقر بوحدانية الصانع البارى الحكيم الخالق الرازق المحيى المميت المعيد الذى يرجع اليه المرجع واليه المصير

فصل

ثم قال زعيم الهند نحن بنو آدم أكثر من الحيوانات عدداً وأمماً وأجناساً وأنواعا وأشخاصا وأعرف بفنون تصاريف أحوال الزمان وما آربه وعجائبه

قال الملك وما يدريك ؟ قال لأن الربع المسكون من الارض يحوي على نحو سبعة عشر ألف مدينة مختلفة الامم الكثيرة العدد التى لا تعد ولا تحصى فمن تلك الامم التى لا تعد ولا تحصى أهل الهند وأهل الصين وأهل السند وأهل الزنج وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل الحبشة وأهل نجد وأهل بلاد النوبة وأهل مصر واهل بلاد الصعيد وبلاد الاسكندرية وأهل برقة وأهل قيروان ، وأهل البربر وأهل البوادي وأهل طنجه واهل بلاد الخالدات واهل بلاد مردمانه ، واهل كيوان واهل بلاد كله واهل بلاد الاندلس وبلاد الرومية وبلاد قسطنطينية وبلاد دجلة وبلاد مقدونية وبلاد برجان وبلاد الصقالبة وبلاد الرومية وبلاد املاج وبلاد الابواب وبلاد اذربيجان وبلاد ارمينية وبلاد اهل الاسلام وبلاد اهل الشام وبلاد اهل يونان وبلاد الديارات وبلاد العراق وبلاد خراسان وبلاد خوزستان وبلاد الجبال وبلاد جيلان وديلمان وطبرستان وبلاد جرجان وبلاد نيسابور واهل كرمان وبلاد فارس وبلاد مكران وبلاد كابلستان ومولتان وبلاد سجستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد غور واستادان وباميان وصخارستان وكيلان وبلاد خوارزم وبلاد يأجوج ومأجوج وفرغانه وبلاد صغانيات وبلاد كيماك وبلاد خاقان وسيستان وبلاد جوجير وبلاد تبت واهل بلاد جاج وماجين واهل بلاد الجزائر والسوادات والجبال والفلوات والسواحل هذه سوى القرى والاعراب والأكراد واهل البراري والبوادي والجزائر والغياض والآجام . واهل هذه البلاد كلها امم من الانس من بنى آدم مختلفة ألوانهم وألسنتهم وأخلاقهم

وطباعهم وآرائهم ومذاهبهم وصنائعهم وسيرتهم في دياناتهم لا يحصى عددها الا الله تعالى الذي خلقهم وأنبأهم ورزقهم ويعلم سرهم ونجواهم ويعلم مستقرهم ومستودعهم كل كتاب في مبين فكثرة عددهم واختلاف أحوالهم وفنون تصاريف أمورهم وعجائب ما ربهم يدل على أنهم أفضل من غيرهم وأكرم من سواهم من أجناس الخلائق التي في الارض من الحيوانات جميعاً وأنهم أرباب والحيوانات عبيد لهم وخول ومماليك ولنا فضائل جمة أخر ومناقب شتى يطول شرحها أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فصل

فلما فرغ الانسي من كلامه نطق عند ذلك الضفدع وقال: الحمد لله الكبير المتعال العلي الجبار العزيز الغفار الرحيم القهار خالق الأنهار الجارية والبحار الزاخرة المرة المالحة البعيدة القرار الواسعة الاقطار ذوات الامواج والهيجان معدن الدر والمرجان وهو الذي خاق في أعماق قرارها الظلمة وأمواجها المتلاطمة أصناف الخلائق ذوات الفنون والطوائف فمنها ذوات الجثة العظام والهيا كل الجسام قد ألبس بعضها الجلود الثخان والفلوس المنضدة الصلاب والاصداف المجعدة ومنها كثيرة الارجل الدبابة

ومنها ذوات الاجنحة الطيارة ، ومنها ذوات البطون الخميصة المناسبة ، ومنها ذوات الرؤوس الكبار والأفواه المفتحة والعيون البراقة والاشداق الواسعة والاسنان القاطعة والمخالب الحداد والاجواف الرحبة والجلود المرصعة والأذناب الطويلة والحركات الخفيفة والسباحة السريعة

ومنها صغار الجثة ملس القدود بلا آلة ولا أدوات . ومنها قليلة الحركات والحس . كل ذلك لأسباب وعلل لا يعلم ولا يعرف كنه معرفتها الا الله الذي خلقها وصورها وينشئها ويرزقها ويتممها ويكملها ويبلغها الى أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين لا لمخافة غلط ولا

احتراز من النسيان لكن لوضوح وبيان

ثم قال الضفدع ذكر هذا الانسى أيها الملك العادل أصناف بنى آدم وعدد طبقاتهم ومراتبهم وافتخر بها على الحيوانات فلو أنه رأى أجناس الحيوانات من حيوان الماء وشاهد صور أنواعها وعجائب أشكال أشخاصها وطوائف فنون هيا كلها لعاين عجائب ولصغر في عينه ما ذكر من كثرة أصناف بنى آدم والامم الكثيرة التى ذكر أنها في المدن والقرى والبراري والبلدان وذلك ان في الربع المسكون نحو من أربعة عشر بحراً كباراً منها بحر الروم وبحر جرجان وبحر جيلان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر هند وبحر سند وبحر الصين وبحر يأجوج ومأجوج وبحر الاخضر وبحر الغربي وبحر الشمال ، وبحر الجنوب ، وبحر الشرقي وبحر الحبشة . وفي هذا الربع المسكون نحو من خمسمائة بحر صغار ونحو من مائتى نهر طوال مثل جيحون ودجلة وفرات ونيل مصر ونهر الكر والرس باذربيجان وهار مندوسدسكتان وماشا كل هذه الانهار طول كل واحد من مائة فرسخ الى ألف فرسخ

وأما الآجام والبطائح والغدران والانهار الصغار والسواقي ما لا يعد ولا يحصى . وفي كل هذه من اجناس السموك والسراطانات والكرازنك والسلاحف والكواسج والتماسيح والدلافين وأنواع أخر لا تعد ولا تحصى ولا يعلمها الا الله وقد قيل أنها تسع مائة صورة جنسية سواء أنواعها وأشخاصها وان في البر نحو خمسمائة صورة جنسية ونوعية من أجناس الوحوش والسباع والبهائم والانعام والحشرات والهوام والطيور والجوارح وغيرها من الطيور الانسية . وكل هذه الخلائق عبيد الله تعالى مماليك له خلقهم بقدرته وصورهم برحمته وأنشأهم وربّاهم ورزقهم وحفظهم ورعاهم لا تخفى عليه خافية من أمرهم يعلم مستقرهم ومستودعهم ثم قال الضفدع فلو تأملت واعتبرت فيما كان ذلك أيها الانسى لعلمت وتبين لك بأن افتخارك بكثرة بنى آدم وعدد أصنافهم وطبقاتهم لا يدل على أنهم أرباب وغيرهم عبيد لهم بتة

فلما فرغ الضفدع من كلامه قال حكيم من الجن ذهب عليكم يامعشر الانس

من بنى آدم ويا معشر الحيوانات الأرضية وذوي الأجسام الثقيلة والجثة العظيمة الغليظة والأجرام ذوي الابعاد الثلاثة من ساكنى البحر والبر والجو وخفت عنكم معرفة كثرة الخلائق الروحانية والصور النورانية والأرواح الخفية والأشباح اللطيفة والنفوس البسيطة والصور المفارقة التى مسكنها في فسحة أطباق السموات وسريانها في فضاء سعة عالم الافلاك من أصناف الملائكة الروحانيين الكروبين وحملة العرش أجمعين وما في سعة كرة الاثنين من الارواح النارية وما في سعة كثرة الزمهرير من قبائل الجن واخوان الشياطين وجنود ابليس أجمعين فلو انكم يامعشر الانس ويامعشر الحيوانات عرفتم كثرة أجناس هذه الخلائق التى ليست بأجسام ذوات أركان ولا أجرام ذوات أبعاد وعلمتم كثرة أنواعها وكثرة صورها وعدد أشخاصها وأشخاص أشكالها لصغرت في أعينكم كثرة أجناس الحيوانات اجمع من الجسمانية والأنواع الجرمانية والاشخاص الجزوية . وذلك لأن مساحة كرة الزمهرير تزيد على مساحة سعة البر والبحر أكثر من عشرة أضعاف .

وهكذا سعة كرة الاثير تزيد على سعة كرة الزمهرير أكثر من عشرة أضعاف

وهكذا سعة كرة فلك القمر تزيد على سعة كرة الجميع أضعافا

وهكذا نسبة فلك عطارد الى فلك القمر . وعلى هذا المثال حكم سائر الأفلاك السبعة المحيطات بعضها ببعض الى أعلى فلك المحيط وكلها ممتلىء فضاؤها وفسحات سعتها من الخلائق الروحانية حتى انه ليس فيها موضع شبر الا وهناك جنس من الخلائق كما أخبر النبى عليه السلام فانه سئل عن قول الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عليه السلام ما في السماوت السبع موضع شبر الا وهناك ملك مقرب قائم أو راكع أو ساجد لله تعالى

ثم قال الحكيم لو تفكرتم واعتبرتم يا معشر الحيوان والانس فيما ذكرت لعلمتم أنكم أقل الخلائق عدداً وأدونهم مرتبة ومنزلة

فالافتخار بالكثرة ايها الانسى لايدل على انكم ارباب وغيركم عبيد لكم

بل كلنا عبيد الله وجنوده ورعيته مسخر بعضنا لبعض كما اقتضت حكمته واوجبت ربوبيته فله الحمد على ذلك وعلى سابغ نعمته حمداً كثيراً

فلما فرغ حكيم الجن من كلامه . قال الملك سمعنا يامعشر الانس ما ذكرتم وما افتخرتم به ، وقد سمعتم منا الجواب فهل عندكم بيان آخر غير ما ذكرتموه فأوردوه وبينوه لنسمع ان كنتم صادقين

﴿ فصل ﴾

فقام عند ذلك الخطيب الحجازي المكي المدني وقال نعم أيها الملك لنا فضائل اخرى ومناقب حسان تدل على اننا ارباب وهذه الحيوانات عبيد لنا ونحن ملاكها وموإليها.

قال الملك ماهي قال مواعيد ربنا لنا بالبعث والنشور والخروج من القبور وحساب يوم الدين والجواز على الصراط ودخول الجنان من بين سائر الحيوانات وهي جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة عدن وجنة الخلد وجنة المأوى ودار السلام ودار المقام ودار المتقين وشجرة طوبى وعين السلسبيل وانهار من خمرة لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وانهار من لبن وماء غير اسن وبالدرجات في القصور وتزويج الحور ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام والتنعم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن في نحو من سبعمائة آية .

كل ذلك بمعزل عن هذه الحيوانات فهذا دليل على انا ارباب وهي عبيد لنا ولنا مناقب اخر غير ماذكرنا أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فقام عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزار داستان فقال نعم لعمري ان الامر كما قلت أيها الانسي ولكن اذكر أيضاً ماوعدتم به معشر الانس من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وأحوال يوم القيامة وشدة الحساب والوعيد بدخول النيران وعذاب جهنم والجحيم والسعير ولظى وسقر والحطمة والهاوية وسرابيل من قطران وشرب الصديد وأكل شجرة الزقوم ومجاورة مالك الغضبان وجوار

الشياطين مع جنود ابليس اجمعين .

وماهو مذكور في القرآن بجنب كل آية من الوعد آية من الوعيد كل ذلك لكم دوننا ونحن بمعزل عن جميع ذلك وكما لم نوعد بالثواب لم نوعد بالعقاب وقد رضينا بحكم ربنا لا لنا ولا علينا كما رفع عنا حسن الوعد صرف عنا خوف الوعيد فتكافأت الادلة بيننا وبينكم وتساوت الاقدار فما لكم والافتخار .

قال الحجازي وكيف تساوت الاقدار بيننا وبينكم فانا على أي حالة كانت باقون أبد الابدين ودهر الداهرين ان كنا مطيعين فمع الانبياء والاولياء والأئمة والأوصياء والحكماء والاخيار والفضلاء والابدال والزهاد والصالحين والعباد العارفين المستبصرين وأولي الالباب وأولي الابصار وأولي النهى والمصطفين الاخيار والذين هم بملائكة الله الكرام يتشبهون والى الخيرات يتسابقون والى لقاء ربهم يشتاقون وفي جميع اوقاتهم عليه مقبلون ومنه يسمعون واليه ينظرون وفي عظمته وجلالته يتفكرون وفي جميع الامور عليه يتوكلون واياه يسألون ومنه يطلبون واياه يرجون ومن خشيته مشفقون.

ولو كنا مردودين اذن تتخلص بشفاعة نبينا محمد عليه السلام ونكون باقين في الجنة مع الحور والغلمان والروح والريحان ولقاء الرحمن ونداء الذين أحسنوا الحسنى وزيادة في حقنا قال تعالى « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »

وأنتم يامعشر الحيوانات بمعزل عن جميع ذلك لانكم بعد المفارقة تفسدون وتبلون وتفنون ولاتبقون فهذا دليل على اننا ارباب وأنتم عبيد وخول لنا

فقالت حينئذ زعماء الحيوانات وحكماء الجن باجمعهم الآن جئتم بالحق ونطقتم بالصواب وقلتم الصدق لان بامثال ماذكرتم يفتخر به المفتخرون ومثل اعمالهم فليعمل العاملون

وفي مثل سيرهم وأخلاقهم وآدابهم وآرائهم وعلومهم فليرغب الراغبون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

ولكن خبرونا يامعشر الانس عن أوصافهم و بينوا لناسيرهم وعرفونا طريق معارفهم ومحاسن اخلاقهم وصالح أعمالهم ان كنتم صادقين ثم اذكروها ان كنتم بها عارفين

فسكتت الجماعة حينئذ يتفكرون فلم يكن عند أحد منهم جواب فقال واحد منهم ان الجنة أعدت للمتقين .

فقام عند ذلك العالم الخبير الفاضل الذكي المستبصر الفارسي النسبة العربي الدين الحنفي المذهب العراقي الاداب العبراني المخبر المسيحي المنهج الشامي النسك اليوناني العلوم الهندي البصيرة الصوفي السير الملكي الاخلاق الرباني الرأي الالهي المعارف الصمداني فقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلوات الله على خاتم الانبياء وخلاصة الاصفياء محمد وآله اجمعين .

ثم قال أيها الملك العادل وأنتم معشر الجماعة الحضور اعلموا أن لهؤلاء الذين هم أولياء الله وصفوته من خلقه وخيرته من عباده وبريته أوصافا حميدة وأعمالا زكية وعلوما مفننة وصفاتا جميلة وأعمالا زكية ومعارف ربانية واخلاقا ملكية وسيرة عادلة قدسية واحوالا عجيبة قدكات الالسن عن ذكرها وقصرت أوصاف الواصفين عن كنه صفاتها واكثر الذاكرون في وصفهم لهم واطال الواعظون الخطب في مجالس الذكر عن بيان طريقتها ومحاسن اخلاقها طول الازمان والدهور ولم يبلغوا كنه معرفتها فكيف يأمر الملك العادل في حق هؤلاء الغرباء وما جوابهم.

فامر الملك أن تكون الحيوانات باجمعهم تحت أوامرهم ونواهيهم ويكونون مأمورين للانس حتى يستأنف الدور

ثم بعد ذلك حكم حكما آخر ثم بعد ذلك قام واحد من خدماء الملك ونادى مناد الا قد سمعتم معشر الحيوانات بيان هؤلاء الانس وقبلتم مقالاتهم ورضيتم

بذلك فانصرفوا آمنين في حفظ الله وأمانه

***

ثم اعلم أيها الاخ انا قد بينا في هذه الرسالة ماهو الغرض المطلوب ولا تظن بنا ظن السوء ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ومخارفة الاخوان إذ عادتنا جارية على أن نكسوا الحقائق الفاظاً وعبارات واشارات كيلا يخرج بنا عما نحن فيه وفقكم الله لقرائتها واستماعها وفهم معانيها وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونور بصائركم بمعرفة اسرارها ويسر لكم العمل بها كما فعل بأوليائه وأصفيائه وأهل طاعته انه على مايشاء قدير وبمنه وجوده ولطفه وكرمه وفضله ورحمته تمت رسالة الحيوانات بعون خالق المخلوقات وبمحمد وآله الائمة الهداة عليهم من الله أفضل السلام والصلاة ويتلوها رسالة تركيب الجسد .

الرسالة التاسعة

من الجسمانيات الطبيعيات

في تركيب الجسد

﴿ وهي الرسالة الثالثة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ أيدك الله وإيانا بروح منه إنا قد فرغنا من ذكر رسالة الحيوانات وبيان عجائب هيا كلها وغرائب أحوالها والغرض منها هو البيان عن أجناس الحيوانات وكمية أنواعها واختلاف صورها وطبائعها وكان لنا أيضاً غرض آخر من ذلك انا أردنا أن نبين حقائقها بتلك الاشارات والعبارات فلا يخفى على الحكماء غرضنا في ذلك حسب مابينا في الفصل المعين عند ذكرنا الملك والملائكة وحان لنا أن نذكر في هذه الرسالة تركيب جسد الانسان اذ آخر مرتبة الحيوانية متصل بأول مرتبة الانسانية وغرضنا من هذه الرسالة أن نبين كون الانسان هو عالم صغير فنقول :

اعلم وفقك الله ان الانسان اذا ادعى معرفة الاشياء وهو لايعرف نفسه فمثله كمثل من يطعم الناس وهو جائع وكمثل من يداوي غيره وهو مريض سقيم عليل أو كمن يكسو الناس وهو عريان وعورته للناس بادية ما ان يواريها أو كمثل

من يهدي الناس الى الطريق وهو ضال لا يعرف طريق بيته وقد علمتم ان في هذه الاشياء ينبغي للانسان أن يبتدىء أولا بنفسه ثم بغيره

واعلموا ان اسم الانسان انما هو واقع على هذا الجسد الذي هو كالبيت المبنى وعلى هذه النفس التى تسكن هذا الجسد وهما جميعاً جزآن له وهو جملتهما والمجموع منهما ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس أشرف وهو كاللب او الجزء الآخر الذى هو الجسد كالقشر والانسان هو الذي جملتهما والمجموع منهما ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس كالشجرة والآخر كالثمر ومن وجه آخر أحدهما كالراكب وهي النفس والآخر كالمركوب وهو الجسد والانسان هو جملتهما كالفارس . فمن أجل هذا يحتاج كل انسان أن يعرف نفسه بالحقيقة ويحتاج فى معرفة ذلك الى أن ينظر فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها النظر في حالات الجسد ماهو وكيف هو من تركيب أجزائه وتأليف أعضائه وماالصفات المخصوصة به خلواً من النفس

والجهة الثانية النظر في أمر النفس مجردة من الجسد وقواها وماهي وكيف هي وماالصفات المخصوصة بها

والجهة الثالثة النظر في مجموعهما ومايظهر من جملتهما من الاخلاق والافعال والحركات والصنائع والاعمال والاصوات وماشاكل ذلك. وتبتدئ أولا بذكر حالات الجسد وصفاته بكلام مختصر كيما يكون دليلا على أمر النفس وحالاتها لان حالات الجسد ظاهرة مكشوفة متخيلة مدركة بالحواس وأما أمر النفس وحالاتها فغائب عن ادراك الحواس وباطن في عمق الجسد مستور خفي وانما يدرك بالعقل

فاعلموا أيها الاخوان ان الشاهد من حالات الجسد يدل على الغائب من حالات النفس والظاهر يدل على الباطن والمكشوف على المستور والجلى على الخفي والمحسوس على المعقول وقد قلنا فى الرسالة الاولى ان الجسد مؤلف من

اللحم والدم والعظام والعروق والعصب والجلد وماشا كلها وهذه كلها أجسام أرضية ميتة مظلمة ثقيلة متجزئة متغيرة فاسدة وأما النفس فان جواهرها سماوية روحانية ناطقة نورانية غير ثقيلة ولامتجزئة وغيرفاسدة بل متحركة باقية علامة دراكة لصور الاشياء وحقائقها

فصل

(في كيفية تركيب الجسد وكيفية أخلاط البدن ومزاج الطبائع)

فنقول : اعلم وفقك الله ان الباري تعالى لما خلق الجسد وسواه ونفخ فيه من روحه وأحياه ثم أسكن فيه النفس وأولاه وكان مثل أساس بنية الجسد وتركيب أجزائه وتأليف أعضائه كمثل أساس بناء مدينة بنيت من أشياء مختلفة كالحجارة والطين والآجر والنورة والرمال والخشب والاجذاع والحديد وماشا كلها فأحكم بنيتها وشيد بنيانها وحصن سورها وخططت شوارعها وقسمت محالها وزينت مجالسها ورتبت منازلها وملئت خزائنها وأسكنت دورها وسلكت طرقاتها وأجريت أنهارها وفتحت أسواقها واستعمل صناعها وأقعد فيها تجارها ودبرها ملكها وخدمة أهلها

وذلك ان الله تعالى لما أراد تركيب الجسد ابتداء أولا فاخترع أربع طبائع منفردات متعاديات القوى بسلطانها بعضها على بعض ، ثم الف بين كل اثنين منها وأربعة أركان مزدوجات مؤتلفات الطبائع متناسبات القوى من أركانها ثم أسس بنية هذا الجسد من هذه الاربعة الاركان التي هي أساس لبنيانها ثم ابتدأ بنيانها من أربعة أخلاط متعاديات طباعها متناسبات قواها التي هي مجموعات من أصل أركانها .

ثم جمع هذه الاربعة الاخلاط فخلق منها تسعة جواهر مختلفة أشكالها هي ملاك بنيانها ثم الفها وركب بعضها فوق بعض عشر طبقات متصلات بهندامها ثم أسندها وأقامها بمائتين وثمانية وأربعين عموداً مستويات القد أقرانا ، ثم سمرها

ومد حبالها وشد أوصالها بسبعمائة وخمسين رباطا ممدودات محتويات ملتفات عليها كالحبال وفصلها حذراً من نقضها وتقصانها ، ثم قدر بيوتها وقسم خزائنها وأودع احدى عشر خزانة معمورة مملوءة من الجواهر مختلفة انواعها وألوانها وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح ابوابها وجعل لها ثلثمائة وستين مسلكا لسكانها واستخرج منها عيوناً وشق فيها أنهاراً هي ثلثمائة وتسعين جدولا مختلفات في الجهات لجريانها وفتح على سورها اثني عشر روزناً مزدوجات المسالك لجريانها

واحكم بناء هذه المدينة على أيدي سبعة صناع متعاونين ثم خدامها ووكل بحفظها خمس حراس حراساً على حفظ اركانها

ثم رفع هذه المدينة في الهواء على رأس عامودين وحركها على ست جهات بجناحين ، ثم اسكن فيها ثلاث قبائل من الانس والجن والملائكة وجعلهم سكانها ثم رأس عليهم ملكا واحداً وعلمه اسماء من فيها وأمره بحفظها وأوصاه بسياستهم فقال « انبئهم باسمائهم » وامرهم بطاعته له « فقال تعالى اسجدوا لآدم فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى واستكبر

فأما تفصيل تلك الطبائع المفردات الاربع . الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. والاركان الاربعة المزدوجات الطباع المتناسبات القوى هي النار والهواء والماء والارض. والاخلاط الاربعة المتعاديات الطباع هي الصفراء والدم والبلغم والسوداء . والجواهر التسعة هي العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر

والطبقات العشرة هي الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقو والوركان والفخذان والساقان والقدمان .

وأما الاعمدة فهي العظام والرباطات هي الاعصاب

وأما الخزائن الاحدى عشرة فهي الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والامعاء والكليتان والانثيان والشوارع والطرقات هي العروق الضوارب والانهار هي الاوردة

وأما الابواب الاثنى عشر فهي العينان والاذنان والمنخران والسبيلان والثديان والفم والسرة .

وأما الصناع السبعة فهي القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمصورة .

وأما الحواس الخمس فهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس

وأما العمودان فهما الرجلان ، وأما الجناحان فهما اليدان

وأما الجهات الست فهي قدام وخلف ويمنة ويسرة وفوق وتحت .

وأما القبائل الثلاث فهي النفس الثلاثة وقواهن وأفعالهن فالنفس الشهوانية واخلاقها وأفعالها فهي كالجن والنفوس الحيوانية وأخلاقها وحواسها كالانس والنفس الناطقة وتمييزها ومعارفها هي كالملائكة والرئيس الواحد هو العقل

فصل

في ان الجسد كالدار وان النفس كالساكن في الدار

اعلم ان النظر في ماهية النفس مجردة من الجسد والتصور بذاتها خلو منه عسر جدا على المرتاضين بالرياضات الحكمية فكيف على غيرهم ولكنه اذا نظر الى ما يظهر من افعالها من الجسد واعتبر تصرف احوالها مع الجسد يسهل عليه ذلك ويقرب من فهم المتعلمين والتصور في افكار المتفكرين وجودها وتبين شرف جوهرها . ونريد ان نبين من ذلك طرفا ونضرب امثالا كيما يكون اوضح للبيان واقرب من فهم المبتدئين وأبلغ للتصور في افكار المفكرين

فنقول اعلم ان هذا الجسد لهذه النفس هو بمنزلة دار لساكنها بنيت واحكم بناؤها وقسمت بيوتها وملئت خزائنها وسقفت سطوحها وفتحت ابوابها وعلقت ستورها واعد فيها كلما يحتاج اليه صاحب المنزل في منزله من الفرش والاواني والاثاث والمتاع على أتم ما يكون وأحكمه وأتقنه فرجلاه وقيام الجسد عليهما كأساس الدار ورأسه في أعلا بدنه كالغرفة في أعلا الدار وظهره من خلفه كظهر الدار

ووجهه أمامه كصدر الدار ورقبته وطولها كرواق الدار وفتح حلقومه وجريان الصوت فيه كدهليز الدار وصدره في وسط بدنه كصحن الدار والأوعية التي في صدره كالبيوت والخزائن في الدار ورئته وبردها كالبيت الصيفي والخيشوم وجريان النفس في الحلقوم كالبادهج وقلبه مع الحرارة الغريزية كالبيت الشتوي ومعدته ونضج الغذاء فيها كالمطبخ وكبده وحصول الدم فيه كبيت الشراب ومجاري عروقه وجريان الدم والنبض الى سائر أطراف البدن كمسالك الدار وطحاله وحصول عكر على الدم فيه كخزانة الاثاث ومرارته وحدة الصفراء فيها كبيت السلاح وجوفه والحجب التى فيه كبيت الحرم وأمعاؤه وثقل الطعام فيها كبيت الخلاء ومثانته وحصول البول فيها كبيت البول وسبيلاه فى أسفل البدن كمجاري الدار وعظامه وقوام الجسد عليها كالحيطان فى الدار والعصب الممدودة على المفاصل كالاجذاع والعوارض على الحيطان . ولحمه فى خلل العظام والعصب كالملاط وأضلاعه كالأساطين فى الدار والتجويفات التى فى جوف العظام كالصناديق والأدراج والمخ فيها كالجواهر والمتاع فى الأدراج والثقب التى في رؤوسها كرواشن فى غرف الدار وتنفسه كالدخان ووسط دماغه كالايوان وحدقتاه كبيت العرض والغشاوات التى بينهما كالستور وفمه كباب الدار وأنفه كطابق باب الدار وشفتاه كمصراعي الباب وأسنانه كالدرابزين ولسانه كالحاجب وعقله فى وسط دماغه كالملك القاعد فى وسط العرصة وصدر الدار والمجلس وحواسه الباطنة كالندماء وحواسه الظاهرة كالجند والجواسيس وعيناه كالديدبان وأذناه كأصحاب الاخبار ويداه كالخدام وأصابعه كالصناع وبالجملة ما من عضو في الجسد الا وله مثال من فعل رب المنزل

ثم أن هذا الجسد لهذه النفس من جهة أخرى بمنزلة دكان الصانع وأن جميع أعضاء الجسد للنفس بمنزلة اداة الصانع في دكانه وان النفس بكل عضو من أعضاء الجسد تظهر ضروباً من الأفعال وفنوناً من الأعمال كما أن الصانع بكل اداة يعمل ضروباً من الأعمال وفنوناً من الحركات كالنجار فانه ينحت بالفأس وينشر

بالمنشار وينقب بالمنقب ويبرد بالمبرد وينقر بالمنقار

وهكذا الحداد فانه ينفخ بالمنفاخ ويأخذ بالكلبتين ويطرق بالمطرقة

وعلى هذا القياس سائر الصناع كل واحد منهم يعمل بأدوات مختلفة أعمالا مختلفة وحركات متباينة

فهكذا حال النفس تبصر بالعينين وتسمع بالاذنين وتشم بالمنخرين وتذوق باللسان وتتكلم بالشفتين واللسان وتمس باليدين وتعمل الصنائع بالاصابع وتمشي بالرجلين وتبرك على الركبتين وتقعد على الاليتين وتنام على الجنبين وتستند بالظهر وتحمل الأثقال على الكتفين وتتفكر بوسط الدماغ الأشياء وتتخيل بمقدم الدماغ المحسوسات وتحفظ بمؤخر الدماغ المعلومات وتصوت بالحلقوم وتستنشق الهواء بالخياشيم وتقطع الطعام بالأسنان وتزدرد بالمرى وما شاكل ذلك

وبالجملة ما من عضو في الجسد الا وللنفس فيه ضرب من الأفعال وفنون من الأعمال

ثم اعلم ان هذا الجسد لهذه النفس الساكنة فيه يشبه مدينة عامرة بأهلها مأنوسة بسكانها وحالات الجسد تشبه حالات المدينة وتصرف النفس يشبه تصرفات أهل المدينة فيها

وذلك أن لهذا الجسد أعضاء ومفاصل تشبه المحال في المدينة . وفي تلك الأعضاء والمفاصل أوعية ومجار تشبه المنازل في المحال . وفي تلك الأوعية والمجاري حجب وأغشية تشبه البيوت في منازل الأسواق في المحال والدكاكين في الاسواق

بيان ذلك أن الاعضاء والمفاصل تشبه المحال في المدينة فالرأس وماحوى والصدر وما وعى والبطن وما ملى والرجلان والبدن

وأما الاوعية والمجاري التى تشبه المنازل في المحال فالدماغ والقلب والرئة والطحال والمرارة والمعدة والمصارين والامعاء والكليتان والعروق . وأما الحجب

والاغشية التى تشبه البيوت في المنازل والدكاكين في الاسواق فالتجويفات التى فى الدماغ والرئة والتى في القلب والتى فى العظام وغير ذلك

فصل

ثم اعلم ان فى هذه النفس الساكنة في هذا الجسد قوى طبيعية وأخلاقا غريزية منبثة فى أعضاء هذا الجسد تشبه قبائل أهل تلك المدينة وشعوبها النازلين في الحال بتلك المدينة وان لتلك القوى وتلك الاخلاق أفعالا وحركات منبثة في أوعية هذا الجسد ومجاري مفاصله تشبه أفعال أهل تلك المدينة في منازلهم وحركاتهم فى طرقاتها وأعمالهم في أسواقهم

فأما القوى الطبيعية والاخلاق الغريزية التى تشبه القبائل والشعوب فهي ثلاثة أجناس

فمنها قوى النفس النباتية ونزعاتها وشهواتها فضائلها ورذائلها ومسكنها الكبد وأفعالها تجري مجرى الاوراد الى سائر أطراف الجسد

ومنها قوى النفس الحيوانية وحركاتها وأخلاقها وحواسها وفضائلها ورذائلها ومسكنها القلب وأفعالها تجرى مجرى العروق الضوارب الى سائر أطراف الجسد

ومنها قوى النفس الناطقة وتمييزاتها ومعارفها وفضائلها ورذائلها ومسكنها الدماغ وأفعالها تجرى مجرى الاعصاب الى سائر أطراف الجسد

ثم اعلم ان هذه النفوس الثلاث ليست متفرقات متباينات بعضها من بعض ولكنها كلها كالفروع من أصل واحد متصلات بذات واحدة كاتصال ثلاثة أغصان من شجرة واحدة تتفرع من كل غصن عدة قضبان ومن كل قضيب عدة أوراق وثمار أو كعين واحدة ينشق منها ثلاثة أنهار كل نهر ينقسم عدة أعمدة كل عمود عدة جداول أو كقبيلة واحدة يتشعب منها ثلاثة شعوب من كل شعب يتفرع عدة بطون من كل بطن عدة أفخاذ وعشائر أو كرجل يعمل ثلاثة صنائع تسمى بثلاثة أسماء فيقال حداد نجار بناء اذا كان يحسن الثلاثة أو كرجل يقرأ

ويكتب ويعلم فيقال قارىء كاتب معلم لان هذه الاسماء تقع على الفاعل بحسب ما يظهر منه من الافعال والحركات والصنائع والاعمال

فهكذا أمر النفس فانها واحدة بالذات وانما تقع عليها هذه الاسماء بحسب ما يظهر منها من الافعال وذلك اذا فعلت فى الجسم الغذاء والنمو فتسمى النفس النامية ، واذا فعلت في الجسم الحس والحركة والنقلة فتسمى النفس الحيوانية ، وإذا فعلت الفكر والتمييز فتسمى النفس الناطقة

ثم اعلم ان لكل عضو من اعضاء الجسد قوة من قوى النفس مختصة بها وهي تدبر ذلك العضو وتفعل به افعالا خلاف ما تفعل قوة اخرى من عضو آخر وان تلك القوة تسمى نفساً لذلك العضو المختصة به

مثال ذلك القوة الباصرة فانها تسمى نفس العين والقوة السامعة تسمى نفس الاذن . والقوة الذائقة تسمى نفس اللسان . والقوة الشامة تسمى نفس الانف وعلى هذا القياس سائر الاعضاء للقوى التى تدبرها وتفعل بها

ثم اعلم ان هذه النفوس الثلاث الاجناس وقواها كالانواع وافعال تلك القوى الاشخاص

فأما القوى التى هي كالانواع فهي خمسة وعشرون نوعاً اربعة منها مفردات كالرؤساء وسبعة منها متعاونات كالصناع والاعوان وخمسة كالجلابين وثلاثة مناولات كالخدم وثلاثة هن كالارباب وثلاثة هن كالامراء

واما افعالها اعنى افعال هذه القوى التى هى كالاشخاص فكثيرة لا يحصى عددها الا الله . ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دليلا على الباقي وذلك ان افعال هذه القوى بعضها يشبه افعال الاشراف والرؤساء في المدينة وبعضها يشبه افعال التجار والباعة وجلابى الامتعة الى المدينة وبعضها يشبه افعال العيارين والمفسدين فى المدينة . وبعضها يشبه افعال السلطان والجند المقاتلين فى المدينة وبعضها يشبه افعال القضاة والعدول والمصلحين فى المدينة وبعضها يشبه

أفعال الصبيان والعبيد والنساء والحمقاء وبعضها يشبه أفعال الشياطين والفتيان والجهال وبعضها يشبه أفعال العلماء والفقهاء وأهل الدين

وأما تفصيل ذلك فنقول أن القوى الاربعة المفردات التي هي كالرؤساء فهي قوى النفس النباتية وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وعليها تدور حالات الجسد من الصلاح والفساد . وذلك أن أفعال هذه القوي في أعضاء الجسد اذا هي اعتدلت وتساوت استقام امر البدن على الصحة والسلامة تشبه أفعال الامراء والاشراف والرؤساء الذين هم ملاك المدينة وأربابها وبهم قوام أمر المدينة وصلاحها واستدامة أحوالها وأفعال هذه القوى عند ورود الطعام والشراب الى الجسد وتناول كل واحدة من هذه القوى وما شاكلها من الغذاء على ما ينبغي تشبه أفعال أهل تلك المدينة في أخذهم وعطائهم وبيعهم وشرائهم وانصافهم في معاملاتهم فيما بينهم . وأفعالها اذا كانت على غير ما ينبغي تشبه أفعال أهل تلك المدينة اذا تنازعوا فيما بينهم وتخاصموا في مطالباتهم وتظالموا في معاملاتهم وافعال هذه القوى المميزة التي تقسم بين كل عضو ما يشاكله من الغذاء لتسوي القوى وتعتدل الاخلاط في بنية الجسد تشبه أفعال القضاة والعدول والمصلحين في المدينة بين الناس

وأما أفعال هذه القوى اذا هجن وتعادين وأدخلن السقم والمرض على الجسد فتشبه أفعال العيارين وأصحاب العصبية اذا هاجوا وأثاروا الفتن وتقاتلوا وأحرقوا الاسواق وخربوا المنازل ونهبوا الأموال وأفسدوا في المدينة

وأما أفعال هذه القوى عند ورود الدواء والاشربة واخراج فضول الاخلاط من الجسد فتشبه أفعال السلطان والجند اذا قاتلوا العيارين وسكنوا الفتنة وأخذوا الدعار وقطعوا أيديهم وأخرجوهم من المدينة

وأما أفعال هذه القوى عند خروج فضول الاخلاط من الجسد وذهاب الامراض واصلاح حال الجسد بعد السقم فيشبه أفعال رؤساء أهل تلك المدينة

اذا تصالحوا فيما بينهم وتهادنوا وأصلحوا ما أفسد العيارون من حالات المدينة وعمروا ماخربوا منها

وأما القوى التى هي كالارباب فهي القوة الشهوانية والقوة الغضبية والقوة الناطقة فأفعال القوة الشهوانية في أعضاء الجسد اذا لم ترأسها وتلزمها القوة الغضبية تشبه أفعال النساء والصبيان والحمقى اذا لم يرأسهن أزواجهن ولم يؤدبهم آباؤهم ومواليهم

وأما القوة الغضبية اذا لم ترأسها وتلزمها القوة الناطقة فتشبه أفعال الشياطين والشبان والجهال والسفهاء اذا لم يرأسهم عقلاؤهم ويلزمهم مشايخهم ولم يأمر وينهي عليهم مشايخهم

وأما أفعال القوة الناطقة اذا لم يرأسها ويلزمها العقل فتشبه أفعال العلماء والقراء اذا تنازعوا في أحكام الدين واختلفوا فيها وصاروا ذو مذاهب كثيرة ومقالات اذا لم يرأسهم ويلزمهم امام عادل من خلفاء الانبياء عليهم السلام

وأما القوى الخمس التى هى كالحشار والجلابين فهى الحواس الخمس فمنها القوة السامعة الداركة للاصوات ومجراها الاذنان ، ومنها القوة الباصرة المدركة للانوار والالوان والاشكال ومجراها الحدقتان ، ومنها القوة الذائقة ومجراها اللسان ، ومنها القوة الشامة المدركة للروائح ومجراها في المنخرين ، ومنها القوة اللامسة المدركة للخشونة واللين والصلابة والرخاوة والبرودة والرطوبة واليبوسة ومجراها في الاعصاب وفي جميع الجسد وأفعال هذه القوى في ادراكها صور المحسوسات من خارج الجسد وحملها الى القوة المتخيلة التى فى مقدم الدماغ تشبه أفعال الحشار والجلابين الذين يحملون الامتعة من النواحى والحوائج ويجلبونها الى المدينة ويعرضونها على التجار

وأما القوى الثلاث المتناولات التى هى كالتجار والباعة فهى القوة المتخيلة ومسكنها مقدم الدماغ والقوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ والقوة الحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ

فأما أفعال القوة المتخيلة وتناولها رسوم المحسوسات من الحواس ودفعها الى القوة المفكرة فتشبه أفعال السماسرة والباعة الذين يكونون في عرصات المدينة والاسواق

وأما أفعال القوة المفكرة وتناولها رسوم المحسوسات وتمييزها وتفصيل بعضها من بعض ودفعها الى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ فتشبه أفعال التجار والذين يشترون الامتعة ويحملونها الى البيوت والدكاكين والخانات

وأما أفعال القوة الحافظة وتناولها رسوم الاشياء من القوة المفكرة وحفظها وامساكها الى وقت التذكار فتشبه أفعال الخزان والوكلاء والمحتكرين ومن شاكلهم

وأما القوى الثلاث اللواتي كالامراء فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية والقوة الناطقة وقد بيناها

وأما القوى السبع المتعاونة وهى التى أفعالها في أعضاء الجسد فتشبه أفعال الصناع في أسواق المدينة وهى القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغاذية والقوة المصورة والقوة النامية وذلك ان هذه القوى بعضها يخدم بعضاً كما يخدم التلامذة الاستاذين والأجراء المستأجرين وبعضها يعاون بعضاً كما يعاون الصناع بعضهم بعضاً في الاسواق كتعاون الحدادين للنجارين والنجارين للبنائين وكتعاون الحلاج للنداف والنداف للغزالين والغزالين للنساج والنساج للخياطة وماشاكل ذلك

فان كل واحد من هؤلاء يهيء صناعة صاحبه ويعطيها له فهكذا أفعال هذه فى أعضاء هذا الجسد وتعاون بعضها بعضاً فيما يفعلون

وذلك ان القوة الجاذبة من شأنها جذب الطعام والشراب الى المعدة وجذب الكيموس من المعدة الى الكبد وجذب الدم من الكبد الى العروق ومن العروق الى سائر اطراف الجسد

ومن شأن القوة الماسكة امساك مايرد على العضو من الاخلاط

ومن شأن القوة الهاضمة أن تنضج ذلك الخلط تهيئه للقوة الغاذية

ومن شأن القوة الدافعة أن تدفع من العضو مالا يصلح له من الاخلاط الى عضو آخر
ومن شأن القوة النامية الغاذية أن تلصق بكل عضو مايشاكله من مادة الغذاء
ومن شأن القوة النامية أن تناول المادة وتزيد في أقطار ذلك العضو
ومن شأن القوة المصورة أن تأخذ من كل عضو مايفضل من تلك المادة وتصور مثل ذلك وهذه القوة مختصة بالرحم

وهذه القوى السبعة أفعالها كثيرة في اعضاء الجسد في كل عضو ضروب من الصنائع بخلاف مافي أي عضو آخر وتشبه أفعال الصناع في اسواق المدينة ونذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقي

من ذلك ان افعالها في المعدة من جذب الطعام والشراب اليها وامساكها وهضمها ونضجها بالحرارة الغريزية تشبه افعال الخبازين والطباخين وماشاكلهم في اسواق المدينة وأفعالها بعد نضج الكيموس في المعدة وتصفيتها واستخراج لطيفها من الطعم واللون والرائحة الحلاوة والدسومة وتمييزها ودفعها الى الكبد ودفع عكرها الى الامعاء تشبه افعال العطارين اللذين يستخرجون الشيرج من ثمر الاشجار والادهان من حبوب النبات والزبدة والسمن من لبن الحيوان في أسواق المدينة وافعالها في الكبد وطبخها صفو الكيموس مرة ثانية ونضجها حتى يكون دما قرمزيا ثم تصفيته بعد ذلك وتمييزه ودفعها عكر الدم الى الطحال والمحترق اللطيف الى المرارة والرقيق المائي الى المثانة والمعتدل الصافي الى القلب تشبه افعال الحلاقين والدباسين والذين يعملون الجلاب والسكنجبين وما شاكل ذلك في اسواق المدينة

وافعالها في القلب في تلطيف الدم مرة ثالثة وتصفيتها واجرائها في العروق تشبه أفعال الذين يعملون الماورد ويصعدون الخل ويقطرون الرطوبات اللطيفة وما شاكلها في أسواق المدينة

وأفعالها في الدماغ وتلطيفها الدم الذي يصعد اليها حتى يصير رطوبة لطيفة

روحانية كالذي يجرى في عصارى الاذنين والعينين والمنخرين واللسان والبخارات الذى يكون منها التحليل

وانفعالات الحواس تشبه أفعال الذين يعملون الادهان اللطيفة كدهن البنفسج ودهن النيلوفر والزيتون وما شاكلها في أسواق المدينة

وأفعالها في دفع ثقل الكيموس من المعدة الى الامعاء والمصارين واخراجها من الجسد تشبه افعال الكناسين والزبالين والسمادين وافعالها فى اجرائها الدم في الاوراد الى سائر الاطراف الجسد تشبه افعال الذين يحفرون الانهار والآبار والاقنية لتجري فيها المياه خلل المنازل في المدينة

وافعالها في تعقيد الدم وتجنيف المادة حتى تصير لحماً وشحماً وعظماً وما شاكله تشبه أفعال الذين يعقدون المائعات من الناطفين والحلوانيين والعجانين وما شاكلهم

وأفعالها فى تجنيف المادة وتصلبها حتى تصير عظاماً تشبه أفعال الذين يطبخون الآجر والخزف والزجاج وما شاكلها

وافعالها فى تسوية عظام الساقين والفخذين والزراعين وما شابه ذلك تشبه أفعال النجارين الذين ينجرون الاساطين وقوائم الاسرة وما شاكل ذلك

وافعالها في تركيب مفاصل الركبتين والفخذين والذراعين والاصابع يشبه تركيب نومادجات المفاتيح والصناديق وما شاكله

وأفعالها في تركيب خرزات الظهر والرقبة والاضلاع تشبه افعال الذين يبنون السماريات والسفن وما شاكل ذلك وافعال ذلك في تركيب عظام القحف وهندامها تشبه افعال الصفارين والذين يعملون القماقم والاباريق فى تركيبها وأفعالها فى خلقة الاسنان وتركيبها وترصيعها تشبه أفعال النحاتين الذين يعملون خرزة الدواليب والارحية وندانجاتها

وأفعالها فى خلقة الاعصاب وتمديدها وفتلها ولفها على الاعضاء تشبه أفعال الغزالين والحبالين والمفتلين ومن شاكلهم

وافعالها فى خلقة الجلود والغشاوات تشبه أفعال الحاكة والنساجين ومن شاكلهم

وافعالها فى الحام الجراحات والقروح تشبه افعال الرفائين والجرازين والخياطين

وافعالها فى نبت الشعر على الجلد تشبه افعال الزراعين والغراسين ومن شاكلهم

وافعالها فى خلقة الاظفار تشبه أفعال الذين يعملون المساحيء والجاوف والرفائش وما شاكل ذلك

وأفعالها في خلقة الكروش والامعاء والمصارين تشبه أفعال الذين يعملون الطنافس والمسوح والغليظ من الثياب وأفعالها في خلقة الحجب والامعاء تشبه أفعال الذين ينسجون ثياب القطن والكتان وماشاكل ذلك

وأفعالها في خلقة الغشاوات التى في العينين تشبه أفعال الذين ينسجون الحرير والرقيق من الثياب

وأفعالها في تبيض العظام وتحمير اللحم وتضمير الشحم وتسويد الشعر تشبه أفعال الصباغين والمزوقين والدهانين

وأفعالها في الرحم وتصوير الجنين وخلقة الفراخ في البيض تشبه أفعال المصورين والنقاشين وأصحاب اللعب وماشاكل ذلك

فان قال قائل من الاطباء والطبيعيين ان هذه كلها أفعال الطبيعة فليعلم ان القدماء قد قالت ان الطبيعة فعل النفس وان قال قائل من الشرعيين ان هذه كلها للخالق البارىء يفعل مايشاء ويصور كما يريد فليعلم أيضاً ان النفس من فعل الباري تبارك وتعالى وانما ذكرنا هذه الافعال ونسبناها الى النفس لأن البارىء تعالى لايباشر الافعال بذاته بل يصدر منه على سبيل الامر ولكيما ينتبه الانسان من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ويفكر في نفسه ويشاهد هذه العجائب في الاسرار ويعلم بأن الصانع عليم حكيم وان المصنوع مبدع لهذا الحكيم لان بالمصنوع المحكم المتقن تتبين للصانع الحكيم حكمته ويستدل عليها كما قال الله تعالى « وفي أنفسكم أفلاتبصرون »

وان من الموجودات كلها موضوع الله لان حكمته تعالى وصنعه تبين بالمصنوعات المحكمة والموجودات المرتبة « وفي أنفسكم » آيات الله وأسراره ومصنوعاته وعجائبه « أفلا تبصرون » أيها الغافلون وأفلا تنظرون أيها الجاهلون

وبالجملة ان هذا الجسد مع النفس وانبثاث قواها في جميع أعضائه الباطنة والظاهرة واظهار أفعالها وفنون حركاتها في مجاري مفاصله وحواسها في مجاري ثقب رأسه في حال اليقظة تشبه مدينة عامرة مأنوسة لساكنها قد فتحت أبوابها وسلكت طرقاتها وقعد تجارها واشتغل صناعها وسعى متعيشوها وتحركت حيوانها وسمع منها دوي حيواناتها

وان حال هذا الجسد في وقت النوم وهدوء الحواس وسكون الحركات تشبه حال تلك المدينة بالليل اذا أغلقت أسواقها وتعطل صناعها وخلت طرقاتها ونام أهلها وسكنت حركاتهم وهدأت أصواتهم

وأيضاً حال الجسد عند مفارقة النفس له تشبه حال تلك المدينة اذا رحل عنها أهلها وخلت من ساكنيها وباد جيرانها وبقيت خراباً وصارت مأوى للسباع والبوم ثم تساقطت حيطانها وخرت سقوفها وصارت تلالا ورواب لاتبين فيها الا الحجارة والآجر والطين والتراب ، كذلك حال الجسد عند الموت الذي هو فراق النفس اياه وهو فراق لايكون الوصل بعده ولنعم ما قيل : مامن صباح يصبح العباد فيه الا وملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب ، ثم ان الجسد يتغير وينتفخ ويصير مأوى الديدان والذباب والنمل ثم يبلى ويصير تراباً لا يتبين الا العظام والعصب تلوح كما تلوح الحجارة في تلك المدينة وآجرها « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » « واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون »

وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا للسداد وهداك وايانا سبيل الرشاد انه رؤوف رحيم بالعباد

﴿ تمت رسالة تركيب الجسد ويتلوها رسالة الحاس والمحسوس ﴾

الرسالة العاشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في الحاس والمحسوس

في تهذيب النفس واصلاح الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من تركيب جسد الانسان وبيان ان الانسان عالم صغير وأن بنية هيكله تشبه مدينة فاضلة وان نفسه تشبه ملكا في تلك المدينة فنريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من المعلومات فنقول :

ان علم الانسان بالمعلومات يكون من ثلاثة طرق : أحدها طريق الحواس الخمس الذي هو أول الطرق ويكون جمهور علم الانسان ويكون معرفته بها من أول الصبا ويشترك الناس كلهم فيها وتشاركهم الحيوانات

والثاني طريق العقل الذي ينفصل به الانسان دون سائر الحيوانات ومعرفته به تكون بعد الصبا عند البلوغ

والثالث طريق البرهان الذي ينفرد به قوم من العلماء دون غيرهم من الناس وتكون معرفتهم بها بعد النظر في الرياضيات الهندسية والمنطقية

وقد بينا لم صارت طرق العلوم ثلاثة في آخر هذه الرسالة و نريد أن نذكر الآن طرق الحواس الخمس ونصف كيفية ادراك القوى الحساسة لمحسوساتها ولكن قبل ذلك ينبغي أن نذكر الامور المحسوسة التى هي كلها أعراض جسمانية وبها يكون الجسم محسوساً ونضبط أيضاً كيفياتها لانها أبين وأوضح وأقرب من فهم المبتدئين المتعلمين ثم نذكر بعد ذلك النفس وقواها الحساسة التى هي كلها أ[illegible] روحانية لطيفة غامضة بعيدة عن فهم المبتدئين بالنظر في العلوم والمعارف الحقيقية فنقول

اعلم وفقك الله انه لما كانت الامور المحسوسة كلها أعراض جسمانية داخلة عليه بعد كونه جسما احتجنا أن نذكر الجسم المطلق ونصفه بما هو جسم حسب ثم نذكر بعد ذلك الاعراض الداخلة التى هى كلها صفات زائدة على كونه جسما فنقول ان الجسم جوهر مركب من الهيولى والصورة حسب . والدليل على ذلك قول العلماء في حد الجسم هو الشيء الطويل العريض العميق والشيء هو الجوهر وهو الهيولى والطول والعرض والعمق هى الصور ، والجسم بهذه الصفات يكون جسما لا بأنه جوهر لان النفس والعقل أيضاً هما جوهران لا يوصفان بالطول والعرض والعمق فهذا أحد الفروق بين الجواهر الجسمانية والجواهر الروحانية

ثم اعلم أن كل صفة يوصف بها الجسم بعد الطول والعرض والعمق هي صفات زائدة داخلة عليه بعد كونه جسما وتسمى الصورة المتممة

مثال ذلك قول الحكماء ان الجسم لا ينفك عن الحركة والسكون والاجتماع والافتراق وان يكون مظلماً أو مضيئاً وان يكون مشفاً أو غير مشف وان يكون حاراً أو بارداً أو ان يكون رطباً أو يابساً وان يكون خفيفاً أو ثقيلا وان يكون صلباً أو رخواً وان يكون خشناً أو ليناً وان يكون ذا طعم ولون ورائحة وما شاكلها من الصفات التى كلها اعراض داخلة في الجسم زائدة بعد كونه جسما متممة له فنحتاج أن نذكر ونصف هذه الاعراض والصفات واحدة واحدة

فنقول أن هذه الاعراض والصفات كلها صورة متممة للجسم مبلغة الى افضل غاياته وان بعضها بالجسم أولى من بعض وذلك ان السكون أولى بالجسم من الحركة والاجتماع أولى به من الافتراق والظلمة أولى من النور والمكان أولى من الزمان

بيان ذلك ان الجسم بالسكون أولى من الحركة هو ان الجسم ذو جهات ستة ولا يمكنه أن يتحرك الى جميع الجهات دفعة واحدة وليست حركته الى جهة أولى من جهة فاذا السكون أولى به من الحركة

فاما كون بعض الاجسام متحرك دائماً مثل الافلاك والنار فهو أمر آخر على كونه جسما

وقد بينا في رسالة الهيولى ان الحركة هي صورة روحانية داخلة على الجسم متممة له وأما السكون فهو عدم تلك الصورة .

واما الاجتماع والافتراق الذي يقال ان الجسم لا ينفك من احدهما فليس ذلك من حيث هو جسم ولكن من حيث تشخص بعض الاجسام

وذلك ان جسم العالم بأسره لا يفترق بعضه عن بعض ولا يجتمع مع غيره لانه ليس الا عالم واحد وانما الاجتماع والافتراق لاشخاص الحيوانات والنبات والمعادن ولبعض اجزاء الامهات التي تحت فلك القمر .

فاما ما يقال في الكواكب انها تجتمع أو تفترق فليس لذلك حقيقة لان كل كوكب هو ملازم لفلكه أو درجته الذي هو فيها، وان معنى اجتماعها هو أن يصير بعضها موازيا لبعض على خط واحد وهو الخط الذي يخرج من أبصارنا الى الفلك المحيط

وأما ما يقال ان الجسم لا ينفك من المكان فليس ذلك الا من أجل ان الكواكب والافلاك لما كان بعضها محيطاً ببعض قيل للمحيط انه مكان المحيط به وقد بينا اختلاف العلماء فى ماهية الزمان والمكان في رسالة الهيولى

وأما ما قيل من ان الجسم لا ينفك من الزمان فليس ذلك من حد الجسم ولكن

من أجل الحركة وذلك ان الزمان ليس شيء سوى حركة الفلك بالتكرار في دورانه كما بينا في رسالة الهيولى

فاما ما قيل ان الجسم لاينفك من ان يكون مظلماً أو نيراً فليس هذه قسمة صحيحة ولكن يقال ان بعض الاجسام مظلم وبعضها نير وبعضها لا مضيء ولامظلم ولكن مشف وذلك ان المظلم من الاجسام مايكون له والنير الذي لاظل له والمشف هو الذي يقبل الضوء تارة والظلمة تارة

ثم اعلم انه ليس في العالم من الاجسام ماله ظل غير الارض والقمر حسب ولكن وجه القمر صقيل يرد النور ويقبله ، ووجه الارض غير صقيل يعرف حقيقة ،اقلنا أهل الصناعة الناظرون في علم الجسطي

وأما الاجسام النيرة فليس في العالم الا جنسان : الكواكب والنار التي عندنا

وأما النار التي تحت فلك القمر التي تسمى الاثير فليست بنيرة لانها لوكانت نيرة لمنعت عنا ضوء الكواكب كما يمنع ضوء أحد سراجين عن أبصارنا ضوء الاخر اذا كانا على خط واحد وأحدهما خلف الآخر.

وأما الاجسام المشفة فهي الافلاك والنار والهواء والماء وبعض الاجسام الارضية مثل البلور والياقوت والزجاج وما شاكل ذلك .

والجسم المشف الذي ليس له لون طبيعي ، واللون الطبيعي هو ما كان ملازماً للجسم كسواد العين وبياض الثلج وصفرة الزعفران وحمرة العصفر وخضرة النبات.

وأما اللون العرضي فهو كالزرقة التي ترى في الجو وفي عمق الماء القعير وقد جعل الله عز اسمه زرقة الجو وخضرة النبات صلاحا لابصار الحيوان لان هذين اللونين مقويان للابصار وكل الحيوان محتاج فى دائم الاوقات بالنظر الى الجو في مسالكه والى النبات فى طلب معائشه

وأما الحرارة في بعض الاجسام فهي من أجل غليان أجزاء الهيولى وفورانها بالحركة الخفيفة

وأما البرودة فى بعضها فهى من أجل سكون تلك الاجزاء أو جمود ذلك الغليان

وأما الرطوبة في بعض الاجسام فهي من أجل اختلاط الاجزاء المتحركة مع الاجزاء الساكنة .

وأما اليبوسة في بعضها فهي من أجل حركة تلك الاجزاء كلها أو سكونها كلها ، ومن أجل هذا صارت النار حارة يابسة من أجل ان أجزاء الهيولى فيها كلها متحركة ، وصارت الارض باردة يابسة من أجل ان أجزاء الهيولى كلها ساكنة ، وصار الماء والهواء رطبين لان أجزاء الهيولى فيهما بعضها متحرك و بعضها ساكن ، ولكن الاجزاء الساكنة في الماء أكثر والاجزاء المتحركة في الهواء أكثر فصار الهواء من أجل هذا حاراً رطباً وصار الماء بارداً رطباً

وأما الثقل والخفة في بعض الأجسام فهو من أجل ان الاجسام الكليات كل واحد له موضع مخصوص ويكون واقفاً فيه لا يخرج إلا بقسر قاسر واذا خلى رجع الى مكانه الخاص به ، فان منعه مانع وقع التنازع بينهما ، فان كان النزوع نحو مركز العالم يسمى ثقلا ، وان كان نحو المحيط يسمى خفيفاً . وقد بينا في رسالة السماء والعالم كيفية ذلك

وأما الصلابة في بعض الاجسام ، فمن أجل غلبة البرد واليبس عليه وقد بينا ماهية البرد واليبس في رسالة الكون والفساد

وأما الرخاوة في بعضها فمن أجل غلبة الاجزاء المائية على الاجزاء الارضية

وأما الخشونة في بعض الأجسام فمن أجل أن وضع الاجزاء الذي في ظاهر سطحه متفاوت بعضها مرتفع و بعضها منخفض كالمبرد وما شابهه

وأما كون بعضها أملس فمن أجل وضع تلك الاجزاء في سطح واحد كوجه المرآة وما شاكله . واذ قد فرغنا من ذكر الاجسام وأعراضها المحسوسة الحالة فيها بقول وجيز فلنذكر الآن آلات الحواس الخمس ومواضع مجارى القوى الحساسة فيها الروحانية

فصل

فنقول أولا ما الحواس الخمس ، وما القوى الحساسة ، وما الحس ، وما الاحساس ، وما المحسوسات ؟ جواب ذلك

فاعلم أن الحواس هي آلات جسدانية وهي خمس : العين ، والاذن ، واللسان والانف ، واليد . وذلك ان كل واحدمنها عضو من الجسد

وأما القوى الحساسة فهي قوى روحانية نفسانية يختص كل منها بعضو من أعضاء الجسد كما بيننا بعد هذا الفصل

وأما المحسوسات فالأشياء المدركة بالحواس والمدركة بالحواس هي أعراض حالة في الاجسام الطبيعية مؤثرة في الحواس مغيرة لكيفية مزاجها .

والحس هو تغيير مزاج الحواس عن مباشرة المحسوس لها والاحساس هو شعور القوى الحساسية لتغييرات كيفية امزجة الحواس

بيان ذلك أن القوة الباصرة مجراها فى العينين وهي مستبطنة الحدقتين في الرطوبة الجلدية ،والقوة السامعة مجراها في الاذنين وهي مستبطنة الصماخين مما يلي البطن المؤخر من الدماغ والقوة الشامة مجراها فى المنخرين وهي مستبطنة الخياشيم مما يلي البطن المقدم من الدماغ والقوة الذائقة مجراها الفم وهي مستبطنة في رطوبة اللسان والقوة اللامسة مجراها فى عامة سطح بدن الحيوان الرقيق الجلد ولكنها في الانسان أظهر وخاصة فى الأنملة كما قيل الانامل حاكمة البدن وهي مستبطنة فى الجلدين الذين أحدهما ظاهر البدن والآخر مما يلى

واعلم أن المحسوسات كلها خمسة أجناس منها المدركات بطريق اللمس ، وهي عشرة أنواع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة واللين والصلابة والرخاوة والخفة والثقل

والجنس الثاني المدركات بطريق الذوق التى هي الطعوم وهي تسعة أنواع الحلاوة ، والمرارة ، والملوحة ، والدسومة ، والحموضة ، والحرافة ، والعفوصة ، والعذوبة والقبوضة ،

والجنس الثالث هي الروائح المدركة بطريق الشم . وهي نوعان الطيب والنتن

والجنس الرابع هى الاصوات المدركة بطريق السمع وهي نوعان حيوانية وغير حيوانية . وهذه نوعان طبيعية وآلية . والحيوانية نوعان : منطقية وغير منطقية . والمنطقية نوعان . دالة وغير دالة

والجنس الخامس هى المبصرات المدركات بطريق البصر وهي عشرة أنواع: الانوار ، والظلم ، والالوان والسطوح والاجسام ، نفسها ، وأشكالها ، وأوضاعها وابعادها ، وحركاتها

واذ قد فرغنا من تعديد أجناس المحسوسات بقول وجيز فلنذكر الآن كيفية ادراك القوى الحساسة لمحسوساتها واحداً واحداً ونبتدىء أولا بقوة اللامسة ووصفها لان ادراكها للمحسوسات كان ادراكا جسمانياً ثم نختم بوصف القوة الباصرة لان ادراكها لمحسوساتها كان ادراكا روحانياً

﴿ فصل ﴾

فى كيفية ادراك القوة اللامسة للحرارة والبرودة

اولا هو ان مزاج بدن الحيوان فى دائم الاوقات يكون على قدر ما من الحرارات والبرودات فاذا لاقاه جسم آخر فلا يخلو أن يكون ذلك الجسم أشد حرارة من البدن وأشد برودة منه أو مساوياً له فى ذلك فان كان اشد حرارة منه زاد سخونة ما عند ملاقاته إياه وإن كان ابرد منه زاد برودة ما فتحس القوة اللامسة بذلك التغيير والاستحالة فتؤدي خبرها إلى القوة المتخيلة التى مسكنها مقدم الدماغ . وان كان ذلك مساوياً لمزاج البدن في الحرارة والبرودة جميعاً فلا يغير منه شيئاً ولا يؤثر فيه ولا تحس القوى بشىء ولكن لا يخلو ذلك الجسم من ان يكون اخشن من البدن أو ألين منه فتحس القوة بذلك التغيير والاستحالة وان كان مساوياً أيضاً فى هاتين الصفتين فلا يؤثر فيه شيئاً ولا يقع الحس فيه ولكن لا يخلو ذلك الجسم من أن يكون أشد صلابة

من البدن وأشد رخاوة منه فيؤثر فيه فتحس القوة بذلك التغيير وقل مايوجد جسمان يكونان متساويين فى هذه الصفات الستة من الحرارة والبرودة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة

وأما كيفية ادراك هذه القوة والصلابة والرخاوة فهو أن بدن الحيوان متى صدمه جسم آخر فلا يخلو من أن يقعر أحدهما فى الآخر فان وقع التقعير فى ذلك الجسم مثل ما يغمر الاصبع في العجين فتحس القوة بذلك اللين فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة فان وقع التقعير فى البدن مثل ما يغمر الاصبع على الحديد فتحس القوة بالصلابة فتؤدي خبرها الى القوة المتخيلة

وأما كيفية ادراك هذه القوة الخشنة والملاسة فهو كما قلنا ان الاجزاء التى في ظاهر سطوح الاجسام اذا كان وضعها متفاوتاً بعضها مرتفع وبعضها منخفض يكون ذلك جسما خشناً اذا كان صلبا .

واذا كان وضعها كلها في سطح واحد فاذا تلاقيا جسمان أملسان أنطبق السطحان المماسان أحدهما على الآخر بلا خلل بينهما واذا كانا غير أملسين أو أحدهما فلا ينطبقان لانه يبقى بينهما خلل .

وأما بدن الحيوان فاذا لاقاه جسم صلب ردت الاجزاء الناتئة منه بعض أجزاء البدن الى داخله فيصير سطح البدن خشنا فتحس القوة بذلك التغيير فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة واذا لاقاه جسم أملس رد ما كان من أجزاء البدن ناتيا الى داخله فيصير سطح البدن أملس فتحس القوة بذلك التغيير

فهذا الباب يختلف بحسب اختلاف مزاج أعضاء البدن وذلك ان الانسان اذا وضع يده على ثوب فوجده لينا ثم مسحه على خده وجده خشنا لان خد الانسان أبداً ألين لمسا من يده في أكثر الاوقات

وكذلك لو مسح يده على مسح فوجده خشنا ثم مسحه برجله لوجده لينا لان الرجل أخشن من اليد .

وكذلك اذا دخل الانسان الحمام وهو مقرور وجد البيت الاول حاراً واذا

خرج من البيت الحار وجده بارداً لان المزاج قد تغير به أفلا ترى أن وجدان القوة اللامسة محسوساتها بحسب اختلاف مزاج البدن من الحر والبرد والخشونة واللين والصلابة والرخاوة وبحسب اختلاف احوال المحسوس لان القوة مختلفة في ذاتها وجوهرها .

وأما كيفية ادراك هذه القوة : الرطوبة واليبوسة فهو ان البدن اذا لاقاه جسم يابس تنشف رطوبة البدن ونداوته فتحس القوة بذلك التغير واذا لاقاه جسم رطب زاده رطوبة ونداوة .

وأما كيفية ادراك هذه القوة للثقل والخفة فهو عند الدفع والجذب والحمل تحس بها وقد يختلف الثقيل والخفيف بحسب قوة البدن فان من الحيوان مايحمل مثل وزن بدنه اضعافا كالنمل.

ومن الحيوان مالا يقدر ان يحمل غير وزن بدنه . وقد بينا في الرسالة التى ذكرنا فيها خواص الحيوانات الغرض والعلة فى ذلك .

فصل

وأما كيفية ادراك الذائقة لمحسوساتها التى هى الطعوم حسب ، وهى تسعة أنواع أولها الحلاوة الملائمة لمزاج اللسان ، والثاني المرارة المنافرة لمزاج اللسان والثالث الملوحة والرابع الدسومة ، والخامس الحموضة ، والسادس الحرافة ، والسابع العفوصة ، والثامن العذوبة ،والتاسع القبوضة

فادراكها هو أن تتصل رطوبة هذه الطعوم برطوبة اللسان فتمتزجان فيعتبر مزاج اللسان بحسب ذلك الطعم ان كان حلواً فحلواً وان كان مراً فمراً وان كان حامضاً فحامضاً وغيرها من الطعوم فيحس بذلك وليس الحس شيء أكثر من أن يصير مزاج الحاس مثل المحسوس بالكيفية حسب ، والاحساس ليس شيء أكثر من شعور النفس بتغيير تلك الامزجة

وأما كيفية ادراك القوة الشامة لمحسوساتها التى هي الروائح وهي نوعان

طيب ، ومنتن ، فهو ان الاجسام ذوات الروائح يتحلل منها في دائم الاوقات بخارات لطيفة تمتزج مع الهواء مزاجا روحانيا ويصير الهواء مثلها في الكيفية ان كان طيبا فطيبا وان منتنا فنتنا .

فالحيوان الذى له رئة يستنشق الهواء دائما لترويح الحرارة الغريزية التى فى القلب فيدخل ذلك الهواء في منخريه ويبلغ الى خياشيمه فيصير ذلك الهواء الذي هناك أيضا مثلها في الكيفية فتحس القوة الشامة بذلك التغيير فتؤدي خبرها الى القوة المتخيلة فان كانت الرائحة طيبة استلذتها الطبيعة وان كانت منتنة كرهتها ونفرت منها.

وقد تختلف فى مشام الحيوانات الروائح فى اللذة والكراهية اختلاف التضادد

وذلك ان من الحيوانات مايستلذ رائحة السماد والجيف مثل الخنازير وبنات وردان والذباب وما شاكلها ومنها ما يكره الرائحة الطيبة .

وذلك ان الخنفساء اذا دفنت في الورد غشى عليها حتى لاتتحرك فاذا أراد المريد أن تعيش ردت الى السماد فعاشت وتحركت

ومن الناس أيضا من بهذا الوصف مثل السمادين والكناسين فانه يحكى ان كناسا جاز فى سوق العطارين فغشى عليه حتى ظنوا انه قدمات فمر عليه طبيب فرآه وعرف حاله وسبب غشيته فأمر باتيان رجيع يابس فأمر بدقه وسعط فعطس من ساعته وأفاق .

ومن المرضى من هو أيضاً بهذا الوصف مثل مايغلب الصفراء عليه فانه يتأذى برائحة المسك ويستلذ رائحة الطين وهذا الاختلاف يكون بحسب مزاج الابدان وبحسب الخلط الغالب عليه

وهذه الثلاث القوى التى تقدم وصفها تدرك محسوساتها ادراكا جسمانيا بالملامسة

وأما القوة السامعة والقوة الباصرة فانهما يدركان محسوساتهما ادراكا روحانياً قطعاً .

﴿ فصل ﴾

في ادراك القوة السامعة

أما ادراك القوة السامعة لمحسوساتها التي هي الاصوات فاعلم ان الاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية وهي نوعان طبيعية وآلية فالطبيعية الحجر والحديد والخشب والرعد والريح وسائر الاجسام التي لاروح فيها من الجامدات ، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمر والاوتار وما شاكلها وهو هواء يتقلب بين جسمين متصادمين بعنف فيصك الهواء الراكد في آلة السمع وتحته أنواع كثيرة

والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير الناطقة، والمنطقية هي أصوات الناس وهي نوعان دالة وغير دالة فغير الدالة كالضحك والبكاء وبالجملة كل صوت لاهجاء له والدالة هي كالكلام والاقاويل التي لها هجاء وهي تقطيع الصياح بانضمام أجزاء الفم فتحدث منه حروف كما تضم الشفتين بنوع ما فتحدث الباء وتضم بنوع آخر فتحدث الميم وكل هذه الاصوات انما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجسام وذلك ان الهواء لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجسام كلها فاذا صادم جسم جسما انسل ذلك الهواء من بينهما بحمية وتدافع وتموج الى جميع الجهات فحدث من حركته شكل كروي واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها أو الماء الساكن اذا ألقى فيه حجر فيتزاحم الماء حتى يبلغ الى أطراف الغدير وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى أن يسكن ويضمحل فمن كان حاضراً من الناس وسائر الحيوانات التي لها أذن بالقرب من ذلك المكان تموج ذلك الهواء الذي هناك فحست عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة والتغيير

واعلم ان كل صوت له نغمة وصيغة وهيئة روحانية خلاف صوت الآخر وان الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل الصوت بهيئة وصيغة

ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض فتفسد هيأتها الى أن يبلغها أقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة لتؤديها الى القوة المتخيلة ذلك تقدير العزيز العليم الذي جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاما تشكرون

﴿ فصل ﴾

في ادراك القوة الباصرة

أما كيفية ادراك القوة الباصرة لمحسوساتها التي هي عشرة أنواع : أولها الانوار والظلمة والالوان والسطوح والاجسام أنفسها وأشكالها وأبعادها وحركاتها وسكونها وأوضاعها ، فالمدرك من هذه الانواع بالحقيقة والذات النور والظلمة حسب ، الا ان الظلمة شيء يرى ولا يرى بها شيء آخر والنور هو الذي يرى ويرى به شيء آخر

أولها الالوان ولما كانت الالوان لا توجد الا في سطوح الاجسام صارت السطوح مرئية بها ولما كانت السطوح أيضاً لا توجد الا فى الاجسام صارت مرئية بتوسط سطوحها ، ولما كانت الاجسام أيضاً لا تخلو من الاشكال والاوضاع والابعاد والحركات صارت هذه كلها مرئية بالعرض لا بالذات

ثم اعلم ان النور والظلمة لونان روحانيان وان السواد والبياض لونان جسمانيان وان النور مشاكل للبياض وان الظلمة مشاكلة للسواد وذلك ان البياض يلوح على سائر الالوان كما ان في النور ترى سائر المرئيات وعلى السواد لا تتبين الالوان وفي الظلمة لا يرى شيء

ثم اعلم ان النور والظلمة يسريان في الاجسام المشفة كسريان الروح فى الجسد وينسلان منها بلا زمان ولكن الضوء اذا سرى في الاجسام المشفة حمل معه ألوان الاجسام وأوصافها التي تقدم ذكرها حملا روحانياً وحفظها بهيأتها حتى لا يختلط بعضها ببعض فيفسد هيأتها كما حمل الهواء الاصوات بهيأتها كما وصفنا

قبل حتى يبلغها الى أقصى مدى غاياتها عند القوة الباصرة المستنبطة في الرطوبة الجليدية التى فى الحدقتين

ثم اعلم ان الحدقتين هما من أحد الاجسام المشفة وهما مرآتا الجسد وذلك انهما رطوبتان مغطاتان بغشائين شفافين وهما غشاء القرنية ويعرف هذا الاصل من كان خبيراً بصناعة الطب فاذا سرى الضوء في الاجسام المشفة وحمل معه ألوان الاجسام الحاضرة واتصل بحدقتى الحيوان الحاضرة هناك وسرى فيهما كسريانه في سائر الاجسام المشفة انطبعت الجليدية بتلك الالوان كما ينطبع الهواء بالضياء فعند ذلك تحس القوة الباصرة بذلك التغيير فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة كما تؤدي سائر القوى الحساسة أخبار محسوساتها . ومن يتعجب من وصفنا كيفية حمل الالوان أشكال الاجسام حملا روحانياً وكيفية حمل الهواء الاصوات أيضاً مثل ذلك فلاينبغى أن ينكرها من أجل انه لايتصورها فان حمل القوى الحساسة صور المحسوسات أعجب وأشد روحانية وقد بينا ذلك فى رسالة العقل والمعقول وكيفيتها .

وقد ظن كثير من أهل العلم ان ادراك البصر المبصرات انما يكون بشعاعين يخرجان من العينين وينفذان فى الهواء وفى الاجسام المشفة ويدركان هذه المبصرات وهذا ظن من لارياضة له بالامور الروحانية ولابالامور الطبيعية ولو ارتاض فيها لبان له صحة ماقلنا ووصفنا

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن هذه القوة الحساسة ليست هي من أجزاء النفس كما أن الحواس كل واحد منها عضو من الجسد وجزء منه ولكن كل واحد منها هي النفس بعينها وانما وقعت عليها هذه الاسماء المختلفة من أجل اختلاف أفعالها وذلك أنها اذا فعلت الابصار سميت الباصرة واذا فعلت الاسماع سميت السامعة واذا فعلت الذوق سميت الذائقة

وهكذا اذا فعلت فى الجسم النمو سميت النامية . واذا فعلت في الجسم الحس والحركة سميت حيوانية . واذا فعلت الفكر والتمييز سميت ناطقة

وعلى هذا القياس سائر الاسماء التى يقع عليها بحسب اختلاف افعالها واختلاف افعالها بحسب اختلاف أعضاء الجسد كما أن اختلاف أفعال الصناع يكون بحسب اختلاف أدواتهم فان النجار ينحت بالفأس وينشر بالمنشار . وكذلك الحداد يطرق بالمطرقة ويبرد بالمبرد . وعلى هذا المثال سائر الصناع تختلف افعالهم فى صنائعهم بحسب اختلاف أدواتهم

فهكذا تختلف أفعال النفس في الجسد بحسب اختلاف أعضائه لأن أعضاء الجسد للنفس بمنزلة أدوات الصانع

﴿ فصل ﴾

فى كيفية وصول آثار المحسوسات الى القوة المتخيلة التى مجراها مقدم الدماغ حسب ما تبين هاهنا

فنقول أنه ينتشر من مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة تتصل بأصول الحواس وتتفرق هناك وتنسج فى أجزاء جرم الدماغ كنسج العنكبوت . فاذا باشرت كيفية المحسوسات من أجزاء الحواس وتغير مزاج الحواس عندها وغيرتها عن كيفياتها وصل ذلك التغيير فى تلك الاعصاب التى فى مقدم الدماغ والتى منشؤها من هناك كلها فتجتمع آثار المحسوسات كلها عند القوة المتخيلة كما تجتمع رسائل أصحاب الاخبار عند صاحب الخريطة فيوصل تلك الرسائل كلها الى حضرة الملك ثم ان الملك يقرؤها ويفهم معانيها ثم يسلمها الى خازنه ليحفظها فيحفظها الى وقت الحاجة اليها

فهكذا حكم القوة المتخيلة اذا اجتمعت عندها آثار هذه المحسوسات التى أدت اليها القوة الحساسة دفعتها الى القوة المفكرة التى مسكنها وسط الدماغ لتنظر فيها وترى في معانيها وتعرف حقائقها ومضارها ومنافعها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار

فصل

في بيان المحسوسات بعضها بالذات وبعضها بالعرض

فنقول : اعلم ان الانسان اذا رأى ثمرة من بعيد يعلم من وقته انها حلوة أو مرة أو طيبة الرائحة أو منتنة أو انها خشنة أو لينة أو صلبة رخوة أو حارة أو باردة أو رطبة أو يابسة وليس علمه بهذه الصفات كلها بطريق البصر ولكن بالقوة المفكرة وبرؤيتها وتجاربها وما جرت لها به العادة .

وكذلك اذا أخطأ في حكم شيء من هذه فليس الخطأ من قبل الباصرة ولكن من قبل المفكرة اذا حكمت من غير روية ولا اعتبار .

مثال ذلك اذا رأى انسان السراب فظن انه الماء فليست الباصرة هي المخطئة ولكن المفكرة حكمت بان ذلك المتلون يناله اللمس والذوق وهو جسم سيال رطب فلما جاءه لم يجده بهذا الوصف فبان خطؤها فسبيل المفكرة اذا أدت اليها المتخيلة أثر حاسة واحدة الا تحكم أو تستخبر حاسة أخرى فان شهدت لها حكمت عند ذلك بانها كيت وكيت .

مثال ذلك اذا رأت الباصرة تفاحة معمولة من الكافور مصبوغة كلون التفاح فاوردت خبرها الى المتخيلة فاوردتها هي الى المفكرة فليس سبيلها أن تحكم أن طعمها ورائحتها وملمسها مثل التفاحة التي هي الثمرة أو تستخبر قوة الذائقة والشامة واللامسة .

فاذا اخبرت كل واحدة منها بما لها أن تخبر به حكمت عند ذلك المفكرة بانها كيت وكيت حتى يكون حكمها صوابا لاخطأ فيه

ثم اعلم أن من أجل هذه العلة منعت القوة الناطقة بان تعبر على السنة الاطفال حكم شيء من معاني المحسوسات لان المفكرة بعد لم تحكم معانيها ولم يميزها تمييزاً صحيحاً ، فاذا مضت سنون التربية ودفع القمر التدبير الى عطارد صاحب المنطق والتمييز أطلق لسان المولود بالعبارة والبيان عن معاني المحسوسات التي أدت الحاسة الى المفكرة

﴿ فصل ﴾

في ماهية اللذة والألم والتعب والراحة وكيفية ادراك الحواس

فنقول : اعلم ان الحيوانات في دائم الاوقات لاتخلو من اللذة والألم والتعب والراحة لان ابدان الحيوانات مركبة من مزاج الامهات الاربعة وهي الاخلاط الاربعة وهي متضادات الطباع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي كلها في التغيير والاستحالة بين الزيادة والنقصان وهما يخرجان المزاج تارة من الاعتدال الى الزيادة في أحد الاخلاط والطباع أوالى النقصان في واحد منها واللذة هي رجوع المزاج الى الاعتدال بعد ما كانت خارجة عنه

فمن أجل هذا لا يحس الحيوان باللذة الا بعد مايتقدمها ألم .

واعلم ان كل محسوس يخرج المزاج من الاعتدال فان الحاسة تكرهه وتتألم منه وكل محسوس يرد المزاج الى الاعتدال فأن الحاسة تحبه وتلتذ به

ثم اعلم ان الراحة هي الثبات على الصحة والاعتدال وان التعب هو التردد بين الالم واللذة .

ثم اعلم أن من نظر في هذه الرسالة وتفكر فيا وصفنا من كيفية أحوال هذه الحواس والمحسوسات تبين له بان المحسوسات كلها أعراض جسمانية وهي صور في الهيولى وان ادراك النفس لها بقواها الخمس الحساسة بطريق الحواس

وان الحواس هي آلات جسدانية وان الحس انما هو تغيير مزاج تلك الحواس عن مباشرة المحسوسات لها وان الاحساس انما هو شعور القوى الحساسة بتغييرات تلك الامزجة

﴿ فصل ﴾

في ذكر القوى الخمس الروحانية

فنقول اعلم وفقك الله ان للنفس الانسانية خمس قوى أخر روحانية سيرتها غير سيرة الخمس الحساسة الجسمانية وهي القوة المتخيلة والمفكرة والحافظة

والناطقة والصانعة وذلك بادراكها رسوم المعلومات ادراكا روحانيا من غير هيولاها .

فأما الحاسة فلا تدرك محسوساتها الا فى الهيولى كما بينا قبل

وأيضاً فان هذه القوى الروحانية تتناول رسوم المعلومات بعضها من بعض على غير سيرة الحاسة ، وذلك ان القوى الحاسة كل واحدة منها مختصة بادراك جنس من المحسوسات كما بينا وذلك ان الباصرة لاتدرك الاصوات ولا الطعوم ولا الروائح ولا الملموسات الا الالوان

وكذلك السامعة لاتدرك الالوان ولا الطعوم ولا الروائح ولا الملموسات ولا الاصوات ، وهكذا الشامة والذائقة واللامسة كل واحدة لا تشارك غيرها فى محسوساتها.

وأما القوى الخمس الروحانية فانها كالمتعاونات في ادراكها رسوم المعلومات وذلك ان القوة المتخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات كلها وقبلتها في ذاتها كما يقبل الشمع نقش الفص فان من شأنها أن تناولها كلها الى القوة المفكرة من ساعتها ، فاذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم مصورة صورة روحانية في ذاتها كما يبقى نقش الفص فى الشمع المختوم مصوراً بصور روحانية مجردة عن هيولاها فيكون عند ذلك لها كالهيولى وهى فيها كالصورة

ثم ان من شأن القوة المفكرة أن تنظر الى ذاتها وتراها معاينة وتتروى فيها وتميزها وتبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار

ثم ان من شأن القوة الناطقة التى مجراها على اللسان اذا أرادت الاخبار عنها والانباء عن معانيها والجواب للسائلين عن معلوماتها القت لها الفاظاً من حروف المعجم وجعلتها كالسمات لتلك المعاني التى في ذاتها وعبرت عنها للقوة السامعة من الحاضرين

ولما كانت الاصوات لا تمكث في الهواء الا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم تضمحل احتالت الحكمة الالهية بان قيدت معاني تلك الالفاظ بصناعة الكتابة

ثم ان من شأن القوة الصانعة أن تصوغ لها من الخطوط الاشكال بالاقلام وتودعها وجوه الالواح وبطون الطوامير ليبقى العلم مفيداً فائدة من الماضين للغابرين وأثراً من الاولين للآخرين وخطابا من الحاضرين للغائبين وهذه من جسيم نعم الله عز وجل على الانسان كما ذكر جل ثناؤه فقال :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »

فصل

في العلة التى من أجلها صار علم الانسان بالمعلومات من ثلاثة طرق

فنقول انه لما كان الانسان من جملة مجموعة بدن جسماني ونفس روحانية صار بنفسه الروحانية يدرك العلم كما انه بجسده الجسماني يعمل الصانع .

ولما كانت النفس في الرتبة الوسطى من الموجودات كما بينا في رسالة المبادى وذلك ان من الاشياء ماهو أعلى وأشرف من جوهر النفس كالباري تعالى والعقل والصور المجردة من الهيولي الذين هم ملائكة الله المقربين

ومنها ماهو أدون من جوهر النفس كالهيولى والطبيعة والاجسام أجمع فصارت معرفة النفس بالاشياء التى دونها في الشرف بطريق الحواس التى هي المباشرة والمماسة والمخالطة والاحاطة .

وأما ما كان أشرف منها وأعلى فصارت معرفتها لها بطريق البرهان الذي يضطر العقول الى الاقرار به من غير احاطة ولا مباشرة وصارت معرفتها بذاتها وجوهرها بطريق العقل لان نسبة العقل الى النفس كنسبة الضوء من البصر وكنسبة المرآة الى الناظر فيها فكما ان البصر لا يرى شيئاً من الاشياء الا بالضوء كالانسان لا يرى وجهه الا بالمرآة والنظر فيها ، كذلك النفس لا تنظر ذاتها الا بنور العقل ولا تعرف حقائق الموجودات الا بالنظر الى العقل.

وانما يتسنى للنفس النظر الى العقل بعين البصيرة اذا هي انفتحت وانما تنفتح لها عين البصيرة اذا هي انتبهت من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ونظرت بعين الرأس الى هذه المحسوسات وفكرت في معانيها واعتبرت احوالها حتى تعرفها حق معرفتها .

فمن أجل هذا قدمنا رسالة الحاس والمحسوس على رسالة العقل والمعقول. فاعتبر يا أخي هذه الامور التي وصفنا وتفكر في معانيها وحقائقها تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتنفتح عين البصيرة فتعاين في ذاتها صور الاشياء وتبين في جوهرها معاني الموجودات لانها معادن العلوم كلها ومأوى الحكمة كما قال الحكيم الفاضل ان العلوم كلها في النفس بالقوة فاذا فكرت فى ذاتها وعرفتها صارت العلوم كلها فيها بالفعل .

تمت رسالة الحاس والمحسوس ويتلوها رسالة مسقط النطفة والحمد لله على جزيل عطائه وصلواته على خير انبيائه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين والعترة الطاهرة من أبنائه وسلم تسليما .

الرسالة الحادية عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في مسقط النطفة

﴿ وهي الرسالة الخامسة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الحكمة الالهية دبرت والعناية الربانية قدرت مكث كل واحد وكل حادث في الكون زماناً معلوماً وهو مقدار ماتفيض الاشكال الفلكية قواها كل واحدة بحسب قبول أشخاص ذلك النوع من الكائنات التي تحت فلك القمر لا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقي

من ذلك مكث الانسان في الرحم من يوم مسقط النطفة الى يوم خروج الجنين يوم الولادة ثمانية أشهر ٢٤٠ يوماً الذي هو المكث الطبيعي وأما الذي يزيد على هذا المقدار وينقص عنه فلعلل وأسباب يطول شرحها ونريد أن نذكر تأثيرات الكواكب السبعة في النطفة وفي الجنين واحداً واحداً وشهراً شهراً ليكون قياساً على سائر المواليد من الحيوانات والحوادث والكائنات وقبل

ذلك نحتاج أن نذكر أحوال الكواكب السبعة ذكراً مجملا إذ كانت هي العلل الموجبة لاختلاف أحوال الكائنات

واعلم يا أخي بأن كل كوكب فله في فلكه ، أعني فلك تدويره ، أربعة أحوال ومن الشمس أربعة أحوال ولفلك تدويره في فلك الحامل أربعة أحوال وفي فلك البروج أربعة أحوال فتلك ستة عشر حالا جنسية فاذا ضربت في مثلها كانت مائتين وستة وخمسين حالا نوعية فاذا ضربت ذلك في ثلاثمائة وستين درجة كانت اثنين وتسعين الفاً ومائة وستين حالا شخصية

فأما تفصيل أحوال الكواكب في أفلاك تداويرها فهي أن تكون صاعدة الى ذراواتها أو هابطة من هناك أو راجعة أو مستقيمة واما أحوالها من الشمس فهي أن تكون مقارنة لها أو مقابلة لها أو مشرقة منها أو مغربة

وأما أحوال أفلاك التداوير في الافلاك الحاملة فهي أن تكون مراكزها في الأوج أو في الحضيض أو صاعدة من الحضيض الى الاوج أو هابطة من الاوج الى الحضيض

وأمافلك البروج فهي أن تكون ذاهبة من الهبوط الى الشرف أو من الشرف الى الهبوط أو تكون في البروج الشمالية أو الجنوبية أو في المعوجة أو فى المستقيمة أو يكون عرضها وميلها في الجنوب أو فى الشمال أو يكون عرضها في الجنوب وميلها في الشمال أو عكس ذلك وكل هذه الاحوال تختلف تأثيراتها فى الكائنات بحسب الازمان والاماكن والاجناس والانواع اختلافاً كثيراً لايحصى عدده الا الله عز وجل ولكن نذكر طرفاً منه

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن جميع الكائنات التى تحت فلك القمر ثلاثة أجناس وهي الحيوانات والنبات والمعادن وهى الاصول المحفوظة في الهيولى صورتها

وأما الانواع فهى أقسامها المتفرعة منها وأما الاشخاص فهى أعيانها التى هى دائمة في الكون والفساد والسيلان وأما هيولاها فهى الاركان الاربعة التى

هى النار والهواء والماء والارض . وأما الصانع الفاعل لها فهى النفس الكلية الفلكية السارية في محيط الافلاك باذن خالقها وبارئها ومصورها . وأما الكواكب فهي كالادوات للصانع ذلك تقدير العزيز العليم

فصل

في كيفية اعتبار أفعال الطبيعة في الاركان الاربعة وتأثيرات النفوس وفي المولدات الكائنات تحت فلك القمر

اعلم يا أخى أيدك الله وايانا بروح منه بأنك اذا دخلت أسواق المدن ونظرت بعينى رأسك الى الصناع البشريين ورأيتهم كيف يعملون صنائعهم في الهيولى الموضوعة لهم كما بينا فى رسالة الصنائع العملية فينبغى أن تنظر عند ذلك الى القوى الطبيعية التى هى نفوس جزئية منبثة من النفس الكلية الفلكية السارية فى الاركان التى هى لها كالهيولى الموضوعة والى أشخاص الحيوان والنبات والمعادن التى هى مصنوعاتها والى الكواكب التى هى كالادوات لها فلعلك تبصر بنور عقلك وترى بصفاء جوهر نفسك القوى الروحانية السارية فى هذه الاجسام وتعاين كيفية افعالها فيها وبها ومنها فتعرف عند ذلك نفسك لانها واحدة منها

واعلم بأن مثل الاركان الاربعة التى هى الامهات فى جوف الفلك كاللبن فى الوعاء وحركات الكواكب من محيط الافلاك كالمخض به والكائنات عنها كالزبدة المجتمعة من لطائفها

ثم اعلم انه اذا تمخضت الاركان من تحريك الاشخاص الفلكية لها واجتمع من لطائف زبدتها شيء وشخص وامتاز عن البسائط ربطت به فى الوقت والساعة قوة من قوى النفس الكلية الفلكية فى أي مكان كان ذلك الشيء من البر والبحر والهواء والنار فى اي وقت كان من الزمان وتشخص تلك القوة وتمتاز عن سائر القوي لتعلقها بتلك الزبدة واختصاصها بتلك الجملة فعند ذلك تسمى تلك القوة نفساً جزئية وعند ذلك تقع الاشارة الى تلك الجملة لانها حادث كائن حيواناً كان او نباتا او معدنا

واعلم يا أخي أنه لا بد من أن يكون ذلك الوقت وتلك الساعة درجة طالعة من أفق المشرق من الفلك على أفق تلك البقعة التي حدثت تلك الزبدة هناك ويكون شكل الفلك ومواضع الكواكب على هيئة ما يصور من أصحاب الاحكام في زائجات المواليد والتحاويل والمسائل فعند ذلك يضاف الى تلك القوة قوى روحيات سائر الكواكب وتجذب معها تلك الزبدة المواد المشاكلة لها ويكون قبولها بحسب ما في طباع اشخاص أنواع ذلك الجنس من الافعال والاخلاق والخواص حيوانا كان أو نباتاً أو معدناً

أمثال ذلك انه اذا جرت نطفة الانسان التي هي زبدة دم الرجال واجتمعت في الاحاليل عند حركة الجماع بعد ما كانت منبثة في أجزاء الدم متفرقة في خلل البدن وخرجت من الاحاليل وانصبت في الرحم واستقرت هناك ربطت بها في الوقت والساعة قوى من قوى النفس النباتية السارية في جميع الاجسام النامية التي هي أيضاً قوة من قوى النفس الطبيعية السارية في جميع الاركان الاربعة والتي هي أيضاً قوة منبثة من النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الأجسام الموجودة في العالم كما بينا في رسالة معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير

فصل

ثم اعلم يا أخي أن للنفس النباتية سبع قوى فعالة وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة وان أول فعلها عند استقرار النطفة في الرحم هو جذبها دم الطمث الى الرحم وامساكها لها هناك وهضمها

ثم اعلم يا أخي بانه اذا جذبت هذه القوة الدم الى هناك أخفته حول النطفة وأدارته عليها كما يدور بياض البيض حول محها فيكون عند ذلك حول النطفة كالمحة ودم الطمث حولها كالبياض ثم ان حرارة النطفة تسخن رطوبة الدم فتنضجها فتسخن وتنعقد تلك الرطوبة فتصير علقة كما ينعقد اللبن الحليب من

الانفحة وتستولى عند ذلك على تلك الجملة قوى روحانيات زحل وتبقى في تدبيراتها بمشاركة قوى روحانيات سائر الكواكب شهراً واحداً ثلاثين يوماً سبع مائة وعشرين ساعة كما ذكر ذلك في كتب أحكام النجوم بشرح طويل ونريد أن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دستوراً لما أن نتكلم فيما بعد

واعلم يا أخي بان ابتداء تدبير النطفة انما صار لزحل من أجل انه أعلى الكواكب السيارة فلكا مما يلي فلك الكواكب الذي هو مكان الجواهر الشريفة ومنصب القوى الروحانية ومعدن النفس القدسية ومستقر الارواح الخيرة ومبدأ القوى العقلية والملائكة العلامة المفكرة والاجرام النيرة الشفافة ومن هناك تنزل الملائكة بالوحي والتأييد والانباء والخير والبركات والى هناك يصعد بالاعمال الصالحة واليه يعرج بارواح المؤمنين وأنفس الاخيار من عباده الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا كما بينا في رسالة البعث والقيامة

فانتبه يا أخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستعد للرحلة من هذه الدار وتزود فان خير الزاد التقوى فلعل نفسك توفق الى الصعود الى هناك فتجازى باحسن الجزاء لان من هناك ورودها الى هذا العالم والى هناك يكون مرجعها ومستقرها كما بينا في رسالة الادوار والاكوان

ثم اعلم يا أخي بأنه ما دام التدبير لزحل الى تمام شهر ثلاثين يوماً فان تلك العلقة تكون باقية بحالها غير مختلطة ولا ممتزجة بل جامدة متمسكة جارية اليها المواد لغلبة برد زحل وسكونه وثقل طبيعته الى أن يدخل الشهر الثاني ويصير التدبير للمشترى الذي فلكه يتلو فلك زحل وتستولى عليها قوى روحانيته فيولد عند ذلك في تلك العلقة حرارة وتسخن ويعتدل مزاجها ويختلط الماءآن ويمتزج الخلطان ويعرض لتلك الجملة حركة مثل الاختلاج والارتعاش والهضم والنضج فلا تزال هذا حالها ما دامت في تدبير المشترى الى تمام شهرين ثم يدخل الشهر الثالث ويصير التدبير للمريخ الذي يلي المشتري في الفلك وتستولى على تلك العلقة

قوى روحانيته ويشتد اختلاجها وارتعاشها ويتولد فيها فضل حرارة وسخونة وتصير تلك العلقة مضغة حمراء فلا تزال تتقلب حالا بعد حال من النضج والاستحكام بمشاركة قوى روحانيات سائر الكواكب للمريخ الى تمام ثلاثة أشهر ثم يدخل الشهر الرابع ويصير التدبير للشمس رئيسة الكواكب وملكة الفلك وقلب العالم باذن الباري جل ثناؤه

﴿ فصل ﴾

في كيفية حال الجنين في الشهر الرابع

واعلم يا أخي بأنه اذا دخل الشهر الرابع من مسقط النطفة وصار التدبير للشمس واستولت على المضغة قوى روحانياتها نفخت فيها روح الحياة وسرت فيها النفس الحيوانية وذلك لأن الشمس هي رئيسة الكواكب في الفلك ونفسها هي روح العالم بأسره وهي المستولية على الكائنات التى دون فلك القمر وخاصة على مواليد الحيوانات ذوي الرحم وأشد اختصاصاً بمواليد الانس وذلك ان جرمها فى العالم بمنزلة جرم القلب في البدن وسائر أجرام الكواكب والافلاك بمنزلة أعضاء البدن ومفاصل الجسد وسريان قوى روحانياتها فى العالم كسريان الحرارة الغريزة المنبثة من القلب السارية فى أعضاء البدن

وأما سائر قوى روحانيات الكواكب فهي لها كالجنود والأعوان والخدم كل ذلك باذن الباري جل ثناؤه وذلك تقدير العزيز العليم فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم اعلم يا أخي أنها بمسيرها في حدود الكواكب في البروج وشدة اشراق نورها وسريان قوى روحانياتها تحط من الفلك الى عالم الكون والفساد الذي تحت فلك القمر من قوى روحانيات الكواكب والافلاك والبروج في كل يوم ساعة في درجة ودقيقة ألواناً من التدبير والتأثير غير ما في يوم آخر وساعة أخرى لا يبلغ فهم البشر كنه معرفته ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون قياساً على

ما قلناه ودليلا على ما أوضحناه ووصفناه وذلك انه اذا سقطت نطفة في الرحم فلا بد أن تكون الشمس في درجة من برج من الابراج فاذا بلغت بسيرها أربعة أشهر من مسقط النطفة الى آخر البرج الرابع وقد قطعت من الفلك ثلث الدور وهو من المسافة بمقدار ما بين شرفها الى بيتها تكون قد استوفت طبائع البروج النارية والترابية والهوائية والمائية

وعند ذلك تكون قد اختلطت الطبائع من الاركان الاربعة في تركيب بنية الجنين واعتدل المزاج وانتقشت الصورة وأنشأت الخلقة وظهرت أشكال العظام وركبت المفاصل وتهندم التركيب والتفت الاعصاب على المفاصل وامتدت العروق في خلل اللحم وظهرت البنية مخلقة غير مخلقة

فصل

في كيفية الجنين في الشهر الخامس

اعلم يا أخي بأنه اذا دخل الشهر الخامس وسارت الشمس الى البرج الخامس المسمى بيت الولد الموافق طبيعته للبرج الذي كان فيه يوم مسقط النطفة وصار التدبير للزهرة السعد الاصغر وصاحبة النقش والتصاوير واستولى على المخلقة قوى روحانياتها استتمت الخلقة واستحكمت البنية وظهرت صورة الاعضاء واستبان رسم العينين وانشق المنخران وانفتح الفم وثقب الاذنين ومجرى السبيلين وتميزت المفاصل ولكن الجنين يكون مجموعاً منظما منقبضا كأنه مصرور في صرة ركبتاه مجموعتان الى صدره ومرفقاه منضمان الى حقوبه وهو منكس رأسه على دفته وعلى ركبتيه وكفاه على خديه وهو شبه نائم محزون

فلو رأيته يا أخي لرحمته لضيق مكانه وضعف أحواله ولكنه لا يحس بما هو فيه رفقا من الله تعالى بخلقه ولطفا بهم وتكون سرته متصلة بسرة أمه تمتص الغذاء منها الى يوم الولادة ويكون وجهه ان كان ذكراً مما يلي ظهر أمه وان كان أنثى فعكس ذلك

فانظر يا أخي في هذا الفعل وتفكر فيما ذكرنا فلعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فترى بعين قلبك هذا الصانع الحكيم كما رأيت بعيني رأسك مصنوعاته ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون

واعلم يا أخي بأن كثيراً من الحيوانات تتوالد في هذه المدة المذكورة مثل الغنم والظبا وبعض السباع وكل حيوان لا يحتمل الحمل والكد

ومنها ما يتأخر ولادتها الى تمام ستة أشهر وتسعة أو عشرة او اثنى عشر لاغراض أخرى قد بيناها فى رسالة الحيوان ونحن نذكر فى فصل آخر من هذه الرسالة ما الغرض فى تأخير ولادة الانسان الى تمام ثمانية أشهر ومكث الجنين فى الرحم الى الشهر التاسع

﴿ فصل ﴾

فى كيفية حال الجنين فى الشهر السادس

ثم اعلم أنه عند دخول الشهر السادس يصير التدبير لعطارد وتستولى عليه قوى روحانياته فيتحرك عند ذلك الجنين فى الرحم ويركض برجليه ويمد يديه ويبسط جوارحه ويضطرب ويحس بمكانه ويفتح فاه ويحرك شفتيه ويتنفس من منخريه ويدير لسانه فى فيه فيكون تارة متحركا وتارة يسكن وتارة ينام وتارة يستيقظ فلا يزال ذلك دأبه الى أن يتم الشهر السادس ويدخل الشهر السابع ويصير التدبير للقمر وتستولى عليه قوى روحانياته فيربو لحم الجنين حينئذ وتسمن جثته وتنتصب قامته وتشتد أعضاؤه وتصلب مفاصله وتقوى حركته ويحس بضيق مكانه ويطلب التنقل والخروج فان قدر له ذلك بما يوجب أحكام النجوم بأسباب يطول شرحها وخروجها على المجرى الطبيعي وكان الجنين كاملا عاش وتربى وعمر وان بقى هناك الى ان يدخل الشهر الثامن وتدخل الشمس بيت الموت ويرجع التدبير الى زحل من الرأس فتستولى عليه قوى روحانياته عرض للجنين ثقل وسكون وغاب عليه البرد والنوم وقلة الحركة فان ولد في هذا

الشهر كان بطيء النشوء ثقيل الحركة قليل العمر وربما كان ميتاً واذا دخل الشهر التاسع وانتقلت الشمس الى البرج التاسع بيت النقلة والاسفار ورجع التدبير الى المشترى السعد الاكبر واستولت عليه قوى روحانياته واعتدل المزاج وقويت روح الحياة ظهرت أفعال النفس الحيوانية في الجسد لأن الشمس تكون قد استوفت طبائع البروج المثلثات النارية والمائية والهوائية والترابية مرتين في الثمانية الاشهر

وقد سارت الشمس في فلك البروج مائتين وأربعين درجة وهذه المسافة مقدار ما بين بيتها الى شرفها التاسع من بيتها المتفقين في طبيعة واحدة وتكون أيضاً فى هذه المدة قد قبلت طبيعة الجنين قوى روحانيات الكواكب المنحطة من الفلك مرتين بمسير الشمس في البروج المثلثات مرة الى البرج الخامس ومرة الى البرج التاسع كما تقدم ذكرها ويبقى مرة أخرى كما تبين بعد هذا الفصل ويكون الذي يبقى للشمس الى أن تعود الى الدرجة التى كانت فيها وقت مسقط النطفة أربعة أبراج ومائة وعشرين درجة الى تمام الدور

فاذا خرج الجنين بعد ثمانية أشهر استأنف العمر فى الدنيا لكل درجة سنة الذي هو العمر الطبيعي وهو المقدار الذي بقى للشمس الى أن تعود الى الدرجة التى كانت فيها يوم مسقط النطفة ليستوفى الانسان طبائع البروج مرة ثالثة حتى يتم ويكمل

وأما الذي يزيد وينقص عن هذا المقدار فلاسباب وعلل يطول شرحها وهي مذكورة فى كتاب أحكام النجوم ومكث الاجنة وأعمار المواليد وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى رسالة العلل والمعلولات ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دليلا على ما وصفنا

واعلم يا أخي بان الكائنات التى تحت فلك القمر تبتديء من أنقص الحالات وأدونها مترقية الى أتمها وأفضلها ويكون ذلك فى مر الزمان والاوقات لان طبيعتها

لا تقبل فيض أشخاص فلكية دفعة واحدة ولكن شيئاً بعدشيء على التدريج كما يقبل المتعلم الذكى من الاستاذ الحاذق

واعلم بأن فيضات الكواكب من محيط الافلاك متصلة نحو مركز الارض فى دائم الاوقات ولكنها مفننة الالوان متغايرة الاشكال وذلك بحسب مواضعها من أفلاكها وموازاتها من فلك البروج وحدودها كما نبين بعد هذا الفصل

واعلم يا أخي بأن الحكمة الالهية والعناية الربانية قد جعلت لكل كائن من الموجودات تحت فلك القمر مقداراً من الوجود والبقاء معلوماً مقدراً أو يكون ذلك بمقدار دور شخص من الاشخاص الفلكية كما بينا طرفا منه فى رسالة ماهية الطبيعة ولكن نذكر من ذلك أيضا هاهنا مثالا واحداً من الاشخاص الانسانية وذلك ان نطفة الانسان اذا سقطت في الرحم فان مكثها الطبيعي الى أن تقبل صورة الانسانية أربعة أشهر بمقدار ما تسير الشمس أربعة أبراج مائة وعشرين درجة وتستوفي بمسيرها طبائع البروج المثلثات مرة واحدة فعندذلك يبقى الجنين الى يوم الولادة اربعة أشهر أخر وهو مقدار ما تسير الشمس أربعة أبراج مائة وعشرين درجة وتستوفى بمسيرها طبائع البروج المثلثات مرة أخري وبذلك يبقى لها أن تعود الى الدرجة الى كانت فيها يوم مسقط النطفة مائة وعشرين درجة فيستوفى المولود العمر الطبيعي فى الدنيا مائة وعشرون سنة لكل درجة بقيت للشمس سنة

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن أفعال الكواكب وتأثيرات قوى روحانياتها فى الاربعة الاشهر الأول تكون مصروفة الى تأسيس بنية الجسد وتكوين أعضائه المختلفة وسريان قوى النفس النباتية وذلك ان لكل عضو من الجسد مثل القلب والكبد والدماغ والمعدة والرئة والطحال والامعاء والعروق والاعصاب والعظام والعضلات والمخ والجلد وما شا كلها خلقة خلاف ما لعضو آخر ولكل خلقة تركيب ولتركيبه أخلاط ولتلك الاخلاط أمزجة

ولتلك الامزجة طبائع مختلفة في الكمية وفي الكيفية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خلاف ما للآخر كما ذكر ذلك في كتاب التشريح بتطويل وكما ذكرنا ذلك في كتاب طبائع الاغذية ودرجات قواها وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في رسالة النبات وللنفس النباتية في كل عضو فعل طبيعي خلاف ما في عضو آخر كما بينا في رسالة نشوء الانفس الجزئية

فصل

اعلم يا أخي ان بنية الجسد وتركيب أعضائه يتم في هذه الاربعة الاشهر لان الشمس التي هي روح العالم في هذه المدة بمسيرها في أربعة أبراج المثلثات تكون قد حطت طبائع تلك الابراج من محيط الافلاك الى عالم الكون والفساد الذي دون فلك القمر وتكون قد سرت قوى روحانيات الكواكب التي فوق الارض في بنية الجسد وركزت في مراكزها كما بينا في رسالة أفعال الروحانيات وعلة أخرى أيضاً ان في هذه الاربعة الاشهر تكون قد اجتمعت من مادة بنية الجسد ما تحتاج اليه الطبيعة الفاعلة وذلك يوم مسقط النطفة اذ تكون تلك المادة هناك مجتمعة لان الطبيعة كانت تدفعها الى خارج البدن في أيام الحيض فاذا استقرت النطفة في الرحم جذبت عند ذلك تلك المادة الى نفسها كما تجذب نار السراج الدهن بالفتيلة الى نفسها وكما يجذب حجر المغناطيس الحديد الى نفسه فاذا حصل ذلك الدم حف حول النطفة كما يحف بياض البيضة حول محها ثم ان حرارة النطفة تسخن ذلك الدم وتجمده كما تفعل الانفحة باللبن الحليب وهو أول فعل يكون من قوى روحانيات زحل في النطفة لان من خاصة أفعاله امساك الصورة في الهيولى والسكون والثبات

وأما تأثيرات الكواكب من البروج في الاربعة الاشهر الثانية فتكون مصروفة الى تتميم بنية الجسد واحكام خلقة الاعضاء لكيما تسري فيها قوى النفس الحيوانية ويمكنها اظهار أفعالها

وذلك ان الشمس فى هذه المدة بسيرها فى الابراج المثلثات الأخر تحط تلك القوى مرة اخرى فاذا تمت البنية واستحكمت الخلقة سرت فيها قوى النفس الحيوانية ونقلت تلك الجملة من الرحم الى فسحة هذا العالم واستوفت به تدبيراً آخر أربع سنين لكيما تكمل البنية وتستحكم الصورة ويمكن أن تسري فيها القوى الناطقة وتظهر أفعالها فيها وذلك ان تلك القوات الروحانية تصرف تأثيراتها وأفعالها الى تربية المولود وأحكام ادراك الحواس محسوساتها ثم ترد النفس الناطقة وينطلق لسان المولود بالعبارة عن معاني تلك المحسوسات وتمييزها

فصل

واعلم يا أخى انه لايمكن أن تفعل هذه الكواكب هذه الافعال والتأثيرات فى شهرين ولاثلاثة الى ماهى عليه الآن كما بينا ونضرب لذلك مثلا محسوسا من مصنوعات البشر كيما يتصور مصنوعات الطبيعة

ذلك ان البناء اذا أراد بناء دارفانه يصرف أولا همته وأفعاله مدة ما فى تأسيس البناء ورفع الحيطان وإقامة الاعمدة وعقد الابراج وتسقيف البيوت ليتبين أولا رسم الدار ويتمم البيوت والممرات والمجالس وهذه مدة تكوين الدار وايجادها ثم يصرف عنايته وتدبيره بعدذلك في تتميمها من تعليق الابواب والشبابيك ونصب البازير وتزيين السطوح وتجصيص الحيطان وتزويق السقوف والنقوش وماشا كلها من التتميم ثم يبقى بعد ذلك كمال الدار وهو أن تفرش وتعلق الستور وتملأ الخزائن من الاموال والاثاث ويسكنها رب الدار ويتمتع الى حين

فهكذا يجري يا أخى أمر تركيب جسد الانسان واقتران النفس معه من يوم مسقط النطفة وتعلق النفس بها الى يوم يموت الجسد وهو أن تفارق النفس الجسد ويدفن في التراب وهذه المدة هى بمقدار دور واحد من أدوار تلك الاشخاص الفلكية كما بينا في رسالة الادوار والاكوان

فلا ينبغي لك يا أخي أن تتوهم أو تظن ان هذه الكواكب والافلاك والبروج التي ذكرنا أفعالها وتأثيراتها في تركيب الجسد الانساني هي آلات وأدوات للباري جل ثناؤه يخلق بها الانسان بل انما هي آلات وأدوات للنفس الكلية الفلكية وهذه النفس هي عبد مطيع للباري تعالى فقد أيدها بالعقل الكلي الذي هو ملك من ملائكته المقربين « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض » كما ذكر في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله ، وستعلم يا أخي حقيقة هذه الأسرار والمرامي اذا انتبهت لنفسك من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وارتقعت في المعارف الربانية وارتضت في العلوم الالهية اذا بعثت يوم القيامة وشاهدت ملكوت رب العالمين ووقفت على جبل الاعراف مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

وإذ قد فرغنا من ذكر تأثير الكواكب في النطفة مجملا فنريد أن نذكر طرفاً من تأثيراتها في كل شهر وترددها في أفعالها اذا كان بعضها في بيوت بعض وحدودها

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن للاشخاص الفلكية الموجودات التي تحت فلك القمر من الحيوان والنبات والمعادن وفي كل جنس منها تأثيرات مختلفة بحسب قبول كل نوع منها ولكل نوع من تلك الاجناس تأثيرات مفننة بحسب أماكنها المختلفة ولها في كل شخص من أشخاص تلك الانواع تأثيرات متباينة بحسب قبولها في أزمان مختلفة في طول أعمارها لا يشبه بعضها بعضاً ولا يبلغ فهم البشر كنه معرفتها ولا يعلمها الا الله تعالى ولكن نذكر منها مثالا واحداً ليكون قياساً على الباقية ونجعل المثال من شخص انسان واحد ونذكر فنون تأثيراتها فيه من يوم تسقط النطفة الى يوم الولادة مدة تسعة أشهر ذكراً مجملا إذ كان شرحها يطول ثم نذكر فصلا آخر في فنون تأثيراتها فيه من يوم

الولادة الى يوم يموت وهو آخر العمر الطبيعي سنة سنة بقول وجيز ليكون قياساً على سائر المواليد من الكائنات تحت فلك القمر فنقول :

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن تأثيرات الكواكب تختلف في الكائنات من جهات شتى تارة منها من جهة اختلاف أحوالها فى أفلاكها من الصعود الى أوجاتها أو من جهة النزول من هناك الى الحضيض وتارة من جهة العرض والميل في الجنوب والشمال وتارة من جهة نسبتها الى الشمس من التشريق والتغريب والرجوع والاستقامة والوقوف وتارة من جهة كونها في موازنة بعضها ببعض وتارة من جهة اختلاف مسامتها لبقاع الارض وانحرافاتها منها في الاوتاد ومايليها أو مايزول عنها وتارة من جهة اختلاف الشتاء والصيف والربيع والخريف والليل والنهار وساعاتهما وأوائل الشهور وأواخرها وماشا كل ذلك يعرف اختلاف هذه الاحوال أهل المجسطي

وأما اختلاف تأثيراتها فى هذه الاحوال فيعرفها أصحاب الاحكام الذين يتكلمون على أحكام المواليد .

وأما معرفة كيفية وصول قوى الاشخاص الفلكية الى هذه الاشخاص السفلية فيعلمها الربانيون الناظرون في علم النفس وقد بينا طرفاً منها فى رسالة أفعال الروحانيات

فصل

في كيفية تأثيرات الكواكب

واعلم يا أخي ان هذه الاشخاص الفلكية لما كانت موضوعة بعضها من بعض على النسبة الموسيقية من ثلاثة أنواع أحدها نسبة اعظام بعضها عند بعض والآخر نسبة أبعاد مراكزها بعضها من بعض ومن الاركان الاربعة وكذلك الثالث نسبة حركاتها في سرعة وإبطاء فمن أجل ذلك إذا عرضت لها تلك الحالات المختلفة التى تقدم ذكرها فى الفصل الاول اختلفت مناسباتها فعند ذلك تختلف

تأثيراتها فى الكائنات بحسب اختلاف النسبة كما تختلف أصوات الموسيقى ونغماتها عند طول الأوتار وقصرها ودقتها وغلظها وسرعة حركات المضراب وابطائها فتختلف عند ذلك تأثيراتها فى نفوس المستمعين بحسب اختلاف طبائعهم وآرائهم وأخلاقهم كما بينا طرفاً من ذلك فى رسالة الموسيقى

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الموجودات التى دون فلك القمر كلها موضوعة لقبول تأثيرات الكواكب ولكن لما كانت جواهرها مختلفة اختلف قبول تأثيراتها وهي كثيرة الانواع لا يحصى عددها إلا الله جل ثناؤه ولكن يجمعها كلها جنسان جواهر جسمانية وجواهر روحانية فالجسمانية هي أجسام الاركان الاربعة ومولداتها الكائنات منها من المعادن والنبات والحيوان والجواهر الحيوانية هي نفوس الحيوانات أجمع

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن فنون تأثيرات الكواكب فى هذه الاجسام كثيرة لا يحصى عددها الا الله عز وجل وقد ذكرنا طرفاً منها فى رسالة الطبيعة وطرفاً فى رسالة الآثار العلوية وطرفا فى رسالة الحيوانات وطرفا فى رسالة الاكوان والادوار ونريد أن نذكر فى هذه الرسالة طرفا من تأثيراتها مما يخص الانسان أما فى مزاج بنية جسده أو فى طبع أخلاق نفسه كيف تكون تلك التأثيرات ولأي علة تختلف أخلاق النفوس وطباعها فانها من أعجب تأثيرات الكواكب وأشرف أفعالها وأدق أسرارها وألطف دلالاتها ونريد أن نشرح طرفا منها ليتضح ماقلنا ويفهم ماوصفنا ولكن نحتاج أولا أن نذكر خواص طباعها وأعراض وحداتها ثم نذكر كيفية تأثيراتها وعجائب دلالاتها فنقول :

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن كل كوكب في الفلك فان البارى قد جعله لامر ولغرض أقصى فزحل هو كوكب الثبات والوقوف خلقه الله جل

ثناؤه لتنبث من جرمه القوى الروحانية فتسري فى الموجودات لامساك الصور فى الهيولى وثباتها وبقائها ودوامها ولولا وجود زحل وكونه في الفلك لماتماسكت صورة في الهيولى وثبتت خلقة في مادة طرفة عين إلا سالت وذابت واضمحلت يعرف صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا العلماء الراسخون في علم الهيئات العارفون بحقائق الموجودات وكيفية نظام العالم وماهية أسرار الخلقة

واعلم يا أخي بأن زحل دليل الشهر الاول من مسقط النطفة كما وصفنا قبل فاذا كان سليم المناحس والاحوال المذمومة سلمت تلك النطفة من الآفات العارضة باذن الله تعالى وهكذا حكم الحامل لتلك النطفة فاذا كان بخلاف ذلك كان بالعكس

مثال ذلك انه متى كان زحل صاعداً فى فلكه مستقيما في سيره في حد نفسه من البرج والدرجة فان تلك النطفة تكون مرتفعة الى أعلا بطنها خفيف عليها حملها سليمة من الاوجاع والاعلال

وان كان في حد المشترى كانت فرحانة بحملها حسنة الظن بربها مستقيمة السلامة والتمام

وان كان فى حد المريخ تكون نشيطة فى أعمالها مستعجلة فى أمورها وان كان فى حد الزهرة تكون المرأة مسرورة بحملها مستبشرة بولادتها وان كان في حد عطارد فانها تكون عارفة بوقت حملها حاسبة لايام شهورها

وان كان زحل هابطاً فى فلكه راجعاً فى مسيره مذموماً فى أحواله كان الامر بخلاف ماوصفنا ثم يدخل الشهر الثاني فيصير التدبير للمشترى باذن الله عز وجل وهو كوكب الاعتدال وعلة صحة المزاج في الكائنات وسبب النظام والترتيب في الموجودات وهو دليل العقل في الانسان والفهم والتمييز والعلم والروية والفقه والدين والورع والتقى والعدل والانصاف والعفة والزهد وماشا كل هذه من الخصال المحمودة فى الدين

وبالجملة كل خصلة يحتاج اليها صاحب الناموس فى وضعه الشريعة واجرائه

السنة في الملة وما يحتاج اليه أتباعه وأنصاره من الخلفاء والأئمة والعلماء والفقهاء والقضاة والعباد والزهاد وبالجملة كل من يخدم في الناموس ويعاون فيه من ولاة الامور وحكام الدين والشريعة

فاذا كان المشترى صاعداً في فلكه مستقيما في سيره محموداً في أحواله انعجن في تلك المادة المجتمعة في الرحم وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجبلة قبول هذه الخصال المقدم ذكرها ان قدر الله لها التمام والكمال

فان كان المشتري في حد نفسه من البروج والدرجة تكون تلك الخصال كلها وأحوالها مصروفة بهمة نفسه الى أمور الدين والشريعة واحكام الناموس وتكون نفسه ملهمة من ربها أو بملك من الملائكة فيتكلم بالحكمة شبه النبوة ويدعو الناس الى الله والى الدار الآخرة .

وان كان المشترى في حد زحل يكون المولود بعيد الغور غائص العلم يأتي بالعلامة والمعجزات .

وان كان في حد المريخ يكون ذلك بالقهر والقوة والغلبة والجلادة

وان كان في حد الزهرة يكون دعاءه للناس بالرفق واللين والموعظة الحسنة.

وان كان في حد عطارد يكون ذلك الكلام والحجاج والخصومة والجدال وتكون هذه الخصال كلها أو اكثرها حقاً وصواباً ومقبولة جارية على السداد متى كان المشتري مقبولا من رب بيته ومثلثته ومن يشاركه من الكواكب في تقاسيم أوقاته

فان كان المشترى غير مقبول في موضعه من ارباب حظوظه يكون ذلك وأكثره بحيل وعكس وتمويه ومخاريق ويعرف صدق ماقلنا وصحة ماذكرنا أصحاب احكام النجوم والراسخون في العلم منهم

وان كان المشترى في الشهر الثانى هابطاً في فلكه أو راجعاً في سيره مذموماً في احواله فان المولود يكون بطيء الذهن قليل الفهم بليداً لا يفكر في شيء من

الامور الا مايرى ويسمع أو يباشره بحواسه مثل البهيمة لا تعرف الا الاكل والشرب والنكاح أو يتعلق بأمر المعاش فى الحياة الدنيا ويكون عن أمر الاخرة من الغافلين الا مايعلم ويلقن تقليداً وإيماناً وتسليما

ثم يدخل الشهر الثالث ويصير التدبير للمريخ وهو ينبوع الحرارة والاسخان والنضج فى الكائنات وهو دليل الشجاعة والجسارة والصلابة والبسالة والتشمير والأنفة والحمية وما شا كلها من الخصال والاخلاق والطباع مما يحتاج اليه قادة الجيوش وأصحاب الحروب ومن يتبعهم ويخدمهم ويعاشرهم

فان كان المريخ صاعدا فى فلكه مستقيما في سيره محمودا في أحواله انعجن في تلك المادة وانطبع فى ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة التهيؤ والقبول لهذه الخصال ان قدر الله لها التمام والكمال

فان كان المريخ فى حد نفسه من البرج والدرجة تكون تلك الخصال والاخلاق مصروفة أو أكثرها بهمة نفسه الى القتال والحروب والمبارزة ومباشرة الاقران وطلب الغلبة بالقهر والأنفة من الانقياد للغير والاذعان له.

وان كان المريخ فى حد زحل اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت تلك الخصال المريخية من صاحبها بالتثبت والاناة والصبر والتوقف وقلة العجلة مع الحقد والغضب والمكر والحيلة والانفة من العار والفرار .

وان كان المريخ في حد المشترى اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت أفعال تلك القوى والاخلاق والخصال بعقل وروية ومعرفة بعواقب الاقدام وطلب العدل والانصاف والكف عن الغدر والظلم .

وان كان المريخ في حد الزهرة اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما ويكون ذلك الامر سبب الشهوات وعشرة النساء والحرم والحمية والافتخار والخيلاء والمباهات والتعرض للتلف .

وان كان المريخ فى حد عطارد اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت

تلك الخصال بدهاء وأدب وفطنة ومراوغة وحقد وسرعة حركة واصابة الحيلة

وان كان المريخ هابطاً في فلكه أو راجعاً فى سيره أو منحوساً في احواله كان ذلك المولود جباناً مهاباً ذليل النفس صغير الهمة محتملا للذل والهوان كالنساء والصبيان

ثم يدخل الشهر الرابع ويصير التدبير للشمس باذن الله تعالى التى هي النير الاعظم قلب الفلك وينبوع النور وفائض الضياء والاشراق ومقر روح العالم المنبثة من جرمها قوى النفس الكلية الفلكية السارية في الموجودات وهي أجمع دليل للملك والرياسة فى الانسان وكبر النفس وعلو الهمة والعز والسلطان والعظمة والجلال والقوة والشدة والتدبير والسياسة

وبالجملة كل خصلة وخلق يحتاج اليها الملوك والرؤساء واتباعهم في تدبيرهم وسياستهم فاذا كانت صاعدة في فلكها أو كانت فى بيتها أو شرفها أو أوجها برية من المناحس والاحوال المزمومة انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس فى طبع تلك الجملة ان قدر الله لها بالتمام والكمال محبة الرياسة وكبر النفس وعلو الهمة

وان كان في حد زحل من البرج والدرجة وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتها كان المولود كبير النفس قوى البنية عالى الهمة رابط الجأش شديد العزيمة صابرا في الاعمال بعيد الغور متمسكا بما يملك حافظاً لما يعلم ثابت الرأي حازماً فى الامور وما شاكل ذلك من الاخلاق والطباع والخصال.

وان كانت فى حد المشترى وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتها كان المولود ان قدر الله له التمام والكمال متهيء النفس لقبول خصال الملك والنبوة جميعاً وهي فضائل الانسانية والاخلاق الملكية والمعارف الربانية والعلوم الالهية

وان اتفق مولوده لبرج القران أو بطالع القران أو باحد أوتاد لها عند استئناف أحد الادوار كان ذلك المولود النبي المبعوث فى ذلك الدور والامام للناس في ذلك الزمان.

فأما كيفية مبعثه وآياته ومعجزاته وكتابه بأي لغة يكون والى أي أمة يبعث من الناس وكيف أحكام شريعته ومفروضات سنته وسيرة أمته وتصرف أحوالهم فيحتاج الى شرح طويل وهو مذكور أو أكثره في كتب القرانات وأدوار الألوف

فان كانت الشمس في حد المريخ امتزجت طبيعتاهما واتحدت قوتاهما وصار طبع المولود وأخلاق نفسه ممتزجة من طبيعتها متهيئة لقبول تأثيراتهما في أيام حياته وطول عمره

وعلى هذا القياس اذا كانت في حد الزهرة وعطارد امتزجت طباعهما واتحدت قواهما وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراتهما وأخلاقه مركبة وممتزجة من طباعهما وتأثيراتهما مما يطول شرحه

وبعضها مذكور في كتب أحكام التحاويل ويعرف صحة ما قلنا وحقيقة ما ذكرنا الناظرون في تلك الكتب والباحثون عن هذا العلم

وان كانت الشمس على خلاف ما وصفنا من صلاح أحوالها في الفلك أو كانت على النسبة الأدون كان المولود صغير النفس والهمة قليل القبول للفضائل الانسانية والاخلاق الملكية والمعارف الربانية والعلوم الالهية والهمم الربوبية

ثم يدخل الشهر الخامس ويصير التدبير للزهرة دليل النقش والتصاوير والشكل والدل ، والغنج ، والتيه ، والحسن ، والزينة ، والجمال ، والبهجة ، والعيش ، والطبيعة ، والشهوات ، واللذة ، والسرور ، والغبطة

وبالجملة كل خصلة وفضيلة تريد الحياة والبقاء وطول العمر ومن أجلها في الدنيا والآخرة جميعاً

فان كانت الزهرة صاعدة في فلكها مستقيمة في مسيرها محمودة في أحوالها انعجن في تلك المادة باذن الله وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة محبة هذه الخصال وشهوتها في غاية ونهاية

فان كانت في وجهها من البرج كانت صورة الجسد بيضاء درية اللون مشوبة

بحمرة أو صفرة فيه جعدة الشعر وغنجة ، جميل المنظر حسن العينين حلو المنظر صحيح الوجه والعين سوادها أكثر من البياض مكلثم الوجه صغير الحاجبين مدور الرأس حسن العنق دقيق الشفتين كثير لحم الخدين قصير الاصابع غليظ الساقين ربع القامة دقيق البشرة أكحل وأشهل

وان كانت في حدها أيضاً كان المولود مقبول الجملة خفيف الروح حسن الاخلاق جيد الطبع حسن العشرة جيد المعاملة

وان كانت في وجه زحل من البرج والدرجة كانت صورة الجسد غليظ الشفتين ضخم العينين جعد الشعر مختلف الاسنان مشقق الرجلين قوي البنية هيوب المنظر احدى عينيه خلاف الاخرى بالصغر أو بالكبر أو اللون أو الحركة أو الشكل وان تكن الزهرة أيضاً في حد زحل من البرج والدرجة يكون المولود شديد العشق والمحبة ثابت المودة ذا وفاء وعهد وأمانة قليل الغدر والخيانة ضابطاً لنفسه صبوراً

وان كان في وجه المشترى من البرج والدرجة فان بنية الجسد تكون معتدلة المزاج متناسبة الاعضاء ويكون حلو الشمائل أبيض اللون الى السمرة عظيم العينين الحدقة أدكن الشعر كث اللحية حسن الهيئة نأتي الوجنتين غليظ الارنبة معتدل اللحم والقد والقامة نظيف البشرة متهلل الوجه

وان كانت أيضاً في حد المشترى من البرج والدرجة وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما كان المولود خيرا بالطبع حسن الاخلاق محمود الخصال عادل السيرة حسن العشرة متصفاً في المعاملة صادقا في المودة وربما أديباً صحيح الاعتقاد مستقيم المذهب مثل أخلاق الملائكة

فان كانت الزهرة هابطة في فلكها أو راجعة في مسيرها أو مختلفة أحوالها نقصت سعادته لأسباب يطول شرحها مذكورة في كتب الأحكام والمواليد والتحاويل .

ثم يدخل الشهر السادس ويصير التدبير لعطارد صاحب العلوم والمعارف

والحس والشعور والآداب والحكم والحركات والصنائع والنطق والبيان والكلام والفصاحة والتمييز والفطنة والقرأة والنغمة والرياضات والحكمة وهو أخو المشتري الصغير . كما أن الزهرة أخت المريخ ، والقمر أخو زحل ، والشمس أبوهم

فان كان عطارد صاعداً في فلكه مستقيما في مسيره صالحاً في أحواله انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة قبول العلوم والمعارف والنظر والبيان

فان كان عطارد في حده من البرج والدرجة تصير نفس ذلك المولود باذن الله سبحانه ذكية وقلبه حيا وذهنه صافياً وفهمه حاداً وخاطره سريعاً ومعارفه دقيقة وعلومه بديعة وبيانه فصيحاً

فان كان في حد زحل امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وكان المولود ان قدر الله له بالتمام والكمال دقيق النظر في العلوم بعيد الغور في البحث غائص الفكر في المعارف ثقيل اللسان في البيان عسر العبارة عما في نفسه من المعاني

وان كان عطارد في حد المشتري صارت همة نفس المولود باذن الله سبحانه في علم الدين وكلامه وأقاويله أكثرها في أمر الورع وأحكام الشرع ومواعظ الناموس ووصف العدل وبيان الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر المعاد ووصف أحوال الآخرة والمنقلب بعد الموت عند فراق النفس الجسد الذي هو الغرض الاقصى في رباط الانفس الجزئية بالاجساد البشرية كما بينا في رسالة البعث والقيامة

وان كان عطارد في حد المريخ امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراته وتكون همة نفسه أكثرها في الكلام في الخصومات والجدل ووصف الحروب ويكون لسنا متكلما عجولا في خطابه سريعاً في جوابه كثير الزلل والخطأ سريع المراجعة وربما كان شاعراً أوخطيباً أوقاضياً أو مناظراً أو مجادلا

وان كان عطارد في حد الزهرة امتزجت طبيعتها واتحدت قوتها وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراتهما وتكون أكثر همة نفسه الكلام في وصف محاسن أمور الدنيا ونعت شهواتها ووصف لذاتها بالاشعار والغناء والالحان والنغمات والايقاعات الموزونة والحركات المنتظمة.

وان كان عطارد هابطا فى فلكه راجعاً فى مسيره أو مذموما في أحواله كان المولود سكيتاً أو أخرس أو بليداً أو معتوها.

ثم يدخل الشهر السابع وينتهي مسير الشمس الى البرج السابع المقابل لموضعها الذي كان عند مسقط النطفة ويصير التدبير للقمر النير الاصغر نظير الشمس في المنظر، المخالف فى المخبر، المتوسط بين العالمين الآخذ من طبايع الكواكب فيضها من العالم العلوى الفائض المؤدي تلك الفيضات والخيرات الى العالم السفلى.

فان كان القمر عند ذلك صاعدا فى فلكه زائدا في نوره سريعاً فى مسيره بريا من المناحس انعجن فى تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة ذلك الفيضان الذى يؤديه القمر من هناك الى هذا العالم وصارت نفس المولود متهيئة لقبول سائر تأثيرات الكواكب بحسب الحال التى عليها القمر من الخمسة والعشرين حالا المذكورة في كتاب مدخل النجوم .

وان كان القمر في منزلته أو شرفه أوفى أوجه أوفي ميله أووجهه كان المولود ان قدر الله عز وجل بالتمام والكمال مسعودا فى أكثر أحواله محمودا فى أكثر أموره فى الدنيا والآخرة جميعاً .

وان كان القمر فى حد عطارد امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتاهما وكان المولود ممزوج الطبائع مختلفها منفنن الشمائل متلون الاخلاق متنقلا فى الآراء والمذاهب متداخلا فى الامور المشاكلة متشابكا فى الامور الدنيوية قليل الثبات فيها سريع التغير عنها كثير التنقل فيها سهل الانقياد سريع البلوى مواتياً لهوى نفسه متباعدا عن اخوانه

وان كان القمر في حد زحل كانت الامور التي وصفنا بالضد مما ذكرنا وكان المولود في أكثر أحواله ثابتاً قليل التغير والتنقل الا بعد عسر وشدة

وان كان القمر في حد الزهرة وكان المولود ذكرا امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وكان الظاهر على المولود شمائل الذكور والباطن شمائل الاناث

وان كان المولود انثى كان ظاهرا على شمائله طبائع الانوثة وباطنه طبائع الذكور

وان يكن القمر في حد المريخ امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وكان ظاهر المولود عليه شمائل العامية واخلاق نفسه مريخية وظاهر أحواله عامية ومذاهبه مذاهب صيدية

وان كان القمر في المشترى امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتاهما وكان المولود في أكثر أحواله معتدلا بين الطرفين متوسطا في الامور الدنيوية والاخروية جميعاً

وان قدر الله سبحانه أن يولد في هذا الشهر عاش وتربى وكان له عمر ، وان بقي الى ان يدخل الشهر الثامن رجع التدبير الى زحل من الرأس ويكون زحل رديء الحال.

وتدخل الشمس البرج الثامن بيت الموت ويغلب على الجنين برد طبيعة زحل وسكونه فان ولد في هذا الشهر كان قليل العمر أو ربما لايتربى ولا يعيش

ثم يدخل التاسع بيت الاسفار والنقلة ويصير التدبير للمشترى من الرأس كما سنبين بعد

﴿ فصل ﴾

قد تبين مما ذكرنا ان مكث الجنين في الرحم تسعة أشهر انما هو لكيما تتم البنية وتستكمل الصورة وتفيض عليها قوى الاشخاص الفلكية ولو أمكن تتميمها وتكميلها في يوم واحد لما تركت هناك يومين ولو أمكن في شهرين . وقد يعرف كل عاقل أن من يولد غير تام البنية ولا كامل الصورة لا ينتفع

فى هذه الدنيا ونعيمها ولا يتلذذ ولا يتمتع بلذاتها على التمام والكمال ، ولم يزل شقيا منغص العيش مبتلى كالزمنى والمفاليج والناقصى الخلقة الغير تامي الصورة

فهكذا الحكم والقياس في الدار الآخرة بعد الموت وذلك ان الانسان انما يترك في هذه الدنيا مقدار ما يمكنه تتميم أحوال نفسه مع الجسد كما ذكر ذلك في كتب الطبيعة والحكمة وتكمل فضائلها بالكون فى الدنيا كما ذكر في كتب النبوة

فاذا فارقت النفس الجسد عند الموت الذي هو ولادة ثانية انتفعت بالحياة في الدار الآخرة ويمكنها الصعود الى ملكوت السموات كما قال المسيح عليه السلام من لم يولد ولادتين لا يلج في ملكوت السماء

وقد أوصى الاطباء بالوالدين وأمروا الحوامل من النساء بالرفق بأنفسهن فى حركاتهن وتصرفاتهن باعتدال وبوسائط بلا إفراط ولا تقصير كيما يسلم الجنين من الآفات العارضة هناك ويخرج الطفل سالماً الى هذه الدنيا ويتربى ويعيش وينتفع بالحياة . وهكذا وصية الانبياء عليهم السلام وواضعي الناموس الذين هم أطباء النفوس للامم المبعوثين اليها فيما فرضوا فى أحكام الدين والشرائع والسنن للناس من اجتناب المحارم والمحرمات والشبهات الممرضة للنفوس المهلكة لها بالانهماك وتجاوز الحد والمقدار فى تناولها من غير وجوهها المحللة لها كل ذلك لكيما تسلم نفوسهم من آفات هذه الدنيا الغدارة المكارة المهلكة لاولادها بعد تربيتها لهم . وكما ان الاشخاص لو ساعدوا الطبيب فيما أمر وبين من جهة مأكولاتهم ومشروباتهم في حالة الصحة والمرض يستفيدون وبمخالفتهم ذلك ينحرف مزاجهم أما الصحيح فالى المرض وأما المريض فالى طول المرض والى الهلاك كذلك ههنا الانبياء هم أطباء النفوس وسبب الهدى وطريق المعاش فن مال عما أمروا به وانحرف عما وضعوا وبينوا فقد ضل وأضل عن سواء السبيل

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان الاستغراق فى الشهوات فى هذه الدنيا ينسي الانسان أمر الآخرة ويشككه ويؤيسه منها كما قال قائلهم فى هذا المعنى

هي الدنيا وقد وعدوا بأخرى وتسويف الظنون من السوام

وقيل أيضاً فى هذا المعنى شعراً

خذوا بنصيب من نعيم ولذة وكل وان طال المدى يتصرم

وقال آخر وقد كان ساهياً من أمر الآخرة

ماجاءنا أحد يخبر انه في جنة من مات أوفي نار

وأشعارهم كثيرة في مثل هذه الظنون والشكوك والحيرة التى وقعوا فيها عقوبة لهم عند ماتركوا وصية ربهم ونصيحة أنبيائهم واتباع علمائهم والحكماء فيما يدعونهم اليه ويرغبون فيه من نعيم الآخرة ويأمرونهم به من الزهد فى الدنيا وينهونهم عنه من الغرور بشهواتها وعاجل حلاوتها

فصل

واعلم ان كل مولود تحت فلك القمر فى البر كان أو في البحر أو في الهواء أو في التراب أو في الماء في وقت ولادته لابد من أن تكون درجة طالعة من المشرق على أفق تلك البقعة ولابد أيضاً من أن يكون كوكب من السبعة السيارة متولياً على تلك الدرجة الطالعة يسمى النير وهما دليل المولود وما تتصرف به الاحوال وتجري به الامور فى مستقبل عمره الى تمام سنة ثم ان السنة الثانية يصير التدبير فيها لدرجة أخرى ممايتلوها بالطلوع والمستولى عليه ثم السنة الثالثة للدرجة الثالثة والمستولي عليها . وعلى هذا القياس يجري الامر الى آخر العمر الطبيعي ويتصرف المولود في الاحوال وتجري به الامور بحسب حالات تلك الدرجات والمستولى عليها من الكواكب مذكور ذلك كله في كتب أحكام المواليد بشرح طويل

فصل

واعلم يا أخي بأن الله جل ثناؤه قد جعل بواجب حكمته لكل نوع من الحيوانات عمراً طبيعياً معلوماً ولأجله وقتاً معلوماً ولعمره أجلاً مقدراً لايتجاوزه

ولا يقصر عنه اذا جرى على الامر الطبيعي لا يعلم تفصيل ذلك إلا الله عز وجل

وأما العمر الطبيعي الذي جعله الله للانسان فمائة وعشرون سنة كما بينا علته قبل هذا الفصل

وأما الاعمار لبعض الناس الزائدة عن هذا المقدار والناقصة عنه فلأسباب شتى وعلل عدة يطول شرحها ولا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل فنريد أن نتكلم عن أحوال الانسان في طول عمره الطبيعي ونصف كيفية مجاري أموره وتصاريف أيامه إذا جرت على الامر الطبيعي مذ يوم ولادته الى تمام خمس وسبعين سنة ومايزيد على ذلك الى تمام مائة وعشرين سنة

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن لكل مولود من الحيوان أبوين في الفلك كما ان له والدين في الارض أحدهما دليل عمره يسمى كدخداي أي رب البيت والآخر يسمى هيلاج أي ربة البيت فان كانا مسعودين عند ولادته عاش المولود بخير عمراً طويلا وإن كانا منحوسين فبالعكس من ذلك وان كان الكدخداي مسعوداً والهيلاج منحوساً كان المولود طويل العمر فقيراً سيء الحال وان كان الهيلاج مسعوداً والكدخداي منحوساً كان المولود حسن الحال غنيا قصير العمر

فأما علة قصر العمر عن المقدار الطبيعي فهو أن تكون عطية الكدخداي يسيرة فاذا فنيت وبلغت درجة المسير الى مركز النحوس وساعاتها مات المولود فجأة أو باعلال وأمراض وأسباب شتى لا يعلم ذلك إلا الله عزوجل الذى لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي بأنه متفق بين أهل صناعة التنجيم فى أحكام المواليد انه من يوم الولادة الى تمام أربع سنين شمسية يكون الطفل فى تدبير القمر صاحب النمو والزيادة والنشؤ وتشاركه سائر الكواكب في التدبير كل واحد سبع تلك المدة

التي تسمى سني التربية فتتصرف الاحوال بالطفل من التربية والنمو والزيادة والصحة والسلامة والعز والكرامة والاعلال والامراض والبؤس والهوان واللذة والألم بحسب ماتوجب تلك المدبرات في هذه السنين، مذكور شرح ذلك في كتب تحاويل سني المواليد

ثم يصير في تدبير عطارد ثلاث عشرة سنة وهو صاحب النطق والحركة والتعاليم والآداب والتمييز والفهم وتشاركه في التدبير سائر الكواكب كل واحد سبع هذه المدة

وكل ماانتهى التدبير الى واحد منها ظهرت في المولود الاخلاق والافعال المشاكلة لتلك القوى التي انعجنت وامتزجت وانغرست في جبلته في الرحم وهو جنين كما يظهر زهر النبات وحبوبها ونور الشجر وثمارها وروائحها والوانها وطعومها عند بلوغها وتمامها وكمالها ونضجها بحسب ما في طباعها وأشباحها .

ثم يصير المولود في تدبير الزهرة ثماني سنوات وهي صاحبة الحسن والزينة والشهوات واللذة والرغبة في النكاح والحرص على السفاح وتشاركها في التدبير سائر الكواكب كل واحد منها سبع هذه المدة

فيظهر من المولود في هذه المدة الرغبة في التزوج والنكاح وطلب الشهوات والتمتع باللذات ومحبة الزينة والحسن والجمال والحرص على جميع الاموال واتخاذ المنازل والدار والدكان والضيعة والبستان والمباهات والمفاخرة مع الاتراب والاقران باتخاذ الجواري والغلمان والانهماك في الشهوات الى مدة ما

ثم يصير في تدبير الشمس صاحبة العز والرياسة والتدبير والسياسة عشر سنوات .

ويظهر من المولود الكدخدائية في المنزل وتربية الاولاد وتأديب الاهل والجيران ومراعاة أمر الاقرباء والاخوان وطلب العز والسلطان والرفعة والعلو

والشرف في المنزلة وماشا كل ذلك.

وهـذه الخصال والاخـلاق والافعال التى يحتاج اليها الملوك والرؤساء ودهاقنة القرى وساسة الجماعات وتشاركها في التدبير سائر الـكواكب كل واحد سبع هذه المدة.

ثم يصير في تدبير المريخ سبع سنوات وهو صاحب الحزم والعزم والشجاعة والمواهب والطلب والعطاء والاقدام والحمية والانصاف والعزة

وبالجملة كل خصلة وخلق وسجية لابد منها لساسـة الامور وقادة الجيوش ورعاة الجماعات ومدبري الملك والناموس جميعاً وتشاركه سـائر الـكواكب في التدبير كل واحد سبع هـذه المدة فتمتزج طبائعها وتتحد قواها وتظهر أفعالها ،شاركة لسائر الـكواكب لايعلم تفصيل ذلك الا الله والراسخون فى علم النجوم وقليل ماهم

ثم يصير المولود فى تدبير المشترى اثنى عشرة سنة وهو صاحب الدين والورع والتوبة والندامة والزهد والعبادة والرجوع الى الله جل ثناؤه بالصوم والصلاة والصدقة والاستغفار وطلب الآخرة والرغبة فيها والتزود للرحلة من هذه الدار الفانية الى دار القرار الباقية. ويشاركه سائر الـكواكب كل واحد سبع هذه المدة فتمتزج طبائعها وتتحد قواها وربما ظهرت أفعالها متناقضة من أجل القوى المتضادة

وذلك ان الانسان العاقل ربما حصل في هذه المدة متجاذباً بين أمرين اثنين متضادين وذلك ان الزهرة اذا استوت بدلالتها بشركة المريخ على أحوال المولود دلت له على الرغبة فى الدنيا والحرص على شهواتها ولذاتها فيزيد المريخ قوة ونشاطاً وعطارد لطفاً ورفقاً وحيلة وزحل ثباتا ووقوفاً وصـبراً والقمر زيادة ونمواً والشمس عزاً ورفعة وبالضد من هذه كلها . أما المشترى وطباعه اذا استولى على الانسان العاقل بدلالته بشركة زحل على أحوال المولود دل له على الزهد في الدنيا وقلة الرغبة في شهواتها ولذاتها وشدة الرغبة فى الآخرة والحرص

على طلبها ويزيد المريخ قوة ونشاطاً فى الطلب ويزيده عطارد لطفاً ورفقاً وحيلة، وتزيده الزهرة رغبة وشهوة واستحسانا وتزيينا ويزيده زحل صبراً فى العبادة وثباتاً على التوبة وتزيده الشمس نوراً وهداية وكبر نفس وتسلية وتلطفاً عن الدنيا الدنية ويزيده القمر اتباعا وأعوانا على ماهو عليه

فان اجتهد الانسان وفعل مارسم في الشريعة من لزوم احكامها ومفروضاتها وعمل بما وصف في الفلسفة وصبر عليه مدة ما فعما قليل يخف عليه كما هو فيه من تجاذب الطبيعتين المتضادتين الى ان يصير التدبير الى زحل بعد احدى عشرة سنة وهو صاحب السكون والهدوء والكسل وجمود نيران الشهوات الجسمانية وذهاب القوى الحيوانية واسترخاء الاعصاب وذبول الآلات الجسدانية ووقوف الحواس عن مباشرة المحسوسات

ثم لايمكن للنفس اظهار الافعال ولاتناول اللذات فعند ذلك تقل رغبته فى هذه الدنيا وينقطع طمعه فى المقام في عالم الكون والفساد .

ثم يجيئه الموت الطبيعي على التدريج اذا انطفأت الحرارة الغريزية من البدن وانسلت الروح الحيوانية من الجسد كما ينطفيء السراج ويذهب الضوء اذا فنى الدهن واحترقت الفتيلة.

فان كان الانسان قد ارتاض فيما مضى من عمره وتعلم علما من العلوم وأدبا من الآداب أو صناعة من الصنائع أو تدين بمذهب من الآراء أو عمل عملا من الاعمال يهدي به الى طريق الآخرة وأمر المعاد فانه يرجى لتلك النفس أن تهتدي الى الرجوع الى عالمها النفساني ومحلها الروحاني واللحوق بابناء جنسها الذين مضوا قبلها ووصلوا الى هناك وتخلصوا من دركات عالم الكون والفساد وحريق نيران الآلام والأسقام والأمراض والجوع والعطش والبرد والحر والتعب والكد والعناء والفقر ومشقة الأعمال المتعبة والأفعال السمجة القبيحة وحرارة الحرص والرغبة والشهوات المردية والعادات الرديئة والأخلاق الوحشية والجهالات

المتراكمة والأعمال السيئة وما يلحق أهلها من العبادات والمباغضات فيما بينهم ومن حسد الجيران وعداوة الأقران وجور السلطان ووساوس الشيطان ونكبات الزمان ونوائب الحدثان

فان قال قائل من المنكرين لأفعال الكواكب وتأثيراتها في هذه الكائنات أو فكر متعجب في كيفية انطباع تلك القوى في مزاج الجنين وانغراس تلك الطباع في جبلته وكيف يكون ظهور أفعالها بعد الولادة فليعتبر أفعال الدرياقات والمراهم والشربات وكيف تظهر أفعال تلك العقاقير والأدوية مفردة ومركبة بعد جمعها واختلاطها وعجنها وطبخها واتخاذ أجزائها وتأليف قواها وكيف يقصد كل قوة ودواء الى عضو مخصوص ومرض معروف وعلة بعينها فيزيلها ويؤثر فيها باذن الله

أو فليعتبر أصوات الموسيقار ونغمات الألحان كيف تتألف وتتحد ويحملها الهواء الى مسامع الآذان ويبلغها الى صميم الدماغ ويوصل معانيها الى ما في طباع النفوس

ثم كيف يظهر من كل حيوان أو انسان تأثيرات مختلفة من الفرح والسرور والضحك والحزن والبكاء والغم والهم والشجاعة والجبن والسخاء والبخل أو النشاط والحركة أو النوم أو الهدوء والسكون أو تذكار شيء قد أنساه الدهر والتسلي عن مصيبة قريبة العهد وما شا كل هذه التأثيرات في النفوس من استماع أصوات الموسيقار ونغمات الألحان مما لاخفاء فيه على كل عاقل معتبر ، فاذا خفيت على المتفكر كيفية هذه التأثيرات في النفوس ولم يفهمها فلا ينبغي أن ينكر تأثيرات الكواكب في النفوس من أجل أنه لا يفهم معانيها ولا يتصور كيفيتها لأنها أخفى وأدق وألطف من هذه

فصل

واعلم يا أخي ان الله جل ثناؤه قد جعل لكل قاصد غرضاً ما ولغرض كل قاصد نهاية ما وقدر لصاحب كل غرض في قصده طريقة وسطى بين الزيادة

والنقصان فكون الجنين في الرحم زماناً لغرض ما ومكثه ثمانية أشهر طريقة وسطى بين الزيادة والنقصان

وهكذا أيضا كونه فى الدنيا زماناً ما لغرض ما وعمره الطبيعي الذي جعل للانسان هو مائة وعشرون سنة طريقة وسطى بين الزيادة والنقصان فأما الذي يزيد على هذين المقدارين وينقص عنهما فلعلل وأسباب شتى يطول شرحها

ولكن ان كنت تريد أن تعلم انه اذا زاد مكث الجنين على ثمانية أشهر نقص من عمره الطبيعي الذي هو مائة وعشرون سنة فاعرف الأصل والزم القانون الذي ذكرناه وهو ان كل كائن وحادث في هذا العالم الذي تحت فلك القمر من وقت حدوثه وكونه الى وقت فنائه وبواره هو من المدة التى هي مقدار دورة واحدة من أدوار الاشخاص الفلكية العالية كما بينا في رسالة الأكوان والأدوار

وقد ذكرنا قبل هذا الفصل بأن من مسقط النطفة الى يوم الموت من المدة اذا جرى مكثه وعمره على الامر الطبيعي هو مقدار دورة واحدة من أدوار الشمس

وذلك أنه اذا مكث الجنين في الرحم ثمانية أشهر ثم ولد فان الذي يبقى للشمس من المسير الى أن تعود الى الدرجة التى كانت فيها يوم مسقط النطفة اربعة أبراج مائة وعشرين درجة فيستأنف المولود العمر في الدنيا لكل درجة سنة فان مكث تسعة أشهر فالذي يبقى له ثلاثة أبراج تسعون درجة ويستأنف المولود العمر تسعين سنة فان مكث عشرة أشهر فالذي يبقى له برجان ستون درجة فيستأنف المولود العمر ستين سنة فقد تبين بهذا المثال وعلى هذا القياس ان كل ما زاد في المكث نقص في العمر

فأما الذي يوجد بالتجربة أن جنيناً مكث عشرة أشهر وعاش مائة وعشرين سنة أو مكث تسعة أشهر أو مات لأقل من ستين سنة فلعلل وأسباب خارجة عن الامر الطبيعي يطول شرحها

وعلى هذا المثال يجري حكم سعادة المواليد وذلك ان الله عز وجل قد جعل لكل مولود قدراً من السعادة في الدنيا وقسمها قسمين قسما جعل منه لطول العمر وقسما لرغد العيش وربما يزيد لأحد المواليد في عمره وينقص من رغد عيشه وربما يزيد لآخر في رغد عيشه وينقص من عمره . فمن أجل هذا ترى كثيراً من سعداء أبناء الدنيا الرغدي العيش يكونون قصيري الأعمار وترى كثيراً طويلي الاعمار ناقصي رغد العيش

ومما يحكى أن ملكا رأى شيخاً في داره كبيراً سقاء . فقال له كم تعد من الخلفاء فقال له كثير . فقال له شبه المتعجب ما بالكم تطول أعماركم وتنقص أعمارنا فقال له السقاء لأن أرزاقكم تجيئكم مثل أفواه القرب وان أرزاقنا تجيء مثل قطر المطر

فاستحسن الملك قوله وضحك وأمر له بجائزة حسنة اغناه بها . ثم فقده بعد قليل فسأل عنه فعرف بموته . فقال صدق لما جاء الرزق مثل أفواه القرب قصر عمره

وهكذا أيضاً الحكم والقياس قد جعل الله لكل انسان حظاً من السعادة وقسطاً من النعيم وقسمها قسمين فجعل قسطاً في الدنيا وقسطاً في الآخرة كما ذكر فقال عز من قائل « كل شيء عنده بمقدار » وقال « وما ننزله الا بقدر معلوم » فمقدار ما يدخل الانسان حظه من النعيم ، والتلذذ في الدنيا فبذلك المقدار ينقص حظه من نعيم الآخرة . والى هذا المعنى أشار بقوله تعالى في عتابه للمسرفين « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » وقال سبحانه « من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من نصيب »

وحكي ايضاً قول الربانيين العارفين حقيقة ما نقول حين قالوا لقارون لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك وذلك لانهم علموا بان نصيبه من الدنيا هو مقدار

مايقدمه لآخرته ولايتمتع به كله فى الدنيا وقد قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وايات كثيرة فى القرآن فى هذا المعنى الذي ذكرنا فلا تغتريا أخي بما ترى من حال المترفين فى الدنيا وما يتنعمون من النعم والتلذذ مع عصيان الله واعراضهم عن الاخرة وتركهم ذكر المعاد فعما قليل سيفنى ماهم من نعيم الدنيا ويحضرون للاخرة فيكونون من فقرائها واشقيائها كما ذكر الله تعالى فقال « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وذلك أنهم ظلموا أنفسهم باستعجالهم راحة الدنيا واعراضهم عن الآخرة وعصيانهم عنها وتركهم الاستعداد لها ولم يسعوا في اخلاص نفوسهم وفكاك رقابهم منها ولا جرم أنهم سيعلمون أى منقلب ينقلبون وكفى بهذا وعيداً وتهديداً وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وقد تبين بما ذكرنا ان مكث الجنين فى الرحم مدة ما انما هو لكي يتم الجسد وتستكمل صورة البدن والغرض من ذلك أن المولود ينتفع بالحياة الدنيا بعد الولادة

وكذلك أيضاً قد قال الحكيم ان مكث الانسان العاقل الذى هو تحت الأمر والنهي اما بموجب العقل أو بطريق السمع بأوامر الناموس ونواهيه وفى طول عمره الطبيعي مدة ما انما هو لأن تتم فضائل النفس وتستكمل أخلاقها المختلفة ومعارفها الربانية بالتأمل والبحث فى النظر والسعي والاجتهاد في العمل كما ذكر فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب طاقة الانسانية أو بما رسم في الناموس من الوصايا والأوامر والنواهي كل ذلك لكيما تستكمل النفس فضائل الملائكة فيها

والغرض من هذا كلها هو أن يمكنها ويتهيأ لها الصعود الى عالم الأفلاك والدخول فى سعة السماوات والكون هناك مع أبناء جنسها وأهل ملتها من القرون الخالية الذين مضوا على سنن الديانات النبوية والمناجاة الفلسفية الحكمية والآداب الملكوتية واللحوق بهم في درجاتهم والمكث هناك متنعمة متلذذة فرحة مسرورة أبد الآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن اولئك رفيقاً واليهم أشار بقوله سبحانه « وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب.

فصل

اعلم يا أخى ان الله جل ثناؤه لما علم بأن أكثر الناس لايعيشون أعماراً طبيعية على التمام ولايتركون فى الدنيا زمانا طويلا تهذب فيه نفوسهم وتستكمل فضائلهم لطف بهم من أجل ذلك وبعث اليهم الانبياء والرسل واضعى النواميس بالوصايا والاوامر والنواهي والسنن الزكية والشرائع المرضية اذا استعملوها على نحو مارسم لهم من السيرة العادلة استتمت فضائل نفوسهم وتهذبت أخلاقهم وان كانوا قصيرى الاعمار كما ذكر الله تعالى فقال « فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » وقال النبى صلى الله عليه وآله من أخلص العبادة لله تعالى أربعين صباحا شرح الله صدره بنوره وفتح قلبه للايمان وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجميا أغلقا فهذا هو حكم نفوس البالغين الذين تحت الامر والنهى

وأما حكم نفوس الاطفال والمجانين فهى تنجو بشفاعة الآباء والامهات والانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين

وإذ قد تبين لك يا أخى ماالغرض من المكث فى الرحم مدة ما وماالغرض من المكث فى الدنيا مدة ما أيضا فبادر الآن وتشمر وتزود فان خير الزاد التقوى وشد وسطك للرحيل من الدنيا الفانية الى دار القرار الباقية قبل فناء العمر وتقارب الأجل فقد أعذر من أنذر كما قال الله تعالى « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان » يعنى العدل « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » أن يقولوا يوم القيامة ماجاءنا من رسول ولا كتاب وكانت أعمارنا ناقصة قصيرة وآجالنا قريبة فارجعنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل

الناس نيام واذا ماتوا انتبهوا فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قبل أن تفارق الاوطان وتدخل في النيران وقبل أن ينادى المنادى قد شقى فلان وسعد فلان . وفقك الله وإيانا للسداد انه رؤوف بالعباد

(تمت رسالة مسقط النطفة ويتلوها رسالة قول الحكماء)

فهرس الجزء الثانى

من رسائل اخوان الصفا

صفحة

صفحة

صفحة